

# رسائل الجاحظ

## الجزء الثالث

القسم الأول من  
الفصول المنخارة من كتب الجاحظ  
إختيار الإمام عبّيد الله بن حسان

تحقيق وشرح  
عبد السلام محمد هارون

دار الجبل  
بيروت

جميع الحقوق محفوظة لدار الجيل

الطبعة الأولى

١٤١١هـ - ١٩٩١م

## تقديم

أيديك الله ، وأسبغ عليك من عظيم فضله وجميل نعمته ، ماترضى به  
وتطمئن إليه . وحفظك أخاً كريماً ترعى الود ، وتقيم على العهد .

وكنت قد وعدتكم من قبل أن أتبع المجموعة الأولى من الرسائل ،  
وهي ( مجموعة مكتبة داماد ) ، بمجموعة أخرى لا تقل عنها قدراً إن لم  
تفقهها ، وهي ( مجموعة مختارات عبيد الله بن حسان ) .

وعدت عواد أن أبادر بإنجاز هذا الوعد ، مع بقاى عليه ، علم الله ،  
وامتداد بصرى إلى صونه ورعايته .

فلما أذن الله ، وله الحمد ، أن أنهض بإتمام تحقيق هذه المختارات ،  
ضاغفت شكره ، وسعيت إلى نشرها بين يديك ، لتعلم أنى على موعدى .

وقد أشرت في مقدمة الجزء الأول من رسائل الجاحظ إلى حصر أبرز  
المجموعات التى حفظت بها هذه الرسائل ، وهي :

١ - مجموعة مكتبة داماد ( وقد نشرتها سنة ١٣٨٤ فى جزأين بهما  
١٧ كتاباً ورسالة ) .

٢ - مجموعة فان فلوتن .

٣ - مجموعة الفصول المختارة لعبيد الله بن حسان .

٤ - مجموعة محمد ساسى المغربى .

٥ - مجموعة ريشر .

٦ - مجموعة حسن السندي .

٧ - مجموعة يوشع فنكل .

٨ - مجموعة بول كراوس وطه الحاجرى .

ولست أعيد القول فيما اشتملت عليه كل مجموعة من هذه المجموعات الثانية ، فإنها مسطورة بالتفصيل فى مقدمة الجزء الأول من الرسائل .

وإنما يعنى القول فى مجموعة واحدة هى المجموعة الثالثة من هذه المجموعات ، وهى ( الفصول المختارة من كتب الجاحظ ) ، إذ هى الأصل الذى اعتمدت عليه فى إخراج الجزأين الثالث والرابع من رسائل الجاحظ .

وقد طبعت هذه المجموعة من قبل محرقة مبتورة ، على هامش كامل المبرد بمطبعة التقدم العلمية سنة ١٣٢٣ بعناية الشيخ على بن أحمد الهوارى .

وكان الذى حدانى إلى إعادة نشر هذه الفصول المختارة أمور :

أولها : ما لها من القدر الأدبى والتاريخى ، إذ أنها تشتمل على عيون من كتب الجاحظ ، هى فى قمة ما أنشأه ، من حيث موضوعاتها المختلفة فى الشؤون الإنسانية العامة . فهى دراسات نفسية واجتماعية ، ودينية وكلامية وجدلية ، وأدبية عالية ، وترفيهية سامية ، وإن كانت معظم كتب الجاحظ تلم بأطراف مما ذكرت ، ولكن التناول العميق لهذه الدراسات ، مما اختلفت به أفراد هذه المجموعة النادرة .

فلا ريب أن الجاحظ قد تكلم فى الحاسد والمحسود فى أثناء كتبه كلاماً عابراً ، ولكنه حين يخص هذا الأمر بالدراسة والقول المستفيض ، يضىء لنا جميع الجوانب التى يمكن أن تحيط به ، بقدر ما يثير إعجابنا وإمتاعنا .

وهو حين يقدم دراسة عن المعلمين ، يبسطها لنا مستوعباً أقصى ما يمكن كتابته فى هذا اللون الأدبى من الكتابة فى طائفة عظيمة من طوائف الناس .

وحين يتكلم على النساء والمرأة يجلو صفحة عريضة من نظراته ونظرة

دنياه ، بل دنيانا نحن ، إلى نصف هذا البشر الذى يعاملنا وتعامل معه ، فى ثقة العالم وصراحة الدارس الموضوعى .

كما أن الدراسة التاريخية والسياسية فى «مناقب الترك» تطلعننا على جوانب كانت غامضة على الكثير منا ، إذ فيها تباين نظرة الناس إلى هذا العنصر البشرى وغيره من عناصر الدولة الإسلامية فى ذلك العهد السحيق . وهى وثائق سياسية لها قدرها السياسى إلى جانب قدرها الاجتماعى والإنسانى . وهو الأمر الذى دعا أحد الأدباء<sup>(١)</sup> إلى أن يضع كتاباً عنوانه : « الترك فى مؤلفات الجاحظ » ، وهو بحث له قدره ووزنه .

وكتابه فى « المعلمين » حملنى من قبل أن أكتب فى هذا الجانب دراسة مستفيضة نشرت فى مجلة « الكتاب » فى عدد أغسطس سنة ١٩٤٦ .

وآراء الجاحظ فى « حجج النبوة » ، و « خلق القرآن » جديرة بأن تلقى دراسة وتمحيصاً .

وكتاب « الرد على النصارى » مظهر مضىء من مظاهر الحركات الفكرية التى كانت سائدة فى أزهى العصور الإسلامية ، ونموذج رائع للجدال العلمى الرفيق مع أهل الكتاب بالتى هى أحسن .

وفى الحق أن فى كل كتاب أو رسالة فى هذه المجموعة التى بلغ تعدادها ٢٩ تسعة وعشرين كتاباً أو رسالة ، مثاراً للبحث والتأمل ، والمتعة التى لا حدود لها .

وإننا لنجد بين القدماء من يغلو فى تقدير كتب الجاحظ ، ويتجاوز حدود الوقار فيقول<sup>(٢)</sup> : « رضيت فى الجنة بكتب الجاحظ عوضاً عن نعيمها » .

---

(١) هو الأديب زكريا الكتاجى . وقد نشر كتابه فى دار الثقافة بيروت سنة ١٩٧٢ .

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن حمود الزبيدى الأندلسى ، تلميذ السيرافى والفارسى والقالى . بغية الوعاة ٨٢٢ .

والأمر الثاني : أن النشرة الأولى لهذه المجموعة نشرة غير علمية ، وإن كان لناشرها المغمور فضل السبق في إظهارها ، وتمكين الباحث إلى قدر ما من الاستعانة بها في المجال العلمي .

وثالثها : أن بتلك النسخة المطبوعة سقطاً كبيراً تناول نحو عشر رسائل . وهو قدر كبير كان لا بد من إثباته في نشرة جديدة ، كتب الله لي فضل إخراجها .

وهذا السقط يبدأ من منتصف كتاب النصرى إلى أوائل كتاب « النبل والتنبيل وذم الكبر » .

ورابعها : أن أصل النسخة المطبوعة غير معروف ، شأنها في ذلك شأن كثير مما نشر من أفراد التراث العربي وأظهرته المطابع في هذا العهد المتطلع إلى النهوض من عثرات التخلف .

وخامسها : أن مخطوطة التيمورية التي جعلتها أحد أصول التحقيق في نسختي هذه ، تنتمي إلى أصل عتيق ، في نهايتها نجد هذا النص :

« انتهاء الفصول التي اختارها عبيد الله بن حسان من كتب أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله . وكان الفراغ من نسخ هذه النسخة في يوم الجمعة المبارك الموافق لثلاث خلت من شهر ذي القعدة من شهر سنة ١٣١٥ خمسة عشر وثلاثمائة بعد الألف من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم . وقد تم نسخها بيد العبد الحقير ، المعترف بالعجز والتقصير ، عبد أهل السنة والجماعة ، الخاضع لله بالدعاء والطاعة ، الراجي لطف ربه الغني ، محمد بن عبد الله بن إبراهيم الزمراني ، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين بمنه وكرمه ، والصلاة والسلام على خير خلقه ، والحمد لله وحده . تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه آمين .

وقد نقلت هذه النسخة المباركة من نسخة تاريخها في أوائل شهر رجب الأصم سنة ٤٠٣ ثلاث وأربعمائة ، كاتبها أبي القاسم ( كذا ) عبيد الله بن علي .

وهذه النسخة التيمورية وقرينتها نسخة الأزهر المودعة برقم [٢٣١] أباطة ٦٨٣٦ كتبهما وراق واحد، هو محمد بن عبدالله بن إبراهيم الزمراني ، كتب نسخة التيمورية سنة ١٣١٥ ومن قبلها نسخة الأزهر سنة ١٣١٣ . وفي آخر نسخة الأزهر ما نصه :

« انتهاء الفصول التي اختارها عبيد الله بن حسان من كتب أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله . وكان الفراغ من نسخ هذه النسخة خامس يوم شهر محرم الحرام افتتاح سنة ٣١٣ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل السلام وأزكى التحية ، بقلم العبد الفقير المعترف بالعجز والتقصير محمد بن عبدالله بن إبراهيم الزمراني ، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين » .

وقد رجح لدى أن هاتين النسختين منقولتان من نسخة واحدة هي التي أشار إليها الناسخ في ختام التيمورية .

لذلك ، ولأن الكاتب للنسختين وراق واحد ، ولأن التحريف والأسقاط والزوائد فيهما واحدة اعتمدت على النسخة التيمورية ، راعتفت بها عن صنوها نسخة الأزهر .

وهذه النسخة التيمورية تعد من حيث الصحة والكمال فوق نسخة المتحف البريطاني .

وعلى هذا فقد استقرت المقابلة في نشرتي هذه على ثلاثة أصول :

١ - الأصل الأول : نسخة المتحف البريطاني ، وهي أقدم الأصول الثلاثة تاريخاً ، وكتب على صدرها :

« هذا كتاب مختارات فصول الجاحظ عني عنه ، كتب برسم خزانة الأمير الفاضل موسيو كريمير النمساوي<sup>(١)</sup> ، بمحروسة مصر سنة ١٨٧٧ م » . وهي تقابل سنة ١٢٩٤ الهجرية .

---

(١) هو البارون النمساوي فون كريمير ( ١٨٢٨ - ١٨٨٩ ) . ولد في فيينا وتخرج في جامعتها ، فأرسلته دولته قنصلاً لها بمصر ثم بيروت سنة ١٨٧٠ . وكان من أصحاب النشاط =

ومنها نسخة مصورة بمكتبة جامعة القاهرة برقم ٢٤٠٦٩ وهى فى ٢٩٩  
لوحاً فى مجلدين ، تشتمل صفحة اللوح على ١٧ سطرأ بكل سطر نحو ثمانى  
كلمات . وقد التزم فيها علامات الإلحاق فى أسفل الصفحات اليمىنى .  
وقد كتبت النسخة بخط نسخى جيد مجرد من الضبط . وجاء فى خاتمتها :

« انتهاء الفصول التى اختارها عبىء الله بن حسان من كتب أبى عثمان  
عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله تعالى . وكان الفراغ من نسخ هذه النسخة  
يوم الجمعة المبارك الثامن عشر من شهر صفر الخىر من سنة ١٢٩٤ بعد  
الألف من الهجرة النبوىة ، على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية ، على  
ىد كاتبها الفقير عبء الله المنصورى . اللهم اغفر له ولوالديه . آمىن آمىن .

وقد رمزت إلى هذه النسخة فى التعليقات والمقابلات بالرمز (ب)  
إشارة إلى المتحف البريطانى .

٢- الأصل الثانى : نسخة المكتبة التيمورىة ، وهى مودعة بدار الكتب  
المصرىة برقم ١٩ أءب تيمور . وكتب على صدرها :

« هذا كتاب مختارات فصول الشىخ الهام ، العالم العلامة والبحر الفهامة ،  
أبى عثمان الجاحظ ، تعمده الله برحمته ، وأسكنه فسىح جنته ، بمنه وكرمه .  
أمىن . »

وهى كتلك مكتوبة بالخط النسخى الجىء ، مجردة من الضبط ، إلا  
ما قام به المغفور له أءمء تيمور باشا من بعض الضبط والمقابلات فى الرسالة  
الأولى منها ، وهى « رسالة الحاسء والمخسوء » . وهى مقابلات على مطبوعة  
الساسى فى مجموع رسائله . وكذلك بعض المقابلات على تلك المطبوعة أيضاً  
فى رسالة الجاحظ إلى الفءح بن خاقان فى « مناقب الترك وعامة جند الخلافة » .

---

= الساسى والاستشراقى . وقد ابتاعت مكتبة المتحف البريطانى مكتبته الشرقىة ، كما ذكر نجىب  
العقىق فى كتابه المششراقون ٢ : ٦٣١ . ومن منشوراته : المغازى للواقءى بمقدمة وشروح  
انجلىزىة ( كلكتا وبرلن ١٨٥٥ - ١٨٨٨ ) ، والقصىءة الحمىرىة لشوان بن سىء الحمىرى  
( لىبزیج ١٨٦٥ ) .



وهي في ٢٠٨ ورقة عدد صفحاتها ٤١٧ صفحة ، بكل صفحة ٢١ واحد وعشرون سطراً بكل سطر نحو ١١ كلمة .

وقد أشرت إلى ختام هذه النسخة فيما سبق .

ورمزت لهذه النسخة بالرمز ( م ) مقتبساً من التيمورية .

٣- الأصل الثالث : أصل استثناسي ، هو النسخة المطبوعة بهامش كامل المبرد في مطبعة التقدم العلمية سنة ١٣٢٣ وعنوانها : « الفصول المختارة من كتب الإمام أبي عثمان عمرو الجاحظ بن بحر بن محبوب الكنانى البصرى المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥ هجرية ، اختيار الإمام عبيد الله بن حسان رحمه الله ونفعنا به آمين » .

وخاتمها : « انتهت الفصول التي اختارها عبيد الله بن حسان من كتب أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله تعالى ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وآله وصحبه أجمعين » .

وهي في جزأين : الأول في ٣٩٦ صفحة ، والثاني في ٣٠١ صفحة . وهذه النسخة بها كثير من النقص كما أشرت إلى ذلك من قبل ، ولكنها مصححة محررة بشيء من العناية ، قام على تصحيحها مقرونة بكامل المبرد « راجى عفواً البارى ، على بن أحمد الشهير بالهوارى » .

ولا يعلم الأصل الذى طبعت منه ، ولا ريب أنه غير النسخ التي سبق الكلام عليها ، أى النسخة الأزهرية ونسخة تيمور ، ونسخة المتحف البريطانى .

وقد أشرت إليها بالرمز ( ط ) .

وإليك فهرسها مقارناً بفهرس النسخة التيمورية ونسخة المتحف البريطانى :

فالرقم الأول لصفحات التيمورية ، يليه رقم ألواح مصورة نسخة المتحف البريطانى ، وبعده أرقام صفحات النسخة المطبوعة على هامش الكامل للمبرد :

مطبوعة هامش الكامل

التحف البريطاني	التيمورية	المسجد والحسود
١٦-٢ : ١	١٣- ٢	١- المسجد والحسود
٣٠- ١٧	٣٢- ١٣	٢- الملمين
٩٧- ٣٠	٦٩- ٣٢	٣- التريغ والتدوير
١٢٠- ٩٧	٨١- ٧٠	٤- ملح النيبد
١٣٠- ١٢٠	٨٦- ٨١	٥- طبقات المغنين
١٦٦- ١٣٠	١٠٤- ٨٦	٦- النساء
٢٧٥- ١٦٦	١٤٣- ١٠٥	٧- مناقب الترك
١١٧:٣- ٢٧٥	١٩٠- ١٤٣	٨- ححيح النبوة
١٤٨- ١١٧	٢٠٢- ١٩٠	٩- خلق القرآن

(١) نشر أيضاً في صدر مجموعة الساسي ٢- ١٣ بأرقام مستقلة عن المجموعة ، كما ورد في دراسات ريشر ١٨٠- ١٨٢ .

(٢) هو أيضاً في مجموعة ريشر ١٠١- ١٠٨ .

(٣) نشر في مجموعة فان فلوتن ٨٦- ٨٢ والساسي ١٥٦- والساسي ٨٢- ١٤٧ وريشر ٢١٢- ٢٥٥ والسندوبي ١٨٧- ٢٤٠ ونشره مستقلاً

شارل بلا في دمشق سنة ١٩٥٥ .

(٤) السندوبي ٢٥٨- ٢٩١ وريشر ١١١- ١١٢ .

(٥) مجموعة الساسي ١٨٦- ١٩٠ وريشر ٢٠٤- ٢٠٦ .

(٦) أو المشرق والنساء . مجموعة الساسي ١٦١- ١٦٩ وريشر ١٨٨- ١٩٤ والسندوبي ٢٦٦- ٢٧٦ .

(٧) سبق نشره من مجموعة داماد في ٨٦:١ . وهو في مجموعة ريشر ٢٠٧- ٢١٠ باسم فضائل الأتراك ، ذكر فيها محبوباته .

(٨) نشر أيضاً في مجموعة ريشر ١١٢- ١٥٩ والسندوبي ١١٧- ١٥٤ . وهو في الجيران ١ : باسم « كتاب الحجة في تثبيت النبوة » .

(٩) لم ينشر منه شيء إلا في هامش الكامل . وانظر الجيران ١ : ٩ إذ أشار إليه .

مطبوعة هامش الكامل	المتحف البريطاني	التيمورية	
١٨٤ - ١٤٨	ظ١٢٩ - ظ١٥٥	٢٣٦ - ٢٠٢	١٠ - الرد على النصارى
-	ظ١٥٥ - ١٦١ و	٢٤٤ - ٢٣٦	١١ - الرد على المشبهة
-	١٦١ و - ١٧٥ و	٢٦١ - ٢٤٤	١٢ - مقالة العمانية
-	١٧٥ و - ١٨٥ ظ	٢٧٥ - ٢٦١	١٣ - المسائل والجوابات في المعرفة
-	ظ١٩٠ - ١٨٥ ظ	٢٨٢ - ٢٧٥	١٤ - الامداد والمعاش
-	ظ١٩٤ - ١٩١ ظ	٢٨٧ - ٢٨٢	١٥ - الجلد والغزل
-	ظ١٩٤ - ١٩٩ و	٢٩٣ - ٢٨٧	١٦ - الوكلاء
-	ظ٢١٩ - ١٩٩ و	٣١٩ - ٢٩٣	١٧ - الأوطان والبلدان
-	ظ٢٢٠ - ٢١٩ ظ	٣٢٠ - ٣١٩	١٨ - البلاغة والإيجاز

(١٠) مجموعة ريش ٤٠-١٧ ويوضح شكل ١٠-٣٨ وقد أشار إليه الجاحظ في الحيوان ١ : ٩ بقوله « وكأني على النصارى واليهود » والكتاب يتناولها معاً ، ولكن هكذا وردت تسميته مختصرة في المخطوطات والمطبوعات .

(١١) لم تنشر قبل . ولكن نشر مجلد لها في الموضوع ، وهو « نفي التعبيه » . انظر الجزء الأول من الرسائل ٢٨٣-٣٠٨ .

(١٢) نشر السنهوري خلاصتها في مجموعته ص ١ - ١٢ . ونشرت كاملة بتحقيق عبد السلام هارون . دار الكتاب العربي

١٣٧٤ - ١٩٥٥ . وانظر الحيوان ١ : ١١ .

(١٣) لم يسبق نشر شيء منها . وهي وسابقها مما سقط من النسخة المطبوعة على هامش الحيوان ١ : ٩ .

(١٤) سقط من النسخة المطبوعة على هامش الكامل أيضاً . وسبق نشره من مجموعة دمامد في الجزء الأول من الرسائل ١ : ٨٧ - ١٣٣ .

(١٥) سبق في مجموعة دمامد بالجزء الأول ص ٢٢٧ - ٢٧٨ . (١٦) مجموعة الساسي ١٧٠ - ١٧٢ وريش ١٩٤ - ١٩٥ .

(١٧) ويسمى أيضاً « الامصار وجناب البلدان » . وهو غير كتاب « الجين إلى الأوطان » الذي سبق نشره في الرسائل بتحقيقنا ٢ : ٣٧٩ .

(١٨) لم تنشر من قبل .

مطبوعة هامش الكامل

المتحف البريطاني

التيمرية

—	ظ ٢٢٠ — ٢٢٧	٣٢٩ — ٣٢٠	١٩ — تفضيل البيطن على الظهر
١٩٩ — ١٨٤	ظ ٢٣٨ — ٢٢٧	٣٤٢ — ٣٢٩	٢٠ — النبل والتبيل ودم الكبر
٢١٢ — ١٩٩	ظ ٢٤٥ — ٢٣٨	٣٥٢ — ٣٤٢	٢١ — المودة والخلطة
٢٢٠ — ٢١٢	ظ ٢٥٠ — ٢٤٥	٣٥٨ — ٣٥٢	٢٢ — استحقاق الإمامة
٢٢٧ — ٢٢٠	ظ ٢٥٤ — ٢٥٠	٣٦٢ — ٣٥٨	٢٣ — استنجاز الوعد
٢٣٨ — ٢٢٧	ظ ٢٦٠ — ٢٥٤	٣٧٠ — ٣٦٢	٢٤ — تفضيل النطق على الصمت
٢٤٦ — ٢٣٨	ظ ٢٦٥ — ٢٦٠	٣٧٦ — ٣٧٠	٢٥ — صناعة الكلام
٢٥١ — ٢٤٦	و ٢٦٨ — و ٢٦٥	٣٧٩ — ٣٧٦	٢٦ — مدح التجارة ودم عمل السلطان
٢٦٩ — ٢٥١	ظ ٢٧٨ — و ٢٦٨	٣٩١ — ٣٧٩	٢٧ — الشارب والمشروب
٢٩١ — ٢٦٩	ظ ٢٧٨ — و ٢٩١	٤٠٧ — ٣٩١	٢٨ — استحقاق الإمامة
٣٠١ — ٢٩١	و ٢٩٩ — و ٢٩١	٤١٧ — ٤٠٨	٢٩ — مقالة الزيدية والرأفة

(٢٠) لم ينشر منها إلا قطعة على هامش كامل البرد.

٣٣٢ — ٣٢١ . وقد سبق في ١ .

١٩٩ — ١٩٥ — ريش ١٧٧ — ١٧٣ الساسي

(٢٥) ريش ١٥٩ — ١٦٣ .

٢٥٨ — ٢٧٦ — السنوي ١٦٨ — ١٦٣ ريش (٢٧)

(١٩) لم تنشر من قبل .

٣١٦ — ٣٠٠ . هي رسالة إلى أبي الفرج السنوي

(٢٢) ريش ١٦٨ — ١٧٩ — السنوي ٢٤١ — ٢٦٠ .

(٢٤) الساسي ١٤٨ — ١٥٤ — ريش ١٨٢ — ١٨٦ .

(٢٦) الساسي ١٥٥ — ١٦٠ — ريش ١٨٦ — ١٨٨ .

(٢٨) السنوي ٢٤١ — ٢٥٩ .

(٢٩) لم يسبق نشرها إلا في الفصول المختارة على هامش الكامل . وقد أثار إليها الجاحظ في الطيران ١ : ٧ .

## جامع الفصول المختارة :

أجمعت المخطوطات والمطبوعات أن جامع هذه الفصول ومختارها هو (عبيد الله بن حسان) لم ترد على ذلك شيئاً . فليس هناك ما يدل على بلده ، ولا على نسبه ، أو ما يدل على صفته العلمية بين أهل العلم من الفقهاء ، أو المحدثين أو المؤرخين ، أو المشتغلين بعلوم العربية . وليس هناك أيضاً ما يعين مولده أو ينص على سنة وفاته .

وقد بحث ما أمكنني البحث ، وتفصيت ما أمكن التفصي ، أن أعثر له على ترجمة أو خبر فيما لدى المراجع ، وكذا في جميع المظان ، ولا سيما تلك التي تعنى بترجم الرجال من أهل الحديث أو الأدب أو علوم العربية ، وساءلت عنه فلم أجد له ترجمة أو خبراً .

ولكن ما لا ريب فيه أنه أديب قديم جداً ، أمكنه أن يظفر بجمهرة عظيمة من كتب الجاحظ قبل أن تبيد ويعنى عليها الزمان ، فحفظها لنا ، واستحق بذلك أن يخلد اسمه على كتب صانها وانتزعها من أكف البلي والضياع .

وإذا حاولنا أن نعرف زمنه استطعنا أن نقول : إن حياته لم تتجاوز القرن الخامس الهجري ، إن لم نقل الرابع ، أي لأنه قريب عهده من عصر الجاحظ نفسه المتوفى سنة ٢٥٥ ، أي في النصف الثاني من القرن الثالث .

وهذا مستفاد مستخلص مما كتبه الوراق محمد بن عبدالله الزمراني في ختام النسخة التيمورية ، إذ نص على أنه نقل نسخته من نسخة تاريخها في أوائل شهر رجب الأصم سنة ٤٠٣ ثلاث وأربعمائة ، كاتبها أبي القاسم (كذا) عبيد الله بن علي (١) .

(١) أمكنني أن أعثر على ترجمة لهذا الفاسخ القديم، فهو أبو القاسم عبيد الله بن علي بن عبدالله الرقي . قال الخطيب : سكن بغداد في درب أبي خلف من قطعة الربيع . وكان أحد العلماء بالنحو والأدب واللغة ، عارفاً بالفرائض وقسمة الموارث ، وحدث شيئاً يسيراً عن أبي أحمد الفرضي كتبت عنه وكان صدوقاً . وسألته عن مولده فقال : ولدت في سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة . ومات في يوم الخميس الثاني من شهر ربيع الآخر سنة حسين وأربعمائة . ودفن في يومه في مقبرة باب حرب . تاريخ بغداد ١٠ : ٣٨٧ - ٣٨٨ .

ومما لا ريب فيه أيضاً أن عبيد الله بن حسان قد جمع فأحسن التأليف ،  
واختار فأجاد الاختيار ، وكأنه لم يرتفع إلى القدر الذى يرقى به إلى أن  
يوضع فى دائرة المترجمين الأعلام .

وأما بعد ، فهذا جهد متواضع أضمه إلى ما سبق لى من جهود . وعسى  
أن أوفق فيما أستقبل من دهرى إلى أن أقوم بنشر ما لم تمسه يد التحقيق منى  
من مؤلفات شيخنا الجاحظ وآثاره الحسان ، مما أفلنته عوادي الزمان وصار  
إلينا كنزاً وذخراً .

والله الموفق والمستعان .

عبد السلام محمد هارون } أول ربيع الثانى سنة ١١١٩ هـ  
مصر الجديدة فى } ٢٨ من فبراير سنة ١٩٧٩ م

١

من كتابه في  
الحائِدَ والمُحْسُوْدَ





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه تفتي

## ١ - فصل

من صادر كتابه

في الحاسد والمحسود<sup>(١)</sup>

وَهَبَ اللَّهُ لَكَ السَّلَامَةَ ، وَأَدَامَ لَكَ الْكِرَامَةَ ، وَرَزَقَكَ الْإِسْتِقَامَةَ ،  
وَرَفَعَ عَنْكَ النَّدَامَةَ .

كتبت إلى - أَيْدِكَ اللَّهُ - تسألني عن الحسد ما هو ؟ ومن أين هو ؟  
وما دليله وأفعاله ؟ وكيف تُعرف أموره وأحواله<sup>(٢)</sup> ، وبم يُعرف ظاهره  
ومكتومه ، وكيف يعلم مجهوله ومعلومه ، ولم صار في العلماء<sup>(٣)</sup> أكثر منه  
في الجهلاء ؟ ولم كثر في الأقرباء وقل في البعداء<sup>(٤)</sup> ؟ وكيف دب  
في الصالحين أكثر منه في الفاسقين ؟ وكيف خُصَّ به الجيران من بين  
جميع أهل الأوطان<sup>(٥)</sup> .

والحسد - أَيْبَاكَ اللَّهُ - دَاءٌ يَنْهَكَ الْجَسَدَ ، وَيُفْسِدُ الْوَدَّ<sup>(٦)</sup> ، عِلَاجُهُ

(١) نشرت كاملة من قبل في مجموعة رسائل الجاحظ نشرة الساسي ١٣٢٤ . وقد أشرت إليها

بالرمز « مع » .

(٢) مع : « وكيف تفرقت » . وفي ب : « أموره أحواله » ، تحريف .

(٣) ب : « ولم صاروا العلماء » ، صوابه في سائر النسخ .

(٤) مع : « وقل منه في البعداء » .

(٥) مع : « من جميع الأوطان » .

(٦) م : « الرد » تحريف . وفي ط ، مع : « الأود » ، وهي بضم الواو جمع ود بالكسر

وهو الخبيب ، مثل قرح وأقح .

عَسِيرٌ<sup>(١)</sup> ، وصاحبه ضَجِرٌ<sup>(٢)</sup> . وهو بابٌ غامُضٌ وأمرٌ متعَدِّرٌ ، وما ظهر منه فلا يُداوَى ، وما بطن منه فمُداوِيهِ في عَناءٍ . ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ<sup>(٣)</sup> مِنْ قَبْلِكُمْ : الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ » . [ وقال بعض الناس لجلسائه : أَيْ النَّاسِ أَقْلُ غَفْلَةٌ ؟ فقال بعضهم : صاحبٌ لَيْلٍ ، إِنَّمَا هُمُ أَنْ يُصْبِحَ . فقال : إِنَّهُ لَكَذَا وَلَيْسَ كَذَا . وقال بعضهم : الْمَسَافِرُ ، إِنَّمَا هُمُ أَنْ يَقْطَعَ سَفْرَهُ . فقال : إِنَّهُ لَكَذَا وَلَيْسَ كَذَا . فقالوا له : فَأَخْبِرْنَا بِأَقْلِ النَّاسِ غَفْلَةٌ . فقال : الْحَاسِدُ ، إِنَّمَا هُمُ أَنْ يَنْزِعَ اللَّهُ مِنْكَ النِّعْمَةَ الَّتِي أَعْطَاكَهَا ، فَلَا يَغْفُلُ أَبَدًا .

ويروي عن الحسن أنه قال : الحسد أسرع في الدين من النار في الحطب اليابس<sup>(٤)</sup> ] .

وما أتيت المحسود من حاسده إلا من قبل فضل الله عنده ونعمه عليه<sup>(٥)</sup> قال الله عز وجل : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا<sup>(٦)</sup> ﴾ . والحسد عقيد الكُفْر ، وحليف الباطل ، وضد الحق ، وحرِبُ البيان . فقد ذمَّ الله أهل الكتاب به فقال : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ<sup>(٧)</sup> ﴾ .

(١) ب : « وعلاجه عسير » م « علاجه عسير » ، وأثبتت ما في ط ، ومع .

(٢) م « ضجير » ، تحريف .

(٣) داء الأمم ، ساقطة من ب . والحديث رواه أحمد والترمذي . الجامع الصغير ١ : ٥٦٣ .

(٤) هذه التكلفة من ط ، مع .

(٥) مع : « من قبل فضل الله تعالى إليه ونمته عليه » .

(٦) الآية ٥٤ من سورة النساء .

(٧) من الآية ١٠٩ من سورة البقرة .

منه تتولد العداوة<sup>(١)</sup> ، وهو سببُ كلِّ قطيعة، ومُنْتَجِ كلِّ وحشة ،  
ومفرِّق كلِّ جماعة ، وقاطع كلِّ رحمٍ بين الأقرباء<sup>(٢)</sup> ، ومُحدث التفرُّق  
بين القرَّناء ، ومُلْتَقِح الشرِّ بين الخلطاء<sup>(٣)</sup> ، يكْمُن في الصدر كموْنِ  
النَّارِ في الحجر .

ولولم يدخل على الحاسد بعد<sup>(٤)</sup> تراكم الغموم على قلبه ، واستمكان<sup>(٥)</sup>  
الحزن في جوفه ، وكثرة مَضْضه ووَسْوَاسِ ضميره ، وتَنْغِص<sup>(٦)</sup> عمره .  
وكدَّرِ نفسه ونكد عيشه<sup>(٧)</sup> ، إلا استصغاره<sup>(٨)</sup> نعمة الله عليه<sup>(٩)</sup> ، وسخْطُه  
على سيِّده بما أفاد غيره<sup>(١٠)</sup> . وتمنَّيه عليه أن يرجع في هبته إِيَّاه ، وأن  
لا يرزق أحداً سواه ، لكان عند ذوى العقول مرحوماً<sup>(١١)</sup> ، وكان لديهم<sup>(١٢)</sup>  
في القياس مظلوماً . [ وقد قال بعض الأعراب : ما رأيتُ ظالماً أشبه  
بمظلومٍ من الحاسد : نَفْسُ دائِم ، وقلبُ هائم ، وحزنٌ لازم<sup>(١٣)</sup> ]

(١) مج : « فنه » ، ب فقط : « يتولد » .

(٢) ب : « وسخ » بإهمال الحرف الثاني ، ولعلها « سنخ » بكسر السين ، بمعنى الأصل .  
وأثبت ما في سائر النسخ .

(٣) ب ، ط : « من الأقرباء » .

(٤) ب ، ط : « بين الخلطاء » .

(٥) م : « غير »

(٦) ب ، ط : « واستمكان » ، تحريف .

(٧) مج : « وتنجص » .

(٨) مج : « ونكد لذادة معاشه » .

(٩) م : « إلى » .

(١٠) ط ، م : « نعمة الله فقط ، وفي مج : « لنعمة الله عنده » ، وأثبت ما في ب .

(١١) مج : « بما أفاده الله عبده » .

(١٢) م ، ط : « مرحوماً » بالجيم . وفي هامش م : « لعله مرحوماً » .

(١٣) مج : « وكان عندهم » وكذا أثبتت بخط مخالف فوقها في م .

(١٤) التكملة من ط ، مج .

والحاسد مخذول وموزور<sup>(١)</sup> ، والمحسود محبوب ومنصور . والحاسد مغموم ومهجور ، والمحسود مَغْشَى ومَزُور<sup>(٢)</sup> .

والحسد - رحمك الله - أول خطيئة ظهرت في السموات ، وأول معصية حدثت في الأرض ، خُصَّ به أفضل الملائكة فعصى ربه ، وقايسه في خلقه<sup>(٣)</sup> ، واستكبر عليه فقال : ﴿ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾<sup>(٤)</sup> ، فلعنه وجعله إبليساً ، وأنزله من جواره بعد كان أنيساً ، وشوه خلقه تشويهاً ، وموه على نبيه<sup>(٥)</sup> تمويهاً نسي به عزم ربه . فواقع الخطيئة ، فارتدع المحسود<sup>(٦)</sup> وتاب عليه وهدى ، ومضى اللعين الحاسد في حسده<sup>(٧)</sup> فشقى وعوى .

وأما في الأرض فابنا آدم<sup>(٨)</sup> حيث قتل<sup>(٩)</sup> أحدهما أخاه . فعصى ربه وأكل أباه . وبالحسد طوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين .

لقد حملة الحسد على غاية القسوة<sup>(١٠)</sup> ، وبلغ [ به<sup>(١١)</sup> ] أقصى حدود

- 
- (١) موزور ، من الوزر ، وهو الذنب والإثم ، ويقال مأزور ، أيضاً بالإبدال ، ومنه في الحديث : « ارجعن مأزورات غير مأجورات » . وفي مج : « ومأزور » على الإبدال .
- (٢) منشى : ينشاه الناس ويزورونه . م : « مغمور ومسرور » وبخط مخالف فوقها : « منشى ومزور » كما في مج . وفي ب : « منشى ومسرور » .
- (٣) مج وتعليقات م : « وقايسه بخلق » .
- (٤) من الآية ١٢ من الأعراف ، ٧٦ من سورة ص .
- (٥) ب ، ط : « على مثله » ، م : « على تمثيله » ، مج : « على أنبيائه » ولعل وجه ما أثبت .
- (٦) ب : « فارتجع » ، وأثبت ما في سائر النسخ .
- (٧) مج وبخط مخالف في م : « على حسده » .
- (٨) ب فقط : « فابناء آدم » ، تحريف .
- (٩) ب ، ط : « حسد » موضع « حيث قتل » .
- (١٠) ب ، ط : « فقد حملة الحسد إلى غاية القسوة » .
- (١١) التكلفة من م ، مج .

«لعقوق ، فأنساه من رَحِمِهِ جميعَ الحقوق»<sup>(١)</sup> ، إذ ألقى الحجر عليه شادخاً<sup>(٢)</sup> وأصبح عليه نادماً صارخاً .

ومن شأن الحاسد إن كان المحسود غنياً أن يوبِّخه على المال فيقول<sup>(٣)</sup> : جَمَعَهُ حراماً ومنعه أثاماً<sup>(٤)</sup> . وألَّب<sup>(٥)</sup> عليه محاويجَ أقاربه فتركهم له خُصَماً<sup>(٦)</sup> ، وأعانهم في الباطن وحمل المحسود على قطيعتهم في الظاهر وقال له<sup>(٧)</sup> : لقد كفروا معروفك ، وأظهروا في الناس ذمك ، فليس<sup>(٨)</sup> أمثالهم يُوصلون ، فإنهم لا يشكرون . وإن وجد له<sup>(٩)</sup> خصماً أعانه عليه<sup>(١٠)</sup> ظلماً ، وإن كان ممن يعاشره فاستشاره غشّه ، أو تَفَضَّل عليه معروف كَفَرَه<sup>(١١)</sup> ، أو دعاه إلى نصر خذله . وإن حضر<sup>(١٢)</sup> مَدَحَه ذمّه وإن سُئِل عنه همزه ، وإن كانت<sup>(١٣)</sup> عنده شهادة كتمها ، وإن كانت منه إليه زَلَّة<sup>(١٤)</sup> عَظَّمها ، [ وقال : إنّه<sup>(١٥)</sup> ] يحب أن يعاد ولا يعود ، ويرى عليه العُقود<sup>(١٦)</sup> .

(١) ب ، ط : « من رحته » ، وأثبت ما في م ، وهذه العبارة ساقطة من مج .

(٢) الشدخ : الكسر والتهميم . ماعداً مج : « تغادخا » ، والمعروف الفدخ ، فدخه يفدخه فدخاً : شدخه .

(٣) م ، مج : « وقال » .

(٤) الأثام ، كسحاب : الإثم والذنب . ماعداً مج : « أيتاماً » .

(٥) ألَّبهم تأليلاً : جمعهم على عداوته . ماعداً مج : « وغلب » .

(٦) خصماء : جمع خصيم ، وهو المخاصم ، كالجلبس بمعنى المجالس . ب ، ط : « خصماً » .

(٧) ب ، ط : « فقال » فقط .

(٨) ب ، ط : « ليس » فقط . م : « وليس » ، وأثبت ما في مج .

(٩) ط ، ب : « لم » ، صوابه في م ، مج .

(١٠) م : عليهم » ، تحريف .

(١١) ب : « أو يفصل عليه معروف كفره » ، صوابه في سائر النسخ .

(١٢) م ، مج : « أو حضر » .

(١٣) مج : « أو كانت » .

(١٤) الزلة : الخطيئة والسقطة . ب فقط : « ذلة » تحريف .

(١٥) التكلفة من مج .

(١٦) هذا ما في مج . وفي سائر النسخ : « العقود » . وكان العرب يتعدون الحرز

أمرؤسائهم وماوركهم . انظر ما سيأتي في نهاية هذا الفصل ص ١٠ .

وإن كان المحسود عالماً قال : مبتدع ، ولرأيه مُتَّبِعٌ <sup>(١)</sup> ، حاطبٌ ليلٍ ومبتغى نَيْلٍ <sup>(٢)</sup> ، لا يدري <sup>(٣)</sup> ما حمل ، قد ترك العمل ، وأقبل على الحيل <sup>(٤)</sup> . قد أقبل بوجوه النَّاسِ إليه ، وما أَحْمَقَهُمْ إذ انثالوا عليه <sup>(٥)</sup> . فَفَبَّحَهُ اللهُ من عالمٍ ما أعظم بليته <sup>(٦)</sup> ، وأقل رِعته <sup>(٧)</sup> ، وأسوأ طعمته <sup>(٨)</sup> .

وإن كان المحسود ذا دينٍ قال : مُتَّصِعٌ يغزو لِيُوصَى إليه <sup>(٩)</sup> ، ويحجُّ لِيُثْنَى بشيءٍ عليه <sup>(١٠)</sup> ، ويصوم لتُقْبَلَ شهادته <sup>(١١)</sup> ، ويُظْهِرُ النُّسْكَ لِيُودَعَ المَالُ بيته ، ويقرأ في المسجد لِيُزَوِّجَهُ جَارُهُ ابنته ، وَيَحْضُرُ الجنائز لتُعرفَ شهرته .

وما لقيت <sup>(١٢)</sup> حاسداً قطُّ إلاَّ تبيَّن لك <sup>(١٣)</sup> مكنونه بتغيُّر لونه وتحوُّص عينه <sup>(١٤)</sup> وإخفاء سلامه ، والإقبال على غيرك والإعراض

- (١) أى إنه يتبع غيره في الرأي ، ليس بنى رأى . ب ، ط : « لرأيه » بسقوط الواو .  
 (٢) مج : « ومتبع نيل » .  
 (٣) م ، مج : « ما يدري » .  
 (٤) ب ، ط : « فأقبل على الحيل » .  
 (٥) انثالوا عليه : انصبوا وتتابعوا . ب : « انثالوا » صوابه في سائر النسخ .  
 (٦) ب : « بالتيه » ، صوابه في سائر النسخ .  
 (٧) الرعة ، كعدة : الورع والكف عن السوء والقبیح . م ، مج : « رعيتيه » وهى الاسم من الرعى ، كما في اللسان (رعى ٤٢) .  
 (٨) الطعمة ، بالضم والكسر : وجه المكسب » .  
 (٩) ب ، ط : « يتصنع أن يوصى إليه » ، صوابه في م ، مج .  
 (١٠) ب « ويحج لشيءٍ عليه » م ، مج : « ليثني عليه » ، وأثبت ما في ط . وما بعده من الكلام إلى « بيته » ساقط من مج .  
 (١١) ب ، م : « ليقبل شهادته » .  
 (١٢) م : « وما رأيت » .  
 (١٣) كلمة « لك » ساقطة من ط ، م وبدلها في ب : « لى » .  
 (١٤) التحوص ، من الحوص ، وهو ضيق العين وغورها . والمعروف انخاوصة والتخاوص  
 م : « وتحوص » مج : « وتحويص » ، وأثبت ما في ب ، ط .

عنك<sup>(١)</sup> ، والاستثقال لحديثك<sup>(٢)</sup> ، والخلاف لرأيك<sup>(٣)</sup> .

وكان عبد الله بن أبي<sup>(٤)</sup> ، قبل نفاقه ، نسيحاً وحده<sup>(٥)</sup> لجودة رأيه وبُعد همته ، ونُبيل شيمته ، وانقياد العشيرة له بالسيادة ، وإذعانهم له بالرئاسة . وما استوجب ذلك إلا بعدما استجمع له لُبُه<sup>(٦)</sup> ، وتبين لهم عقله ، وافتقدوا منه جهله<sup>(٧)</sup> ، ورأوه لذلك أهلاً ، لما أطاق [ له<sup>(٨)</sup> ] حملاً . فلما بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم وقدم المدينة ، ورأى هو عز رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٩)</sup> شمخاً بأنفه<sup>(١٠)</sup> فهدم إسلامه لحسده<sup>(١١)</sup> ، وأظهر نفاقه . وما صار منافقاً حتى كان حسوداً ، ولا صار حسوداً حتى صار حقوداً . فحُمقَ بعد اللب<sup>(١٢)</sup> ، وجَهِلَ بعد العقل ، وتبواً النار بعد الجنة .

(١) مج : « والإعراض عنك والإقبال على غيرك » .

(٢) ب ، ط : « والاستقبال لحديثك » ، تحريف .

(٣) بعده في مج : ولذلك قال القائل :

طال على الحاسد أحزانه	فاصفر من كثرة أحزانه
دعه فقد أشعلت في جوفه	ما هاج منه حر نيرانه
الغيب أشهى عنده لذة	من لذة المال لحزانه
فارم على غاربه حبله	تسلم من كثرة بهتانه

وقد انفردت نسخة ط بهذا الإنشاد في نهاية هذا الفصل ، كما سيأتي .

(٤) عبد الله بن أبي بن سلول ، رأس المنافقين في أول الإسلام . وسلول جذته نسب إليها .

وجده مالك بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم الحلبي بن غنم بن عوف بن الخزرج . وابنه عبد الله

ابن عبد الله كان من فضلاء الصحابة بدرياً ، قتل يوم اليمامة . جبهة أنساب العرب ٣٥٤-٣٥٥ .

(٥) يقال هو نسيح وحده ، أي لا نظير له ، كما أن الثوب إذا كان كريماً لم ينسج على

منواله غيره لدقته . ط : « يسبح وحده » وكذا في أصل م . وأثبت ما في ب ، ومج .

(٦) م : « له إليه » ، ط : « لم لبه » ، وأثبت ما في ب ، مج .

(٧) ب : « وفقد بينهم جهله » ، والوجه ما أثبت من سائر النسخ .

(٨) التكلمة من م ، مج .

(٩) ب ، م ، ط : « ورأى غيره » وصححت في م : « ورأى عز رسول الله » ،

وأثبت ما في مج .

(١٠) شمخ بأنفه : تكبر . ماعدا مج : « تشمخ بأنفه » ، تحريف .

(١١) مج : « فحسده فهدم إسلامه » .

(١٢) اللب : العقل . ب فقط : « بعد الله » تحريف .

ولقد خطب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فشكاه إلى الأنصار .  
فقالوا : يا رسول الله لا تلمه <sup>(١)</sup> ، فإننا كنا عقدنا له الخرز <sup>(٢)</sup> قبل  
قدومك لنتوجه .

ولو سلم المخدول <sup>(٣)</sup> قلبه من الحسد لكان من الإسلام بمكان .  
ومن السؤدد في ارتفاع . فوضعه الله لحسده ، وأظهر نفاقه <sup>(٤)</sup>  
[ ولذلك قال القائل :

طال على الحاسد أحزانه      فاصفر من كثرة أحزانه  
دعه فقد أشعلت في جوفه      ما هاج من حر نيرانه  
العيبُ أشهى عنده لذة      من لذة المال لخزانه  
فارم على غاربه جبله      تسلّم من كثرة بهتانه <sup>(٥)</sup> ]

(١) ب فقط : « لا تكلمه » .

(٢) خرزات الملك : جواهر تاجه . ويقال : كان الملك إذا ملك عاماً زيدت في تاجه .  
خرزة ليعلم عدد سني ملكه .

(٣) يعني عبد الله بن أبي ، عدله الله . ط ، ب : « للمخدول » . سلم قلبه من الحسد :  
وقاه إياد وبرأه منه .

(٤) مج : « بحسده وإظهار نفاقه » .

(٥) التكلية من ط . وقد وردت في مج قبل هذا الموضع كما سبقت الإشارة إليه في ص ٩ .  
وأثبتها أحمد تيمور بخطه في هذا الموضع .



## ٢ - فصل

## في حسد الجيران

وذلك أَنَّ الجيران - يرحمك الله - طلائعُ عليك ، وعيونهم نواظرُ  
إليك ، فمتى <sup>(١)</sup> كنتَ بينهم مُعَدِّماً <sup>(٢)</sup> فأيسرت ، فبذلت وأعطيت ،  
وكسوت وأطعمت ، وكانوا في مثل حالك فَاتَّضَعُوا ، وسُلبوا النعمة  
وَأَلْبَسَتْهَا [ أَنْتَ <sup>(٣)</sup> ] ، فعظمت عليهم بليَّة الحسد ، وصاروا <sup>(٤)</sup> منه  
في تنغيص آخر الأبد <sup>(٥)</sup> . ولولا أَنَّ المحسود بنصر الله إِيَّاه مستور ،  
وهو بصنعه محجوب <sup>(٦)</sup> لم يَأْت عليه يوم إِلَّا كان مقهوراً ، ولم  
تَأْت ليلة إِلَّا وكان عن منافعة مقصوراً . ولم يُمَسِّر إِلَّا وماله مسلوب ،  
ودمه مسفوك ، وعرضه بالضرب منهوك .

(١) ب ، مج : « فمسي » .

(٢) معدماً ، ساقطة من ب .

(٣) التكلة من مج .

(٤) ب فقط : « وثاروا » .

(٥) م : « لآخر الأبد » .

(٦) ما عدا مج : « محجور » بالراء .

## ٣ - فحصل منه

وأنا أقول حقاً<sup>(١)</sup> : ما خالط الحسد قلباً إلا لم يمكنه ضبطه ،  
ولا قدر على تسجينه<sup>(٢)</sup> وكتامه ، حتى يتمردّ عليه بظهوره وإعلانه ،  
فيستعبده<sup>(٣)</sup> ويستميله<sup>(٤)</sup> ، ويستنطقه لظهوره عليه<sup>(٥)</sup> فهو أغلب على  
صاحبه من السيّد على عبده ، ومن السلطان على رعيته ، ومن الرّجل  
على زوجته ومن الآسر على أسيره<sup>(٦)</sup> .

وكان ابنُ الزُّبير بالصبر موصوفاً ، وبالدّهاء معروفاً ، وبالعقل  
موسوماً ، وبالمداورة منهوماً<sup>(٧)</sup> ، فأظهر بلسانه حسداً كان أضبّ  
عليه<sup>(٨)</sup> أربعين سنةً لبني هاشم ، فما اتسع قلبه لكتامه ، ولا صبرَ على  
اكتامه ، لما طال<sup>(٩)</sup> في قلبه طائلته<sup>(١٠)</sup> أظهره وأعلنه ، مع صبره  
على المكاره ، وحمله نفسه على حثفها<sup>(١١)</sup> ، وقلة اكرائه والتفاته .

(١) مع : « وأقول » .

(٢) التسجين : تفعيل من السجن ، أى الحبس ، والمراد الكتان . وفي اللسان : « وسجين  
الم يسهنه ، إذا لم يسهه » . وأنشد :

ولا تسجين الم إن لسجنه عناه وحمله المهاري التواجيا  
والكلمة محرفة في النسخ ، فهي في ب : « تسخينه » وسائر النسخ : « تشخينه » ، والوجه  
ما أثبت .

(٣) ب ، ط : « فليستعبده » . وفي هامش م : « فيستفيدة » ، وما أثبت من مع .

(٤) ما عدا ط : « ويستعمله » .

(٥) ب م : « لظهوره عليه » ، مع : « لظهوره عليه » ، وأثبت ما في ط وهامش م .

(٦) ب : « على الأسيرة » م : « أسيرته » ط : « الأسير » وأثبت ما في مع .

(٧) المنهوم بالشئ : المولع به . وفي الحديث : « منهومان لا يشعان : منهوم بالمال  
ومنهوم بالعلم . ط فقط : « متبوماً » .

(٨) يقال أضب عليه فلان على غل في قلبه ، أى أضره وأخفاه . م ، ط : « واظب عليه »

محرّيف . والكلام بعده إلى « اكتامه » ساقط من مع .

(٩) م : « لما طال » .

(١٠) ما عدا مع : « طيلة »

(١١) الحثف : الهلاك . ما عدا مع : « خثفها » .

لأحجار المجانيق التي <sup>(١)</sup> [ كانت <sup>(٢)</sup> ] تمرّ عليه فتذهب بطائفة من قومه <sup>(٣)</sup> ما يلتفت إليها .

حدّث بذلك عن عليّ بن مُسهر <sup>(٤)</sup> عن الأعمش، عن صالح بن حَبَّاب <sup>(٥)</sup> ، عن سعيد بن جُبَيْر قال : قُدْتُ ابنَ عباس <sup>(٦)</sup> حتّى أدخلته عليّ ابن الزُّبير ، قال : أنت الذي تؤنّبني ؟ قال : نعم ، لأنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ليس بمؤمن من بات شعباناً <sup>(٧)</sup> وجارهُ طاوٍ <sup>(٨)</sup> » . فقال له ابن الزُّبير : لمن قلت ذلك ؟ إنّي <sup>(٩)</sup> لأَكنم بُغَضَكُم أهلَ البيت مُذ <sup>(١٠)</sup> أربعين سنة . فحسر ابن عباس عن ذراعيه كأنّهما عَسِيبا نخل ، ثم قال لابن الزبير : نعم فليبلغ ذاك منك ، ما عرفتُك .

ولقد أجلتُ الرأى ظهراً لبطن وفكّرت في جوابه لابن عباس أن أجد له معنى سوى الحسد فلم أجد ، وكانت وخزة <sup>(١١)</sup> في قلبه فلم

(١) ب : « الذي » ، تحريف .

(٢) التكلة من مج .

(٣) ب ، م : « ثوبه » ، وأثبت ما في ط ، مج . وهامش م .

(٤) بضم الميم وسكون المهملة وكسر الهاء ، كما في التقريب . وهو أبو الحسن علي بن مسهر القرشي الكوفي قاضي الموصل . ذكره ابن حبان في الثقات وقال : مات سنة ١٨٩ . تهذيب التهذيب .

(٥) مج : « طلح بن حبان » . ولعله « صالح بن حبان » المترجم في تهذيب التهذيب .

(٦) كان عبد الله بن عباس رضى الله عنه قد عمى في آخر عمره ، كما عمى أبوه وجده . وقال له معاوية يوماً : ما لكم تصابون في أبصاركم يا بنى هاشم ؟ فقال له : كما تصابون في

بصائركم يا بنى أمية ! نكت الهميان ١٨٠ - ١٨٢

(٧) كذا جاء مصروقاً منوناً ، وهذا بالنظر إلى أن مؤنثه شعبانة . وبالنظر إلى أن مؤنثه

شجى يمنع من الصرف ، وكلاهما مسموع . وفي مج : « شعبان » بالمنع من الصرف .

(٨) الطلوى : الجائع الخالى البطن ، كأنه طوى بطنه .

(٩) ب : « لأنى » .

(١٠) م : « منذ » .

(١١) الوخزة : العلته . ب ، م : « وخزة » بالذال ، تحريف ، وليس لوخذ مادة

في المعاجم المتداولة . وفي مج : « وخزة ثقيلة فلم يدها له » .

يُبديها . وفروعُ بنى هاشم حول الحرم باسقة ، وعروق دَوْحاتهم بين أطباقها راسية ، ومجالسُهم من أعاليها عامرة<sup>(١)</sup> ، وبحورها بأرزاق العباد<sup>(٢)</sup> زاخرة ، وأنجمُها بالهدى زاخرة . فلما خلت البطحاء من صناديدها استقبله بما أكنَّ في نفسه<sup>(٣)</sup> .

والحاسد لا يغفل عن فرصته إلى أن يأتِيَ الموتُ على رِمته ، وما استقبلَ ابنَ عباسٍ بذلك إلا لما رأى عمرَ قدمه<sup>(٤)</sup> على أهلِ القَدَم ، ونظَرَ إليه وقد أطاف به أهلُ الحَرَم ، فأوسعهم حُكماً ، وثَقَبوا منه رأياً وفهماً<sup>(٥)</sup> ، وأشبعهم<sup>(٦)</sup> علماً وحِلماً .

---

(١) مج : « عامرة » .

(٢) ب ، ط : « بأوراق العباد » م : « بأوراق العبادة » . والصواب من مج .

(٣) مج : « بما أكنَّ في نفسه » .

(٤) م ، ط : « لما رأى من تقدمه » .

(٥) ثقب رأيه ثقباً : نفذ . وفي قول أبي حية النخري :

ونشرت آيات عليه ولم أقل من العلم إلا بالذي أنا ثاقبه

ط : « ونقبوا » . مج : « وتمصبوا » .

(٦) ب : « وأسبغهم » ط ، م : « وسبغهم » ، وأثبت ما في مج .

## ٤ - فصل

وكيف يصبر من استكنَّ الحسدُ في قلبه على أمانيه<sup>(١)</sup> . ولقد كان إخوة يوسف حُلَماء ، وأجلَّة علماء ، ولدَّهُم الأنبياء ، فلم يَغفلوا عما قدَح في قلوبهم من الحسد ليوסף ، حتَّى أعطوا أباهم الموائيقَ المؤكَّدة ، والعهودَ المقلَّدة<sup>(٢)</sup> ، والأيمانَ المغلَّظة ، إنَّهم له لحافظون ، وهو شقيقهم وبِضعةٌ منهم . فخالقوا العهود ووثبوا عليه بالظلم والقوة<sup>(٣)</sup> . وألقوه في ثيابة الجُبِّ ، وجاءوا على قميصه بدمٍ كذب ، فبظلمهم يوسفَ ظلَّموا أباهم ، طمعاً أن يخلو لهم وجهُ أبيهم ويتفرَّدوا بحبه<sup>(٤)</sup> ، وظنُّوا أن الأيام تُسليه ، وحبه لهم من بعد غمه<sup>(٥)</sup> يُلْهبه ، فأسالوا عبْرته وأحرقوا قلبه .

وكيف لا تقرُّ أعين المحسودين<sup>(٦)</sup> بعد يوسف وقد ملكه الله خزائن الأرض ، بصبره على أذى حُسَّاده ومقابلته<sup>(٧)</sup> إيَّاهم بالعبو والمكافأة ، وحُسن العشرة<sup>(٨)</sup> والمواخاة ، بعد إمكانه منهم<sup>(٩)</sup> لما أتوه ممتارين ، ووفدوا عليه خائفين وهم له منكرون ، فأحسنَ رِفدهم ، وأكرمَ قِراهم<sup>(١٠)</sup> ،

(١) ب : « أمانته » م : « إمانته » ط : « إمانته » ، وأثبت ما في مج .

(٢) يقال قلده الأمر : ألزمه إياه . ما عدا مج : « المقلَّبة » .

(٣) والقوة ، ساقطة من ط ، م ، مج .

(٤) م : « وينفردوا بحبه » .

(٥) في هامش م : « عن بعده عنه » مج : « من بعده عنه » .

(٦) ب : « لا تفتقر » ، م : « وكيف تفتقر » ، وأثبت ما في ط ، مج . وفي ط م :

« الحاسدين » .

(٧) مج : « ومقاصته » . وكذلك هامش م .

(٨) ما عدا مج : « بحسن العشرة » .

(٩) ب فقط : « منه » تحريف .

(١٠) ما عدا مج : « وكرم قِراهم » .

فَأَقْرُوا لَهُ لَمَّا عَرَفُوهُ بِالْإِذْعَانِ ، وَسَأَلُوهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْغُفْرَانَ ، وَخَرُّوا لَهُ  
سُجَّدًا لَمَّا وَرَدُوا عَلَيْهِ وَفَدَأُ<sup>(١)</sup> .

فَإِذَا أَحْسَسْتَ - رَحِمَكَ اللَّهُ - مِنْ صَدِيقِكَ بِالْحَسَدِ فَاقْلِبْ مَا اسْتَطَعْتَ  
مِنْ مُخَالَطَتِهِ ، فَإِنَّهُ أَعُونَ الْأَشْيَاءِ لَكَ<sup>(٢)</sup> عَلَى مَسَالِمَتِهِ . وَحَصِّنْ سِرَّكَ  
مِنْهُ تَسْلِمًا مِنْ شَرِّهِ وَعَوَاقِقُ ضُرِّهِ<sup>(٣)</sup> . وَإِيَّاكَ وَالرَّغْبَةَ فِي مَشَاوِرَتِهِ ،  
وَلَا يَغْرُنْكَ خُدْعُ مَلَقِهِ ، وَبَيَانُ دَلَقِهِ<sup>(٤)</sup> ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ حَبَائِلِ نِفَاقِهِ .

فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ آيَةَ مِصْدَاقِهِ فَادْنِيبَنَّ<sup>(٥)</sup> إِلَيْهِ مِنْ يُهَيِّنُكَ عِنْدَهُ ،  
وَيَذْمُكَ بِحَضْرَتِهِ ، فَإِنَّهُ سَيُظْهِرُ<sup>(٦)</sup> مِنْ شَأْنِهِ لَكَ مَا أَنْتَ بِهِ جَاهِلٌ ،  
وَمِنْ خِلَافِ الْمُوَدَّةِ مَا أَنْتَ عَنْهُ غَافِلٌ . وَهُوَ أَلْحٌ<sup>(٧)</sup> فِي حَسَدِهِ لَكَ مِنْ  
الذُّبَابِ ، وَأَسْرَعُ فِي تَهْرِيقِكَ<sup>(٨)</sup> مِنَ السَّيْلِ إِلَى الْحُدُورِ<sup>(٩)</sup> .

(١) مِج : « لَمَّا قَدِمُوا عَلَيْهِ وَفَدَأُ » .

(٢) ب فَقَط : « فَإِنَّهُ أَهْوَنُ » تَحْرِيف . وَكَلِمَةُ « لَكَ » مِنْ مِج وَهَامِشْ م .

(٣) ط فَقَط : « وَبَوَاقِقُ ضُرِّهِ » .

(٤) الذَّلِقُ : فَصَاحَةُ اللِّسَانِ . مَا عَدَا مِج : « زَلَقَهُ » تَحْرِيف .

(٥) ب : « فَدْنِيبَنَّ » تَحْرِيف ، وَأَثْبَتَ مَا فِي م ، ط . وَفِي هَامِشْ م : « فَدَسَّ » ، وَهِيَ

مَا جَاءَتْ بِهِ نَسْخَةُ مِج .

(٦) م فَقَط : « يَظْهِرُ » وَحَوْرَتْ فِيهَا إِلَى « سَيُظْهِرُ » .

(٧) « أَلْحٌ » بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ ، كَمَا فِي الدَّرَةِ الْفَاحِرَةِ لِلْأَصْبَهَانِيِّ ٣٦٩ . وَنَظِيرُهَا فِيهَا أَوْرَدَهُ :  
أَلْحٌ مِنَ الْخُفْنَسَاءِ ، وَمِنْ الْكَلْبِ ، وَمِنْ الْحَمَى . وَفِي مِج : « أَلْحٌ » بِالْجِيمِ ، وَهُوَ الْمَطَابِقُ لَمَّا فِي  
جَهْمَةَ الْأَمْثَالِ الْعَسْكَرِيِّ ١٨٠ حَيْثُ أَوْرَدَ هَذِهِ الْأَمْثَالَ كُلَّهَا بِصُورَةِ « أَلْحٌ » بِالْجِيمِ . وَكِلَاهُمَا  
اِتْتَصَرَ فِي التَّفْسِيرِ عَلَى « أَلْحٌ مِنْ كَلْبٍ » وَاتَّفَقَا فِي قَوْلِهَا « لِأَنَّهُ يَلِجُ بِالْهَرِيرِ عَلَى النَّاسِ » ،  
وَلَا رَيْبَ فِي أَخْذِ الْعَسْكَرِيِّ الْمَتَوَفَى نَحْوَ سَنَةِ ٤٠٠ عَنِ حِمَزَةِ الْأَصْبَهَانِيِّ الْمَتَوَفَى سَنَةَ ٣٥١ .  
كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ الْعَسْكَرِيُّ فِي مَقْدَمَةِ كِتَابِهِ ص ٦ . وَهَذَا مِمَّا يُؤَيِّدُ رِوَايَةَ « أَلْحٌ » بِالْمَهْمَلَةِ ،  
إِذْ يُقَالُ أَلْحٌ عَلَيْهِ ، وَلَا يُقَالُ أَلِحٌ عَلَيْهِ .

(٨) ط ، مِج : « تَمْزِيْقُكَ » .

(٩) الْحُدُورُ ، بِالْفَتْحِ : الْمَوْضِعُ الْمُنْتَحِرُ . ب : « الْحُدُودُ » ، تَحْرِيف .

وما أحبُّ أن تكون عن حاسدك غيباً، وعن وهمك<sup>(١)</sup> بما في ضميره نسياً<sup>(٢)</sup> .  
 إلا أن تكون للذلِّ محتملاً، وعلى الدناءة مشتملاً<sup>(٣)</sup> ، ولأخلاق الكرام  
 مجانباً، وعن محمود شيمهم ذاهباً، أو تكون بك إليه حاجة<sup>(٤)</sup> قد  
 صيرتكَ<sup>(٥)</sup> لسهام الرُّماة هدفاً، وعرضك لمن أرادك غرضاً<sup>(٦)</sup> .  
 وقد قيل على وجه الدهر<sup>(٧)</sup> : « الحرّة تجوع ولا تأكل بشديها<sup>(٨)</sup> » .  
 وربّما كان الحسود<sup>(٩)</sup> للمصطنع إليه المعروف أكفّر له وأشدَّ  
 احتقاداً<sup>(١٠)</sup> ، وأكثر تصغيراً له من أعدائه .

### ٥ - فصل منه (١١)

ومتى رأيت حاسداً يصبُّ لك رأياً إن كنت<sup>(١٢)</sup> مصيباً ، أو يرشدك

(١) وهم إلى الشيء وفيه : ذهب وهمه إليه . مج : « فهمك » .

(٢) ب : « بما في ضمير نسياً » ، صوابه في سائر النسخ .

(٣) ب : « مستملاً » ، صوابه في سائر النسخ .

(٤) ما عدا مج : « أو تكون بك لاجبة » .

(٥) ب : « صيرتها » ، صوابه في سائر النسخ .

(٦) ما عدا مج : « لمن أبادك » .

(٧) أى في قديم الزمان . ب : « الأرض » ، م ، ط : « العرض » ، صوابها في مج .

(٨) ب : « تأكل ثديها » وهى رواية صحيحة مثلها في المستقصى ٢ : ٢٠ : « ثديها »

بدون باء . قال الزنجشیری : معناه جعل ثديها ، كقوله :

\* يأكلن كل ليلة إكافا \*

أى ثمن إكاف . والجعل ، بالضم : أجر العامل ونحوه . ويروى : « تجوع الحرّة » ، و « قد

تجوع الحرّة » : انظر الفاخر ١٠٩ والميداني ١١٠ وجمهرة العسكري ٢٦١ ، ٤٩٤ .

(٩) ب ، ط : « الحسد » مج : « الحاسد » ، وأثبت ما في م .

(١٠) احتقد عليه : حقد . ط : « احتقاداً منه » . و « منه » مقحمة . وفي مج : « وأشدَّ

اجتهاداً » ، تحريف .

(١١) منه ، ساقطة من ب .

(١٢) ب ، ط ، مج : « وإن » في هذا الموضع وتاليه ، والصواب ما في م بدون واو .

إلى صواب إن كنت مخطئاً ، أو أفصح<sup>(١)</sup> لك بالخير في غيبته عنك<sup>(٢)</sup> ،  
أو قصر من غيبته لك<sup>(٣)</sup> .

فهو الكلب الكلب ، والنمر النمر<sup>(٤)</sup> والسَّمُ القَشْب<sup>(٥)</sup> ، والفحلُ  
القَطْم<sup>(٦)</sup> ، والسَّيْلُ العَرِم<sup>(٧)</sup> . إن مَلَكَ قتل وَسَبَى<sup>(٨)</sup> ، وإن مَلَكَ  
عَصَى وَبَغَى . حياتك موته ، وموتك عرسه وسروره<sup>(٩)</sup> . يصدق عليك  
كلَّ شاهدٍ زور ، ويكذبُ فيك<sup>(١٠)</sup> كلَّ عدلٍ مرضى . لا يحبُّ من  
النَّاسِ إِلَّا مَنْ يُبْغِضُكَ ، ولا يُبْغِضُ إِلَّا مَنْ يَحِبُّكَ . عدوك بطانةٌ  
وصديقك علانيةٌ<sup>(١١)</sup> .

وقلتَ : إِنَّكَ رَبِّمَا غَلِطْتَ فِي أَمْرِهِ لَمَا يَظْهَرُ لَكَ مِنْ بَرِّهِ . ولو كنتَ  
تعرف الجليل من الرأى<sup>(١٢)</sup> ، والدقيق من المعنى ، وكنتَ في مذاهيك  
فَطَانًا نِقَابًا<sup>(١٣)</sup> ، ولم تكُ في عيب من ظهر لك عيبه<sup>(١٤)</sup> مُرْتَابًا .

- (١) م : « أو أفصح لك بالخير ، في غيبة لك » مج : « أفصح لك في غيبه عنك » ، ب :  
« أو أفصح لك بالخير في غيبه عنك » ، والوجه ما أثبت من ط .  
(٢) ب ، م : « من غيبه » ، وأثبت ما في ط .  
(٣) يقال نمر ينمر نمرأ ، إذا غضب وساء خلقه . ب : « والنمر والنمر » ، صوابه في  
م ، ط . وفي مج : « والنمر الحرب » . وهو الذي قد كلب واشتد غضبه .  
(٤) القشب : المخلوط .  
(٥) القطم : الشديد الشهوة إلى الضراب .  
(٦) العرم : السيل الذي لا يطاق .  
(٧) وسبى ، ساقطة من ب .  
(٨) ب فقط : « وسوره » ، تحريف .  
(٩) ب فقط : « عليك » .  
(١٠) مج : « عدوك بطانته ، وصديقك علاوته » .  
(١١) م فقط : « الكليل » وصححت فوقها بالجليل .  
(١٢) النقاب ، بالكسر : العالم بالأشياء المبحث عنها القطن الشديد الدخول فيها . وفي  
قول أوس بن حجر :  
نجيح جواد أخو مقط  
نقاب يحدث بالفنائب  
ب ، ط : « نهايا » ، صوابه ، في م ، مج .  
(١٣) مج : « من أوضح لك عيبه » .



لاستغنية بالرَّمز عن الإشارة ، وبالإشارة عن الكلام ، وبالسرّ عن الجهر ، وبالحفّض عن الرفع <sup>(١)</sup> ، وبالاختصار <sup>(٢)</sup> عن التطويل ، وبالجُمَل عن التفصيل ، وأرحتنا من طلب التحصيل <sup>(٣)</sup> ولكنّي أخاف عليك أنّ قلبك لصديقك غير مستقيم ، وأنّ ضمير قلبك له غير سليم <sup>(٤)</sup> ، وإن رفعت القذى عن لحيته <sup>(٥)</sup> ، وسويت عليه ثوبه فوق مركبه ، وقبّلت صبيه بحضرته ، ولبست له ثوب الاستكانة عند رؤيته ، واغتفرت له الزلّة <sup>(٦)</sup> ، واستحسنت كلّ ما يقبّح من جهته <sup>(٧)</sup> ، وصدّقته على كذبه ، وأعنته على فجّرته . فما هذا العناء <sup>(٨)</sup> ! كأنّك لم تقرّ الموعظة ، ولم تسمع مخاطبته <sup>(٩)</sup> نبيّه صلى الله عليه وسلم ، في التّقديمة إليه بالاستعاذة من شرّ حاسدٍ إذا حسد .

أَتطلب <sup>(١٠)</sup> وَيَحك أثراً بعد عَيْن ، أَوْ عطراً بعد عَرُوس <sup>(١١)</sup> ، أَوْ تريد أن تجتنيَ عنباً من شوك ، أَوْ تلتمسَ حلبَ لبنٍ من حائل <sup>(١٢)</sup> .

(١) ما عدا مج : « وبالجهر عن الرفع » .

(٢) ب ، ط : « والاختصار » .

(٣) ب : « عن طلب التحصيل » .

(٤) ب : « أن قلبك لصديقك غير سليم له » . وفيه نقص وتحريف .

(٥) في هامش م : « عن عينه » وليست بشيء . وقد تكون : « عن جبهته » .

(٦) الزلّة ، بفتح الزاى : السقطة والخطيئة . ب فقط : « الذلة » تحريف . وفي مج :

« الزلّة بعد زلته » .

(٧) مج : « من شيبته » .

(٨) ما عدا مج : « فما هذا العناء » ، ولا يقوّلها الجاحظ . وفي مج : « فما هذا العناء ،

وما هذا الداء العياء » .

(٩) ب ، م : « ولم تسمع على مخاطبته » ، مج : « ولم تسمع مخاطبة الله تعالى لنبيه » .

(١٠) ب ، م : « تطلب » .

(١١) ب فقط : « وعطراً بعد عروس » وكذلك فيما بعده « تريد أن تجتني .. » .

(١٢) م : « وتلتمس » . والحائل : الناقة انقطع حملها سنة أو سنوات حتى تحمل . ب ،

ط : « من حمل » ، صوابه في م ، مج .

إِنَّكَ إِذْنٌ أَعْيَا مِنْ بَاقِلٍ ، وَأَحْمَقُ مِنَ الضَّبِيعِ ، وَأَغْفَلٌ مِنْ هَرِيمٍ <sup>(١)</sup> .

إِنْ كُنْتَ تَجْهَلُ بَعْدَ مَا عَلَّمْنَاكَ ، وَتَعُوجُ بَعْدَ مَا قَوْمْنَاكَ ، وَتَبَدُّدُ <sup>(٢)</sup> بَعْدَ مَا ثَقَّفْنَاكَ <sup>(٣)</sup> ، وَتَضِلُّ إِذْ هَدَيْنَاكَ ، وَتَنْسَى إِذْ ذَكَّرْنَاكَ <sup>(٤)</sup> ، فَأَنْتَ كَمَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ فَبَطَلَتْ عِنْدَهُ الْمَوَاعِظُ ، وَعَمِيَ عَنِ الْمَنَافِعِ <sup>(٥)</sup> ، فَخَمَّ <sup>(٦)</sup> عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ، وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً . فَتَعُوذُ <sup>(٧)</sup> بِاللَّهِ مِنَ الْخِذْلَانِ .

إِنَّهُ لَا يَأْتِيكَ وَلَكِنْ يُنَادِيكَ <sup>(٨)</sup> وَلَا يَحَاكِيكَ وَلَكِنْ يُوَازِيكَ <sup>(٩)</sup> .  
أَحْسَنُ مَا تَكُونُ عِنْدَهُ حَالًا [ أَقْلًا مَا تَكُونُ مَالًا ، وَأَكْثَرَ مَا تَكُونُ عِيَالًا .  
[ وَأَعْظَمَ <sup>(١٠)</sup> ] مَا تَكُونُ <sup>(١١)</sup> ضَلَالًا . وَأَفْرَحُ <sup>(١٢)</sup> مَا يَكُونُ بِكَ أَقْرَبَ  
مَا تَكُونُ <sup>(١٣)</sup> بِالْمُصِيبَةِ عَهْدًا ، وَأَبْعَدَ مَا تَكُونُ مِنَ النَّاسِ حَمْدًا <sup>(١٤)</sup> .  
فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا فَمَجَاوِرَةٌ الْمَوْتِ ، وَمَخَالَطَةٌ الزَّمَنِ :

- 
- (١) الهرم : المسن الذي يبلغ أقصى الكبر .  
(٢) تبدد ، أى تبدل ، بحذف إحدى التاين . م فقط : « وتبدد » .  
(٣) ب فقط : « شغفناك » تحريف .  
(٤) معج وحواشي م : « لما ذكرناك » .  
(٥) ب فقط : « وعز من المنافع » .  
(٦) ب فقط : « وختم » .  
(٧) ب فقط : « ونموذ » .  
(٨) معج : « ولكنه يناديك » .  
(٩) ب : « يوازيك » تحريف ، وفي معج : « ولكنه يوازنك » .  
(١٠) التكله من معج .  
(١١) ما عدا معج : « ما يكون » .  
(١٢) ب فقط : « وأفرح » بالجيم ، صوابه في سائر النسخ .  
(١٣) ما عدا معج : « ما يكون » ، تحريف .  
(١٤) ما عدا معج : « وأبعد ما يكون » بالياء ، مع سقوط الكلمات بعدها .

والاجتنان بالجدران<sup>(١)</sup> ، ومَصْرُ المِصران<sup>(٢)</sup> ، وأَكَلَ القِرْدان<sup>(٣)</sup> ،  
أهون من معاشرته ، والاتِّصال بحبله .

والغِلِّ نَتِيج الحَسِدِ<sup>(٤)</sup> ، وهو رَضِيعُهُ<sup>(٥)</sup> ، وغصنٌ من أغصانه ،  
وعَوْنٌ من أعوانه ، وشُعْبَةٌ من شُعبه ، وفِعْلٌ من أفعاله<sup>(٦)</sup> ، كما أنه ليس  
فِرْعٌ إِلَّا له أصل ، ولا مولودٌ إِلَّا له مُولِد ، ولا نباتٌ إِلَّا من أرض ،  
ولا رَضِيعٌ إِلَّا من مُرضِع<sup>(٧)</sup> ؛ وإن تغيَّر اسمه ؛ فإنه<sup>(٨)</sup> صفة من صفاته ،  
ونبت من نباته ، ونعتٌ من نعوته .

ورَأَيْتَ اللهَ جل جلاله ذَكَرَ الجَنَّةَ في كتابه فحَلَّاهَا بأحسنِ حِلْيَةٍ ،  
وزَيَّنَهَا بأحسنِ زِينَةٍ ، وجعلَهَا دارَ أوليائه ومَحَلَّ أنبيائه ، ففيها ما لا  
عَيْنٌ رَأَتْ ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، ولا خَطَرَ على قلبِ بشرٍ<sup>(٩)</sup> . فذكر في  
كتابهِ ما منَّ به عليهم من السُّرورِ والكرامةِ عندما دَخَلُوهَا وبوَّأها لهم  
فقال : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ . وَنَزَعْنَا  
مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ . لَا يُسْمِعُ فِيهَا نَصَبٌ  
وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾<sup>(١٠)</sup> .

(١) ب : « والأكل بالجدران » م : « والكسل » وصححها أحمد تيمور بلفظ :  
« والاجتنان » ، موافقاً ما في ط . والاجتنان : الاستتار . وفي مج : « والاكنتان بالجدران »  
وهما بمعنى .

(٢) مصر المِصران : استخراج ما فيها . وفي مج : « ومص المِصران » .

(٣) جمع قراد بالضم ، وهو دويبة تعض الإبل .

(٤) ب ، مج : « ينتج الحسد » .

(٥) هذا ما في مج . وفي ب ، ط : « ورضيعه » فقط . وفي م : « ورضيع رضيعه » .

(٦) بعده في مج : « وحدث من أحداثه » .

(٧) مج : « إلا له مرضع » .

(٨) ب فقط : « فهو » .

(٩) ب فقط : « على لب بشر » .

(١٠) الآيات ٤٥ - ٤٨ من سورة الحجر .

فما أنزلهم دارَ كرامته إلا بعد ما نزع الغلَّ والحسدَ من قلوبهم<sup>(١)</sup> ،  
 فختهنوا بالجنة ، وقابلوا إخوانهم على السرر ، وتلذذوا بالنظر في مقابلة  
 الوجوه لسلامة صدورهم ، ونزع الغلَّ من قلوبهم<sup>(٢)</sup> . ولو لم ينزع ذلك  
 من صدورهم ويخرجه من قلوبهم ، لافتقدوا لذادة الجنة<sup>(٣)</sup> ، وتدابروا  
 وتقاوعوا وتحاسدوا ، وواقعوا الخطيئة<sup>(٤)</sup> ، ولمسهم فيها النَّصَب ،  
 وأعقبوا منها الخروج ، لأنه عزَّ وجلَّ فضل بينهم في المنازل ، ورفع  
 درجات بعضهم فوق بعض في الكرامات<sup>(٥)</sup> ، وسنى العطيَّات .

فلما نزع الغلَّ والحسد<sup>(٦)</sup> من قلوبهم ظنَّ أديانهم منزلةً فيها<sup>(٧)</sup> ،  
 وأقربهم بدخول الجنة عهداً ، أنه أفضلهم منزلةً ، وأكرمهم درجة ،  
 وأوسعهم داراً بسلامة قلبه<sup>(٨)</sup> ، ونزع الغلَّ من صدره ، فقرت عينه  
 وطاب أكله . ولو كان غير ذلك لصاروا إلى التنغيص<sup>(٩)</sup> في النظر  
 بالعيون<sup>(١٠)</sup> ، والاهتمام بالقلوب ، ولحدثت<sup>(١١)</sup> العيوبُ والذنوبُ .

وما أرى السَّلامةَ إلا في قطع الحاسد ، ولا السرورَ إلا في افتقار

(١) بعده في مج : « فيافتقار الغل والحسد تهنوا بالجنة » .

(٢) مج : « بسلامة صدورهم ، ونزع الحسد والغل من صدورهم » .

(٣) م : « لذادات الجنة » .

(٤) مج : « وأوقعوا الخطيئة » م : « وواقعوا الخطيئة » .

(٥) ب فقط : « في الدرجات » .

(٦) ب ، م : « الحسد والغل » .

(٧) م فقط : « فيهم » .

(٨) م : « لسلامة قلبه » .

(٩) ب ، ط : « التبغيص » .

(١٠) ب فقط : « بالعيوب » .

(١١) ب : « ولحدثت لهم » م : « ولحدثت فيهم » ط : « وحدثت فيهم » . وأثبت ما في مج .

وجهه ، ولا الرَّاحَةَ إِلَّا فِي صَرْمٍ مَدَارَاتِهِ<sup>(١)</sup> ، ولا الرِّيحَ إِلَّا فِي تَرْكِ مَصَافَاتِهِ<sup>(٢)</sup> .

فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَكَلِّ هَنِئًا مَرِيئًا<sup>(٣)</sup> ، [ وَنَمِ رَضِيئًا<sup>(٤)</sup> ] ، وَعَشِ فِي السُّرُورِ مَلِيئًا<sup>(٥)</sup> .

وَنَحْنُ نَسْأَلُ اللَّهَ الْجَلِيلَ أَنْ يُصَفِّيَ كَدَرَ قُلُوبِنَا<sup>(٦)</sup> ، وَيَجْنِبَنَا وَإِيَّاكَ [ دَنَاءَةَ الْأَخْلَاقِ ، وَيَرْزُقَنَا وَإِيَّاكَ<sup>(٧)</sup> ] حُسْنَ الْأَلْفَةِ وَالْإِتِّفَاقِ<sup>(٨)</sup> . وَيُحَسِّنَ<sup>(٩)</sup> تَوْفِيقَكَ وَتَسْدِيدَكَ . وَالسَّلَامَ .



- 
- (١) ب ، م : « مداواته » ، تحريف .  
 (٢) ب ، م ، ط : « مكافأته » ، وأثبت ما في مج وهامش م .  
 (٣) ب ، م : « فكل هنيئاً مريئاً » ، وأثبت ما في ط . وفي مج : « فكل هنيئاً واشرب مريئاً » .  
 (٤) هذه من مج .  
 (٥) مليئاً ، أي زماناً طويلاً . ب فقط : « مريئاً » ، تحريف .  
 (٦) ما عدا مج وأسفل م : « كدر صدورنا » .  
 (٧) التكلة من م ، مج .  
 (٨) ب ، ط ، : « سوء الألفة والاتفاق » .  
 (٩) ب ، م : « وحسن » ، وأثبت ما في ط . وفي مج : « أحسن الله » .



٢

من كتابه في

المعلمين ●





## ١ - فصل

من صدر كتابه في المعلمين<sup>(١)</sup>

أعانك الله على سَوْرَةِ الغَضَبِ<sup>(٢)</sup> ، وَعَصَمَكَ مِنْ سَرْفِ الذُّوَى ،  
 وَصَرَفَ مَا أَعَارَكَ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى حَبِّ الْإِنْصَافِ ، وَرَجَّحَ<sup>(٣)</sup> فِي قَلْبِكَ إِيْثَارَ  
 الْأَنَاءَةِ . فَقَدْ اسْتَعْمَلْتَ فِي الْمَعْلَمِينَ نَوْكَ السُّفْهَاءِ<sup>(٤)</sup> ، وَخَطَلَ الْجُهْلَاءَ ،  
 وَمُفَاحِشَةَ الْأَبْدِيَاءِ ، وَمُجَانِبَةَ سُبُلِ الْحِكْمَاءِ ، وَتَهَكَّمُ الْمُقْتَدِرِينَ<sup>(٥)</sup> ، وَأَمَّنَ  
 الْمُغْتَرِّينَ . وَمِنْ تَعَرُّضٍ لِلْعِدَاوَةِ وَجَدَهَا حَاضِرَةً ، وَلَا حَاجَةَ بِكَ إِلَى  
 تَكْلُفٍ مَا كُفِّيتَ<sup>(٦)</sup> .

## ٢ - فصل منه

ولولا الكتابُ لاخْتَلَّتْ أخبارُ الماضينَ ، وانقطعت آثارُ الغائبينَ .  
 وَإِنَّمَا اللِّسَانُ لِلشَّاهِدِ لَكَ<sup>(٧)</sup> ، وَالقَلَمُ لِلغَائِبِ عَنكَ ، وَلِلْمَاضِي قَبْلَكَ  
 وَالغَائِبِ بَعْدَكَ<sup>(٨)</sup> . فَصَارَ نَفْعُهُ أَعْمَمٌ ، وَالذُّوَاوِينُ إِلَيْهِ أَفْقَرُ .

(١) لى بحث عنوانه (الجاحظ والمعلمون) في مجلة الكتاب ، عدد أغسطس ١٩٤٦ .  
 (٢) سار يسور سوراً : ثار . ب : « صورة » تحريف م . م : « ثورة » ، والوجه ما أثبت من ط . وأُنشِدَ فِي اللِّسَانِ (عفا ٣٠٦) :  
 خذى العفو منى تستديجى مودقى ولا تنطق فى سورقى حين أغضب  
 وانظر لنسبة هذا البيت عيون الأخبار ٣ : ١١ / ٤ : ٧٧  
 (٣) ب : « ورهج » ، والصواب من ط ، م .  
 (٤) النوك ، بالضم والفتح : الحمق . ب ، م : « نوق » ، صوابه فى ط .  
 (٥) التهكم : التكبر ، والتبختر طرباً .  
 (٦) ب فقط : « ما كُفِّيت منه » .  
 (٧) المراد بالشاهد : الحاضر .  
 (٨) المراد بالغابر هنا الباقي ، والغابر من الأضداد ، يقال للماضى وللماضى أيضاً . ب ، م :  
 « والغابر » بالمهملة ، صوابه فى ط .

والمليِّكُ المُقيمُ بالواسطة<sup>(١)</sup> لا يدركُ مصالحَ أطرافه وسدَّ ثغوره ،  
وتقويمَ سُكَّانِ مملكته ، إلا بالكتاب .

ولولا الكتاب ما تمَّ تدبير<sup>(٢)</sup> ، ولا استقامت الأمور . [وقد<sup>(٣)</sup>]  
رأينا عمودَ صلاحِ الدِّينِ والدُّنيا إِنَّمَا يعتدلُّ في نِصابه ، ويقومُ على  
أُساسه بالكتاب والحساب<sup>(٤)</sup> .

وليس علينا لأحدٍ في ذلك من المنَّة بعد الله الذي اخترع ذلك لنا  
ودلَّنَا عليه ، وأخذ بنواصينا إليه ، ما للمعلمين الذين سخرهم لنا ،  
ووصل حاجتهم إلى ما في أيدينا . وهؤلاء هم الذين هجوتهم وشكوتهم  
وحاججتهم وفحشت عليهم ، وألزمت الأكابرَ ذنبَ الأصاغر ، وحكمت  
على المجتهدين بتفريط المقصِّرين ، ورثيت لآباء الصِّبيان من إبطاء  
المعلمين عن تحذيقهم<sup>(٥)</sup> ، ولم ترث للمعلمين من إبطاء الصِّبيان  
عمَّا يراد بهم ، وبُعديهم عن صرف القلوب لما يحفظونه ويدرسونه .  
والمعلمون أشقى بالصِّبيان من رُعاة الضَّأن ورؤاصِ المهارة<sup>(٦)</sup> .

ولو نظرت من جهة النظر علمت أنَّ النعمةَ فيهم عظيمةٌ سابغة ،  
والشكرَ عليها لازم واجب .

(١) أى حاضرة الملك ، وهى فى وسط البلاد غالباً .

(٢) م : « لم يتم » ط : « لما تم » .

(٣) التكلمة من م ، ط .

(٤) ب ، ط : « فى الكتاب والحساب » ، وأثبت ما فى م .

(٥) ط فقط : « عن إبطاء » تحريف . والتحذيق : إكساب المهارة والإتقان فى العلم والعمل

فى جميع النسخ : « تحذيقهم » بالبدال المهمله ، والوجه ما أثبت .

(٦) المهار والمهارة ، بكسر الميم فيهما : جمع مهر ، بالضم ، وهو ولد الزمكة والفرس .

## ٣ - فصل منه (١)

وأجمعوا على أنَّهم لم يجدوا كلمةً أقلَّ حرفاً ولا أكثرَ رِبعاً ،  
ولا أعمَّ نفعاً ، ولا أحثَّ على بيان<sup>(٢)</sup> ، ولا أدعى إلى تبين ، ولا أهجى  
لمن ترك التفهّمَ وهصّرفى الإفهام ، من قول أمير المؤمنين على بن أبى طالب  
رضوان الله عليه : « قيمة كلِّ امرئٍ ما يحسن » .

وقد أحسنَ من قال : « مُذاكرة الرجالَ تلقيحٌ لألبابها » .

وكرهت الحكماء الرؤساء ، أصحابُ الاستنباط والتفكير<sup>(٣)</sup> ، جودةَ  
الحفظ<sup>(٤)</sup> ، لمكان الاتِّكال عليه<sup>(٥)</sup> ، وإغفال العقل من التمييز ،  
حتى قالوا : « الحِفظُ عِدْقُ الذَّهنِ » . ولأنَّ مستعملَ الحفظ لا يكون  
إلَّا مقلِّداً ، والاستنباط هو الذى يفضى بصاحبه إلى برد اليقين ، وعزَّ  
الثقة .

والقضية الصحيحة والحكم المحدود : أنه متى أدام الحفظ أضرَّ  
ذلك بالاستنباط ، ومتى أدام الاستنباط أضرَّ ذلك بالحِفظ ، وإن كان  
الحِفظُ<sup>(٦)</sup> أشرفَ منزلة منه .

ومتى أهملَ النظرَ لم تسرعِ إليه المعانى<sup>(٧)</sup> ، ومتى أهملَ الحِفظَ<sup>(٨)</sup>

(١) منه ، هنا ساقطة من ب .

(٢) الحث : الحض . ب فقط : « ولا أحس » ، تعريف .

(٣) م : « والتفكر » .

(٤) الكلام بعده إلى كلمة ؛ « الحِفظ » التالية ساقط من م .

(٥) ب : « لمكان اتكال عليه » .

(٦) ب ، م : « التحفظ » .

(٧) ب : « لم يسرع إليه المعانى » .

(٨) ب فقط : « التحفظ » .

لم تعلق بقلبه <sup>(١)</sup> ، وقلَّ مُكثُّها في صدره .

وطبيعة الحفظ غير طبيعة الاستنباط . والذي <sup>(٢)</sup> يُعَالَجَانِ بِهِ ويستعينان متَّفِقٌ عليه <sup>(٣)</sup> ، [ أَلَا <sup>(٤)</sup> ] وهو فراغ القلب للشيء ، والشهوة له ، وبهما يكون التَّام ، وتظهر الفضيلة <sup>(٥)</sup> .

ولصاحب الحفظ <sup>(٦)</sup> سببٌ آخر يتَّفِقان عليه ، وهو الموضعُ والوقت .

فَأَمَّا الموضعُ فَيُتَّفِقَانِ إِذَا أَرَادَا <sup>(٧)</sup> ذلكَ الفَوْقَ <sup>(٨)</sup> دونَ السُّفْلِ <sup>(٩)</sup> .

وَأَمَّا السَّاعَاتُ فَالْأَسْحَارُ دُونَ سَائِرِ الْأَوْقَاتِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ الْوَقْتَ قَبْلَ وَقْتِ الْإِسْتِغَالِ ، وَيَعْقِبُ تَمَامَ الرَّاحَةِ وَالْجَمَامِ <sup>(١١)</sup> ، لِأَنَّ لِلْجَمَامِ <sup>(١٢)</sup> مَقْدَاراً هُوَ الْمَصْلِحَةُ ، كَمَا أَنَّ لِلْكَدِّ مَقْدَاراً هُوَ الْمَصْلِحَةُ .

#### ٤ - فصول منه

وَيُسْتَدَلُّ أَيْضاً بِوَصَايَا الْمُلُوكِ لِلْمُؤَدِّبِينَ فِي أَبْنَائِهِمْ ، وَفِي تَقْوِيمِ

(١) في جميع النسخ : « لم يعلق بقلبه » ، والضمير راجع إلى المعاني .

(٢) م ، ب « واللذين » ط : « واللذان » ، والوجه ، ما أثبت .

(٣) ب : « مشفق عليه متفق عليه » .

(٤) التكلة من ط .

(٥) ب فقط : « ويظهر الفضيلة » .

(٦) ب فقط : « التحفظ » .

(٧) م ، ط : « يختار » .

(٨) م : « أراد »

(٩) ب : « الفرق » ، م ، ط : « الفرق » ، وأرى الوجه فيما أثبت .

(١٠) ط فقط : « الشغل » . والسفل ، بضم السين وكسرهما : مقابل فوق .

(١١) الجمام كسحاب : الراحة . م ، ط : « والحمام » بالخاء المهملة ، تحريف . وفي

جميع النسخ : « وتعقب تمام » ، وأثبت ما رأيتُه الصواب ، كما يصح أن تكون : « ويعقب » .

(١٢) م ، ط : « للحمام » ، تحريف

أحدائهم ، على أنهم قد<sup>(١)</sup> قلدهم أمورهم وضميرهم ببلوغ التمام<sup>(٢)</sup> في تأديبهم . وما قلدهم ذلك إلا بعد أن ارتفع إليهم في الحنو حالهم<sup>(٣)</sup> في الأدب ، وبعد أن كشفهم الامتحان وقاموا على الخلاص .

وأنت - حفظك الله - لو استقصيت عددَ النحويين والعروضيين والفرضيين ، والحساب ، والخطاطين ، وجدت أكثرهم مؤدب كبار ومعلم صغار ، فكم تظن<sup>(٤)</sup> أننا وجدنا منهم ، من الرواة والقضاة والحكام ، والولاة من المناكير والدهاة ، ومن الحماة والكفاة ، ومن القادة والذادة<sup>(٥)</sup> ، ومن الرؤساء والسادة ، ومن كبار الكتاب والشعراء ، والوزراء والأدباء ، ومن أصحاب الرسائل والخطابة . والمذكورين بجميع أصناف البلاغة ، ومن الفرسان وأصحاب الطعان ، ومن نديم كريم . وعالم حكيم ، ومن مليح ظريف ، ومن شاب عفيف . ولا تعجل بالقضية حتى تستوفي آخر الكتاب<sup>(٦)</sup> ، وتبلغ أقصى العذر ، فإنك إن كنت تعمدت تدممت<sup>(٧)</sup> ، وإن كنت جهلت تعلمت . وما أظن من أحسن بك الظن إلا وقد خالف الحزم .

### ٥ - فصل منه

قال المعلم : وجدنا لكل<sup>(٨)</sup> صنفاً من جميع ما بالناس إلى تعلمه

(١) قد ، ساقطة من ب .

(٢) في جميع النسخ : « بلوغ » .

(٣) ب : « حالهم » .

(٤) م : « فلم يظن » تحريف . ب : « فكم نظن » ، وأثبت ما في ط .

(٥) جمع ذائد ، وهو المدافع والرجل الحامي الحقيقة . م : « والزيادة » تحريف .

(٦) م : « حتى تستوي آخر الكتاب » ، تحريف .

(٧) تدمم : استنكف . يقال : لو لم أترك الكذب تأثماً لتركته تدمماً . ب : « تدمت

صوابه بالذال كما في ط ، م .

(٨) ب ، ط : « كل » ، والوجه ما أثبت من م .

حاجة ، معلمين<sup>(١)</sup> ، كعلمي<sup>(٢)</sup> الكتاب والحساب ، والفرائض  
والقرآن ، والنحو والعروض والأشعار ، والأخبار والآثار ، ووجدنا  
الأوائل كانوا يتخذون لأبنائهم من يعلمهم الكتابة<sup>(٣)</sup> والحساب ، ثم  
لعب الصَّوَالِجَة ، والرَّمي في التَّنْبُوك<sup>(٤)</sup> ، والمجتمعة<sup>(٥)</sup> ، والطير الخاطف ،  
ورمي البنجكاز<sup>(٦)</sup> . وقبل ذلك الدبوق<sup>(٧)</sup> والنَّفخ في السَّبَّاطَة<sup>(٨)</sup> .  
وبعد ذلك الفُروسِيَّة ، واللَّعب بالرَّماح والسيوف ، والمشاوَلَة<sup>(٩)</sup> والمنازلة  
والمطاردة ، ثم النُّجوم واللُّحون ، والطبِّ والهندسة ، وتعلُّم التَّرْد  
والشُّطْرَنْج ، وضرب الدُّفوف وضرب الأوتار ، والوقوع والنَّفخ في أصناف المزامير .  
ويأمرّون بتعليم أبناء الرعيَّة الفِلاحة والنَّجَارَة<sup>(١٠)</sup> ، والبُنْيَان  
والصِّياغة والخياطة ، والسرد والصَّبغ<sup>(١١)</sup> ، وأنواع الحياكة . نَعَمْ حتَّى  
علِّموا البلابل وأصناف الطير الأَلْحَان .

(١) ط : « المعلمين » .

(٢) ب فقط : « كعلم » .

(٣) الكتاب : الكتابة . م فقط : « الكتابة »

(٤) هي كذلك في الفارسية . انظر استينجاس ٣٢٧ وقد فسرها بالقوس الخفيفة : Weak bow

ولعل ما يقابلها بالعربية « المقتدرة » . وفي المخصص ٦ : ٣٩ عن ثعلب : قوس مقتدرة : خفيفة  
متوسطة . ب : « التينوك » صوابه في م ، ط .

(٥) المجتمعة : كل حيوان ينصب ويرى ويقتل . وفي الحديث أنه نهى عن المصبورة والمجتمعة

(٦) م : البنجكار « بالراء المهمله ، تحريف . وهي لفظة فارسية مكونة من كلمتين

ينج بمعنى خمسة . وكاز بمعنى الفصن ولعلها خمس خشبات تنصب هدفاً .

(٧) في القاموس والتاج أن الدبوق كتثور : لعبة يلعب بها الصبيان . ب : « الدبوق »

وأثبت ما في ط ، م .

(٨) السببطة محركة ، كما في القاموس : قناة جوفاء يرمى بها الطير . وفي اللسان : قناة

جوفاء مضروبة بالعقب يرمى بها الطير ، وقيل يرمى فيها بسهام صغار ينفخ فيها نفخاً ، فلا تكاد  
تغطى . وفي جميع الأصول : « الشيطار » ، صوابه ما أثبت .

(٩) يراد به حمل الأثقال ، من قولهم شاول الحجر : رفعه ، فانشال . والمشوال :

حجر يشال . يقال شال به وأشاله وشاوله .

(١٠) ب ، ط : « والتجارة » ، والوجه ما أثبت من م .

(١١) السرد : الحرز في الأديم ، وهو أيضاً نسج الدروع . ب : « والصبغ » بالعين المهمله

صوابه في ط ، م .

وناساً<sup>(١)</sup> يعلمون القروذ والدببة والكلاب والطباء المكية<sup>(٢)</sup> والبيغاء، والسقر<sup>(٣)</sup> وغراب البين، ويعلمون الإبل، والخيل، والبالغ، والحمير، والفيلة، أصناف المشى، وأجناس الحضر<sup>(٤)</sup>، ويعلمون الشواهد والصقور والبوازي<sup>(٥)</sup>، والفهود، والكلاب، وعناق الأرض، الصيد.

ويعلمون الدواب الطحن، والبخاتي الجمز<sup>(٦)</sup> حتى يروضوا الهملج والمعناق<sup>(٧)</sup>، بالتخليع وغير التخليع<sup>(٨)</sup>، وبالموضوع والأوسط والمرفوع.

ووجدنا للأشياء كلها معلمين.

وإنما قيل للإنسان العالم الصغير، سليل العالم الكبير<sup>(٩)</sup>، لأن في الإنسان من جميع طبائع<sup>(١٠)</sup> الحيوان أشكالاً، من ختل الذئب<sup>(١١)</sup>

(١) كذا بالنصب في جميع النسخ، بإضمار «وجدنا». وانظر ما سبق في أول هذا الفصل.  
(٢) الذي ذكره الجاحظ في الحيوان هو الغم المكية. انظر ٢: ١٧٩/٦: ٣١٦: ٧: ١٠٤ ومثله في ذلك الغم الحبشية. انظر الحيوان ٦: ٣١٦ عند تفسير الجاحظ لقصيدة بشر بن المعتمر: والذب والقرود إذا علما والقيسل والكلبة واليعمر

(٣) السقر: الصقر. وانظر لتعليمه ما جاء في الحيوان ٤: ٤٧. ب: «والسقل» م، ط: «والسقل»، صوابهما ما أثبت.

(٤) ط: «الخطو».

(٥) البوازي: جمع البوازي. وفي جميع النسخ: «البوازين». وانظر لتعليم البوازي ما جاء في الحيوان ٤: ٤٧.

(٦) الجمز: الوثب. م، ط: «الهمز» تحريف.

(٧) الهملجة: حسن سير الدابة في سرعة. والمعناق: السريع، أعنتت الدابة فهي معنق وعنتيق ومعناق. في الأصول: «والعناق».

(٨) في القاموس: المخلع الألبين، كمعظم: المنفكهما، والتخليع مشيه، أي مشى المخلع.

(٩) ب فقط: «وسليل العالم الكبير». وما أثبت من م، ط يطابق ما في الحيوان ١: ٢١٢.

(١٠) م، ب: «طبائع» بالتسهيل.

(١١) الختل: الخداع. وختل الذئب الصيد: تخفوله. م، ب: «حيل الذئب». وفي

الحيوان: «غدر الذئب».

وروغان الثعلب<sup>(١)</sup>، ووثوب الأسد، وحقد البعير، وهداية القطاة . وهذا كثير ، وهذا باب<sup>(٢)</sup> .

ولأنه يحكى كل صوتٍ بفيه ، ويصور كل صورةً بيده . ثم فضله الله تعالى بالمنطق والرؤية<sup>(٣)</sup> وإمكان التصرف .

وعلى أننا لا نعلم أن لأحدٍ من جميع أصناف المعلمين لجميع هذه الأصناف - كفضيلة المعلم من الناس الأحداث المنطق المنشور<sup>(٤)</sup> ، ككلام الاحتجاج والصفات ، والمناقلات من المسائل والجوابات في جميع العلامات ، بين الموزون من القصائد<sup>(٥)</sup> والأرجاز ، ومن المزدوج والأسجاع<sup>(٦)</sup> ، مع الكتاب والحساب ، وما شاكل ذلك ووافقه واتصل به ، وذهب مذهبه .

وقالوا : إنما اشتق اسم المعلم من العلم ، واسم المؤدب من الأدب . وقد علمنا أن العلم هو الأصل ، والأدب هو الفرع .

والأدب إما خلق وإما رواية ، وقد أطلقوا له اسم المؤدب على العموم .

(١) ب : « وزوغان » تحريف ، وإنما يقال راغ الثعلب روغاناً . وفي أمثالهم : « أروغ من ثعلب » ، و « أروغ من ثعالة » . وانظر الدرّة الفاخرة ٢٠٩ وجمهرة العسكري ١ : ٥٠٠ والمستقصى ١ : ١٤٥ والميداني ١ : ٢٩٠ . والروغان : المخادعة .

(٢) البابة : الوجه . والبابات : الوجوه ، وفي الأصول : « وهذا باب » .

(٣) الرؤية : التفكر في الأمر ، والتفهل في الفكر . وفي جميع النسخ : « الرؤية » والوجه ما أثبت . وإلا فالرؤية مشتركة بين جميع ضروب الحيوان .

(٤) م ، ب : « الأحداث هي من المنطق المنشور » ، وعبارة « هي من » مقحمة لم ترد في ط .

(٥) ب : « عن القصائد » ، صوابه في م ، ط .

(٦) في جميع النسخ : « من المزدوج » بدون واو . والمزدوج ضرب غير الرجز ، مثل له الجاحظ في البيان ٢ : ١١٦ - ١١٧ . كما أورد نماذج للأصابع في ١ : ٢٨٤ - ٢٩٠ ، وفي السجع يغلب التزام التقفية . وفي الأزواج مراعاة للترازج في المعاني ، وقد يصحب بالترام القافية . وفي جميع النسخ : « والأصابع » والوجه ما أثبت .



والعلم أصلٌ لكلِّ خيرٍ ، وبه ينفصل الكرم من اللؤم ، والحلال من الحرام . والفضلُ من الموازنةِ بين أفضل الخيرين ، والمقابلة بين أنقص الشرين .

فلم يَعرِضوا لأحدٍ من هذه الأصناف التي <sup>(١)</sup> اتَّخذ النَّاسُ لها المُعلِّمين من جميع أنواع الحق والباطل ، والسَّرَفِ والاقتصاد ، والجدِّ والهزل ، إلَّا هؤلاء الذين لا يَعلمون إلَّا الكتاب <sup>(٢)</sup> والحساب ، والشعر ، والنحو ، والفرائض ، والعروض . وما بالسَاءِ <sup>(٣)</sup> من نجوم الاهتداء والأنواء والسُّعود ، وأسماء الأيَّام والشُّهور ، والمناقلات <sup>(٤)</sup> .

وَيمنعهم العرَّامة <sup>(٥)</sup> ، ويأخذهم بالصَّلَاة في الجماعة ، ويُدْرِسُهُم القرآن <sup>(٦)</sup> ، ويهدِّن <sup>(٧)</sup> ألسنتهم برواية القصيد والأرجاز ، ويُعاقب على التَّهْأُونِ ، ويضرب على الفِرَّار <sup>(٨)</sup> ، ويأخذهم بالمناقلة <sup>(٩)</sup> ، والمناقلة [ من <sup>(١٠)</sup> أسباب المنافسة .

لحقير <sup>(١١)</sup> بخلاف هذه السَّيرة ، وبضدِّ هذه المعاملة

(١) ب ، م : « الذي » ، صوابه في ط .

(٢) الكتاب : الكتابة . ط فقط : « الكتابة » .

(٣) ب : « وما السَاءِ » ، صوابه في م ، ط .

(٤) في القاموس : « المناقلة في المنطق : أن تحدِّثه ويحدِّثك » . وفي أساس البلاغة : « وناقله الحديث ، إذا حدِّثته وحدِّثك . وناقِلُ الشاعر الشاعر : ناقضه » .

(٥) العرَّامة ، بالمهملة : الشراسة والأذى . م : « العرَّامة » . تحريف .

(٦) يقال درسته الكتاب درساً ، وأدرسته إدراساً ، ودرسته إياه تدريساً . وأصل الدرس

التذليل ، يقال درست الكتاب أدرسه درساً ودراسة ، أي ذلك بكثرة القراءة حتى خف حفظه .

(٧) يقال هدنوه بالقول حتى رضى وسكن . وتهدين المرأة ولدها : تسكينها له بكلام إذا

أرادت إنامته . ط فقط : « ويهدبون ألسنتهم » .

(٨) ب فقط : « عل الفرار » .

(٩) انظر ما سبق في الحاشية الرابعة .

(١٠) تكلمة يلتزم بها الكلام .

(١١) يبدو أن الكلام بترًا . كما يبدو أن هذه الكلمة محرفة عن « لحيق » . وهذا في كله نطق

الدفاع عن المعلم .

## ٦ - فصل منه

وقد ذهب قومٌ إلى أنَّ الأَدبَ حُرْفٌ<sup>(١)</sup> ، وطلبه سُؤمٌ . وأنشد  
قول الشاعر :

ما ازدددت في أدبي حرفاً أُسرُّ به      إلَّا تزيَّدتُ حرفاً تحته سُؤمٌ<sup>(٢)</sup>  
إنَّ المقدمَ في حِذقي بصنعتِه      أنَّى توجهَ فيها فهو محرومٌ<sup>(٣)</sup>

ولم نر شاعراً نال بشعره الرغائب ، ولا أديباً بلغ بأدبه المراتب ،  
ذَكَرَ يُمنُ الأَدبِ ، ولا بركةَ قولِ الشعرِ<sup>(٤)</sup> . فإذا حُرِّمَ الواحدُ منهم ،  
والرجلُ الشاذُّ ذَكَرَ حُرْفَ الأَدبِ<sup>(٥)</sup> وسُؤمَ الشعرِ . وإن كان عدداً من  
نال الرغائبَ أكثرَ من عددٍ من أخفق .

ومهما عيَّرنا مَنْ كان في هذه الصِّفةِ<sup>(٦)</sup> فإننا غير مُعاييرين<sup>(٧)</sup> لأبي  
يعقوب الخُرَمي<sup>(٨)</sup> ؛ لأنَّه نال بالشَّعرِ وأدرك بالأدبِ .

(١) الحرف ، بالضم : الحرمان ، من قولهم : رجل محارف ، أى منقوص الحظ  
لا ينمو له . ومثله « الحرفة » بالكسر : اسم كذلك ، يقال : أدركته حرفة الأَدبِ . ط  
فقط : « خرق » ، وهو الحق .

(٢) في البيت مجانسة بين الحرف والحرف بالضم .

(٣) ب فقط : « في حرق بصنعتِه » ، تحريف .

(٤) الكلام بعده إلى كلمة « الشعر » التالية ساقط من م .

(٥) في الأصول : « فإنما حرم » . والوجه ما أثبت . وفي ط فقط : « خرق الأَدبِ » .

(٦) ط : « الصنعة » . والتعبير هنا بمعنى الموازنة .

(٧) المعايرة ، من قولهم : عاير بينهما : قدرهما ونظر ما بينهما . وفي الأصول :

« غير عايرين » .

(٨) الخرمي بالراء المهملة : نسبة إلى خريم بن عامر المري ، وكان لأبي يعقوب اتصال به  
وبآله فنسب إليه . وفي جميع الأصول : « الخرمي » ، تحريف . واسمه إسماعيل بن حسان بن قوهي ،  
وقد ذكره البغدادي في التاريخ ٣٣٦٩ وقال : « أصله من خراسان من بلاد السند » ، وقال :  
« وله مدائح في محمد بن منصور بن زياد ، ويحيى بن خالد وغيرهما . وقال أبو حاتم السجستاني :  
الخرمى أشعر المولدين ، وروى عنه شيئاً يسيراً من شعره أبو عبيان الجاحظ ، وأحمد بن عبيد  
ابن ناصح » وانظر تحريم الناعم قاموس الزركلي وأمثال الميداني ٢ : ٢٨١ . وكان إسماعيل هذا  
من العميان روى له الجاحظ شعراً يذكر فيه عماء في الحيوان ٣ : ١١٣ . وانظر نكت الهميان ٧١  
وعيون الأخبار ٤ : ٥٧ .

وليس الذى يحمل<sup>(١)</sup> أكثر الناس على هذا القول إلا وجدان المعاني والألفاظ ، فإنهم يكرهون أن يُضيعوا باباً من إظهار الظرف وفصل اللسان<sup>(٢)</sup> وهم عليه قادرون .

## ٧ - فصل

وقد قالوا : الصبيُّ عن الصبيِّ أفهمُ ، وبه أشكل . وكذلك الغافل والغافل<sup>(٣)</sup> ، والأحمق والأحمق ، والغبيُّ والغبيُّ ، والمرأة والمرأة . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ لَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ﴾<sup>(٤)</sup> . لأنَّ الناس عن النَّاس أفهم ، وإليهم<sup>(٥)</sup> أسكن . فمما أعان الله تعالى به الصَّبيان ، أن قَرَّبَ طبائعهم ومقاديرَ عقولهم من مقاديرِ عقولِ العُلَماء<sup>(٦)</sup> .

وسمع الحجاجُ - وهو يسيرُ - كلامَ امرأةٍ من دار قومٍ ، فيه تخليطٌ وهذيان ، فقال : مجنونة ، أو ترقصُ صبياً !

ألا ترى أنَّ أبلغ الناس لساناً ، وأجودهم بياناً وأدقهم فطنةً ، وأبعدهم رويةً<sup>(٧)</sup> ، لو ناطق طفلاً أو ناغى صبياً ، لتوخى حكاية مقاديرِ عقولِ الصَّبيان ، والشَّبهَ لمخارجِ كلامهم ، وكان لا يجد بداً من أن ينصرف<sup>(٨)</sup> عن كلِّ ما فضَّله الله به بالمعرفة الشريفة ، والألفاظ الكريمة . وكذلك تكون المشاكلة<sup>(٩)</sup> بين المتفقيين<sup>(١٠)</sup> في الصناعات .

(١) م : « وأليس » ، تحريف . ب ، م : « يجعل » ، صوابه في ط .

(٢) م ، ط : « الشأن » .

(٣) م : « العاقل والعاقل » .

(٤) الآتية ٩ من سورة الأنعام .

(٥) ب ، م : « وإليه » تحريف .

(٦) ب ، ط : « العالمين » .

(٧) ب ، م : « روية » ، صوابه في ط . وانظر ما سبق في حواشى ص ٣٤ .

(٨) ب ، م : « يصرف » ، وأثبت ما في ط .

(٩) ب ، م : « يكون مشاكلة » ، صوابه في ط .

(١٠) م : « المتقين » ، صوابه في ب ، ط .

## ٨ - فصل

## في رياضة الصبي

وأما النحو فلا تشغل قلبه<sup>(١)</sup> منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن ، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه<sup>(٢)</sup> ، وشعر إن أنشده ، وشيء إن وصفه . وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به ، ومذهل عما هو أردُّ عليه<sup>(٣)</sup> منه من رواية المثل والشاهد<sup>(٤)</sup> ، والخبر الصادق ، والتعبير البارع<sup>(٥)</sup> .

وإنما يرغب في بلوغ غايته ومجاوزة الاقتصار فيه ، من<sup>(٦)</sup> لا يحتاج إلى تعرف جسيات الأمور ، والاستنباط لغوامض التدبر ، ولمصالح العباد والبلاد ، والعلم بالأركان<sup>(٧)</sup> والقُطب الذي تدور عليه الرّحى ؛ ومن ليس له حظُّ غيره ، ولا معاش سواه .

وعويص النحو<sup>(٨)</sup> لا يجرى في المعاملات ولا يُضطرُّ إليه شيء .

(١) م ، ب : « قلبهم » ، صوابه في ط .

(٢) ط : « في كتاب كتبه » .

(٣) أرد عليه : أنفع له . وهذا الأمر لا رادة له ، أي لا فائدة له .

(٤) هذا ما في ط . وفي م ، ب : « المثل الشاهد » .

(٥) ب ، م : « والفقر البارع » ، صوابه في ط .

(٦) م : « عن » ، تحريف .

(٧) ب ، ط : « والعلم وبالأركان » ، صوابه في م .

(٨) ب ، م : « وعويص النحو » ، صوابه في ط .

فمن الرأى أن يُعتمد به <sup>(١)</sup> في حساب العَقْد <sup>(٢)</sup> دون حساب الهِنْد ،  
ودون الهندسة <sup>(٣)</sup> وِعَوِيص <sup>(٤)</sup> ما يدخل في المساحة . وعليك في ذلك  
بما يحتاج إليه كُفَاة السُّلْطَان وِكُتَاب الدَّوَاوِين .

وأنا أقول : إن البلوغ في معرفة الحساب الذى يدور عليه العمل ،  
والتَّرَقُّى فيه <sup>(٥)</sup> والسبب إليه ، أَرْدُّ عليه من البلوغ في صناعة  
المحررين ورؤوس الخطاطين ؛ لَأَنَّ في أدنى طبقات الخطِّ مع صحَّة  
الهجاء بلاغاً . وليس كذلك حالُّ الحساب .

ثمَّ خذ <sup>(٦)</sup> بتعريف حجج الكتاب وتخلصهم باللفظ السهل  
القريب المأخذ إلى المعنى الغامض <sup>(٧)</sup> . وأذقهُ حلاوة الاختصار ، وراحة  
الكفاية ، وحذره التكلف واستكراه العبارة <sup>(٨)</sup> ؛ فإنَّ أكرم ذلك  
كلُّه ما كان إلهاماً للسامع ، ولا يُحوج إلى التأويل والتعقب ، ويكون  
مقصوراً على معناه لا مقصراً عنه ، ولا فاضلاً عليه .

فاختر من المعانى ما لم يكن مستوراً باللفظ المتعقّد <sup>(٩)</sup> ، مُغْرِقاً في  
الإكثار والتكلف <sup>(١٠)</sup> . فما أكثر من لا يحفل باستهلاك المعنى مع

(١) ب : « أن يصمد به » ، وأثبت ما في م ، ط .

(٢) حساب العقد : ضرب منه يكون بأصابع اليدين . وفي الحديث أنه « عقد عقد تسعين »  
وقد ألفت فيه كتب وأراجيز . انظر الخزانة ٣ : ١٤٧ بلاق والحيوان ١ : ٣٣ والبيان  
١ : ٧٦ وفتح البارى ١٣ : ٩٥ - ٩٦ والألف المختارة من صحيح البخارى ٨٩٦ ، ٩٢٥ .

(٣) م : « ودون حساب الهندسة » .

(٤) ب ، م : « وغويص » ، تحريف .

(٥) ب ، م : « والتوقى » ط : « والتوقى » ، والوجه ما أثبت .

(٦) ط فقط : « ثم خذ » .

(٧) ب : « المغمض » ، صوابه في م ، ط .

(٨) ب : « واستكراهه العبارة » ، صوابه في م ، ط .

(٩) ب ، ط : « المنعقد » ، وأثبت ما في م .

(١٠) في جميع الأصول : « مفرقاً » بالفاء ، والوجه ما أثبت .

بَرَاةَ اللَّفْظِ وَغَمُوضِهِ عَلَى السَّمَاعِ بَعْدَ أَنْ يَتَسَّقَ لَهُ الْقَوْلُ <sup>(١)</sup> ، وَمَا زَالَ  
الْمَعْنَى مَحْجُوباً لَمْ تَكْشَفْ عَنْهُ الْعِبَارَةُ . فَالْمَعْنَى بَعْدُ مُقِيمٌ عَلَى اسْتِخْفَائِهِ  
وَصَارَتِ الْعِبَارَةُ لِعَوّاً وَظَرْفاً خَالِياً .

وَشَرُّ الْبُلْغَاءِ مِنْ هِيَأَ رَسْمِ الْمَعْنَى قَبْلَ أَنْ يَهَيَّءَ <sup>(٢)</sup> الْمَعْنَى ، عَشَقاً لِدَلِكِ  
الْلفظِ ، وَشَغَفاً بِدَلِكِ الْأَسْمِ ، حَتَّى صَارَ يَجُرُّ إِلَيْهِ الْمَعْنَى جَرّاً ، وَيُلْزِقُهُ بِهِ  
إِلْزاقاً . حَتَّى كَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى <sup>(٣)</sup> لَمْ يَخْلُقْ لِدَلِكِ الْمَعْنَى اسْماً غَيْرَهُ ، وَمَنْعَهُ  
الإفصاحَ عَنْهُ إِلَّا بِهِ .

وَالآفَةُ الْكُبْرَى أَنْ يَكُونَ رَدَى الطَّبَعِ <sup>(٤)</sup> بِطَيءِ الْلفظِ ، كَلِيلَ الْحَدِّ ،  
شَدِيدَ الْعُجْبِ ، وَيَكُونَ مَعَ ذَلِكَ حَرِيصاً عَلَى أَنْ يُعَدَّ فِي الْبُلْغَاءِ ، شَدِيدَ  
الْكَلْفِ بَانْتِحَالِ اسْمِ الْأُدْبَاءِ <sup>(٥)</sup> . فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ خَفِيَ عَلَيْهِ فَرْقُ مَا بَيْنَ  
إِجَابَةِ الْأَلْفَاظِ وَاسْتِكْرَاهِهَا .

وَبِالْجُمْلَةِ <sup>(٦)</sup> إِنَّ لِكُلِّ مَعْنَى شَرِيفٍ أَوْ وَضِيعٍ ، هَزْلٍ أَوْ جَدٍّ <sup>(٧)</sup> ،  
وَحَزْمٍ أَوْ إِضَاعَةٍ <sup>(٨)</sup> ، ضَرْباً <sup>(٩)</sup> مِنَ الْلفظِ هُوَ حَقُّهُ وَحِظُّهُ ، وَنَصِيبُهُ  
الَّذِي لَا يَنْبَغِي أَنْ يَجَاوِزَهُ أَوْ يَقْصُرَ دُونَهُ <sup>(١٠)</sup> .

وَمَنْ قَرَأَ كِتَابَ الْبُلْغَاءِ ، وَتَصَفَّحَ دَوَابِينَ الْحِكْمَاءِ ، لَيْسَتْ فَيْدِ

(١) م : « يتسوله القول » ط : « يتبين له القول » . وأثبت ما في ب .

(٢) ب فقط : « هيا » .

(٣) ب ، م : « كأن الله مراده تعالى » !

(٤) ب : « ردى الطبع » بالتسهيل .

(٥) ط فقط : « الأدب » .

(٦) ب : « والجمل »

(٧) ط : « هزلاً أو جدّاً » .

(٨) ب ، م : « أو حزم » ، ط : « وحزم أو ضاعه » ، والوجه ما أثبت .

(٩) ط : « ضرب » ، تحريف .

(١٠) ب : « ويقصر دونه » .

المعاني، فهو على سبيلِ صوابٍ . ومَن نظر فيها ليستفيد الألفاظ فهو على سبيل الخطأ . والخُسرانُ ها هنا في وزن الرِّيح هناك ؛ لأنَّ من كانت غايته انتزاعُ الألفاظ<sup>(١)</sup> حملهُ الحرصُ عليها ، والاستهتارُ بها إلى أن يستعملها قبلَ وقتها ، ويضعها في غير مَكانها . ولذلك قال بعض الشعراء<sup>(٢)</sup> لصاحبه : أنا أشعر منك ! قال صاحبه : ولمَ ذاك ؟ قال : لأنني أقول البيتَ وأخاه ، وأنت تقول البيتَ وابن عمِّه .

وإنما هي رياضةٌ وسياسةٌ<sup>(٣)</sup> ، والرفيقُ : مصلحٌ وآخرٌ مفسدٌ<sup>(٤)</sup> .  
ولا بدُّ من هِدَانٍ وطبيعةٍ مناسبةٍ<sup>(٥)</sup> .  
وسماعُ الألفاظِ ضارٌّ ونافعٌ<sup>(٦)</sup> .

فالوجه النافع : أن يدور في مسامعه ، ويغبُّ في قلبه<sup>(٧)</sup> ، ويختمر<sup>(٨)</sup> في صدره ، فإذا طال مكثها تناكحت ثم تلاقحت فكانت<sup>(٩)</sup> نتيجتها أكرمَ نتيجة ، وثمرتها أطيبَ ثمرة ؛ لأنها حينئذ تخرج غير مُسترففةٍ ولا مختلِسةٍ<sup>(١٠)</sup> ولا مغتصبةٍ ، ولا دالَّةٌ على فقرٍ ؛ إذ لم يكن القصد إلى شيءٍ بعينه ، والاعتمادُ عليه دون غيره . وبَيَّنَ الشيءَ إذا عَشَّشَ في

(١) ب : «أنواع» م : «انتواع» ، صوابهما في ط .

(٢) هو عمر بن لُجأ ، كما في مقدمة الشعر والشعراء ٩٠ .

(٣) م ، ط : «وسياحة» .

(٤) ط ، ب : «والآخر مفسد» .

(٥) الهدان : المهادنة . م . ط : «هذان» مع سقوط واو «وطبيعة» من ط .

(٦) ب ، م : «ضارة ونافعة» .

(٧) يغب : يمحث ، ومنه قولهم : «رويد الشعر يغب» ، أى دعه يمحث يوماً أو يومين .

م ، ط : «ويغيب في قلبه» .

(٨) هذا الصواب من ب : وفي م ، ط : «ويخيم» .

(٩) ط : «وكانت» .

(١٠) هذا الصواب من م ، ط . وفي ب : «ولا يحترسه» .

الصِّدْر ثم باض ، ثم فَرَّخ ثم نهض ، وبين أن يكون الخاطر مختاراً ،  
واللفظ اعتسافاً واغتصاباً ، فرقُ بَيْن .

ومتى اتَّكَلَّ صاحبُ البلاغة على الهوينى والوكال ، وعلى السَّرِقة  
والاحتيال ، لم يَنْلُ طائلاً ، وشقَّ عليه النزوع ، واستولى عليه الهوان ،  
واستهلكه سوءُ العادة .

والوجه الضارّ : أن يتحفّظ ألفاظاً بعينها<sup>(١)</sup> من كتاب بعينه ، أو  
من لفظ رجل ، ثم يريد<sup>(٢)</sup> أن يعدّ لتلك الألفاظ قسمها من المعاني ،  
فهذا لا يكون إلا بخيلاً فقيراً ، وحائفاً<sup>(٣)</sup> سروراً ، ولا يكون  
إلا مستكرهاً لألفاظه ، متكلِّفاً لمعانيه ، مضطرب التأليف منقطع  
النظام . فإذا مرَّ كلامه بنقّاد الألفاظ وجهابذة المعاني استخفوا عقله ،  
وبهرجأوا علمه .

ثم اعلم أن الاستكراه في كل شيء سَمِج ، وحيث ما وقع فهو  
مذموم ، وهو في الطَّرَفِ أَسْمَج ، وفي البلاغة أقبح . وما أحسن حاله  
ما دامت الألفاظ مسموعة من فيه<sup>(٤)</sup> ، مسرودة في نفسه<sup>(٥)</sup> ، ولم تكن  
مخلّدة في كتبه .

وخير الكتب ما إذا أعدتَ النَّظْرَ فيه زادك في حسنه ، وأوقفك على  
حده<sup>(٦)</sup> .

(١) تحفظ الكتاب : استظهره شيئاً بعد شيء . م ، ط : « أن يحفظ » .

(٢) م فقط : « أن يؤيد » .

(٣) من الحيف والجور . ب : « وحائفاً » بالتسهيل .

(٤) ب : « من فهمه » ، صوابه في م ، ط .

(٥) مسرودة : منتظمة متتابعة . ب : « مسرورة » .

(٦) م : « أوقف » ب : « وأوقف » ، والوجه ما أثبت من ط .



## ٩ - فصل

## في ذم اللواط

والذي يدلُّ على أنَّ هذه الشَّهْوَةَ مَعِيْبَةٌ فِي نَفْسِهَا<sup>(١)</sup> ، قَبِيْحَةٌ فِي عَيْنِهَا ، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَعَزَّ لَمْ يَعْوِضَ فِي الْآخِرَةِ بِشَهْوَةِ الْوَالِدَانِ مَنْ تَرَكَ لَوَجْهِهِ فِي الدُّنْيَا شَهْوَةَ الْعِلْمَانِ ، كَمَا سَقَى فِي الْآخِرَةِ الْخَمْرَ مَنْ تَرَكَهَا لَهُ فِي الدُّنْيَا ، ثُمَّ مَدَحَ خَمْرَ الْجَنَّةِ بِأَقْصَرِ الْكَلَامِ ، فَتَنَزَّمُ بِهِ جَمِيعُ الْمَعَانِي الْمَكْرُوْهَةِ فِي خَمْرِ الدُّنْيَا فَقَالَ : ﴿ لَا يُصَدِّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ<sup>(٢)</sup> ﴾ . كَأَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ : لَا سُكْرَ فِيهَا وَلَا خُمَارَ<sup>(٣)</sup> .

وَفِي اكْتِفَاءِ الرُّجَالِ بِالرُّجَالِ وَالنِّسَاءِ بِالنِّسَاءِ انْقِطَاعُ النَّسْلِ ، وَفِي انْقِطَاعِ النَّسْلِ بُطْلَانُ جَمِيعِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا . وَغِشْيَانُ الرَّجُلِ الرَّجُلَ وَالْمَرْأَةِ الْمَرْأَةَ مِنَ الْمُنْكَوسِ الْمَعْكَوسِ<sup>(٤)</sup> ، وَمَنْ التُّبْدَلُ الْمَقْلُوبُ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرَهُ إِنَّمَا خَلَقَ الذَّكَرَ لِلْأُنْثَى ، وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا أَسْبَابَ التَّحَابِّ وَعِلَاقَتِ الشَّرَكَةِ ، وَعَلَلِ الْمَشَاكِلَةَ<sup>(٥)</sup> وَجَعَلَ الذَّكَرَ طَبِيقاً لِلْأُنْثَى . وَجَعَلَ الْأُنْثَى سَكناً لِلرَّجُلِ . فَقَلْبُ هُوَ لِأَمْرٍ وَعَكْسُوهُ ، وَاسْتَقْبَلُوا مِنْ اخْتَارَ اللَّهُ لَهُمُ بِالرَّدِّ وَالزُّهْدِ فِيهِ .

(١) م ، ب : « معيبة نفسها » .

(٢) الآية ١٩ من سورة الواقعة .

(٣) الخمار ، بالضم : ما أصاب من أم الخمر وصداعها وأذاها .

(٤) ب فقط : « من المنكوس والمعكوس » .

(٥) ب فقط : « المشاركة » .

## ١٠ - فصل

ومن المعلمين ثم من البلغاء المتأدبين<sup>(١)</sup> : عبد الله بن المقفع ، ويكنى أبا عمرو ، وكان يتولى لآل الأهم<sup>(٢)</sup> ، وكان مقدماً في بلاغة اللسان والقلم والترجمة ، واختراع المعاني وابتداع السير . وكان جواداً فارساً جميلاً ، وكان إذا شاء أن يقول الشعرَ قاله ، وكان يتعاطى الكلام . ولم يكن يُحسن منه لا قليلاً ولا كثيراً . وكان ضابطاً لحكايات المقالات ، ولا يعرف من أين غرَّ المغترُّ ووَيَّقَ الواثق . وإذا أردت أن تعتبر ذلك ، إن كنت من خُلص المتكلمين ومن النظَّارين ، فاعتبر ذلك بأن تنظرَ في آخر رسالته ( الهاشمية ) ، فإنك تجده جيد الحكاية لدعوى القوم ، ردى المدخل في مواضع الطعن عليهم .

وقد يكون الرجل يُحسن الصنف والصنفين من العلم ، فيظنُّ بنفسه عند ذلك أنه لا يحمل عقله على شيء إلا نَفَذَ به فيه<sup>(٣)</sup> ، كالذى اعترى الخليل بن أحمدَ بعد إحسانه في النحو والعروض ، أن ادعى العلم بالكلام وبأوزان الأغاني<sup>(٤)</sup> ، فخرج من الجهل إلى مقدارٍ لا يبلغه أحدٌ إلا بخذلان الله تعالى . فلا حرمننا الله تعالى عصمته ، ولا ابتلانا بخذلانه .

١٠ - فصل<sup>(٥)</sup>

وهذان الشاعران جاهليان<sup>(٦)</sup> ، بعيدان من التوليد ، وبنجوةٍ من التكليف .

(١) ب : « ثم البلغاء المتأدبين » ، بإسقاط « من » .

(٢) انظر طرفاً من أخبارهم في الأغاني ١٣ : ٥٨ .

(٣) م : « إلا تعدته فيه » ، ط : « إلا بعد به فيه » . والوجه ما أثبت من ب .

(٤) م : « المغاني » .

(٥) لم ترد هذه الكلمة في ب . والاختيار التالى مقتضب لا يمت إلى ما قبله ولا إلى ما بعده بصلة .

(٦) ب : « جاهلان » ، تحريف .

## ١١ - فصل

ومن خصال العبادة وإن كانت كلها راجحة فليس فيها شيء أرد<sup>(١)</sup> في عاجل<sup>(٢)</sup> ، ولا أفضل في آجل من حُسنِ الظنِّ بالله تعالى وعز<sup>(٣)</sup> .

ثم اعلم أن أعقلَ النَّاسِ السُّلْطَانُ وَمَنْ احتاج إلى معاملته ، وعلى قدر الحاجة إليه يفتح له باب الحيلة ، والاهتداء إلى مواضع الحجّة . وما أقربَ فضل الرَّاعِي على الرعيّة من فضل السَّائِسِ على الدَّابَّةِ . ولولا السُّلْطَانُ لَأَكَلَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً ، كما أَنَّهُ لولا المُسَيِّمِ لوَثِبَ السَّبَاعُ على السَّوَامِ<sup>(٤)</sup> .

ودَعْنِي من تدريسه كتب أبي حنيفة<sup>(٥)</sup> ، ودعني من قولهم : اصرفه إلى الصَّيَارِفَةِ ؛ فَإِنَّ صِنَاعَةَ الصَّرْفِ تَجْمَعُ<sup>(٦)</sup> مع الكِتَابِ والحساب المعرفة بأصناف الأموال ، ولا تجد بُدّاً<sup>(٧)</sup> من حِلَّةِ السُّلْطَانِ<sup>(٨)</sup> .

ودَعْنِي من قول من يقول : قد كانت قريش تجاراً ؛ فإن هذا بابٌ لا ينقاس ولا يطرد . ومَنْ قاس تُجَارَ الكَرْخِ وباعته ، وتجار الأهواز والبصرة ، على تُجَارِ قريش ، فقد أخطأ مواضع القياس ، وجَهِلَ أقدارَ العِللِ .

(١) أرد ، أي أنفع .

(٢) وأعز ، ساقطة من م .

(٣) المسمي : الراعي ، أسامها إسامة : خلاها ترعى ، ومثله سامها سوماً ، والسوام : الإبل الراعية تسوم حيث شامت ، وهو اسم جمع للسائم والسائمة ، وميمها مخففة ، وضبطت في طبعة القاموس بالتشديد خطأ . وفي ب ، م : « لأثب السباع » ، صوابه في ط .

(٤) ب ، م : « من تدرسه » ط : « من تدريس » ، والوجه ما أثبت . وانظر ما أسلفت من حاشية على « ويدرسه القرآن » في أواخر الفصل الخامس ص ٣٥ . والضمير عائد إلى الصبي .

(٥) ب ، م : « يجمع » ، صوابه في ط .

(٦) ب فقط : « يدان بالياء » ، تحريف .

(٧) ب ، م : من جلة السلطان « بالجيم . والمراد أنها لها علاقة بالسلطان .

قريش<sup>(١)</sup> قومٌ لم يزل الله تعالى يقلبهم في الأرحام البريئة من الآفات<sup>(٢)</sup> ، وينقلهم من الأصلاب السليمة من العاهات ، ويعيبهم لكل جسم<sup>(٣)</sup> ، ويرببهم لكل عظيم .

ولو علم هذا القائل ما كانت قريش عليه في التجارة لعرف اختلاف السبل ، وتفاوت ما بين الطرق . ولو كانت علنتهم في ذلك كعلّة تجار الأبلّة<sup>(٤)</sup> ، ومحتكرى أهل الحيرة ، لثلّمت دقّة التجارة في أغراضهم<sup>(٥)</sup> ولنهك سخف التربّح<sup>(٦)</sup> من مروءاتهم ، ولصغر ذلك من أقدارهم في صدور العرب ، ولوضع من علوهم عند أهل الشرف . وكيف وقد ارتحلت إليهم الشعراء كما ارتحلت إلى الملوك العظماء . فأسنوا لهم العطيّة ، ولم يقصروا عن غاية ، فسقوا الحجاج وأقاموا القرى لزوار الله تعالى ، وهم بوادٍ غير ذي زرع . فلو أنّه كان معهم من الفضل ما يبهر العقول ، ومن المجدي ما تخرج فيه العيون<sup>(٧)</sup> ، لما أصلح طبائعهم الشيء الذي يفسد جميع الأمة<sup>(٨)</sup> . ولقد أورث ذلك صدورهم من السعة بقدر ما أورث

(١) م فقط : « وقريش » .

(٢) ب ، م : « البرية » بالتسهيل .

(٣) عباد تعبئة وتعبئة : هياه وأصلحه . م ، ط : « ويقيم » . وأثبت ما في ب .

(٤) الأبلّة : بلدة على شاطئ دجلة البصرة ، وهي أقدم منها ، لأن البصرة مصرت في أيام عمر ، وكانت الأبلّة حينئذ مدينة فيها مسالخ وقائد من قبل كسرى .

(٥) في جميع الأصول : « أغراضهم » بالعين المعجمة ، وإنما يثلم العرض ، بالعين المهملة أى يعطن فيه ، وفي أساس البلاغة : « هذا مما يكلم الدين ويثلم اليقين » .

(٦) ب ، م : « التربّح » ط : « الربح » ، والوجه ما أثبت من الجمع بينهما . والتربّح : طلب الربح والمكسب .

(٧) حرجت عينه حرجاً : حارت ، قال ذو الرمة :

تزداد للعين إبهاجاً إذا سفرت . وتخرج العين فيها حين تنتقب

وقيل معناه أنها لا تنصرف ولا تطرف من شدة النظر . وفي جميع الأصول : « ما يخرج

فيه العيون » وهو من ملح التصحيف .

(٨) ب ، م : « لما صلح » ، صوابه في ط .

غيرهم من الضيق . ولو كانت سبلهم<sup>(١)</sup> عند الملوك إذا وفدوا عليهم ،  
أو وردوا<sup>(٢)</sup> بلادهم بالتجارات ، سبل<sup>(٣)</sup> غيرهم من التجار لما أوجهوهم  
وقربوهم<sup>(٤)</sup> ، ولما أقاموا لهم قري الملوك وحبوهم بكرامة الخاص .  
وإذا كانت قريش حُمساً تنسكُ في دينها ، وتناله في عبادتها<sup>(٥)</sup>  
وكان مانعاً لهم من الغارات والسبأ ، ومن وطء النساء من جهة المغم ،  
ولذلك لم يتدوا البنات ولا ولدت منهم امرأة غيرهم من جهة السبأ<sup>(٦)</sup> ،  
ولا زوجوا أحداً من العرب حتى يتحمس ويدين بدينهم . ولذلك لما  
صاروا إلى بناء الكعبة لم يُخرجوا في بنائها من أموالهم إلا مواريث  
آبائهم ونسائهم<sup>(٧)</sup> ، خوفاً من أن يخالطه شيء من حرام ، إذ كانت<sup>(٨)</sup>  
أرباح التجارات مخوفاً عليها ذلك . فلما كانوا بوادٍ غير ذى زرع  
ويحتاجون إلى الأوقات<sup>(٩)</sup> ، وإقامة القرى ، لم يجدوا بداً من أن  
يتكلفوا ما يُعيشهم ويصلح شأنهم ، فأخذوا الإيلاف<sup>(١٠)</sup> ، ورحلوا  
إلى الملوك بالتجارات . فهذا هو السبب .

(١) ب : « سبلهم » . تحريف .

(٢) ب : « وأوردوا » .

(٣) ب ، م : « سبل » .

(٤) وجهه السلطان توجيهاً ، وأوجه إيجاباً : شرفه ، وأوجهه : صادفته وجيهاً .

(٥) تناله : تنسك وتتعبد . ط : « وتناله في عبادتها » ، تحريف .

(٦) ب ، م : « وغيرهم من جهة السبأ » . والمراد لم يعتدوا على نساء غيرهم من القبائل

الأخرى فيلدن لهم .

(٧) من أموالهم ، ساقطة من ب .

(٨) ب ، م : « إذا كانت » ، والوجه ما أثبت من ط .

(٩) ب ، م : « إلى الأوقات » ، والصواب في ط .

(١٠) الإيلاف : العهد والذمام والإجارة . وكان الإخوة الأربعة : هاشم ، وعبد شمس ،  
والمطلب ، ونوفل ، بنو عبد مناف ، يجيرون قريشاً بميرهم ، وكانوا يسمون الهجيرين . فأما  
هاشم فإنه أخذ حبلاً من ملك الروم ، وأخذ نوفل حبلاً من كسرى ، وأخذ عبد شمس حبلاً من  
النجاشي ، وأخذ المطلب حبلاً من ملوك حير ، فكان تجار قريش يختلفون إلى هذه الأمصار  
بجبال هؤلاء الإخوة فلا يتعرض لهم .

فانظر كم بين علَّتْهم وعلَّةٌ غيرهم ! فيسرك بعد هذا أن يتحوَّل ابنك في سلاخ صالح الزراريشي <sup>(١)</sup> ، أو في طباع ابن بادام <sup>(٢)</sup> ، أو في عقل ابن سامري <sup>(٣)</sup> .

فإن زعموا أنَّ أصحاب السلطان يعرِّض مكرهه فيعلموا أن كلَّ مسافرٍ فيعرِّض مكرهه <sup>(٤)</sup> ، وقد قال بعض الحكماء : « المسافرُ ومتاعه على قَلتٍ إلا من حفظَ الله <sup>(٥)</sup> » ، يعنى على هلاك .

وراكب البحر أشدَّ خطراً ، ومشتري طعام الأهواز أشدَّ تهوراً <sup>(٦)</sup> ، ورافع الشراع يعرِّض هلكة . والمتعرِّض للملاحاة <sup>(٧)</sup> والمعرِّض لنفسه للسباع أقلُّ شفقة <sup>(٨)</sup> . وسكان الجزائر والسواحل أحقَّ بالتعريض ، وأولى بالخوف . والمنهوم بالطعام الردي <sup>(٩)</sup> ، والمدمنُ للشَّراب أشبه بأصحاب التعزير <sup>(١٠)</sup> ، والمتباري في ذلك والمتزيِّدُ منه أحقَّ بتوقُّع الجدثان وحوادث الأزمان ، قد جرت عليه عادةُ الدهر <sup>(١١)</sup> وسيرةُ الأيام . وهذا كله أحقُّ بالاهتمام .

(١) ب : « الذراريشي » ط : « الذرايري » ، وأثبت ما في م . وأصل معنى السلاخ الجلد ، والمراد أن يكون مثله .

(٢) ط ، ب : « ابن آدم » ، وأثبت ما في م . وبادام ، من الأعلام الفارسية ، ويقال أيضاً بإدام . وانظر حواشي رسائل الجاحظ ٢ : ٢٩٢ .

(٣) ب ، ط : « وفي عقل » .

(٤) ط : « بعرض مكرهه » .

(٥) الذى فى البيان ٢ : ١٠٥ واللسان ( قلت ) : « وقال أعرابي : إن المسافر ومتاعه لعل قلت إلا ما وقى الله » . وفى جميع الأصول : « عل قلة » تحريف .

(٦) التهور : السقوط ، والمراد التعرض للخطر .

(٧) فى جميع النسخ : « للملام » والوجه ما أثبت .

(٨) الشفقة : الخوف من وقوع مكرهه . ولعله يعنى أنهما أكثر أمتاً من التاجر الذى يستعمل السفر .

(٩) ب ، م : « الردي » بالتسهيل .

(١٠) ب : « التعزير » . والتعزير : حمل النفس على الغرر ، وهو الخطر والهلكة .

(١١) سقطت كلمة « قد » من ط . وبدلها فى ب : « حتى » .

وإن كنت إلى الإشفاق تذهب ، وإلى إعطاء الحزم أكثر من نصيبه ، وكيف دار الأمر فإن التاجر قد استشعر الذل ، وتغشى ثوب المذلة .

وصاحب السلطان قد تجاوز حدَّ العزِّ والهيبه . وإنما عيبه سُكر السلطان<sup>(١)</sup> ، وإفراط التعظيم . قد استبطن بالعزِّ ، وظاهر بالبشر واستحكمت تجربته ، وبعُدت بصيرته حتَّى عرف مصلحة كلِّ مضر<sup>(٢)</sup> ، وإصلاح كلِّ فاسد ، وإقامة كلِّ معوج ، وعمارة كلِّ خرب .

ولا أعلم في الأرض أعمَّ إفلاساً ولا أشدَّ نكبةً ، ولا أكثر تحوُّلاً<sup>(٣)</sup> من يُسر إلى عسر ، ولا رأينا الجوائح<sup>(٤)</sup> إلى أحدٍ أهدى منها إلى أموال الصَّيرفة . فكيف يُقاس شأنُ قومٍ تعمُّهم المعاطب<sup>(٥)</sup> بشأن قوم أهل السَّلامة فيهم أكثر ، والنكباتُ فيهم أقلَّ .

وبعد هذا فإني أرى ألا تستكرهه فتبغض إليه الأدب ، ولا تهمله فيعتاد اللهو .

على أننى لا أعلم في جميع الأرض شيئاً أجلبَ لجميع الفساد من قرناء السوء ، والفراغِ الفاضل عن الجمام<sup>(٦)</sup> .

(١) هو ما يسمونه الملح بما يشبه الدم . وسكر السلطان : نشوته والشعور بالزهو . وفي اللسان : « السكر ثلاثة : سكر الشباب ، وسكر المال ، وسكر السلطان » . ط ، م : « شكر » بالشين المعجمة ، تحريف .

(٢) المصر : واحد الأمصار ، للمدينة الكبيرة . ط فقط : « كل مضر » ، تحريف .

(٣) ب : « تجولا » بالجيم .

(٤) الجوائح : جمع جائحة ، وهى الشدة والنازلة العظيمة التى تجتاح المال ، أى تذهب به وفى جميع النسخ : « الحوايج » ، صوابه ما أثبت .

(٥) المعاطب : المهالك ، واحدها معطب . ب ، م : « المعاطر » بالراء ، صوابه فى ط .

(٦) الجمام ، كسحاب ؛ الراحة . ط فقط : « الجهاد » محرف .

(٤ - رسائل الجاحظ)

دَرَسَهُ الْعِلْمَ<sup>(١)</sup> مَا كَانَ فَارِغاً مِنْ أَشْغَالِ الرِّجَالِ ، وَمَطَالِبِ ذَوِي  
الْهِمَمِ . وَاحْتَلَى فِي أَنْ تَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أُمِّهِ . وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ  
يَمْحُضَكَ الْعِيقَةَ ، وَيُصْنِفَ لَكَ الْمُوَدَّةَ مَعَ كِرَاهَتِهِ لِمَا تَحْمِلُ إِلَيْهِ مِنْ ثِقَلِ  
التَّأْدِيبِ عِنْدَ مَنْ لَمْ يَبْلُغْ<sup>(٢)</sup> حَالَ الْعَارِفِ بِفَضْلِهِ<sup>(٣)</sup> .

فَاسْتَخْرِجْ مَكْنُونََ مَحَبَّتِهِ بِبِرِّ اللِّسَانِ ، وَبِذَلِّ الْمَالِ . وَهَذَا مَقْدَارٌ مِنْ  
جَازِهِ أَفْرَطُ<sup>(٤)</sup> . وَالْإِفْرَاطُ سَرْفٌ . وَمَنْ قَصَرَ عَنْهُ فَرَطٌ ، وَالْمَفْرُطُ  
مِضْيَاعٌ<sup>(٥)</sup> .

وَلَا تَسْتَكْتَرَنَّ هَذَا كُلَّهُ فَإِنَّ بَعْضَ النِّعْمَةِ فِيهِ تَأْتِي عَلَى أَعْوَافِ  
النِّعْمَةِ<sup>(٦)</sup> ، وَالَّذِي تَحَاوَلَ مِنْ صِلَاحٍ<sup>(٧)</sup> أَمْرٌ مِنْ تَوْمَلٍ فِيهِ أَنْ يَقُومَ  
فِي أَهْلِكَ مَقَامَكَ ، وَإِصْلَاحٌ مَا خَلَّفْتَ كَقِيَامِكَ ، لِحَقِيقٍ بِالْحَيْطَةِ عَلَيْهِ ،  
وَبِإِعْطَائِهِ<sup>(٨)</sup> الْمَجْهُودَ مِنْ نَفْسِكَ .

وَقَالَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ رَبُّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ  
الْوَارِثِينَ<sup>(٩)</sup> ﴾ . فَعَلِّمَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، فَوَهَبَ لَهُ غُلَامًا ، وَقَالَ اللَّهُ

(١) انظر للتدريس ماضى فى حواشى ص ٣٥ ط: « فى دراسة العلم » كأن الكلام متصل بما قبله .  
وهو تحريف .

(٢) ب ، م : « التأديب عنه من يبلغ » ، صوابه فى ط .

(٣) أى العارف بفضل التأديب . وفى جميع الأصول : « بفضل » .

(٤) جازه : تجاوزه . وفى جميع الأصول : « من حازه » بالحاء المهملة ، تحريف .

(٥) م : « مضاع » .

(٦) كذا فى جميع الأصول .

(٧) ط : « إصلاح » .

(٨) م ، ب : « وإعطاء » .

(٩) الآية ٨٩ من سورة الأنبياء .



عزّ وجلّ : ﴿ وليس الذِّكْرُ كالأُنْثَى ﴾ (١) .

اعلم أنّه أعطاك ولدًا عَبْرَةَ عَيْنِ العَدُوِّ (٢) ، وَقُرَّةَ عَيْنِ الصديق  
الوليّ . فاحمدِ الله وأخْلِصْ في الدُّعاء ، وأكثِرْ من الخَيْرِ إن شاء الله تعالى .

---

(١) الآية ٣٦ من سورة آل عمران .

(٢) العبرة ، بالفتح : الدمعة ، وفي أساس البلاغة : يقال أراه عبر عينيه ، وإنه لينظر  
إلى عبر عينيه ، أى ما يكرهه ويبكى منه . ومنه قوله يصف رجلاً قبيحاً له امرأة حسناء :  
إذا ابتز عن أوصاله الثوب عندها رأّت عبر عينها وما عنه مخنس  
وفي جميع الأصول : « غيرة عين العدو » ، تحريف .



٣

من كتابه في  
التربيع والتدوير



## ١ - فصل

### من كتاب الترييح والتدوير<sup>(١)</sup>

فانظر في مسألة النفوس<sup>(٢)</sup> مع تقارب منازلها ، ولم تجاذبت عند تقارب مراتبها ، ولم اختلف الكثير واتَّفَق القليل ؟ ولم كانت الكثرة علةً للتخاذل ، والقلَّة سبباً للتناصر ؟ وما فرق ما بين المجارة<sup>(٣)</sup> والتحاسد ، وبين المنافسة والتغالب ، فإنك متى عرفت ذلك استرحت منّا ورجّونا أن نستريحَ منك .

وكيف يعرف السَّبَبَ من يجهل المسبَّب ، وكيف يعرف الوصل من يجهل الفصل ، وكيف يعرف الحدود من لم يسمع الفصول . بل كيف يعرف الحجّة من الشُّبهة ، والغدر<sup>(٤)</sup> من الحيلة<sup>(٥)</sup> ، والواجب

---

(١) هذه الرسالة التي وجهها الجاحظ إلى أحمد بن عبد الوهاب ، نشرها كاملة فان فلورن في ليدن سنة ١٩٠٣ . وتابعه محمد السامى فنشرها في مجموعة رسائل سنة ١٣٢٤ هـ = ١٩٠٧ م . ثم السندوني في رسائل الجاحظ سنة ١٩٣٣ . ثم نشرها محققة شارل بلا في دمشق سنة ١٩٥٥ . وقد رمزت لنسخته بالرمز ( ش ) .

وقد أشار إليها الحصرى في بجمع الجواهر ٢٦٠ . حيث أورد فقرات من رسالة لأبي بكر الخوارزمي ، وجهها إلى بديع الزمان الهمداني ، وقال الحصرى في أعقابها : « وهي طويلة جداً مر له فيها إحسان كثير . وإنما احتذى في أثرها مثال رسالة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ لأحمد بن عبد الوهاب ، المعروفة برسالة الطول والعرض ، وتعرف برسالة التوسع ( الترييح ) والتدوير ، ورسالة المفاهات . واتبع أيضاً طريق أبي الفضل بن العميد في رسالة لابن سمكة النحوي . ورسالة الخوارزمي نشرت كاملة في مجموعة رسائله المطبوعة بالقاهرة سنة ١٣١٢ . وفي ديباجتها : « وكتب بها إلى أبي الحسن البديهي الشاعر يعث به » . والوجه ما ذكره الحصرى . وقد عثرت على بعض ردود لأحمد بن عبد الوهاب فيما يتعلق بالرسالة ، وذلك في الهوامل والشوامل لأبي حيان التوحيدي ومسكويه ، في الصفحات ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٧ .

(٢) م ج ، ش : « لم تسالمت النفوس » .

(٣) ب : « المجازات » م ، ط : « المجازة » ، صوابها في م ج .

(٤) هذا ما في ب وم ج . وفي سائر النسخ : « والغدر » .

(٥) ب فقط : « من الجيلة » .

من الممكن، والغفل من الموسوم، والمُحال من الصحيح، والأسرار من المجهول ومن كبار الدلائل الخفية<sup>(١)</sup> وما يُعلم مما لا يُعلم، وما يُعلم باللفظ دون الإشارة مما لا يعلم إلا بالإشارة دون اللفظ، وما يعلم معتمداً ولا يعلم مكيّفاً ولا يعلم معتقداً<sup>(٢)</sup>. وما المستغلق الذي يجوز أن يفارقه استغلقه، والمستبهم الذي لا يفارقه استبهامه، ومن هو طائرٌ مع العوام حيث طارت، وساقطٌ معها حيث سقطت، مع الزرّاية والرغبة عنها<sup>(٣)</sup>. قد طلبها بفضل طلبه لنفسه<sup>(٤)</sup>، وجرى معها بقدر مناسبتها لقدره.

فاعرف الجنس من الصنف، والقسم من النصف، وفرق ما بين الذم واللوم، وفصل ما بين الحمد والشكر، وحدّد الاختيار من الإمكان، والاضطرار من الإيجاب. وسنعرّفك من جملة ما ذكرنا باباً باباً أنت إليه أحوج، وهو علينا أَرَدّ.

## ٢ - فصل

وما في الأرض<sup>(٥)</sup> إقرارٌ أثبت، ودليلٌ أوضح، وشاهدٌ أصدق، من شاهدي عليك على ما ادّعتَ لنفسك من الرّفعة مع ما ظهر من حسدك لأهل الصّنع<sup>(٦)</sup>. وهل يكون كذلك<sup>(٧)</sup> إلا فاسدُ الحسّ ظاهرُ العُنود<sup>(٨)</sup>، أو جاهلٌ بالمحال.

(١) مج، ش: « والأسرار المجهولة من ذوات الدلائل الخفية ».

(٢) كذا في ب، م، ط. وفي مج: « وما يعلم معتقداً ولا يعلم مكيّفاً، مما يعلم مكيّفاً ولا يعلم معتقداً ». وفي ش: « وما يعلم معتقداً ولا يعلم يقيناً ولا يعلم معتقداً ».

(٣) ب، م: « ورغبة عنها ».

(٤) مج: « قد ظلمها بفضل ظلمه لنفسه ».

(٥) مج، ش: « وهل في الأرض ».

(٦) مج، ش: « لأهل الصّنع ».

(٧) مج، ش: « وهل تكون بعد ذلك ».

(٨) م: « العنود » بالياء، تحريف، ط: « العناد » والعنود والعناد بمعنى، وهما الميل

عن الحق مع العلم به.

وبعد فأنت - أبقاك الله<sup>(١)</sup> - في يدك قياس لا يكسر<sup>(٢)</sup> ، وجواب<sup>٣</sup> لا ينقطع<sup>(٣)</sup> ، ولك حد لا يُقَلَّ وغرب لا ينثني<sup>(٤)</sup> ، وهو قياسك الذي إليه تنسب ، ومذهبك الذي إليه تذهب : أن تقول<sup>(٥)</sup> : وما على أن يراني الناس عريضاً وأكون في حكمهم غليظاً وأنا عند الله<sup>(٦)</sup> تعالى طويلٌ جميل ، وفي الحقيقة مقدودٌ رقيق . وقد علموا - حفظك الله - أن لك مع طول الباد<sup>(٧)</sup> راكباً ، طول الظهر جالساً<sup>(٨)</sup> ، ولكن بينهم فيك إذا قمتَ اختلاف ، وعليك لهم إذا اضطجعت مسائل .

ومن غريب ما أعطيت ، ومن بديع ما أوتيت أنا لم نر مقدوداً واسع الجفرة غيرك<sup>(٩)</sup> ، ولا رقيقاً مستفيض الخاصرة سواك . فأنت المديد وأنت البسيط ، وأنت الطويل وأنت المتقارب .

فيا شعراً جمع الأعاريض ، ويا شخصاً جمع الاستدارة والطول .

بل مايهمك<sup>(١٠)</sup> من أقاويلهم ، ويتعاطمك من اختلافهم ، والراسخون في العلم ، والناطقون بالفهم ، يعلمون أن استفاضة عرضك قد أدخلت

(١) مج : « وبعد أبقاك الله فأنت » .

(٢) مج ، ش : « لا ينكسر » .

(٣) م ، ط ، ب : « وجوار لا يقطع » . صوابه في مج ، ش .

(٤) ب : « لا يثني » . م : « لا شيء » . تحريف . ط : « لا يثني » ، وأثبت ما في مج ، ش .

(٥) هذا ما في مج ، ش . وفي سائر النسخ : « أو تقول » .

(٦) ب ، م ، ط : « وأنا عبد الله » .

(٧) الباد : « باطن الفخذ » وما يلي السرج من فخذ الفارس . ب ، م ، ط : « البال »

صوابه في سائر النسخ . وفي م : « أن ذلك » ، تحريف .

(٨) كلمة « طول » الأخيرة من مج ، ش .

(٩) الجفرة ، بالضم : الجوف ، وجفرة كل شيء : وسطه ومعظمه . ط فقط :

« أوسع الجفرة » ، تحريف .

(١٠) ب ، م : « بل مايهما » ، صوابه في سائر النسخ .

الضِّيم على ارتفاع سَمَكِك<sup>(١)</sup> ، وَأَنَّ مَا<sup>(٢)</sup> ذهب منك عرضاً قد استغرَق ما ذهب منك طولاً. ولئن<sup>(٣)</sup> اختلفوا في طولك لقد اختلفوا في عرضك<sup>(٤)</sup> . وإن اكانوا قد سلموا لك بالرغم<sup>(٥)</sup> شطراً، فقد حصلت<sup>(٦)</sup> ما سلموا وأنت على دعواك فيما لم يسلموا .

ولعمري إنَّ العيون لتخطئُ ، وإن الحواسَّ لتكذبُ ، وما الحكمُ القاطعُ إلاَّ للذهنِ ، وما الاستبانةُ الصحيحةُ إلاَّ للعقل ؛ إذ كان زماماً على الأعضاء<sup>(٧)</sup> ، ووعياراً على الحواسَّ .

ومما يُثبت أيضاً أنَّ ظاهرَ عَرَضِكَ مانعٌ من إدراك حقيقة طولك قول<sup>(٨)</sup> أبي دُوَادٍ الأياديُّ في إبله :

سَمِنْتُ فَاسْتَحَشَّ أَكْرَعُهَا لَا إِلَهَ سَنَى نَى وَلَا السَّنَامُ سَنَامُ<sup>(٩)</sup>  
ولو لم يكن فيك من العَجَبِ إلاَّ أَنْكَ أَوَّلُ من عَوَدَه اللهُ تعالى بالصَّبْرِ<sup>(١٠)</sup> على خَطَاءِ الحَسِّ<sup>(١١)</sup> وبالشُّكْرِ على صوابِ الذهنِ ، لقد

- 
- (١) الضيم : الظلم وانتقاص الحق . ما عدا مج ، ش : « قد أدخلت الميم في ارتفاع سمكك » ، تحريف .
- (٢) ب فقط : « وإنما » ، تحريف .
- (٣) ما عدا مج ، ش : « وإن » .
- (٤) ما عدا مج ، ش : « لقد اختلفوا » تحريف . ب : « على رضك » م ، ط :
- « على عرضك » ، وأثبت ما في مج ، ش .
- (٥) ما عدا مج ، ش : « بالرغم » .
- (٦) ب فقط : « فقد حصلت » تحريف .
- (٧) ب فقط : « إذ كانا ذماما » ، صوابه في سائر النسخ .
- (٨) ب ، م : « وقول » ، تحريف .
- (٩) ديوان أبي دواد ٣٣٩ والأصعيات ١٨٨ واللسان (حشش) . استحسن : استدق .
- والتي ، بالفتح : الشحم . ط : « لا التي في » ، تحريف .
- (١٠) ب ، م ، ط : « بالصد » ، صوابه في مج ، ش .
- (١١) ب ، م : « على خطأ الحس » ، والخطاء والخطأ بمعنى ، وكثيراً ما يستعمل الجاحظ « الخطاء » بالمد . انظر الحيوان ١ : ٢١٣ / ٣ : ٢٥٨ ، ٥٠٠ والبيان ٤ : ١٦ ، ٦٧ ورسائل الجاحظ ١ : ٣٥٣ .



كنت في طُوك غايةً للعالمين<sup>(١)</sup> ، وفي عرضك مناراً للمُضِلِّين .

وقد تظَلَّم<sup>(٢)</sup> المربوع مثلى من الطويل مثل عُمر ، ومن القصير مثل عمرو<sup>(٣)</sup> إذ زعم<sup>(٤)</sup> أنه أفرط في الرِّشَاقَة ونُسب إلى القضاة ، لأنَّ إفراط عرضه غَمَر<sup>(٥)</sup> الاعتدالَ [ من طوله ، وكلاهما يحتاج إلى الاعتذار ، ويفتقر إلى الاعتدال<sup>(٦)</sup> ] .

والمربوع بحمد الله تعالى قد اعتدلت أجزؤه في الحقيقة ، كما اعتدلت في المنظر<sup>(٧)</sup> ، فقد استغنى بعزِّ الحقيقة<sup>(٨)</sup> عن الاعتذار ، وبحكم الظاهر عن الاعتلال<sup>(٩)</sup> .

وقد سمعنا من يذمُّ الطَّوال كما سمعنا من يُزرى على القصار ، ولم نَسْمَعْ أحداً<sup>(١٠)</sup> ذمَّ مربوعاً ولا أزرى عليه ، ولا وقف عنده ولا شكَّ فيه . ومن يذمه<sup>(١١)</sup> إلَّا من ذمَّ الاعتدال ، ومن يُزرى عليه إلَّا من أزرى على الاقتصاد ، ومن ينصب للصواب الظاهر<sup>(١٢)</sup> إلَّا المعاند ، ومن يُمارى في العيان إلَّا الجاهل ؛ بل من يُزرى على أحد بتفاقم التركيب<sup>(١٣)</sup> ،

(١) مع ، ش : « آية للسابلين » والمراد بالسابل هنا : السالك في الطريق .

(٢) ما عدا مع ، ش : « وقد تكلم » ، تحريف .

(٣) مع ، ش : « من الطويل مثل محمد ومن القصير مثل أحمد » .

(٤) مع ، ش : « إذ زعم أحمد » .

(٥) ب ، م : « عمر » بالعين المهملة ، تحريف .

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من ب ، لكن في ط : « ويفتقر إلى الاعتدال » .

(٧) ب فقط : « في المنظرة » .

(٨) ب ، م : « بعد الحقيقة » ، ط : « بعد الحقيقة » ، وأثبت ما في مع ، ش .

(٩) الاعتلال : بيان العلة . ما عدا مع ، ش : « الاعتدال » .

(١٠) ب ، ط : « ولم يسمع أحد » م : « ولم يسمع أحداً » ، والوجه ما أثبت من مع ، ش .

(١١) الكلام بعده إلى « أزرى على الاقتصاد ومن » ، ساقط من م .

(١٢) نصب له : عاداه وتجرد له . ط : « ومن يعيب الصواب الظاهر » ، صوابه في سائر

النسخ .

(١٣) تفاقم التركيب : أن يجري على غير استواء ، وأصله من تفاقم الأمور وتراكبها .

وبسوء التنضيد<sup>(١)</sup> مع قول الله عز وجل : ﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وبعد فأى قد أردأ<sup>(٣)</sup> ، وأى نظام أفسد من عرض مجاوز للقدر<sup>(٤)</sup> ، أو طول مجاوز للقصد . ومتى يضرب العرض بسهمه على قدر حقه ، ويأخذ الطول من نصيبه على مثل وزنه ، خرج الجسم من التقدير ، وجاوز التعديل . فإذا خرج من التقدير تفسد ، وإذا تفسد وجاوز التعديل تباين .

ولو جاز هذا الوصف ، وحسن هذا النعت<sup>(٥)</sup> ، كان لإبراهيم ابن السندي<sup>(٦)</sup> [ من الفضيلة<sup>(٧)</sup> ] ما ليس لأحمد بن عبد الوهاب .

وهذا كله بعد أن يصدقك<sup>(٨)</sup> على ما ادعت لظولك في الحقيقة ، واحتججت [ به<sup>(٩)</sup> ] لِعَرَضِكَ في الحكومة . كما أنك بإعمالك لما يَنْفِيهِ

(١) ب فقط : « التنضيد » ، تحريف .

(٢) الآية ٣ من سورة الملك أو تبارك .

(٣) كلمة « فأى » ساقطة من ب .

(٤) ط فقط : « للقد » .

(٥) ب ، م : « حسن هذا النعت » بلا واو قبله . ط : « من حسن النعت هذا » . تحريف

(٦) مع ، ش : « كان لقاسم التمار » . وإبراهيم بن السندي بن شاهك ، روى عنه

الجاحظ كثيراً . وأبوه السندي بن شاهك كان يلى الجسر بن ببناداد للرشيدي : انظر الجهشيارى ٢٣٦ - ٢٣٧ . وقد نعت الجاحظ إبراهيم هذا بأنه « مولى أمير المؤمنين » . الرسائل ٤٧ ماسي ،

وكذلك قاسم التمار ، كان من الرجال الذين يروى عنهم الجاحظ كثيراً . انظر فهارس الحيوان والبيان .

(٧) التكلفة من مع ، ش .

(٨) ط فقط : « صدقوك » .

(٩) التكلفة من مع ، ش .

العيان<sup>(١)</sup> ، واستشهادك<sup>(٢)</sup> لما تنكره الأذهان<sup>(٣)</sup> ، معترض<sup>(٤)</sup> للصدق من المتكرم ، ومتحككك بالعلم من المتغافل . وأى صامت لا ينطقه هذا المذهب ، وأى ناطق لا يُغريه هذا القول<sup>(٥)</sup> .

وإذا كان هذا ناقضاً لعزم المتسلم<sup>(٦)</sup> فما ظنك بعبادة المتكلف<sup>(٧)</sup> .

فأتشددك الله أن تغرى بك السفهاء ، وتنقض عزائم الحكماء<sup>(٨)</sup> .

وما أدري - حفظك الله - بأى الأمرين أنت أعظم إثماً ، وفي أيهما أنت أفحش ظلماً : أبتعرضك للعوام ، أم بإفسادك حكم الخواص<sup>(٩)</sup> .

وبعد فما يحوجك إلى هذا ، وما يدعوك إليه وأشباهك من القصار كثير ، ومن ينصرك منهم غير قليل<sup>(١٠)</sup> .

### ٣ - فصل

وقلت : ولولا فضيلة العرض على الطول لما وصف الله تعالى وعز ، الجنة بالعرض دون الطول ، حيث يقول : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كعرض السماء والأرض<sup>(١١)</sup> ﴾ . فهذا برهانك الواضح<sup>(١٢)</sup> .

(١) ب : « يتقنه العيان » م ، ط : « يتقنه العيان » ، صوابه من مج ، ش .

(٢) ب ، م : « واستشهادك » ، صوابه في ط ، مج ، ش .

(٣) ما عدا مج ، ش : « لما تذكره الأذهان » ، تحريف .

(٤) مج ، ش : « معترض » ، والوجه ما في سائر النسخ ، والمراد لا يمكن تصديقه .

(٥) ما عدا مج ، ش : « لا يغويه هذا القول » .

(٦) ب ، م : « قضاء لعزم » ط . : « قضاء العزم » ، والوجه ما أثبت من مج ، ش .

(٧) مج ، ش : « بعداوة المتكلف » .

(٨) ش : « الخلاء » .

(٩) ما عدا مج ، ش : « بتعرضك للعوام أو بإفسادك حكم الخواص » .

(١٠) ما عدا مج ، ش : « غير دذليل » .

(١١) من الآية ٢١ من سورة الحديد ، وأولها : « سابقوا إلى مغفرة من ربكم » . وفي ب

فقط : « عرضها السموات والأرض » وهي من الآية ١٣٣ من آل عمران ، وأولها : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم » .

(١٢) مج ، ش : « فهذه براهينك الواضحة ، ودلائلك الظاهرة » .

ولو لم يكن فيك من الرضا والتسليم ، ومن القناعة والإخلاص  
إِلَّا: أَنْكَ تَرَى<sup>(١)</sup> ما عند الله خيراً لك مما عند الناس ، وَأَنَّ الطُّولَ  
الحَقُّ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنَ الطُّولِ الظَّاهِرِ ، لَكَانَ<sup>(٢)</sup> فِي ذَلِكَ مَا يَقْضَى لَكَ  
بِالْإِنْصَافِ ، وَيَحْكُمُ لَكَ بِالتَّوْفِيقِ .

وَأَنَا - أَبِيقَاكَ اللَّهُ - أَعَشَقْتُ إِنْصَافَكَ كَمَا تُعَشَقُ الْمَرْأَةُ الْحَسَنَاءَ<sup>(٣)</sup> ،  
وَأَتَعَلَّمُ خُضُوعَكَ لِلْحَقِّ كَمَا أَتَعَلَّمُ التَّفَقُّهَ فِي الدِّينِ<sup>(٤)</sup> . وَلرُبَّمَا ظَنَنْتُ  
أَنَّ جَوْرَكَ إِنْصَافُ قَوْمٍ آخَرِينَ ، وَأَنَّ تَعَقُّدَكَ سَمَاحُ رِجَالٍ مُنْصَفِينَ<sup>(٥)</sup> .

وما أَظُنُّكَ صرْتَ إِلَى مَعَارِضَةِ الْحِجَّةِ بِالشَّبَهَةِ ، وَمُقَابِلَةِ الْاِخْتِيَارِ  
بِالْاِضْطِرَّارِ ، وَالبَاقِينَ بِالشُّكِّ ، وَالبَاقِظَةَ بِالحُلْمِ إِلَّا لِلذِّي<sup>(٦)</sup> خُصِّصْتَ  
بِهِ مِنْ إِيْثَارِ الْحَقِّ ، وَالأَهْمَتَهُ مِنْ فَضِيلَةِ الْإِنْصَافِ ، حَتَّى صرْتَ أَحْوَجَ  
مَا تَكُونُ إِلَى الْإِنْكَارِ أَدْعَنَ مَا تَكُونُ بِالْإِقْرَارِ ؛ وَأَشَدَّ مَا تَكُونُ إِلَى الْحِيلَةِ  
فَقَرًّا أَشَدَّ مَا تَكُونُ لِلْحِجَّةِ طَلِبًا . غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ بِطَرْفٍ سَاكِنٍ ، وَصَوْتٍ  
خَاضِعٍ ، وَقَلْبٍ جَامِعٍ ، وَجَأَشٍ رَابِطٍ<sup>(٧)</sup> ، وَنِيَّةٍ جَسُورٍ ، وَإِرَادَةِ تَامَةٍ ،  
مَعَ غَفْلَةٍ كَرِيمٍ ، وَفِطْنَةِ عَلِيمٍ . إِنْ انْقَطَعَ خِصْمُكَ تَغَافَلْتَ ، وَإِنْ خَرِقَ<sup>(٨)</sup>

(١) ب ، م : « أَنْكَ تَرَى » بِاسْقَاطِ « إِلَّا » .

(٢) ب ، م ، ط : « لَكِنْ » ، تَحْرِيفٌ .

(٣) مِج ، ش : « أَعَشَقْتُ إِنْصَافَكَ كَمَا تُعَشَقُ الْمَرْأَةُ الْحَسَنَاءَ » .

(٤) ب فَقَطْ : « الْفَقْهُ فِي الدِّينِ » .

(٥) ب ، م : « وَأَنَّ يَعْقُدُكَ سَمَاحُ رِجَالٍ مُنْصَفِينَ » ط : « وَأَنَّكَ يَقْنَعُكَ سَمَاحُ رِجَالٍ

مُنْصَفِينَ » ، وَالأَوْجَهُ مَا أُثْبِتَ مِنْ مِج ، ش .

(٦) ب ، م : « إِلَّا الَّذِي » .

(٧) ب فَقَطْ : « رَابِطٌ » . وَالجَأَشُ : النَفْسُ أَوْ القَلْبُ ، وَالرَابِطُ : الثَّابِتُ الَّذِي

لَا يَرْتَاعُ .

(٨) خَرِقَ يَخْرِقُ خَرَقًا : حَقَّقَ وَلَمْ يَرْفُقْ . مِج ، ش : « وَإِنْ خَرِفَ » . تَحْرِيفٌ .

تَرَقَّقَتْ<sup>(١)</sup> ، غير منخوبٍ ولا متشعب<sup>(٢)</sup> ، ولا مَدْخُولٍ ولا مُشْتَرَكٍ ، ولا ناقص النَّفسِ ، ولا واهن العَزْمِ ، ولا حَسودٍ ولا منافسٍ ، ولا مُغَالِبٍ ولا مُعاقِبٍ<sup>(٣)</sup> . تَفُلُّ الحَزَّ<sup>(٤)</sup> وتُصِيبُ المَفْصِلَ ، وتُقَرِّبُ البعيدَ وتُظْهِرُ الخَفِيَّ ، وتُمَيِّزُ الملتبس<sup>(٥)</sup> وتُلخِّصُ المشكلَ ، وتعطي المعنى حقَّه من اللفظ كما تُعطي اللفظَ حظَّه من المعنى<sup>(٦)</sup> . وتُجِبُّ المعنى إذا كان حياً يلوح ، وظاهراً يصيح<sup>(٧)</sup> ، وتُبغِضُه مستهلكاً بالتعقيد ، ومستوراً بالتغريب<sup>(٨)</sup> .

رتزعم أن شر الألفاظ ما غرَّق<sup>(٩)</sup> المعاني وأخفاها ، وسترها<sup>(١٠)</sup> وعمَّها ، وإن راقَت سَمِعَ العُمرُ ، واسمَّالت قلبَ الرِيضِ<sup>(١١)</sup> .

أعجب الألفاظ عندك مارقٌ وعدُّبٌ ، وخَفٌّ وسُهْلٌ ، وكان موقوفاً على معناه ، ومقصوراً عليه دون ما سواه . لافاضلٌ ولا مقصّرٌ ، ولا مُشْتَرَكٍ ولا مُستغَلِّقٍ ، قد جمع خِصالَ البلاغة<sup>(١٢)</sup> ، واستوفى خلالَ المعرفة<sup>(١٣)</sup> .

(١) ما عدا مج ، ش : « توقفت » ، تحريف .

(٢) مج ، ش : « ولا متشعب » بالعين المعجمة .

(٣) ب ، م : « ولا متغالب ولا معاقب » ، ط : « ولا متغالب ولا متعاقب » ، وصوابهما

في مج ، ش .

(٤) الحز : « أراد به موضع الحز ، أي القطع . الفل : الكسر والضرب . ط : « يفل

الحد » ، مج ، ش : « تقل الحز » ، والوجه ما أثبت . وانظر البيان ١ : ١٤٧ . وقد ورد

هذا الفعل « تقل » وما يده من الأفعال في ب ، م ، ط بياض الغائب : والوجه أن تكون كلها

بناء الخطاب كما أثبت من مج ، ش .

(٥) ب ، فقط : « الملبس » .

(٦) مج ، ش : « حقه من المعنى » .

(٧) م : « يصيح » ، صوابه في سائر النسخ .

(٨) ب : « بالتغريب » ، ط : « بالتقريب » ، صوابه من سائر النسخ .

(٩) ط فقط : « ما أغرق » .

(١٠) ط فقط : « وأسرها » .

(١١) الرِيض : الذي بدئ في رياضته . وانظر البيان ١ : ٢٠٣ . ط : « المريض » تحريف .

(١٢) ما عدا مج ، ش : « وقد جمع خصاؤك البلاغة » ، والوجه ما أثبت منهما .

(١٣) ب فقط : « خلاك المعرفة » .

فإذا كان الكلام على هذه الصفة ، وألّف على هذه الشريطة ، لم يكن اللفظ أسرع إلى السمع من المعنى إلى القلب ، وصار السامع كالقائل ، والمتعلّم كالعلم ، وخفت المؤنة واستغنى عن الفكرة ، وماتت الشبهة وظهرت الحجّة ، واستبدلوا بالخلاف وفاقاً ، وبالمجازبة موادعة ، وتهنّئوا بالعلم<sup>(١)</sup> ، وتقنّعوا ببررّ اليقين ، واطمأنّوا بثلج الصدور ، وبأنّ المنصف من المعاند ، وتميّز الناقض من الوافر ، وذُلّ الخطل<sup>(٢)</sup> وعزّ المحصل ، وبدت عورة المَبطل ، وظهرت براءة المُحقّق .

وقلت : والنّاس وإنّ قالوا في الحسّن : كأنّه طاقة رِيحان ، أو خُوط آس<sup>(٣)</sup> ؛ وكأنّه قَصيب خَيْران ، وكأنّه غُصن بان ، وكأنّه رمح رُدَيْنيّ ، وكأنّه صفيحة يَمَانِ<sup>(٤)</sup> ، وكأنّه سيف هُنْدوانيّ ، وكأنّه جانّ ، وكأنّه جدل عنان<sup>(٥)</sup> ؛ فقد قالوا : كأنّه المُشترى ، وكانّ وجهه دينار هرقلّي . وما هو إلّا البحر ، وما هو إلّا الغيث . وكأنّه الشمس ، وكأنّها دارة القمر<sup>(٦)</sup> ، وكأنّها الزّهرة ، وكأنّها دُرّة ، وكأنّها غمامة ، وكأنّها مهابة<sup>(٧)</sup> .

(١) ما عدا مج ، ش : « ورهبوا بالعلم » .

(٢) الخطل : العجل الأحمق . ب ، م : « ودل الخطل » بالبدال المهملة ، صوابه في سائر

النسخ .

(٣) الخوط ، بالضم : الغصن الناعم ، أو الغصن لسنة . والآس : ضرب من الرياحين ، وخضرته دائمة أبداً ويسمو حتى يكون شجراً عظيماً ، الواحدة آسة .. مج ، ش ، : « وكأنّه خوط بان » .

(٤) الصفيحة : وجه كل شيء عريض ، كوجه السيف أو اللوح أو الحجر . واليمنيّ : السيف المنسوب إلى اليمن . ب ، م ، ط : « صحيفة يمان » تحريف . وفي مج ، ش : « صفيحة يمانية » .

(٥) يعني ما جدل من الأعتة ، سماه بالمصدر . وانظر الحيوان ٦ : ٢٦٢ ورسائل الجاحظ

٢ : ١٢١ . ما عدا مج ، ش : « جدل عيان » تحريف .

(٦) ب ، م : « وكأنّه دارة القمر » .

(٧) ط فقط : « وكأنّه الزهرة » ، « وكأنّه غمامة ، وكأنّه مهابة » .

وقد نراهم<sup>(١)</sup> وصفوا المستدير والعريض بأكثر مما وصفوا القضيض الطويل<sup>(٢)</sup> .

وقلت : ووجدنا الأفلاك وما فيها ، والأرض وما عليها ، على التدوير دون التطويل ، كذلك<sup>(٣)</sup> الورق والحَبُّ ، والثَّمَر والشجر .

وقلت : والرَّمح وإن طال<sup>(٤)</sup> فإن التدوير عليه أغلب<sup>(٥)</sup> ؛ لأنَّ التدوير قائم فيه مُوصَّلاً ومُفصَّلاً<sup>(٦)</sup> ، والطَّوَل لا يوجد فيه إلاَّ مُوصَّلاً<sup>(٧)</sup> . وكذلك الإنسان وجميع الحيوان .

وقلت : ولا يوجد التربيع إلاَّ في المصنوع دون المخلوق ، وفما أُكْرِهَ على تركيبه دون ما خُلِّيَّ وسَوِّمَ طبيعته<sup>(٨)</sup> .

وعلى أَنَّ كلَّ مُرَبَّعٍ<sup>(٩)</sup> ففي جوفه مدورٌ ، فقد بان المدور بفضلته<sup>(١٠)</sup> ، وشارك المطوَّل في حصَّته .

ومن العجب أَنَّك تزعم أَنَّك طويلٌ في الحقيقة ثم تحتجُّ للعرض والاستدارة ، وقد أضربتَ عما عند الله صفحاً<sup>(١١)</sup> ، ولَهَجْتَ بما عند النَّاسِ .

(١) ب فقط : « وقد نراه » .

(٢) القضاة : قلة اللحم ودقة العظم . م ، ط : « القضيض » ، صوابه في سائر النسخ .

(٣) ط فقط : « وكذلك » .

(٤) ما عدا مِج ، ش : « والريح وإن طالت » ، تحريف .

(٥) ما عدا مِج ، ش : « عليها أغلب » .

(٦) ما عدا مِج ، ش : « فيها » في هذا الموضع وتاليه ، تحريف . وفي مِج ، ش :

« موصولا ومفصلا » .

(٧) مِج ، ش : « إلا موصولا » .

(٨) سوم طبيعته ، بالفتح ، أي وفق طبيعته وهواها . ط فقط : « رسوم طبيعته » ،

تحريف . وقد ضبطت « سوم » في ش بضم السين وتشديد الواو المكسورة سهواً .

(٩) ما عدا مِج ، ش : « كل مرتفع » ، تحريف .

(١٠) م فقط : « بفصله » بالصاد المهملة .

(١١) يقال ضرب عنه صفحاً ، إذا أعرض ، كأنه ولاه صفحة وجهه . ب : « وقد

اضطربت » ، م ، ط : « وقد أضربت » ، صوابه في مِج ، ش .

فَأَمَّا حَوْرَ الْعَيْنِ فَقَدْ أَنْفَرَدْتَ بِحَسَنِهِ ، وَذَهَبْتَ بِبَهْجَتِهِ وَمِلْحِهِ ،  
إِلَّا مَا أَبَانَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الشُّكْلَةِ (١) فَإِنَّهَا لَا تَكُونُ فِي اللَّثَامِ ،  
وَلَا تُفَارِقُ الْكِرَامَ (٢) .

وَأَمَّا سَوَادُ النَّازِرِ وَحُسْنُ الْمَحَاجِرِ ، وَهَدَبُ الْأَشْفَارِ (٣) ، وَرَقَّةُ  
حَوَاشِي الْأَجْفَانِ ، فَعَلَى أَصْلِ عُنْصُرِكَ وَمَجَارِي أَعْرَاقِكَ (٤) .

وَأَمَّا إِدْرَاكَكَ الشَّخْصَ الْبَعِيدَ ، وَقِرَاءَتُكَ الْكِتَابَ الدَّقِيقَ وَنَقْشَ  
الْخَاتَمِ قَبْلَ الطَّابِعِ ، وَفَهْمُ الْمُشْكِلِ قَبْلَ التَّمَأُّلِ ، مَعَ وَهْنِ الْكَبِيرَةِ  
وَتَقَادُمِ الْمِيلَادِ ، وَمَعَ تَخَوُّنِ الْأَيَّامِ وَتَنْقُصِ الْأَرْمَانِ ، فَمَنْ تَوْتِيَا الْهِنْدَ ،  
وَلْتَرِكَ الْجَمَاعَ (٥) ، وَمَنْ الْجِئِمَةَ الشَّدِيدَةَ وَطُولَ اسْتِقْبَالِ الْخُضْرَةِ (٦) ،  
فَأَنْتَ يَا عَمٌّ حِينَ تُصْلِحُ مَا أَفْسَدَهُ الدَّهْرُ ، وَتَسْتَرْجِعُ مَا أَخَذْتَهُ الْأَيَّامُ ،  
لِكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

عَجُوزٌ تُرْجَى أَنْ تَكُونَ فَتِيَّةً (٧)

وَقَدْ لَحِبَ الْجَنْبَانَ وَاحْدَوَدَبَ الظَّهْرَ

تُدْسُ إِلَى الْعَطَّارِ سَلْعَةَ أَهْلِهَا وَلَنْ يُصْلِحَ الْعَطَّارُ مَا أَفْسَدَ الدَّهْرُ (٨)

(١) الشكلة ، بالضم : كهية الحمرة تكون في بياض العين . ب ، م : « المشكلة » ط :  
« المشاكلة » ، صوابهما في مع ، ش .

(٢) أنشد الجاحظ لهذا شاهداً في التريب والتدوير ٢٢ والحيوان ٣ : ٢٣٠ / ٥ : ٣٣٠ :

ولا عيب فيها غير شكلة عينها كذلك عناق الطير شكل عيونها

(٣) الهدب في أشفار العين : طول الشعر النابت على حروفها .

(٤) ما عدا مع ، ش : « وجائر أعراقتك » .

(٥) ما عدا مع ، ش : « فن توتياه الهند وترك الجماع » .

(٦) م ، ط : « الحضرة » بالحاء المهملة ، تحريف .

(٧) نسبهما المبرد في الكامل ١٧٦ إلى شيخ من الأعراب . وذكر أبو الحسن الأخفش في

حواشيه على الكامل بعدها بيتين من القصيدة نسبا في ديوان جران العود « إلى الرجال بن عزرة

ابن المختار . وفي عيون الأخبار ٤ : ٤٤ : « كانت لرجل من الأعراب امرأة عجوزة ،

وكانت تشتري العطر بالخبز ، فقال . « وأنشد البيتين . وانظر رسائل الجاحظ ٢ : ١٢٢ .

والتثليل والمحاضرة ٢١٩ . ط : « وقد يبس الجنان » .

(٨) الكلام بعده إلى « مريضاً موئساً » ساقط من ب .



وكيف أطمع<sup>(١)</sup> في نزوعك<sup>(٢)</sup> عن اللجاج وقد مَنَعْتَنِيهِ قبله<sup>(٣)</sup> .  
وكيف أرجو إقرارك جهراً وقد أبيتته سراً<sup>(٤)</sup> ، وكيف تجود<sup>(٥)</sup> به  
صحيحاً مطمئناً وقد بَخِلْتَ به مريضاً مؤسباً .

وكيف يرجو خيرك من رآك تُطَاوِلُ أبا جعفرٍ وتُحَاسِنُهُ<sup>(٦)</sup> ، وتنافره  
وتراهنه ، ثم لا تفعلُ ذلك<sup>(٧)</sup> إلا في المحافل العظام ، وبحضرة كبار  
الحكّام ، ثم تستغربُ ضحكاً من طمعه فيك<sup>(٨)</sup> ، وتعجبُ الناس من  
مجاتته لك<sup>(٩)</sup> .

وأشهد لك بعد هذا أنك ستحاسن<sup>(١٠)</sup> عمراً الجاحظ وتُعاقله<sup>(١١)</sup> ،  
ثم تظارفه وتُطَاوِلُهُ<sup>(١٢)</sup> ، وتتغنى<sup>(١٣)</sup> مع مُخَارِقٍ ، وتنكر فضل  
زَيْزَبِ<sup>(١٤)</sup> ، وتستجمل النَّظَامَ ، وتستغيب<sup>(١٥)</sup> قيس بن زهير ، وتستخفُّ

(١) م ، ط : « يطعم » .

(٢) م : « تروعك » ، صوابه في سائر النسخ .

(٣) كذا في مج ، ش . وفي م : « وقد سمعه قبل اللجاج » وفي ط : « وقد سقيته قبل

المجاج » .

(٤) م ، ب : « وقد أبيتته سراً » ، صوابه في مج ، ش .

(٥) م فقط : « يجود » تحريف .

(٦) ب ، م : « وتُحَاسِنُهُ » ، وفي سائر النسخ : « تخاشنه » ، والوجه ما أثبت ، وهو مفاعلة  
من الحسن .

(٧) كلمة « ثم » من مج ، ش فقط . ب : « لا تعقل » م : « لا يعقل » ، صوابها  
في سائر النسخ .

(٨) ب فقط : « من طعمة فيك » .

(٩) ما عدا مج ، ش : « من محاولته لك » ، تحريف .

(١٠) ب ، م : « ستحاشن » ، وفي سائر النسخ : « ستخاشن » ، والوجه ما أثبت .

(١١) أراد تباريه في العقل . ما عدا مج ، ش : « وتغافله » .

(١٢) مفاعلة من الظرف والطول . ما عدا مج ، ش : « ثم تطارقه » وفي م : « ثم تطارقه

وتتطاوله » .

(١٣) مج ، ش : « وتغنى » .

(١٤) ذكره الجاحظ في رسالة الجد والهزل ، مقروناً بالمهارة في الشطرنج . رسائل الجاحظ

١ : ٢٦٦ . وفي مج ، ش : « فضل زرزور »

(١٥) ب ، م : « وتستغنى » ، صوابه في سائر النسخ .

الأحنف بن قيس<sup>(١)</sup> وتبارز علي بن أبي طالب ، ثم تخرج من حد الغلبة إلى حد المراء<sup>(٢)</sup> ، ومن حد الأحياء<sup>(٣)</sup> إلى حدود الموتى .

هذا وليس لك مساعد ، ولا معك شاهد واحد ، ولا رأيت أحداً يقف في الحكم عليك<sup>(٤)</sup> ، أو ينتظر تحقيق دعواك ؛ ولا رأيت منكراً يُخليك من التائب ، ولا مؤنباً يُخليك من الوعيد ، ولا موعداً يُخليك من الإيقاع ، ولا موعداً يترثي لك ، ولا شافعاً يشفع فيك .

يا عم ، لم تحمُلنا على الصدق ؟ ولم تجرِّعنا مرارة الحق ؟ ولم تعرضنا لأداء الواجب ؟ ولم تستكثر من الشهود عليك ؟ ولم تحمل الإخوان على خلاف محبتهم فيك ؟

اجعل بدل ما تجني على نفسك أن تجني على عدوك ، وبدل ما يضطر الناس أن يصدقوا فيك أن تضطرهم إلى أن يمسكوا عنك .

ولا بد - يرحمك الله - لمن فاته الطول من أن يلقى بيده<sup>(٥)</sup> ، إنما يقول<sup>(٦)</sup> خلاف ما يجده في نفسه . فوالله إنك لجيد الهامة<sup>(٧)</sup> ، وفي ذلك خلف لحسن القامة<sup>(٨)</sup> .

وإنك لحسن الخط ، وفي ذلك عوض<sup>(٩)</sup> من حسن اللفظ . وإنك

(١) وكان الأحنف معروفاً بالحلم .

(٢) المراء والمهارة : المخالفة والجدال .

(٣) ب ، م : « العنك » ، ط : « الفتك » ، وأثبت ما في مج ، ش .

(٤) ما عدا مج ، ش : « اتفق في الحكم عليك » .

(٥) مج ، ش : « من أن يلقى بيده إلى الهلكة » .

(٦) مج ، ش : « أو أن يقول » .

(٧) ب فقط : « لجيد الهامة » ، تحريف .

(٨) مج ، ش : « خلف من حسن القامة » .

(٩) ب ، م : « وإنك لعوض » ، تحريف . ط : « وذلك عوض » . وأثبت ما في مج ،

لَتَجِدُ مَقَالًا<sup>(١)</sup> ، وَإِنَّكَ لَتُعَدُّ خِصَالًا . فَقُلْ مَعْرُوفًا فَإِنَّا مِنْ أَعْوَانِكَ ،  
وَأَقْتَصِدْ فَإِنَّا مِنْ أَنْصَارِكَ . وَهَاتِ فَإِنَّكَ لَوْ أَسْرَفْتَ لَقَلْنَا قَدْ أَقْتَصَدْتَ ،  
وَلَوْ جُرْتَ لَقَلْنَا قَدْ اهْتَدَيْتَ<sup>(٢)</sup> ، وَلَكِنَّكَ تَجِيءُ بِشَيْءٍ ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ  
يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا<sup>(٣)</sup> ﴾ .  
لو غششناك لساعدناك ، ولو نافقناك لأغريتناك .

### ٣ - فصل

وقد كنتُ - أطال الله بقاءك - في الطُّولِ زاهدًا ، وعن القصرِ  
راغبًا<sup>(٤)</sup> ، وكنتُ أمدحُ المربعَ وأحمدُ الاعتدالَ . ولا واللهِ لن يقومَ خيرُ  
الاعتدالِ بشرُّ قِصرِ العُمُرِ ، ولا جمالُ المربعِ بما يَفُوتُ من منفعةِ العلمِ .  
فَأَمَّا الْيَوْمَ فَيَا لَيْتَنِي<sup>(٥)</sup> كُنتُ أَقْصَرَ مِنْكَ وَأَضْوَى ، وَأَقْلَ مِنْكَ  
وَأَقْمًا<sup>(٦)</sup> .

وليس دُعائِي لك بطولِ البقاءِ طلبًا للزيادة<sup>(٧)</sup> ، لكن<sup>(٨)</sup> على  
جهةِ التَّعبُدِ والاستِكانةِ ، فَإِذَا سَمِعْتَنِي أَقُولُ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ فَهَذَا الْمَعْنَى  
أَرِيدُ ، وَإِذَا رَأَيْتَنِي أَقُولُ لَا أَخْلَى اللَّهُ مَكَانَكَ فإِلى هَذَا الْمَعْنَى أَذْهَبُ .

(١) ما عدا مِج ، ش : « وإنا لنجد مقالا » .

(٢) جار عن الطريق يجور ، إذا مال وضل . ب ، م : « حرت » بالخاء المهملة ، صوابه  
في سائر النسخ .

(٣) الآية ٩٢ من سورة مريم .

(٤) ب ، م : « وعن القصور راغبًا » .

(٥) ب ، م : « فبالشيء » ط : « بما فليتني » ، صوابهما في مِج ، ش .

(٦) أقمًا : تسهيل أقمًا من القماءة ، وهي صغر الجسم . وكتبت في م ، ط : « أقمي » ،

وهو مذهب جائز في الرسم . وفي مِج ، ش : « وأوهي » .

(٧) م فقط : « للزيارة » . وكلمة « طلبًا » ساقطة بما عدا مِج ، ش .

(٨) ب : « لا لكن » م ، ط : « لكن » ، وأثبت ما في مِج ، ش .

وقد زعموا ، جُعِلت فِدَاءك ، أَنْ كُلَّ ما طال عمرُهُ من الحيوان زائِدٌ في شِدَّة الأركان ، وفي طُول العمر وصِحَّة الأبدان ، كالوَرشَان والضُّباب وحُمُر الوَحش ، وكلِّحَم النَّسر لمن أَكله ، ولحَم الحِيَّة لمن استحلَّه فإذا كان هذا حقاً<sup>(١)</sup> وكان نافعاً ، وكنتَ له مستعملاً وفيه متقدِّماً ، وتراه رأياً ، أَخَذنا منه بنصيب ، وتعلَّقنا منه بسبب .

وفيك أَمران غريبان ، وشاهدانِ بديعان : جواز الكَوْنِ والفسادِ عليك ، وتعاوُرُ النقصانِ والزيادةِ إِيَّاك . وجوهركِ فلَكِي وتركيبكِ أَرْضِي . فمَنكَ طولُ البقاء ، ومَعَكَ دليلُ الفناء . وَأنتَ علَّةٌ للمتضادِّ<sup>(٢)</sup> وسببٌ للمتنافي . وما ظنُّكَ بخلْقٍ لا تضرُّه الإحالة ، ولا يُفسدُه التناقض .

#### ٤ - فصل

جُعِلتُ فداك ، قد شاهدتَ الإنسَ منذ خلقوا ، ورأيتَ الجنَّ قبلَ أن يُخجَبوا ، ووجدتَ الأشياءَ بنفسك خالصةً ومزوجةً ، وأغفلاً وموسومةً<sup>(٣)</sup> ، وسالمةً ومدخولةً ، فما يخفى<sup>(٤)</sup> عليك الحجَّةُ من الشُّبهة ، ولا السَّقَمُ من الصِّحة ، ولا المُمكنُ من الممتنع ، ولا المستغلقُ من المُبهِم ، ولا النَّادرُ من البديع ، ولا شِبهُ الدَّلِيلِ من الدَّلِيلِ .

وعرَفتَ علامةَ الثِّقة من علامةِ الرِّيبة ، حتَّى صارت الأقسامُ عندك محصورةً ، والحدودُ محفوظةً ، والطبِّقاتُ معلومةً ، والدُّنيا بحذافيرها

(١) مع ، ش : « هذا الأمر حقاً » .

(٢) م فقط : « للمتضارب » .

(٣) ما عدا مع ، ش : « وأغفلاً موسومة » ، تحريف . فإن الأغفال مالايسة عليها ،

والموسومة : ذوات النبات ، وهي العلامات .

(٤) ط فقط : « فما تخفى » بالتاء .

مصوّرة . ووجدت السبب كما وجدت المسبّب ، وعرفت الاعتلال كما عرفت الاحتجاج ، وشاهدت العلل وهي تولّد ، والأسباب وهي تُصنّع ، فعرفت المصنوع من المخلوق ، والحقيقة من التّمويه .

### ٥ - فصل

إِنَّكَ<sup>(١)</sup> - جُعِلْتُ فداكَ - كما أَنَّكَ لم تكن فكنت ، فكذا لا تكون<sup>(٢)</sup> بعد أن كنت . وكما زدت في الدّهر الطويل فكذا تنقص في الدّهر الطويل . وكلُّ طويل فهو قصير ، وكل متناهٍ فهو قليل . فإيّاك أن تظنَّ أَنَّكَ قديمٌ فتكفّر ، وإيّاك أن تنكر أَنَّكَ مُحدّث فتشرك ؛ فإنّ للشيطان في مثلك أطماعاً لا يصيبها في سيواك ، ويجد فيك عللاً لا يجدها في غيرك<sup>(٣)</sup> .

### ٦ - فصل

وقد علمت . أنّ الخبر إذا صحَّ أصله وكان للناسِ علّةٌ في نشئه ، كان في الدلالة على الحقِّ كالعيان ، وفي الشّفاء<sup>(٤)</sup> كالسماع .

على أنّ الخبر لا يُعرف به تكيّف الأمور<sup>(٥)</sup> ولكن تُعرف به جُمَلُ الأشياء ، إلّا خبرك فإنّك لا تحتاج إلى إشارة ولا إلى علّة ، ولا إلى

(١) ما عدا مع ، ش : « أنا » ، تعريف .

(٢) ب فقط : « لا يكون » ، تعريف .

(٣) ما عدا مع ، ش : « غليلاً لا يجدها في غيرك » ، تعريف .

(٤) ب : « في الشفا » ط : « في الشفاء » ، وأثبت ما في سائر النسخ .

(٥) ب ، م : « فكيف » ، صوابه في ط ، مع ، ش وهامش م .

تفسير (١) حتى يقوم خبرك في الشفاء (٢) وفي كيفية الشيء (٣) مقام العيان .

وقد كنت أتعجب من محمد بن عبد الملك (٤) وأقول : ما يقولون في رجل لم يقل قطُّ بعد انقضاء خصومته وذهاب خصمه : لو كنت قلتُ كذا (٥) كان أفضل ، أو كنت لم أقلُ كذا كان أمثل ! فما بال عَفْوِهِ أَكْثَرَ مِنْ جَهْدِكُمْ ، وبليته أبعَدُ مِنْ أَقْصَى فِكْرَتِكُمْ ؟ !  
فلما رأيتك علمتُ أنك عذابُ صبه الله تعالى على كلِّ رفيع ، ورحمةُ أنشأها الله لكلِّ وضع .

فخبرني عما جرى (٦) بينك وبين هرْمَسَ في طبيعة الفلّك ، وعن سماعك من أفلاطون ، ومادار بينك وبين أرسطاطليس (٧) ، وأي نوع اعتقدت وأي شيء اخترت ؟ فقد أبت نفسي غيرك ، وأبت أن تتشقى (٨) إلا بخبرك .

ولولا أنني كلفُ برواية الأقاويل ، ومُغْرَمٌ بمعرفة الاختلاف وأنني لا أستجيز (٩) مسألتك عن كلِّ شيء ، وابتدألك في كلِّ أمر ، لما سمعتُ من أحدٍ سواك ، ولما انقطعتُ إلى أحدٍ غيرك .

(١) ما عدا مج ، ش : « إلى نفس » .

(٢) ب : « في الشفاء » ، ط : « في الشفاء » ، وأثبت ما في سائر النسخ .

(٣) م فقط : « وفي كيفية إقامة الشيء » .

(٤) ما عدا مج ، ش : « من عبد الملك » .

(٥) ما عدا مج ، ش : « لو قلت كذا » .

(٦) ما عدا مج ، ش : « فخبرني ما جرى » .

(٧) ب فقط : « أرسطوطيلس » .

(٨) ب : « وأنت أن تشقى » م : « وآيت أن تشقى » ، صوابها في ط ، مج ، ش .

(٩) ب : « وأنى لأستجيز » ط : « وأنى أستجيز » ، صوابها في م ، مج ، ش .

اعلم ، جُعِلْتُ فِدَاكَ ، أَنَّى لَمْ أُرِدْ بِمَزَاحِكَ إِلَّا أَنْ أَضْحِكَ سِنِّكَ ،  
ولا كانت غاييتي فيك إِلَّا لِأَنْفُقَ عِنْدَكَ . وقد كنتُ خفتُ أَنْ لا أَكُونَ  
وقفتُ على حدِّهِ<sup>(١)</sup> ، وأشفقتُ من المجاوزة لقدره .

والمزاح بابٌ ليس المخوفُ فيه التقصير ، ولا يكون الخطأُ فيه من  
جهة النقصان . وهو بابٌ متى فَتَحَهُ فَاتِحٌ ، وطَرَّقَ لَهُ مَطْرُقٌ<sup>(٢)</sup> ، ولم  
يملك من سدِّهِ [مِثْلُ<sup>(٣)</sup>] الذي يملك من فَتْحِهِ ، ولم يَخْرُجْ بِقَدْرِ ما كان  
قدَّم من نفسه<sup>(٤)</sup> ، لِأَنَّهُ بابٌ أَصْلُ بِنَائِهِ على الخطأ ، ولا يخالطه من  
الأخلاق إِلَّا ما سَخُفَ . وَمِنْ شَأْنِهِ التزيد ، وَأَنْ يكون صاحِبُهُ قليل  
التحفظ .

ولم نَرَ شيئاً أبعدَ من شيءٍ<sup>(٥)</sup> ولا أطولَ له صُحْبَةً<sup>(٦)</sup> ولا أَشَدَّ خِلافاً  
ولا أَكثَرَ له خُلُطَةً ، من الجِدِّ والمَزَاح ، والمناظرة [والمراء]<sup>(٧)</sup> .

فإن كنتُ لم أَقْصِرَ عن الغاية ، ولم أَتَجَاوَزْ حَدَّ النِّهَايَةِ فِيمَا أَعْرَفُ  
من يُؤْمِنُ مَكَامَتِكَ ، وَبِرَّكَ مَكَاتِبَتِكَ ، وَمِنْ حَسَنِ تَقْوِيمِكَ<sup>(٨)</sup> وجوده  
تثقيفك . وَإِنْ كنتُ أَخْطَأْتُ الطَّرِيقَ ، وَجَاوَزْتُ المِقْدَارَ ، فما كان  
ذلك عن جهلٍ بِفَضْلِكَ ، ولا إنكارٍ لِحَقِّكَ ، وَلَكِنْ حَدودَ الأَشْيَاءِ  
إِذَا خَفِيتُ ، وَمَقَادِيرَهَا إِذَا أَشْكَلتُ ، ولم يكنْ مع النَّاظِرِ فِيهَا مِثْلُ

(١) ما عدا مع ، ش : « وقعت على حدِّهِ » .

(٢) م : « أو طرَّق له مطرُق » .

(٣) التكلمة من مع ، ش .

(٤) مع ، ش : « في نفسه » .

(٥) ما عدا مع ، ش : « من شر » ، تحريف .

(٦) ما عدا مع ، ش : « ولا أبعد له صحبة » ، ولكن في م : « صحبة » .

(٧) التكلمة من مع ، ش .

(٨) ب ، ط : « تقويمك » ، صوابه في سائر النسخ .

تمامك ، ولا مع المتكلف لها<sup>(١)</sup> مثل كمالك ، دَخَلَ عليه من الخَلَل بقدر عَجْزِه ، وسَلِمَ منه بقدر نَفَازِهِ . نَعَمْ ولو كان من العلماء الموصوفين ، ومن الأدباء المذكورين .

[ومن<sup>(٢)</sup>] المزاح - جعلت فداك - باب مَكْرُ وجنسُ خُدَعِ<sup>(٣)</sup> يتكَل المرء<sup>(٤)</sup> في إِسَاعَتِه إلى جليسه ، واستماعِه لصديقه على أن يقول «مَزَحْتُ» ، وعلى أن يقول عند المحاكمة: «عَبَيْتُ<sup>(٥)</sup>» ، وعلى أن يقول : مَنْ يَغْضَبُ من المَزَاح إِلَّا كَرُّ الخَلْقِ ؟ ! ومن يَرِغِب عن المفاكَهة إِلَّا ضَيَّقَ العَطَنَ ؟ !

وبعد فمتى أَعَدَّتِ النفسُ عذراً كانت إلى القبيح أسرع ، ومتى لم تُعَدَّهُ<sup>(٦)</sup> كانت عنه أبطأ .

ومن أسباب الغلط فيه ومن دواعي الخطأ إليه أن كثيراً ممن تُمازحه<sup>(٧)</sup> يضحك وإن كنت أغضبتَه ، ولا يقطع مزاحك وإن كنت قد أوجعته . فَإِنْ حَقَّدَ فِي الحَقْدِ الدَّاءَ ، وَإِنْ عَجَلَ فذلك البلاء . فَإِنْ قلت : فما أَدخلك في شيءٍ هذه سَبِيلُهُ<sup>(٨)</sup> ، وهكذا جوهره وطريقه ؟ قلت : لأنني حين أمنتُ عقابَ الإساءة ، ووثقت بشوابِ

(١) ط فقط : « بها » .

(٢) التكلمة من م ، مج ، ش .

(٣) ب : « باب مكر جنس خدع » م ، ط : « نكد وجنس خدع » ، صوابهما في

مج ، ش .

(٤) ب فقط : « المرء » ، تعريف .

(٥) مج ، ش : « لعبت » .

(٦) ما عدا مج ، ش : « ومتى لم تجده » .

(٧) ب : « يمازحه » ، تعريف .

(٨) السبيل : الطريق ، مذكر ويؤنث . وفي الكتاب العزيز : « قل هذه سبيل أدعو إلى

الله على بصيرة » . م فقط : « هذا سبيله » .



الإحسان ، وعلمت أنك لا تقضي إلا على العمد<sup>(١)</sup> ، ولا تعذب<sup>(٢)</sup> إلى على القصد ، صار<sup>(٣)</sup> الأمن سائقاً ، والأمل قائداً .  
 وأى عملٍ أردُّ ، وأى متجرٍ أربحُ مما جمَعَ السلامة والغنيمة ، والأمنَ والمثوبة .

ولو كان هذا ذنباً كنت شريكى فيه ، ولو كان تقصيراً لكنت سببى إليه ، لأنَّ دوام التغافلِ شبيهٌ بالإهمال ، وتركَ التعريف يورث الإغفال ، والعفو الشائع والبشر الدائم يؤمنان من المكافأة<sup>(٤)</sup> ، ويذهبان بالتحفظ ؛ ولذلك قال عُيينة بن حصنٍ لعثمان بن عفان : «عمر كان خيراً لى منك ، أرهبنى<sup>(٥)</sup> فاتقانى ، وأعطانى فأغنانى» .

فإن كنت اجترأت عليك فلم اجترىء<sup>(٦)</sup> عليك إلا بك<sup>(٧)</sup> ؛ وإن كنت أخطأت فلم أخطيء عليك<sup>(٨)</sup> إلا لك ؛ لأنَّ حسنَ الظنِّ بك والثقة بعفوك<sup>(٩)</sup> سببٌ إلى قلة التحفظ<sup>(١٠)</sup> ، وداعيةٌ إلى ترك التحرز<sup>(١١)</sup> .

(١) م ، ط : « لا تقتص » ب : « لا تقصص » صوابها في مج ، ش . وفي ط : « إلا على العهد » ، تحريف .

(٢) ما عدا مج ، ش : « ولا تقرب » ، تحريف .

(٣) ب : « سار » ط : « ترى » ، صوابها في سائر النسخ .

(٤) ب : « المكافات » ، تحريف .

(٥) ب : « رهبنى » م ، ط : « رهبنى » ، صوابها في مج ، ش . وفي المعارف لابن قتيبة ١٣٢ : « فإنه أعطانا فأغنانا ، وأخشاننا فاتقانا » . وفي أسد الغابة ٢٠٥٥ في ترجمة عيينة : « ونزوح عثمان بن عفان ابنته ، فدخل عليه يوماً فأغلظ له ، فقال له عثمان : « لو كان عمر ما أقدمت عليه بهذا . فقال : إن عمر أعطانا فأغنانا ، وأخشاننا فاتقانا » .

(٦) ب فقط : « فلم اجتر » .

(٧) ما عدا مج ، ش : « إلا به » .

(٨) عليك ، ليست في مج ، ش . وفي م : « فلم أخط » وفي ط : « فلم أخطأ » وكلاهما صحيح . يقال خطيء يخطأ ، وأخطأ يخطئ ، ويسهل المضارع منهما فيجزم بحذف الألف أو الياء .

(٩) ب فقط : « والشفقة » ، تحريف .

(١٠) ط فقط : « قلة في التحفظ » .

(١١) م ، ط : « التجوز » .

وبعدُ فَمَنْ وَهَبَ الكَبِيرَ كيفَ يَقِفُ عندَ الصَّغِيرِ <sup>(١)</sup> ، ومن لَمْ يَزَلْ يَعْفو عن العمد <sup>(٢)</sup> كيف يعاقب على السُّهُو ؟ !

ولو كان عِظْمُ قَدْرِي هو الذى عِظَمَ ذَنْبِي لكان عِظْمُ قَدْرِي هو الذى شَفَعَ لِي . ولو استَحَقَّقْتُ عِقَابَكَ بإِقْدَامِي عَلَيْكَ مع خَوْفِي لَكَ <sup>(٣)</sup> لاسْتَوْجَبْتُ <sup>(٤)</sup> عَفْوَكَ عن إِقْدَامِي عَلَيْكَ بحسْنِ ظَنِّي بِكَ <sup>(٥)</sup> .

على أَنِّي متى أَوْجَبْتُ لَكَ العفو فقد <sup>(٦)</sup> أَوْجَبْتُ لَكَ الفضل ، ومتى أَضَفْتُ إِلَيْكَ العِقَابَ فقد وَصَفْتُكَ بِالْإِنْصَافِ . ولا أَعْلَمُ حَالَ الفَضْلِ إِلَّا أَشْرَفَ من حالِ العَدْلِ ؛ والحالُ التى توجب لَكَ الشُّكْرَ إِلَّا أَرْفَعَ من الحالِ التى توجب لَكَ الصَّبْرَ <sup>(٧)</sup> .

وإن كنتَ لا تَهَبُ عِقَابِي لِحُرْمَتِي فَهَبْهُ لِأَيَادِيكَ عِنْدِي ؛ فَإِنَّ النُّعْمَةَ تَشْفَعُ فِي النُّعْمَةِ <sup>(٨)</sup> .

فإن لم تفعل ذلك للحُرْمَةِ فافعلهُ لِحُسْنِ الأَحْدُوْثَةِ <sup>(٩)</sup> ، وَعُدْ إِلَى حُسْنِ العَادَةِ . وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ لِحُسْنِ العَادَةِ فَانْتَ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ .

واعلم أَنِّي وَإِيَّاكَ متى تَحَاكَمْنَا إِلَى كَرَمِكَ قُضِيَ لِي عَلَيْكَ ، ومتى ارْتَفَعْنَا إِلَى عَدْلِكَ حَسُنَ العفو عَنِّي عِنْدَكَ .

(١) م : « يعف عن الصغير » ب ، ط : « يعف عند الصغير » ، صوابهما في مج ، ش .

(٢) ب ، م : « ولئن لم يزل يعفو العمد » ، صوابه في سائر النسخ .

(٣) ش فقط : « منك » .

(٤) م : « لاستجبت » ، تحريف .

(٥) ما عدا م ، ط : « لحسن ظني بك » .

(٦) التكلمة من مج ، ش .

(٧) بعده في بعض نسخ ش : « ولا الحال التي توجب لك الصبر إلا أرفع من الحال التي

توجب العذر » .

(٨) ش فقط : « في النعمة » .

(٩) م ، ط : « لحب الأحدثوة » .

وَفَضَّلُ<sup>(١)</sup> ما بيننا وبينك ، وَفَرَّقُ ما بَيْنَ أقدارنا وقدرِكَ<sup>(٢)</sup> ،  
 أَنَا نُسِيءُ وَتَغْفِرُ ، وَنُذْنِبُ وَتَسْتُرُ ، وَنَعْوَجُ وَتُقَوِّمُ ، وَنَجْهَلُ وَتُعَلِّمُ ؛  
 وَأَنَّ عَلَيْكَ الإِنْعَامَ وَعَلَيْنَا الشُّكْرُ . وَمِنْ صِفَاتِكَ أَنْ تَفْعَلَ<sup>(٣)</sup> وَمِنْ  
 صِفَاتِنَا أَنْ نَصِفَ .

وإذا فعلت ما تقدر عليه من العقاب كنت كمن فعل ما يقدر عليه  
 من التعرض ، وصرت ترغب عن الشكر كما رغبتنا عن السلم<sup>(٤)</sup> ، وصار  
 التعرض لعفوك بالأمن باطلاً ، والتعرض لعقابك بالخوف حقاً ،  
 ورغبت عن النبيل والبهاء ، وعن السؤدد والسنا ، وصرت كمن يشفي  
 غيظاً أو يُداوي حقداً ، أو يظهر القدرة أو يحب أن يُذكر بالصولة .

ولم نجدهم - أبقاك الله - يحمدون القدرة إلا عند استعمالها في  
 الخير ، ويذمون العجز إلا لما يفوت به من إتيان الجميل .

وأنتى لك بالعقاب وأنت خير كلك ، ومن أين اعتراك المنع وأنت  
 أنهجت الجود لأهله<sup>(٥)</sup> . وهل عندك<sup>(٦)</sup> إلا ما في طبعك ، وكيف لك  
 بخلاف عادتك ؟ فلم تستكره نفسك على المكافأة وطباعها الصفح<sup>(٧)</sup> ؟  
 ولم تكدها بالمناقشة ومدبها المسامحة<sup>(٨)</sup> ؟

(١) ب ، م : « وفضل » بالضاد المعجمة .

(٢) م ، ط : « قدرنا وقدرك » .

(٣) ب فقط : « تنفل » ، تحريف .

(٤) ش : « التسليم » .

(٥) أراد بين طريقه ومنهاجه . والفعل بهذا المعنى لم يرد في المعاجم المتداولة .

(٦) ما عدا م ، ش : « وهل عنك » ، تحريف .

(٧) م : « وطباع الصفح » ، تحريف . وفي م ، ش : « وطباعك الصفح » . وأثبت

ما في ب ، ط .

(٨) بالمناقشة ، من إحدى نسخ ش . وفي سائر النسخ : « المنافسة » . والمناقشة :

استقصاء الحساب . ما عدا م ، ش : « زومدها الساحة » .

سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ أَخْلَاقَكَ وَفَقَّ أَعْرَاقَكَ ، وَفِعْلَكَ وَفَقَّ عَمَلَكَ ،  
وَمَنْ جَعَلَ ظَنِّكَ أَكْثَرَ مِنْ يَقِينِنَا <sup>(١)</sup> ، وَفِرَاسَتَكَ أَثْقَبَ مِنْ عِيَانِنَا <sup>(٢)</sup> ،  
وَعَفْوِكَ أَرْجَحَ مِنْ جُهْدِنَا ، وَبِدَاهَتِكَ أَجْوَدَ مِنْ تَفَكُّرِنَا ، وَفِعْلَكَ أَرْفَعَ مِنْ  
وَصْفِنَا ، وَغَيْبَتِكَ أَهْيَبَ مِنْ حَضُورِ السَّادَةِ <sup>(٣)</sup> ، وَعَتَبِكَ <sup>(٤)</sup> أَشَدَّ مِنْ  
عِقَابِ الظَّلْمَةِ .

وَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَكَ تَعْفُوَ عَنِ التَّمَعُّدِ ، وَتَتَجَافَى عَنِ عِقَابِ الْمُصِيرِ <sup>(٥)</sup> ،  
وَتَتَغَافَلُ عَنِ الْمُنَاوِي <sup>(٦)</sup> وَتَصْفَحُ عَنِ الْمَتَهَاوِنِ <sup>(٧)</sup> حَتَّى إِذَا صُرْتَ  
إِلَى مِنْ ذَنْبِهِ نَسِيَانٌ <sup>(٨)</sup> وَتَوْبَتُهُ إِخْلَاصٌ ، وَهَفْوَتُهُ بِكْرٌ ، وَشَفَاعَتُهُ  
الْحُرْمَةُ <sup>(٩)</sup> وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الشُّكْرَ إِلَّا لَكَ ، وَالْإِنْعَامَ إِلَّا مِنْكَ ، وَلَا الْعِلْمَ <sup>(١٠)</sup>  
إِلَّا مِنْ تَأْدِيبِكَ ، وَلَا الْأَخْلَاقَ إِلَّا مِنْ تَقْوِيمِكَ ، وَلَا يَقْصُرُ <sup>(١١)</sup> فِي بَعْضِ  
طَاعَتِكَ إِلَّا لَمَّا رَأَى مِنْ أَحْتِمَالِكَ ، وَلَا نَسِيَ بَعْضَ مَا يَجِبُ لَكَ إِلَّا لَمَّا  
دَاخَلَهُ مِنْ تَعْظِيمِكَ - صِرْتَ تَتَوَعَّدُهُ بِالصَّرْمِ <sup>(١٢)</sup> وَهُوَ دَلِيلُ كُلِّ بَلِيَّةٍ ،  
وَتَسْتَعْمَلُ الْإِعْرَاضَ وَهُوَ قَائِدُ كُلِّ هَلَكَةٍ .

وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ عِتَابَكَ أَشَدُّ مِنَ الصَّرِيمَةِ ، وَأَنَّ تَأْنِيبَكَ أَغْلَظُ مِنَ

(١) ش : « أقوى من يقيننا » .

(٢) أثقب : أضوأ وأفخذ . وهذا ما في م ، وفي سائر النسخ : « أقوى من عياننا » .

(٣) ما عدا مج ، ش : « الشاكة » . والسادة : جمع سيد .

(٤) ما عدا مج ، ش : « وعيتك » ، تحريف .

(٥) ط فقط : « عذاب المصير » .

(٦) من المناوأة ، وهي المعادة . م ، ط : « المنادى » تحريف . مج ، ش : « المبادئ » ،

وأثبت ما في ب .

(٧) م ، ب : « التهادن » ، صوابه في سائر النسخ .

(٨) ما عدا مج ، ش : « شيان » .

(٩) م ، ط : « وشفعتها الحرمة » مج ، ش : « وشفيعه حرمة » ، وأثبت ما في ب .

(١٠) ب : « والعلم » بإسقاط « لا » .

(١١) مج ، ش : « ومن لا يقصر » .

(١٢) ما عدا مج ، ش : « صرت تتعود » . ط فقط : « بالصد » .

العقوبة ، وَأَنْ مَنَعَكَ إِذَا مَنَعْتَ فِي وَزْنِ إِعْطَانِكَ إِذَا أُعْطِيتَ ، وَأَنْ  
عِقَابَكَ عَلَى حَسَبِ ثَوَابِكَ ، وَأَنْ جَزَعِي مِنْ حِرْمَانِكَ فِي وَزْنِ سُورِي  
بِفَوَائِدِكَ ، وَأَنْ شَيْنَ غَضَبِكَ كَرِّينِ رِضَاكَ<sup>(١)</sup> ، وَأَنْ مَوْتَ ذِكْرِي  
بَانْقِطَاعِ سَبَبِي مِنْكَ كَحَيَاةِ ذِكْرِي مَعَ اتِّصَالِ سَبَبِي بِكَ .

وما لي<sup>(٢)</sup> [اليوم عملٌ أنا إليه أسكنُ ، ولا شفيعٌ أنا به أوثقُ ، من  
شدة جزعي من عتبك ، وإفراط هَلْعِي من خَوْفِكَ . ولستَ مَنَّ إِذَا  
جَادَ بِالصَّفْحِ وَمَنَّ بِالْعَفْوِ لَمْ يَكُنْ لِصَاحِبِهِ مِنْهُ إِلَّا السَّلَامَةَ وَالنَّجَاةُ  
مِنَ الْهَلَكَةِ . بل تَشْفَعُ ذَلِكَ بِالْمَرَاتِبِ الرَّفِيعَةِ ، وَالْعَطَايَا الْجَزِيلَةِ ،  
وَالعِزِّ فِي الْعَشِيرَةِ ، وَالهِيبَةِ فِي الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ، مَعَ طَيْبِ الذِّكْرِ وَشَرَفِ  
العُقْبِ<sup>(٣)</sup> ، وَمَحَبَّةِ النَّاسِ<sup>(٤)</sup> .

وَأَمَّا ذِكْرِي القَدِّ وَالخَرْطِ ، وَالطُّوْلَ وَالعَرَضَ ، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ فِي  
ذَلِكَ<sup>(٥)</sup> مِنَ التَّنَازَعِ ، وَالتَّشَاجُرِ وَالتَّنَافُرِ<sup>(٦)</sup> ، فَإِنَّ الْكَلَامَ قَدْ يَكُونُ فِي  
لِغْظِ الجِدِّ وَهُوَ مِزَاحٌ<sup>(٧)</sup> .

ولو استعمل الناس الدِّمَاءَةَ فِي كُلِّ حَالٍ ، وَالجِدَّ فِي كُلِّ مَقَالٍ ،  
وَتَرَكُوا التَّسْمِيحَ وَالتَّسْهِيلَ وَعَقَدُوا فِي كُلِّ دَقِيقٍ وَجَلِيلٍ<sup>(٨)</sup> ، لَكَانَ

(١) الزين : الحسن . ما عدا مج ، ش : « كدم رضاك » .

(٢) التكله من ط ، مج ، ش .

(٣) العقب ، بالضم : العاقبة . وفي كتاب الله : « هو خير ثواباً وخير عقباً » .

(٤) مج ، ش : « ومحبة النفس » .

(٥) ب ، م : « وبيننا وبينك في ذلك » بسقوط « ما » .

(٦) مج ، ش : « والتحاكم والتنافر »

(٧) مج ، ش : « في لفظ الجد ومعناه معنى الهزل ، كما يكون في لفظ الهزل ومعناه معنى

الجد » .

(٨) مج ، ش : « وعقدوا أعناقهم في كل دقيق وجليل » .

الشرُّ صُراحاً خيراً لهم ، والباطلُ محضاً أَرَدَّ عليهم . ولكنَّ لكلِّ شيءٍ  
قَدْرٌ ، ولكلِّ حالٍ شِكْلٌ . فالضَّحِكُ في موضعه كالْبُكَاءِ في موضعه ،  
والتبسُّمُ في موضِعِهِ كالتقُوبِ في موضعه . وكذلك المنعُ والبذلُ ،  
والعقابُ والعَفْوُ ، وجميعُ القبضِ والبسطِ .

فإنَّ ذمناً المِزاحَ ففيه لعمري ما يُدَمُّ ، وإنَّ حميدناه ففيه ما يُحمدُ .  
وَفَضْلٌ <sup>(١)</sup> ما بينه وبين الجِدِّ أَنَّ الخطأَ إلى المِزاحِ أسرع ، وحالُه بحالِ  
السُّخْفِ أشبه . فأمَّا أن يُدَمَّ حتَّى يكون كالظُّلمِ ، ويُنفَى <sup>(٢)</sup> حتَّى يصير  
كالغَدْرِ فَلَا <sup>(٣)</sup> ؛ لأنَّ المِزاحَ مما يكون مرَّةً حسناً ومرَّةً قبيحاً . فإذا صيرنا  
إلى الجِدِّ <sup>(٤)</sup> ، ورغبتنا عن الهُزْلِ وتركنا المِزاحَ ، وجلسنا للحُكْمِ <sup>(٥)</sup> ،  
فقد أغناكَ اللهُ تعالى عن الحُجَّةِ ، كما سلَّمكَ من الشبهة ، ولم نكلِّفكَ  
الاحتِجَاجَ كما نرغب بك عن الاعتِلالِ <sup>(٦)</sup> ، فأصبحتَ لا محتِجاً  
ولا مَحجوجاً ، ولا غُفلاً ولا موسوماً ، ولا ملُوماً ولا معذوراً <sup>(٧)</sup> ،  
ولا فيك اختلافٌ ولا بك حاجةٌ إلى الائتلافِ .

وليس مع العِيانِ وَحْشَةٌ ، ولا مع الضَّرورةِ وَجَمَةٌ <sup>(٨)</sup> ، ولا دونِ  
اليقينِ وقفةٌ .

(١) ب فقط : « وفضل » .

(٢) ما عدا مج ، ش : « ويبق » .

(٣) ب ، م : « كلا » ، صوابه في سائر النسخ .

(٤) مج ، ش : « فإذا ملنا إلى الجِدِّ » .

(٥) مج ، ش : « للحكمة » .

(٦) مج ، ش : « ولم يكلفك الاحتِجَاجَ كما نرغب بك عن الاعتِلالِ » .

(٧) ب : « وملوماً » بإسقاط « لا » . وفي م : « ولا ملوماً ولا معذولاً » .

(٨) الوجعة من الوجوم ، وهو السكوت على غيظ أوهم أو كآبة . ب فقط : « وجعة » .

وهل في تمامك ريب <sup>(١)</sup> حتى يُعالج بالحجة ؟ وهل يَرُدُّ فضلك  
جاحد <sup>(٢)</sup> حتى يُثبِتَ بالبينة <sup>(٣)</sup> .

وهل لك خَصْمٌ في العلم أو نِدٌّ في الفهم <sup>(٤)</sup> ، أو مُجَارٍ في الحِلْمِ ،  
أو ضدٌّ في العزم <sup>(٥)</sup> ؟

وهل يَبْلُغُكَ الحَسَدُ أو تَضْرُكُ العَيْنُ <sup>(٦)</sup> ، أو تَسْمُو إِلَيْكَ المُنَى أو  
يطمَعُ فَيْكَ طامع <sup>(٧)</sup> ، أو يتعاطَى شَأوْكَ باغ ؟

وهل غايةُ الجميلِ إِلَّا وَضْفُكَ ، وهل زَيْنُ البليغِ إِلَّا مدْحُكَ ، وهل  
يَأْمُلُ الشريف <sup>(٨)</sup> إِلَّا اصطناعَكَ ؟ وهل يَقْدِرُ الملهوفُ إِلَّا غِيَاثَكَ <sup>(٩)</sup> ؟  
وهل للطلّابِ غايةٌ سِوَاكَ ؟ وهل للغَوَانِي مَثَلٌ غيرَكَ ؟ وهل للماتِحِ <sup>(١٠)</sup>  
رَجَزٌ إِلَّا فَيْكَ ، وهل يَحْدُو الحادِي إِلَّا بَكَ <sup>(١١)</sup> ؟

ولولا أَنْ يَأْخُذَ الواصفُ لك بنصيبه منك ، وبخصته من الصّدق <sup>(١٢)</sup> ،

(١) ما عدا مع ، ش : « وهل فيك ريب » .

(٢) ب : « ماد » ، م ، ط : « حاد » ، صوابهما في مع ، ش .

(٣) ب ، م : « حتى تثبت بالصيغة » ط : « حتى تثبت بالصيغة » صوابهما في مع ، ش .

(٤) ما عدا مع ، ش : « أو يد في الفهم » تحريف . والند ، بالكسر : النظر والمثيل .

(٥) الهجاري : الشبيه ، وأصله من يجرى مع غيره . ما عدا مع ، ش : « أو مجاز »

تحريف .

(٦) مع ، ش : « وهل يتبلغك الحسد » . ب ، م : « أو يضرك العين » .

(٧) ما عدا مع ، ش : « طاغ » ، تحريف .

(٨) ب ، م : « يؤمل » .

(٩) مع ، ش : « وهل يرجو الملهوف إلا غياثك » .

(١٠) كانوا يرجزون عند المتح ، وهو الاستقاء من أهل البئر . ما عدا مع ، ش : « وهل

للإدح » ، تحريف .

(١١) ش : « أو هل » ، مع ش : « إلا بذكرك » .

(١٢) ش : « من الصّدق فيك » .

وبسهمه من الشكر<sup>(١)</sup> لك، لكان الإطنابُ عندهم في وصفك لغوًا، وكان تكلفه فضلًا .

ومن هذا الذي يَضَعُه<sup>(٢)</sup> أن يكون دونك ، أو يُهَجَى بالتَّسْلِيمِ<sup>(٣)</sup> ، ولم نَعُدْ<sup>(٤)</sup> إقراره إحساناً ، وخُضوعه إنصافاً ؟

وهل تقع الأبصار إلا عليك ، وهل تُصْرَفُ الإشارةُ إلا إليك<sup>(٥)</sup> ؟

وأى أمرِك ليس بغايةٍ ، وأى شئٍ منك ليس في النهاية ؟ وهل فيك شئٌ يَفُوقُ شيئاً أو يفوقه شئٌ ؟ أو يقال : لو لم يكن كذا لكان [ أحسن<sup>(٦)</sup> ] ، أو لو كان كذا لكان أتمَّ ؟

وأيّن الحُسْنُ الخالِصُ والجمالُ الفائقُ ، والمِلْحُ المخضُ والحلاوةُ التي لا تستحيل ، والتَّمامُ الذي لا يُحْيِلُ<sup>(٧)</sup> ، إلا فيك ، أو عندك . أو لك أو معك ؟

لا بل أين الحُسْنُ المُضْمَتُ والجمالُ المفردُ . والقَدُّ العجيبُ ، والمِلْحُ المنشور والفضلُ المشهور ، إلا لك وفيك ؟

وهل على ظهرها جميلٌ حسيبٌ أو عالمٌ أديب<sup>(٨)</sup> إلا وظلُّك أكبر

(١) ما عدا مج ، ش : « وشيمته من الشكر » .

(٢) ط : « نضفه » .

(٣) ب : « أو تهجى بالتسليم » ، تحريف صوابه في م ، ط . وى مج ، ش : « ويمتحن بالتسليم لك » .

(٤) ما عدا مج : « أو تعد » .

(٥) ب ، م : « وهي تعرف الإشارة إلا إليك » ، وأثبت ما في ط . عل أن هذه الفقرة بتمامها لم ترد في نسخ الترتيب والتدوير .

(٦) التكلة من مج ، ش .

(٧) ط فقط : « لا يحيل » .

(٨) مج : « أو عالم أديب » ب ، ط ، م : « وعالم أديب » . وأثبت ما في ش .

والأريب : العاقل ذو الدهاء .



من شخصه ، وظنك أكثر من علمه ، واسمك أفضل من معناه ، وحلمك أثبت من نجواه ؟

ولربما رأيت الرجل حسناً جميلاً ، وجلواً مليحاً ، وعتيقاً رشيقاً ، وفخماً نبيلاً<sup>(١)</sup> ، ثم لا يكون موزون الأعضاء ولا معتدلاً الأجزاء .

وقد تكون<sup>(٢)</sup> أيضاً الأقدارُ متساويةً غير متقاربة ولا متفاوتة<sup>(٣)</sup> ويكون قصداً ، ومقداراً عدلاً ، وإن كانت هناك دقائق خفية لا يراها الغبي<sup>(٤)</sup> ، ولطائف غامضة لا يعرفها إلا الذكي .

فأما الوزن المتحقق<sup>(٥)</sup> ، والتعديل الصريح ، والتركيب الذي لا يفضحه التفرس ، ولا يحصره التعنت<sup>(٦)</sup> ، ولا يتعلل جادبه<sup>(٧)</sup> ، ولا يطمع في التمويه ناعته<sup>(٨)</sup> ، فهو الذي خصصت به دون الأنام ، ودام لك على الأيام .

وكذا الحُسن إذا كان حراً مُرسلاً ، وعتيقاً مُطلقاً<sup>(٩)</sup> ، لا يتحكم

(١) الفخم : العظيم القدر . وفي حديث أبي هالة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان «فخماً مفخماً» ، أى عظيماً مطلقاً في الصدور والعيون . ما عدا مع ، ش : « وفخياً نبيلاً » ، ولم تعرف المعاجم الفخم .

(٢) ب فقط : « وعده يكون » .

(٣) التكلة من مع ، ش .

(٤) مع ، ش : « إلا الأملى » .

(٥) ب : « التحقيق » م : « التحقق » مع ، ش : « المحقق » ، وأثبت ما في ط .

(٦) ما عدا مع ، ش : « التغبب » .

(٧) الجادب : العائب . قال ذو الرمة :

فيا لك من خسد أسيل ومنطق رخيم ومن خلق تعملل جادبه

يقول : لا يجد فيه مقالا ولا عيباً يعيبه به ، فيتعملل بالباطل وبالشيء يقوله وليس بعيب .

ما عدا مع : « جاذبه » بالذال المعجمة ، تحريف .

(٨) ما عدا مع ، ش : « غايته » ، تحريف .

(٩) ب فقط : « وعتقاً مطلقاً » ، تحريف .

عليه الدهر<sup>(١)</sup> ، ولا يُدبِّله الزمان<sup>(٢)</sup> ، ولا يحتاج إلى تعليق التمام ،  
ولا إلى الصون والكين ، ولا إلى المنقاش والكحل<sup>(٣)</sup> .

ولو لم يكن لحسن وجهك إلا أنه قد سهل في العيون سهيلاً ،  
وحبب إلى القلوب تحبيباً ، وقرب إلى النفوس تقريباً ، حتى امتزج  
بالأرواح وخالط الدماء ، وجرى في العروق وتمشى في العظم بحيث  
لا يبلغه السم ولا الوهم<sup>(٤)</sup> ، ولا السور الشديد ، ولا الشراب  
الرقيق ، لكان في ذلك الزينة الظاهرة ، والفضيلة البينة .

ولو لم يكن لك إلا أننا لا نستطيع أن نقول في الجملة ، وعند  
الوصف والمِدحة : هو أحسن من القمر<sup>(٥)</sup> ، وأضوأ من الشمس ،  
وأبهى من العيث ، وأحسن من يومِ الحلية<sup>(٦)</sup> ؛ وأنا لا نستطيع أن  
نقول في التفاريق : كأن عنقه إبريقُ فِصَّة ، وكأنَّ قدمه لسانُ حية ،  
وكانَّ وجهه ماوية<sup>(٧)</sup> ، وكانَّ بطنه قبطية<sup>(٨)</sup> ، وكانَّ ساقه برديّة<sup>(٩)</sup> ،  
وكانَّ لسانه ورقة ، وكانَّ أنفه حدسيف ، وكانَّ حاجبه خطُّ بقلم<sup>(١٠)</sup> ،  
وكانَّ لونه الذهب ، وكانَّ عوارضه البرد ، وكانَّ فاه خاتم ، وكانَّ

(١) ما عدا مج ، ش : « الدهن » .

(٢) ما عدا مج ، ش : « ولا يدبِّله الزمان » .

(٣) المنقاش : آلة النقش ، والمراد به ما ينتف به الشعر ، مج ، ش : « المناقش » .

(٤) مج ، ش : « السم ولا الوهم » . والسر : الحكايات التي يسمر بها ليلاً .

(٥) ط ، مج ، ش : « هو أحسن من القمر » .

(٦) يوم الحلية : يوم الزينة في الأعياد ونحوها . مج ، ش : « يوم الحلبة » بالباء  
الموحدة .

(٧) الماوية : المرأة . مج ، ش : « وكان عينه » .

(٨) القبطية ، بالضم : ثياب من كتان مصر بيض رفاق . ط : « قنطية » تحريف .

(٩) البردية ، بالفتح : واحدة البردى ، وهو نبت مائي معروف يضرب به المثل في  
في النضاضة واللين .

(١٠) ب ، م : « تعلم » تحريف . في ط : « قلم » وأثبت ما في مج ، ش .

جبينه هلال . وهو أظهر من الماء ، وأرق طباعاً من الهواء ، وهو أمضى من السيل ، وأهدى من النجم - لكان في ذلك البرهان النير ، والدليل البين .

وكيف لا تكون كذلك وأنت الغاية في كل فضل ، والمثل في كل شكل . وأما قول الشاعر<sup>(١)</sup> :

يزيدك وجهه حسناً إذا مازدته نظراً

وقول الدمشقيين : ما تأملنا قط تأليف مسجدنا ، وتركيب محرابنا وقبة مصلانا إلا أثار لنا التأمل ، واستخرج لنا التفرس ، غرائب حسن لم نعرفها<sup>(٢)</sup> ، وعجائب صنعة لم نقيت عليها . وما ندرى أجواهر مقطعاته أكرم في الجواهر ، أم تنضيد أجزائه في تنضيد الأجزاء<sup>(٣)</sup> ؟ فإن ذلك معنى مسروق منى في وصفك ، ومأخوذ من كتبى في مدحك .

والجملة التي تننى الجدال ، وتقطع القيل والقال ، أنى لم أرك قط إلا ذكرت الجنة ، ولا رأيت أجمل الناس في عقب رؤيتك ! إلا ذكرت النار !

ولا تعجب أيها السامع واعلم أنى مقصر . وإذا رأيت علمت أنى مقصر . وإذا رأيت علمت أنى فيما يجب له مفرط .

هو رجل طينته حرة ، وعرقه كريم ، ومغرسه طيب ، ومنشؤه

(١) هو أبو نواس . ديوانه ١٢٥ ودلائل الإحصاء ١٩٤ ومعاهد التنصيص ١ : ٢٨ وديوان المعاني ١ : ٣٣١ .

(٢) ط فقط : « التفرس بين غرائب حسن لم نعرفها » ، تحريف .

(٣) ب فقط : « تنضيد » ، محرقة . وفي ش : « في تنضيدات الأجزاء » . وفي مج : « أمجواهر تنضيدات أجزائه في تنضيدات الأجزاء » .

محمود ، غُدِيَّ فِي النَّعْمَةِ<sup>(١)</sup> ، وعاش في الغبطة ، وأزَهَقَهُ التَّأْدِيبُ ،  
ولَطَفَهُ طَوْلُ التَّفْكِيرِ<sup>(٢)</sup> ، وخامرُهُ الأَدَبُ ، وجرى فيه ماءُ الحِياءِ .  
فأَفْعَالُهُ كَأَخْلَاقِهِ ، وَأَخْلَاقُهُ كَأَعْرَاقِهِ . وعادته كطبيعته ، وآخِرُهُ كَأَوَّلِهِ ،  
تحكى اختياراته التَّوْفِيقَ ، ومذاهبه التَّسْديدَ . لا يَعْرِفُ التَّكْلُفَ ،  
ويرغَبُ عَنِ التَّجَوُّزِ<sup>(٣)</sup> ، وينبُلُ عَنِ تَرْكِ الإِنْصَافِ<sup>(٤)</sup> . لا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ  
مَعْرِفَةُ المُبْهَمِ<sup>(٥)</sup> ، ولا يُلْحَجُّ بِاسْتِبانَةِ المُشْكَلِ<sup>(٦)</sup> . ولا يَعْرِفُ الشُّكَّ  
إِلَّا فِي غَيْرِهِ ، ولا العِيَّ<sup>(٧)</sup> إِلَّا سَماعاً .

فمن يطمع في عَيْبِكَ<sup>(٨)</sup> . بل من يطمع في قدرك . وكيف وقد  
أصبحتَ وما على ظهرها خَوْدٌ<sup>(٩)</sup> إِلَّا تَعَثَّرَ بِاسْمِكَ<sup>(١٠)</sup> ، ولا قَيْنَةٌ إِلَّا وهى  
تَغْنَى عَمْدُوكَ<sup>(١١)</sup> ، ولا فتاةٌ إِلَّا تشكو تباريحَ حَبِّكَ<sup>(١٢)</sup> ، ولا محجوبةٌ

- (١) ب فقط : « غدى » ، تحريف . مج ، ش : « بالنعمة » .  
(٢) مج : « وألطفه طول التفكير » ش . : « وألطفه طول الفكرة » .  
(٢) ما عدا مج ، ش : « التجرد » .  
(٤) كلمة « ترك » من مج ، ش فقط ، وفي ب : « عن الأوصاف » . م ، ط : « عن  
الإنصاف » .  
(٥) ب ، م : « لا يمتنع عليه معروفه المبهم » صوابه في سائر النسخ .  
(٦) يقال حج عليه الخبر تلحيجاً ، إذا خلطه عليه وأظهر غير ما في نفسه . ب ، م ، ط :  
« ينجح باستبانته المشكل » ، تحريف . وفي مج « ولا يلتجج باستبانة المشكل » .  
(٧) ما عدا مج ، ش : « ولا ألغى » بالعين المعجمة ، تحريف .  
(٨) ما عدا مج ، ش : « في عينك » ، بالنون .  
(٩) الخود ، بفتح الخاء : الشابة الناعمة الحسنه الخلق . ب ، م : « جود » . ط :  
« جواد » ، صوابها في مج ، ش .  
(١٠) مج ، ش : « إلا وهى تعثر باسمك » ، أراد يعثرها الاضطراب لتقع في العثار .  
(١١) ما عدا مج ، ش : « إلا وهى تبني » ، وفي ط أيضاً : « تمدحك » .  
(١٢) ب : « إلا وتشكو » م : « ولا فتاة تشكو إلا تباريح حبك » ، وأثبت ما في ط .  
وفي مج ، ش : « إلا وهى تشكو تباريح حبك » .

إِلَّا وَهِيَ تَنْقُبُ الخُرُوقَ لِمَرْكٍ <sup>(١)</sup> ، وَلَا عَجُوزٌ إِلَّا وَهِيَ تَدْعُو لَكَ ،  
وَلَا غَيُورٌ إِلَّا وَقَدْ شَقِيَ بِكَ <sup>(٢)</sup> .

فَكِمَ مِنْ كَبِدِ حَرَّى <sup>(٣)</sup> مُنْضَجَةٍ ، وَمَصْدُوعَةٍ مَفْرُتَةٍ <sup>(٤)</sup> . وَكِمَ  
حِشًا <sup>(٥)</sup> خَافِقٍ وَقَلْبٍ هَائِمٍ ، وَكِمَ عَيْنٍ سَاهِرَةٍ <sup>(٦)</sup> وَأُخْرَى جَامِدَةٍ <sup>(٧)</sup>  
وَأُخْرَى بَاكِيَةٍ ؟ وَكِمَ عَبْرَى مَوْلَهَةٍ وَفَتَاةٍ مَعْدَبَةٍ ، قَدْ أَفْرَحَ قَلْبُهَا الحُزْنَ ،  
وَأَجْمَدَ عَيْنُهَا الكَمَدَ ، وَاسْتَبَدَلَتْ بِالْحَلَى العُطْلَةَ <sup>(٨)</sup> وَبِالْأُنْسِ الوَحْشَةَ ،  
وَبِالتَّكْحِيلِ المَرَّةَ <sup>(٩)</sup> ، فَاصْبَحَتْ وَالهَةَ مَبْهُوتَةً <sup>(١٠)</sup> ، وَهَائِمَةً مَجْهُودَةً ،  
بَعْدَ ظَرْفِ نَاصِعٍ <sup>(١١)</sup> ، وَسِنَّ ضَاحِكٍ ؛ وَبَعْدَ أَنْ كَانَتْ نَارًا تَتَوَقَّدُ  
وَشُعْلَةً تَتَوَهَّجُ .

وَلَيْسَ حُسْنُكَ - أَبْنَقَاكَ اللهُ - الحُسْنَ الَّذِي تَبَقِيَ مَعَهُ تَوْبَةٌ ، أَوْ  
تَصِحُّ مَعَهُ عَقِيدَةٌ <sup>(١٢)</sup> ، أَوْ يَدُومُ مَعَهُ عَهْدٌ <sup>(١٣)</sup> ، أَوْ يَثْبِتَ مَعَهُ عَزْمٌ .

(١) ط فقط : « تنقب » بالثاء المثلثة .

(٢) ب ، ط : « شق » بالفاء ، صوابه في سائر النسخ .

(٣) ب ، م : « حسوى » ، والصواب في سائر النسخ .

(٤) مفترئة : مفتة . ب : « ومعربة » م : « ومعربة » ط : « ومعذبة » ، صوابها

في مج ، ش .

(٥) ش فقط : « وكِمَ من حشا خافق » :

(٦) ش فقط : « وكِمَ من عين ساهرة » .

(٧) الجامدة : التي لا تدمع . مج فقط : « جاهدة » .

(٨) كذا في جميع النسخ . وفي المعاجم أن « العطلة » بالضم : اسم للعطل ، وهو خلو

المرأة من الخلق ، واخلو العامل من العمل .

(٩) المره : خلو العين من الكحل ، أو فسادها لتركه . والنعت أمره ومرهه .

(١٠) المبهوت : المتحيز ، والذي اختلته الدهشة .

(١١) الناصع : الخالص الظاهر . في الأصول : « طرف » بالمهمله ، صوابه بالفاء المعجمة .

(١٢) ب ، م : « أو يصح معه عقدة » ، صوابه في سائر النسخ .

(١٣) ب ، م : « عهدة » .

أَوْ يُمَهِّلُ صَاحِبَهُ لِتَثْبُتِ<sup>(١)</sup> ، أَوْ يَتَّسِعَ لِتَحْيِيرِ<sup>(٢)</sup> ، أَوْ يُنْهِنُهُ زَجْرَ<sup>(٣)</sup> ،  
أَوْ يَفِيدُهُ خَوْفَ<sup>(٤)</sup> . هُوَ - أَبْقَاكَ اللَّهُ - شَيْءٌ يَنْقُضُ الْعَادَةَ<sup>(٥)</sup> ،  
وَيَنْفَسِخُ الْمُنَّةَ ، وَيُعَجِّلُ عَنِ الرَّوِيَّةِ<sup>(٦)</sup> ، وَيَطْوِجُ بِالْعَزَاءِ<sup>(٧)</sup> ، وَيُنْسَى مَعَهُ  
العواقب .

ولو أدركك<sup>(٨)</sup> عمر بن الخطاب لَصَنَعَ بِكَ أَعْظَمَ<sup>(٩)</sup> مَّا صَنَعَ بِنَصْرِ  
ابن الحجاج<sup>(١٠)</sup> ، وَلَرَكِبَكَ بِأَعْظَمَ مَّا رَكَبَ جَعْدَةَ السَّلْمَى<sup>(١١)</sup> . بَلْ  
لِدَعَاةِ الشُّغْلِ بِكَ إِلَى تَرْكِ التَّشَاغُلِ بَهُمَا ، وَالغَيْظِ عَلَيْكَ إِلَى الرَّحْمَةِ لِهَمَا .

(١) مع ، ش : « التثبت » .

(٢) ب ، م : « أو يتسع » .

(٣) نهيه عن الأمر فضته : كفه وزجره فكف ، وأصلها نهيه ، بالتضمين ، فأبدلت  
الهاء الثانية نوناً . ما عدا مع ، ش : « أو ينيه » ، تحريف .

(٤) ب : « خوفاً » ، تحريف . ومع ، ش : « أو يهذه خوف » .

(٥) ط فقط : « ينقض المادة » ، تحريف .

(٦) المنة ، بالضم : القوة . روى في الأمر تروية : نظر وفكر ، والاسم الروية .

ب ، م : « عن الروية » ، صوابه في سائر النسخ .

(٧) مع ، ش : « ويطرح » ب فقط : « بالمرى » .

(٨) ب ، م : « أدرك » .

(٩) ط فقط : « أحسن » ، ووجهها « أغشن » .

(١٠) ط فقط : « حجاج » . وهو نصر بن الحجاج بن علاط السلمى . وكان قد عشقت

فريمة بنت همام ، أم الحجاج بن يوسف ، وهى إذ ذاك تحت المغيرة بن شعبة ، فرعر  
ابن الخطاب ذات ليلة فسمعها تقول :

ألا سبيل إلى خسر فأشربها  
أولا سبيل إلى نصر بن حجاج

فحير عمر نصرأ إلى البصرة ، فنزل على مجاشع بن مسعود فمشق أمرأته شيلة وعشقتة ،  
وعرف مجاشع ذلك فأخرجيه من منزله ، فنزل على بعض السلميين فرض من حبا مرضأ شديداً  
فتنثل به أهل البصرة فقالوا : « أدنف من المتنى » . كما قيل « أصب من المتنية » ، وهى فريمة  
بنت همام . جهرة الأمثال ١ : ٥٨٨ والميداني ١ : ٣٧٩ والمستقصى ١١٩ .

(١١) أدرك جمدة هذا زمان الجاهلية ، وكان غزلا صاحب نساء يحدثن ويمازهن ،  
فكن يهتمن عنده ، فيأخذ المرأة فيقلها ثم يأمرها بأن تمشى ، فتمتر فتقع فتكشف ، فيتباحن  
من ذلك ، ففاه عمر من المدينة إلى عمان . الإصابة ١٢٨٥ .

فمن كان عيب حُسْنِهِ <sup>(١)</sup> الإفراط ، [والظمن <sup>(٢)</sup>] عليه من جهة الزيادة ، كيف يرومه عاقلٌ أو يَنْتَقِضَهُ عالم .

وما نَدْرِي <sup>(٣)</sup> في أيِّ الحالين أنت أجمل ، وفي أيِّ المنزلتين أنت أكمل ، إذا فرّقناك أو إذا جمعناك <sup>(٤)</sup> ، وإذا ذكرنا كَلْكَ <sup>(٥)</sup> أم إذا تأملنا بعضك ؟

فأما كَفْكَ فهي التي لم تُخَلَقْ إِلَّا للتقبيل والتوقيع ، وهي التي يَحْسُنُ بِحُسْنِهَا كُلُّ ما اتَّصَلَ بها ، ويختال بها كُلُّ ما صار فيها <sup>(٦)</sup> .

وكما أصبَحْنَا وما ندرى : الكَأْسُ التي <sup>(٧)</sup> في يدك أجملُ أم القلمُ ، أم الرُمح الذي تحمله أم المَخْصَرَةُ ، أم العِنانُ الذي تمسكه ، أم السُّوطُ الذي تطلقه ؟

وكما أصبَحْنَا وما ندرى أيُّ الأمور المتصلة برأسك أحسنُ ، أم أيُّها أجمل وأشكل : آلَلَمَّةٌ أم مَخَطُّ اللُّحْيَةِ <sup>(٨)</sup> ، أم الإكليلُ أم العِصَابَةُ ، أم العِمَامَةُ أم القِنَاعُ أم القَلَنْسُوَّةُ ؟

وأما قدّمك فهي التي يَعْلَمُ الجاهلُ كما يعلم العالمُ ، ويعلم البعيد

(١) ب ، م : « حبه » بالباء .

(٢) التكلة من مِج ، ش .

(٣) ب ، م : « وما يدرى » .

(٤) هذا ما في مِج . وفي ب ، م ، ط : « وإذا جمعناك » . والذي في ش : « إذا فرّقناك

أم إذا تأملنا بعضك » . بهذا النقص .

(٥) م ، ط : « ذكرناك كلك » . ويعله في مِج : « أو إذا تأملنا بعضك » .

(٦) ب ، م : « ويختال » بالمهملة ، صوابه في سائر النسخ . وفي ب ، م : « كل من

صار فيها » ، تحريف .

(٧) م ، ط : « الذي » ، صوابه في ب فإن الكأس مؤنثة . وفي مِج ، ش : « الكأس

في يدك » .

(٨) مخط الحية : خطوطها وهيئة خرطها . م ، ط : « مخط الحية » ، تحريف .

الأقصى كما يعلم القريب الأدنى ، أنها<sup>(١)</sup> . لم تُخْلَقْ إِلَّا لِتَنْبِيهِ عَظِيمٍ ،  
أَوْ رِكَابِ طَرْفِ كَرِيمٍ .

وَأَمَّا فُوكٌ<sup>(٢)</sup> فَهُوَ الَّذِي لَا نَدْرِي : أَيُّ الَّذِي تَنْفُوهُ<sup>(٣)</sup> بِهِ أَحْسَنُ ،  
وَأَيُّ الَّذِي يَبْدُو مِنْهُ أَجْمَلٌ<sup>(٤)</sup> : الْحَدِيثُ أَمِ الشَّعْرُ . أَمِ الْاِحْتِجَاجُ ، أَمِ  
الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ ، أَمِ التَّعْلِيمُ وَالْوَصْفُ ؟

وَعَلَى أَنْتَا لَا نَدْرِي أَيُّ أَلْسِنَتِكَ أَلْبَعُ . وَأَيُّ بَيَانِكَ أَشْفَى . أَقْلَمَكَ  
أَبْلَغُ أَمْ [حَطُّكَ ، أَمْ<sup>(٥)</sup>] لَفْظُكَ ؟ أَمْ إِشَارَتُكَ أَمْ عَقْدُكَ<sup>(٦)</sup> ؟ وَأَنْتَ فِي ذَلِكَ  
فَوْقَهُمْ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - وَوَاحِدُهُمْ : وَأَعْيِذُكَ بِاللَّهِ تَعَالَى<sup>(٧)</sup> .

وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ الْقَمَرَ ، وَهُوَ<sup>(٨)</sup> الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ الْأَمْثَالُ ، وَيُشَبَّهُ بِهِ  
أَهْلُ الْجَمَالِ ، يَبْدُو مَعَ ذَلِكَ ضَمِيلاً وَنِضْواً ، وَيُظْهِرُ مَعَوْجاً شَخْتاً<sup>(٩)</sup>  
وَأَنْتَ أَبَدًا قَمَرٌ بَدْرٌ . وَقَهْمٌ عَمْرٌ<sup>(١٠)</sup>

ثُمَّ مَعَ ذَلِكَ يَحْتَرِقُ فِي السَّرَّارِ<sup>(١١)</sup> ، وَيُتَشَاءُ بِهِ فِي الْمَحَاقِ ، وَيَكُونُ  
نَحْسًا كَمَا يَكُونُ سَعْدًا ، وَيَكُونُ ضَرًّا كَمَا يَكُونُ نَفْعًا ، وَيَقْرِيضُ

(١) ب م : « إلا بها » ، صوابها في سائر النسخ .

(٢) ما عداهم : ش : « فوك » .

(٣) ب فقط : « تنفوه » ، تحريف .

(٤) ط : « تبدأ به » ب : « تبدو به » م : « تبدو به » صوابه في مج ، ش .

(٥) التكلمة من مج ، ش .

(٦) العقد : ضرب من الحساب يكون بأصابع اليدين ، ويقال له حساب اليد أيضاً .

وفي الحديث أنه : « عقد عقد تحيين » . وقد ألفت فيه كتب وأراجيز . انظر الخرافة ٣ : ١٤٧

والحيوان ١ : ٣٣ والبيان ١ : ٧٦ .

(٧) بعنه في مج ، ش : « وأنت تجوز الغاية وتفوق النهاية » .

(٨) وهو ، ساقطة من ب ، وبدلها في مج ، ش : « هو » بدون واو .

(٩) ويظهر ، ساقطة من ب ، م . والشخت : الدقيق الضئيل .

(١٠) ش : « ويجر نمر » . ط : « وفخم دمر » ، والذمر : بالكسر ، الشجاع ، والغرورف

الليب المعوان . وأما النمر ، بالفتح ، فهو الواسع الخلق الكثير المعروف .

(١١) السرار : بكسر السين وفتحها : آخر ليلة في الشهر ، وفيها يستنمر القمر .



الكَثَّانِ ، وَيُشَجِّبُ الْأَلْوَانَ <sup>(١)</sup> ، وَيَخْمُ فِيهِ اللَّحْمَ <sup>(٢)</sup> . وَأَنْتَ دَائِمٌ  
الْيُمْنُ ، ظَاهِرُ السَّعَادَةِ ، ثَابِتُ الْكَمَالِ ، شَائِعُ النَّفْعِ ، تَكْسُو مَنْ أَعْرَاهُ .  
وَتُكْنَى مِنْ أَشْجَبِهِ <sup>(٣)</sup> .

وَعَلَى أَنَّهُ مَحَقَّ حُسْنَهُ الْمَحَاقِ <sup>(٤)</sup> ، وَشَانُهُ الْكَلْفَ . وَلَيْسَ بِنَدَى  
تَوْقُدٍ وَاشْتِعَالٍ ، وَلَا خَالِصٍ وَلَا مُتَلَأْتِيٍّ ، وَيَعْلُوهُ بَرْدٌ <sup>(٥)</sup> وَيَكْسِفُهُ ظِلٌّ <sup>(٦)</sup> .  
ثُمَّ لَا يُعْتَبَرُ ذَلِكَ إِلَّا عِنْدَ كَمَالِهِ ، وَلَيْلَةٌ فَخْرِهِ وَاحْتِفَالِهِ .

وَكَثِيرًا مَا يَعْتَرِيهِ الصُّفَارُ <sup>(٧)</sup> مِنْ بُخَارِ الْبَحَارِ . وَأَنْتَ ظَاهِرُ  
النَّمَامِ ، دَائِمُ الْكَمَالِ ، سَلِيمُ الْجَوْهَرِ ، كَرِيمُ الْعُنْصُرِ ، نَارِيُّ التَّوْقُدِ ،  
هُوَائِيُّ الدَّهْنِ <sup>(٨)</sup> بَرِيُّ اللَّوْنِ <sup>(٩)</sup> . رُوحَانِيُّ الْبَدَنِ .

وَإِنْ احْتَجَّوْا عَلَيْكَ لَهُ بِالْجَزْرِ وَالْمَدِّ ، احْتَجَّجْتَ عَلَيْهِمْ بِالْحَلْمِ  
وَالْعِلْمِ ، وَبِأَنَّ طَاعَتَكَ اخْتِيَارٌ ، وَطَاعَتَهُ طِبَاعٌ وَاضْطِرَارٌ <sup>(١٠)</sup> ، وَبِأَنَّ لَهُ سِيرَةَ

(١) لم أجد في المعاجم إلا « شجب » اللازم . والشحوب : تغير اللون ، والهزال .

(٢) خم يخم بكسر عين المضارع وفتحها ، خمًا وخومًا : أذن . ط ، م : « ويختر » ، ووجه  
هذه « يختر » بالنون والزاي ، خبز اللحم أيضاً : فسد وأذن .

(٣) ما عدا مج ، ش : « شجة » .

(٤) المحاق بفتح المير وضمها : ليال ثلاث في آخر الشهر . ب ، م : « المحوق » ،

تعريف .

(٥) ش فقط : « يعلوه النغم » .

(٦) ب ، م : « وتكسفه ظل » . وفي مج ، ش : « ويكسوه ظل الأرض » . والكسوف  
والخسوف مشتركان بين الشمس والقمر ، وإن كان الخسوف في القمر أكثر والكسوف في  
الشمس أغلب .

(٧) الصفار : بالضر : صفرة تملو اللون والبشرة . اللسان ( صفر ١٣٤ ) .

(٨) ما عدا مج ، ش : « هوأى الدهر » .

(٩) برى : مسهل برى ، وبرامة اللون : صفاؤه ونقاؤه . مج ، ش : « درى اللون »

(١٠) الطباع ، ككتاب ، والطبع والطبيعة ، كلها بمعنى السجية يجبل عليها الإنسان وغيره

ط فقط : « طبع » . وانظر الحيوان ٢ : ١٣١ / ٤ : ٤٥٢ / ٥ : ٤٨ ورسائل الجاحظ

قد قَصَرَ عليها ، وَمَنَازِلَ لَا يُجَاوِزُهَا ، وَلَا يُمَكِّنُهُ الْبَدَوَاتُ <sup>(١)</sup> ، وَلَيْسَ فِي قُوَاهُ فَضْلٌ لِلتَّصَرُّفِ <sup>(٢)</sup>

عَلَى أَنْ ضِيَاءَهُ مُسْتَعَارٌ مِنَ الشَّمْسِ ، وَضِيَاؤُكَ عَارِيَةٌ عِنْدَ جَمِيعِ الْخَلْقِ <sup>(٣)</sup> . وَكَمْ بَيْنَ الْمُعِيرِ وَالْمُسْتَعِيرِ ، وَالْمُتَّبِعِ وَالْمُتَحَيِّرِ ، وَبَيْنَ الْعَالَمِ وَمَا لَا خَيْرَ فِيهِ .

تُعِيرُ نَسِيمَ الْهَوَاءِ طَيْباً <sup>(٤)</sup> ، وَتُرَابَ الْأَرْضِ عَبَقاً .

إِنْ تَفْتَيْتَ فَالرُّشَاقَةَ وَالْمِلْحَ <sup>(٥)</sup> ، وَإِنْ تَنْسَكْتَ فَالرُّهْبَانِيَةَ وَالْإِخْلَاصَ <sup>(٦)</sup> ، وَإِنْ تَرَزَّنْتَ فَتَهْلَانُ ذُو الْهَضْبَاتِ مَا يَتَحَلَّلُ <sup>(٧)</sup> .

وَطِبَاعُكَ <sup>(٨)</sup> - جُعِلَتْ فِدَاكَ - طِبَاعُ الْخَمْرِ ، إِلَّا أَنْكَ حَلَالٌ كُلُّكَ .  
وَجَوْهْرُكَ جَوْهْرُ الذَّهَبِ إِلَّا أَنْكَ رُوحٌ كَمَا أَنْتَ . وَقَدْ حَوَيْتَ خِصَالَ الْيَاقُوتِ إِلَّا مَا زَادَكَ اللَّهُ ، وَأَخَذْتَ خِصَالَ الْمُشْتَرَى <sup>(٩)</sup> إِلَّا مَا فَضَّلَكَ اللَّهُ بِهِ ، وَجَمَعْتَ خِلَالَ الدَّرِّ إِلَّا مَا خُصِّصَتْ بِهِ دُونَهُ . فَلَكَ مِنْ كُلِّ

(١) البدوات : جمع بداءة ، كما يقال قطة وقطوات . والبدوات : الآراء تظهر للمرء فيختار بعضاً ويسقط بعضاً . ط فقط : « البدار » . مع ، ش : « لا تمكته » بالتاء .

(٢) ما عدا مع ، ش : « وليس في قوله » ، تحريف . وفي ط أيضاً : « فضل للتعرف » .

(٣) أى يستعيره جمع الخلق ، لا ضياء لهم إلا منه .

(٤) ب ، م : « يعير » ، ط : « يعيره » ، وفيها جيماً : « الهوى » ، والوجه ما أثبت . والذي في مع ، ش : « فلا زالت الأرض بك مشرقة » ، والدنيا معمورة ، ومجالس الخير مأهولة ونسيم الهواء طيباً ، وتراب الأرض عبقاً » .

(٥) ما عدا مع ، ش : « إن هبت » ، وفي ط فقط أيضاً : « فلرشاقة » .

(٦) ما عدا مع ، ش : « وإن تمكنت » .

(٧) ب : « يتحلل » ط : « يتخلخل » ، صوابه في سائر النسخ . يتحلل : يتحرك ويبرح مكانه . وهو ناظر إلى قول الفرزدق في ديوانه ٧١٧ :

فادفع بكفك إن أردت بناءنا تهلان ذا الهضبات ، هل يتحلل

(٨) يعنى طبعك ، انظر ما سبق في حواشئ ص ٩١ .

(٩) يسميه المنجمون السعد الأكبر ، لأنه فوق الزهرة في السعادة . وأضافوا إليه الخيرات الكثيرة والسعادة العظيمة . عجائب المخلوقات ٢٥ .

شيء (١) صَفْوَتُهُ وَشَرَفُهُ ، وَلُبَابُهُ وَبِهَاؤُهُ . وَهَلْ يَصِيرُ الْقَمَرُ (٢) نُبَاحُ الْكَلْبِ (٣) ، وَهَلْ يُزْعِرُ النَّخْلَةَ سُقُوطُ الْبِعُوضَةِ ؟ ١

فَأَمَّا الْقَوْلُ فِي الْمِزَاحِ فَقَدْ بَقِيَ أَكْثَرُهُ وَمَضَى أَقْلُهُ .

وقد ذهبَ النَّاسُ فِي الْمِزَاحِ فِي مَذَاهِبَ مُتَضَادَّةٍ ، وَسَلَكُوا مِنْهُ فِي طَرِيقٍ مُخْتَلِفَةٍ ، فزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ جَمِيعَ الْمِزَاحِ خَيْرٌ مِنْ جَمِيعِ الْجِدِّ ، وَزَعَمَ آخَرُونَ أَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ عَلَيْهِمَا مَقْسُومَانِ ، وَأَنَّ الْحَمْدَ وَالذَّمَّ بَيْنَهُمَا نِصْفَانِ (٤) .

وَسَنَاتِي عَلَى جُمْلِ هَذِهِ الْأَقَاوِيلِ ، ثُمَّ نَذَكَرُ جُمْلَةً مَا نَقُولُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فَأَمَّا الْمُحَامِي عَنْ الْهَزْلِ وَالْمُفْضَلُ لِلْمَرْحِ فَإِنَّهُ قَالَ :

أَوَّلُ مَا أَذْكَرُ مِنْ خِصَالِ الْهَزْلِ ، وَمِنْ فِضَائِلِ الْمَرْحِ ، أَنَّهُ دَلِيلٌ عَلَى حُسْنِ الْحَالِ وَفِرَاقِ الْبَالِ ، وَأَنَّ الْجِدَّ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ فَضْلِ الْحَاجَةِ ، وَالْمَرْحَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ فَضْلِ الْغِنَى ، وَأَنَّ الْجِدَّ نَصَبٌ (٥) ، وَالْمَرْحَ جَمَامٌ (٦) ، وَالْجِدُّ مَبْغُضَةٌ وَالْمَرْحَ مَحَبَّةٌ . وَصَاحِبُ الْجِدِّ (٧) فِي بِلَاةٍ مَا كَانَ فِيهِ ، وَصَاحِبُ الْمَرْحِ فِي رِخَاءٍ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ .

(١) ب فقط : « في كل شيء » .

(٢) ب : « يغير القمر » م : « يغير القهر » ط : « يغير الفهد » صوابه في مع ، ش

والحيوان ١ : ١٣ .

(٣) مع ، ش والحيوان : « نباح الكلاب » .

(٤) م فقط : « نصفان » .

(٥) ب : « وأن الفضب جد » م ، ط : « وأن النصب جد » ، صوابهما في مع ، ش .

(٦) الجمام ، كسحاب : الراحة .

(٧) ب ، م : « صاحب الجدد » ، بدون واو .

والجدُّ مؤلمٌ وربما عرَضَكَ لأشدَّ منه ، والمزجُ مُلذِّدٌ<sup>(١)</sup> وربما عرَصَكَ  
لألذَّ منه . فقد شارَكَه في التعريض للخير والشرِّ ، وبأينته بتعجيل  
الخير دون الشرِّ

ولمَّا تشاغَلَ الناس ليَصْرُغُوا<sup>(٢)</sup> ، وجدُّوا لِيَهْزِلُوا ، كما تَدَلَّلُوا  
ليعزُّوا ، وكثروا ليستريحوا ، وإنَّ كان المزاجُ إنمَّا صار معيباً ، والهزلُ  
مذموماً ، لأنَّ صاحبه لا يكون إلا معرَّضاً لمجاوزة الحدِّ ، ومُخاطراً عمودَ  
الصنديق .

فالجِدُّ داعيةٌ إلى الإفراط ، كما أنَّ المزاجَ داعيةٌ إلى مجاوزة القدر  
والتجاوز للجدِّ<sup>(٣)</sup> قاطعٌ<sup>(٤)</sup> بين الفريقين في جميع النوعين .

فقد ساواه المزج فيما هو له<sup>(٥)</sup> وبأينته فيما ليس له . وإنَّ كان المزجُ  
إنمَّا صار قبيحاً لأنَّ الذي يكون بعده جدُّ ، [ ولم يَصِرْ الجدُّ قبيحاً لأنَّ  
الذي يكون بعده مزجٌ<sup>(٦)</sup> ] ، وكان<sup>(٧)</sup> الجدُّ في هذا الوزن أقبح ،  
وكان المزجُ<sup>(٨)</sup> على هذا التقدير أحسن ، لأنَّ ما جعل الشيء قبيحاً أقبحُ  
من الشيء ، كما أنَّ ما جعل الشيء حسناً أحسنُ من الشيء .

فأمَّا الذي عدَلَ بينهما فإنه زعمَ أنَّ المزاجَ في موضعه ، كالجدِّ في  
موضعه ، كما أنَّ المنع في حقِّه كالبدل في حقِّه .

(١) ط فقط : « مله » .

(٢) ط فقط : « ليغزوا »

(٣) ب ، م : « والتجاوز ولجد » ط : « والتجاوز لجد » ، صوابهما في مج ، ش .

(٤) ما عدا مج ، ش : « قالع » .

(٥) ب فقط : « فيها له » .

(٦) ما بين المعقنين ساقط من بيروني في مج ، ش : « لأن الذي بعده المزج » .

(٧) ب ، م ، ط : « كان » بدون واو .

(٨) ما عدا مج ، ش : « وكان الوزن » ، تحريف .

قال<sup>(١)</sup> : ولكلّ شيء موضع ، وليس شيء يصلح في كلّ موضع . وقد قسم الله تعالى الخيرة<sup>(٢)</sup> على المعدلة ، وأجرى جميع الأمور إلى غاية المصلحة ، وقسّم أجزاء الثوبة على العزيمة والرخصة<sup>(٣)</sup> وعلى الإعلان والتقية ، وأمر بالمداورة كما أمر بالمبادأة<sup>(٤)</sup> . وجوز المعارض كما أمر بالإفصاح ، وسوّغ المباح كما شدد أمر المفروض<sup>(٥)</sup> . وجعل المباح جماماً للقلوب<sup>(٦)</sup> ، وراحة للأبدان ، وعوناً على معاودة الأعمال ، فصار الإطلاق كالحظر ، والصبر كالشكر .

فليس للإنسان من الخيرة في الذكر شيء إلا وله في النسيان مثله ، ولا في الفطنة شيء إلا وله في الغفلة مثله . ولا في السراء إلا وله في الضراء مثله .

ولو لم يرزق الله تعالى العباد إلا بالصواب محضاً ، وبالصدق بحثاً<sup>(٧)</sup> ، وبمرّ الحقّ صفحاً<sup>(٨)</sup> ، هلكت العوأم . ولانتقض<sup>(٩)</sup> أمرُ الخاصّ .

(١) مع فقط : « فقال » .

(٢) مع فقط : « الخير » . والخيرة : الاختيار .

(٣) ط فقط : « وعلى الرخصة » .

(٤) المبادأة : المجاهرة . ط فقط : « بالمبادأة » بالهمزة ، تحريف

(٥) مع ، ش : « في المفروض » .

(٦) ما عدا مع ، هـ : « وجعل الحام » ، تحريف ؛ والحام ، كسحاب : الراحة . ب :

حاماً « م : « حام » ، صوابه في سائر النسخ .

(٧) مع ، ش : « وبالصدق صرّفاً » .

(٨) الصفح : البسط .

(٩) انتقض : انتكث . ب ، م : « ولا ينقض » ط : « ولم ينقض » ، ووجهها ما أثبت

في مع ، ش : « وانتقض » .

ولو ذَكَرَ الْإِنْسَانُ كُلُّهُ مَا أَنْسِيَهُ <sup>(١)</sup> لَشَقِيَّ ، وَلَوْ جَدَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ  
لَانْتَكَتْ <sup>(٢)</sup> .

وقد يكون الذِّكْرُ إِلَى الْهَلَكَةِ سُلْمًا كَمَا يَكُونُ النَّسْيَانُ لِلسَّلَامَةِ  
سَبَبًا . وَسَبِيلُ الْمَزَاحِ وَالْجِدِّ كَسَبِيلِ الْمَنْعِ وَالْبَذْلِ . وَعَلَى ذَلِكَ يَجْرَى  
جَمِيعُ الْقَبْضِ وَالْبَسْطِ .

فهذا وما قبله جُمْلُ أَقَاوِيلِ الْقَوْمِ .

وَنَحْنُ نَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ نَجْعَلَ الْمَزَاحَ فِي الْجُمْلَةِ كَالْجِدِّ فِي الْجُمْلَةِ ،  
بَلْ نَزْعُهُمْ أَنْ بَعْضُ الْمَزَاحِ خَيْرٌ مِنْ بَعْضِ الْجِدِّ ، وَعَامَّةُ الْجِدِّ خَيْرٌ مِنْ  
عَامَّةِ الْمَزَلِ . وَالْحَقُّ أَنْ يُنْصَحَ <sup>(٣)</sup> عَنْ بَعْضِ الْمَزَاحِ ، وَيُحْتَجَّ لْجُمْهُورِ  
الْجِدِّ <sup>(٤)</sup> . وَكَيْفَ لَنَا بِذِمِّهِ <sup>(٥)</sup> جَمِيعِ الْمَزَاحِ مَعَ مَا نَحْنُ ذَاكِرُونَ .

وَقَدْ مَزَّحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٦)</sup> . وَلَا يُقَالُ : كَانَ فِيهِ  
مَزَاحٌ ، وَلَا يُقَالُ مَزَّاحٌ <sup>(٧)</sup> . وَكَذَا الْأَثْمَةُ وَمَنْ تَبَدَّلَ <sup>(٨)</sup> فِي بَعْضِ الْحَالَاتِ  
مِنْ أَهْلِ الْجِلْمِ وَالْوَقَارِ .

وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ : « إِنَّا إِذَا خَلَوْنَا كُنَّا كَأَحَدِكُمْ » .

وَقَدْ كَانَ عُمَرُ عَبُوسًا قَطُوبًا .

(١) ط فقط : « آتيته » ، تحريف .

(٢) ما عدا مع ، ش : « مما لا تنكث » ، تحريف .

(٣) النصيح : للدفاع والذب بالحجة . م : « ينصح » ط : « ينصح » ، محرفان .

(٤) ط : « ويمنح » .

(٥) ط : « وكيف يتم لنا بدم » م : « وكيف لنا بدم » ، صوابهما في سائر النسخ .

(٦) بعده في ب ، ط : « وعلى آله » .

(٧) ط فقط : « مزح » ، تحريف .

(٨) ب ، م : « ومن تبدل لي » ، صوابه في ط . وفي مع ، ش : « ومن هزل » .

وكان زياداً مع كلوجه وقطوبه<sup>(١)</sup> ، يمازح أهله في الخلاء كما يجد في الملا .

وكان الحجاج مع عتوه وطغيانه ، وتمرده وشدة سلطانه ، يمازح أزواجه ويرقص صبيانہ . وقال له قائل<sup>(٢)</sup> : أتمازح الأمير أهله ؟ قال : « والله إن تروني<sup>(٣)</sup> إلا شيطاناً ؟ والله لربما رأيتني وإنني لأقبل رجلٍ لإحداهن ! » .

فقد ذكرنا خير العالمين ، وجلّة من خيار المسلمين ، وجباراً عنيداً ، وكافراً لعيناً .

وبعدُ فمن حرم المزاح وهو شعبة من شعب السهولة ، وفرغ من فروع الطلاقة . وقد أتانا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالحنيفة السمحة ، ولم يأتنا بالانقباض والقسوة ، وأمرنا بإفشاء السلام ، والبشر عند الملاقاة ، وأمرنا بالتواؤد<sup>(٤)</sup> والتصافح والتهادي .

## ٧ - فصل

قد اعتدنا<sup>(٥)</sup> في معصيتك والخلاف على محبتك مرةً بالمزاح ، ومرةً بالنسيان ، ومرةً بالاتكال على عقوق وعلى ما هو أولى بك .

(١) الكلوح : التكشر وبدو الأسنان في العيوس . والقطوب : تزوى ما بين العينين عند العيوس . ب ، م : « وكان زياد مع كلوحة وقطوبة » ، ط : « وكان معه زيادة كلوحة وقطوبة » ، صوابها في مع ، ش .

(٢) ب : « قايده » م ، ط : « قائده » ، صوابها في مع ، ش . والقائل هذا هو عنبسة ابن سعيد ، كما سيأتي في الفصل الرابع من كتاب النساء .

(٣) كذا في جميع النسخ بخلاف إحدى النونين ، وهو جائز في العربية . وفي المغني في باب النون : « ونحو تأمروني يجوز فيه الفلك ، والإدغام ، والنطق بنون واحدة . وقد قرئ بهن في السبعة . وهى الأخيرة قيل النون الباقية نون الرفع ، وقيل نون الوقاية . وهو الصحيح » .

(٤) كذا بالفلك في جميع النسخ ، وفي مع فقط : « بالتزاور » .

(٥) ما عدا مع ، ش : « قد اعتدنا » .

والجملة<sup>(١)</sup> أنا لو تعمدنا ثم أصررنا ثم أنكرنا ، لكان في فضلك ما يتعمدنا<sup>(٢)</sup> ، وفي كرمك ما يوجب التغافل عنا<sup>(٣)</sup> . فكيف وإنما سهونا ثم تذكركنا ، واعتذرنا ثم أطنبنا .

فإن تقبل<sup>(٤)</sup> ، فحفظك أصبت ، ولنفسك نظرت . وإن لم تقبل فاجهد جهدك<sup>(٥)</sup> ، ولا أبقى الله عليك إن أبقيت ، ولا عفا عنك إن عفوت . وأقول كما قال أخو بني منقر<sup>(٦)</sup> :

فما بقياً على تركماني ولكن خفتما صرد النبالي<sup>(٧)</sup>

والله لئن رميتي ببجيلة لأرمينك بكينانة ، ولئن نهضت بصالح بن علي لأهضن بإسماعيل بن علي<sup>(٨)</sup> ، ولئن صلت علي بسليمان بن وهب<sup>(٩)</sup> لأدمغتك بالحسن بن وهب ، ولئن تهت<sup>(١٠)</sup> علي بمنادمة جعفر الخياط<sup>(١١)</sup>

(١) مج ، ش : « وفي الجملة » .

(٢) ما عدا مج ، ش : « ما يتعمده » .

(٣) ما عدا مج ش : « التغافل عنه » .

(٤) ب ، م : « فلم تقبل » ، صوابه في سائر النسخ .

(٥) مج ، ش : « فاجهد جهدك ثم اجهد جهدك » .

(٦) هو اللعين المنقرى . الحيوان ١ : ٢٥٦ واللسان ( صرد ٢٣٦ ، بق ٨٦ ) .

(٧) البيت من أبيات يخاطب بها جريراً والفرزدق . والسردي : الإصابة ، والخطأ ،

فهو من الأضداد . فعلى الأول يراد : خفتما أن تصيب نبالي ، وعلى الثاني يراد : خفتما أن تخطف

نبالكما . والبقيا : الاسم من قولهم : أبقيت على فلان ، : إذا أرعيت عليه ورحمته .

(٨) مج ، ش : « بأحمد بن خلف وإسماعيل بن علي . وإسماعيل هو ابن علي بن عبد الله

ابن العباس . وهو عم السفاح والمنصور . ولي لأبي جعفر فارس والبصرة . المعارف ١٦٣

والطبرى ٨ : ٨٥ .

(٩) ابن وهب ساقطة من ي .

(١٠) ب ، م : « بهت » ، صوابه في سائر النسخ .

(١١) هو جعفر بن دينار الخياط ، أحد قواد المأمون والمعتصم والمستعين والواثق والمتوكل .

وجهه المأمون سنة ٢١٥ إلى صاحب حصن سنان في حرب الروم . كما وجهه المعتصم سنة ٢٢٢

إلى الأفشين مدداً له . الطبرى ٨ : ٦٢٣ و ٩ : ٢٩ .



لأَتِيهِنَّ (١) عَلَيْكَ بِحِسْبَةٍ (٢) وَهَبِ الدَّلَالَ (٣) .

وَأَنَا أَرَى لَكَ أَنْ تَقْبَلَ الْعَافِيَةَ ، وَتَرْغَبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي السَّلَامَةِ .  
وَاحْذَرِ الْبَغْيَ فَإِنَّ مَصْرَعَهُ وَخِيمٌ ، وَاتَّقِ الظُّلْمَ فَإِنَّ مَرَعَاهُ وَبِيْلٌ .  
وَإِيَّاكَ أَنْ تَتَعَرَّضَ لِحَرِيرٍ إِذَا هَجَا ، وَلِلْفَرَزْدَقِ إِذَا فَعَّرَ ، وَهُرْمَةَ  
إِذَا دَبَّرَ (٤) ، وَلَقَيْسَ بْنِ زُهَيْرٍ إِذَا مَكَرَ (٥) ، وَلِلْأَغْلَبِ إِذَا كَرَّ (٦) ،  
وَلِطَاهِرٍ إِذَا صَالَ (٧) . وَمَنْ عَرَفَ قُدْرَهُ عَرَفَ قَدْرَ خَصْمِهِ ، وَمَنْ جَهَلَ  
نَفْسَهُ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَ غَيْرِهِ .

وَعَلَيْكَ بِالْجَادَّةِ وَدَعِ الْبُنْيَاتَ (٨) فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْثَلُ لَكَ .

(١) ما عدا ميج ، ش : « لأهتن » .

(٢) ب : « بحسبة » . تحريف ما أثبت من م ، ط . والحسبة : الاكتفاء ، والمراد بكفايته لى . وفي ميج مع تصحيح : « بمجالسة » ، وفي ش : « بحسبة » .

(٣) في البيان ٤ : ١٣ من يدعى وهبا المحتسب .

(٤) هرثمة بن أعين : قائد عباسي ، وولاه الرشيد مصر ثم أفريقية ، ثم عقد له على خراسان ثم قاد الجيوش المأمون أيام الفتنة ، تم حبسه حتى مات سنة ٢٠٠ . النجوم الزاهرة والطبرى في حوادث سنة ٢٠٠ .

(٥) قيس بن زهير سيد بني عبس ، وكان يقال فيه « أدهى من قيس بن زهير » . جهرة العسكرية ١ : ٥٤٧ والميداني ١ : ٢٥٠ والمستقصى ١ : ١٢١ .

(٦) الأغلب بن جشم بن سعد بن عجل بن لجيم ، العجلي ، وهو أحد المعمرين ، عمر في الجاهلية عمراً طويلاً ، وأدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه وهاجر ، ثم كان فيمن توجه إلى الكوفة مع سعد بن أبي وقاص ، فنزلها واستشهد في وقعة نهاوند ، فقبره هناك في قبور الشهداء . وانظر أخباره في الأغاني ١٨ : ١٦٤ - ١٦٧٩ والشعراء ٥٩٥ .

(٧) طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق بن حمزة الرستمي ، من ولد رستم بن دستان وهم موالي خزاعة في الإسلام وإلهم ينتمون ، وقد نذبه المأمون للقائه على بن عيسى بن ماهان قائد الأمين ، فهزم جيشه وقض جموعه سنة ١٩٥ فحينئذ سلم على المأمون بإمرة المؤمنين ، وسمى طاهر ذا اليمينين ، لأن المأمون كتب إليه لما فرغ من أمر الخلويع : يا أبا الطيب ، يمينك يمين أمير المؤمنين ، وشمالك يمين قبائع يمينك يمين أمير المؤمنين . التنبيه والإشراف ٣٠٠ - ٣٠١ وثمار القلوب ٢٩١ .

(٨) البنيات : جمع بنية ، تصغير ابنة . وبنيات الطريق ، هي الصعاب والمعاسف . يقال للرجل في الوعظ : الزم الجادة ودع بنيات الطريق . وقال محمود الوراق :

تتكب بنيات الطريق وجورها فإنك في الدنيا غريب مسافر

ثمار القلوب ٢٧٨ . وفي اللسان ( بنى ٩٨ ) أن بنيات الطريق هي الطرق الصغار تتشعب من الجادة ، وتسمى أيضاً الترهات .

وأنت - والله يا أخى - تعلمُ عِلْمَ الاضطرار وعلمَ الاختيار وعلمَ الأخبار ،  
 أنى <sup>(١)</sup> أظهرُ منك حرباً ، وألطفُ كيداً ، وأكثرُ علماً ، وأوزنُ جِلماً ،  
 وأخفُ روحاً ، وأكرمُ عيناً ، وأقلُّ غشاً <sup>(٢)</sup> وأحسنُ قداً وأبعدُ غوراً ،  
 وأجملُ وجهاً ، وأنصعُ ظرفاً <sup>(٣)</sup> . وأكثرُ ملحاً <sup>(٤)</sup> ، وأنطقُ لساناً  
 وأحسنُ بياناً ، وأجهرُ جَهارةً ، وأحسنُ شارةً <sup>(٥)</sup> .

وأنت رجلٌ تشدو من العلم ، وتنتف من الأخبار <sup>(٦)</sup> ، وتموه نفسك <sup>(٧)</sup> ،  
 وتجز من قدرِك ، وتتهياً بالثياب ، وتتنبل بالمراكب ، وتتحبب بحُسن  
 اللقاء <sup>(٨)</sup> ، ليس عندك إلا ذاك . فليم تزاحم البحرَ بالجداول <sup>(٩)</sup> ،  
 والأجسامَ بالأعراض ، وما لا يتناهى بالجزء الذى لا يتجزأ .

فأما البادُ والقامة <sup>(١٠)</sup> ، فمن يعدلُ بين القناة والكرة ، ومن يميلُ  
 بين النحلة والدقل <sup>(١١)</sup> ، وبين رَحَى الطحان وبين سيفِ يمان . وإنما  
 يكون التميل <sup>(١٢)</sup> بين أتم الخيرين وأنقص الشرين ، وبين المتقاربين

- (١) ب ، م : « أى » ، صوابه فى سائر النسخ .  
 (٢) الغث : الردى من كل شيء . ب : « غشا » ش : « عيبا » ، وأثبت ما فى سائر النسخ .  
 (٣) الناصع : الخالص الواضح . ط فقط : « طرفا » .  
 (٤) الملح ، بالكسر : الحسن . يقال ملح يملح ملوحة وملاحة وملحاً ، أى حسن .  
 (٥) الشارة : الحسن والهئية واللباس . ط ، م ، ش : « إشارة » .  
 (٦) التنتف : الانتزاع . ويقال رجل نتفة ، بضم ففتح ، ينتف من العلم شيئاً ولا يستقصيه .  
 (٧) أصل التحويه الطلاء بالذهب أو بالفضة .  
 (٨) ما عدا م ، ش : « لحسن القا » .  
 (٩) ما عدا م ، ش : « البحر بالجداول » . والجدول بفتح الجيم وكسرهما : النهر الصغير ،  
 (١٠) الباد : أصل الفخذ . ب ، م : « فامك الباد والعامه » ط : « فإنك الباد والعامه »  
 صوابهما فى م ، ش .

- (١١) ما عدا ب : « يمثل » . والتميل بين الشيتين : الموازنة بينهما . وانظر الحيوان ٢ : ٩٨ ،  
 ١٥١ واللسان ( ميل ١٦٠ ) . ب ، م : « النحلة » ، صوابه فى سائر النسخ . والدقل : ضرب  
 من النخل ردى التمر . ب ، م : « والدكل » ط : « والدكل » ، صوابهما فى م ، ش .  
 (١٢) فى جميع النسخ : « التميل » ، والوجه ما أثبت .

دون المتفاوتين . فأما الخَلُّ والعَسَل ، والحَصَاةُ والجَبَلُ ، والسَّمُّ والغَدَاءُ ، والفقْرُ والغنى <sup>(١)</sup> ، فهذا مما لا يَخْطَأُ فيه الذَّهْنُ <sup>(٢)</sup> ولا يَكْذِبُ فيه الجِسُّ .

والخطأُ ثلاث : خطأُ الجِسِّ ، وخطأُ الوَهْمِ ، وخطأُ الرأى . كل ذلك سبيله التنبيه والتذكير <sup>(٣)</sup> ، والتقويم والتأنيب <sup>(٤)</sup> .

والعمدُ نوعٌ واحد ، وسبيلُهُ القَمْعُ والحَظْرُ ، والضَّرْبُ والقتل . وأوَّلُ ذلك أن يهجره صاحبُ الحكمة <sup>(٥)</sup> ، ولا يُطعمه في وعظٍ ولا مجالسة .

وقد رأيتُ مَنْ يعاند الحقَّ إذا كانت المعرفة عيانياً . وأنت لا ترضى بجحد العيان <sup>(٦)</sup> حتى تدعوَ إليه ، ولا ترضى بالدُّعاءِ إليه حتى تعادى فيه ، ولا ترضى بالعداوة حتى يكون لك في ذلك الرياسة <sup>(٧)</sup> ، ولا ترضى بالرياسة دون السابقة <sup>(٨)</sup> ، ولا بالطَّارف دون التَّالِد ، ولا بالتَّالِد دون الأعراقِ التي تسرى ، والمواليد التي تنمى . ولا ترضى بأن يكون أولاً حتى تكون آخراً <sup>(٩)</sup> ، ولا بالمداراة دون المباداة <sup>(١٠)</sup> ،

(١) ب فقط : « والغنا » .

(٢) هذا ما في ب . يقال خطي \* يخطأ خطأ ، من باب فرح . م ، ط : « يخطى » سهل

أخطأ يخطى . وفي مع ، ش : « يخطى » .

(٣) م فقط : « الثنية » ، تحريف .

(٤) ب ، م : « والثانيث » ، صوابه في سائر النسخ .

(٥) ش فقط : « أن يهجره صاحب الحكمة » .

(٦) ما عدا مع ، ش : « بحجة العيان » .

(٧) مع ، ش : « لك فيه الرياسة » ، وأثبت ما في م ، ب . وفي ط : « لك الرسالة »

وهذه محرفة .

(٨) كلمة « دون » ساقطة من ط . والسابقة : السبق والتقدم .

(٩) ب : « ولا يرضى بأن يكون أولاً حتى يكون آخرأ » . ومثله في م مع البدء بقوله :

« ولا يرضى » . مع ، ش ، ط : « ولا ترضى بأن تكون أولاً حتى تكون آخرأ » . ولعل الوجه

ما أثبت .

(١٠) المباداة : المجاهرة كما سبق في

ولا بالجدال دون القتال . وحتى ترى أَنَّ التقيَّةَ حرامٌ<sup>(١)</sup> وَأَنَّ التَّقْصِيرَ كُفْرٌ .

وحتى لو كنت إمامَ الرافضة لقتلتَ في طرفةٍ<sup>(٢)</sup> ولو قُتلتَ في طرفةٍ<sup>(٣)</sup> هلكت الأمة ، لأنك رجلٌ لا عقبَ لك . والإمامةُ<sup>(٤)</sup> لا تصلح اليوم<sup>(٥)</sup> في الإخوة ، ولو صلحت في الإخوة<sup>(٦)</sup> كانت تصلح في ابن العمِّ ، ثم دنت من الأرحام شيئاً<sup>(٧)</sup> فصارت لا تصلح إلا في الولد . وفي هذا القياس أنها بعد أعوامٍ لا تصلح<sup>(٨)</sup> إلا ببقاء الإمام نفسه إلى آخر الأبد . وهذا هو علَّة أصحاب التناسخ<sup>(٩)</sup> . وأنت رافضىٌ ولم يكن هذا عندك .

فأهدِ إلى الآن من خالص التوتيا<sup>(١٠)</sup> كما أهديت إليك باب التناسخ .

وأنت ترى القتل في حق المعاندة شهادةً ، وترى أن مُباينةً

(١) التقيَّة : أن يظهر أمراً وباطنه بخلاف الظاهر ، يفعل ذلك اتقاء .

(٢) ب : « لو قتل في طرفة » ، م : « لو قتل في طرفة » ، ط : « وكنت في طرف » ، والصواب من مع ، ش . والمراد طرفة عين .

(٣) التكلة من مع ، ش .

(٤) ب : « والإمامة » م : « والإمامة » ، والصواب في سائر النسخ .

(٥) التكلة من مع ، ش .

(٦) مع ، ش : « ثم إنها دنت من الأرحام بعد ذلك » .

(٧) ب ، م فقط : « لا يصلح » ، تحريف .

(٨) مع ، ش : « المناسخة » .

(٩) ب ، م : « فاهد الآن الآن من خالبن التوتيا » ط : « فاهد الآن من لبن التوتيا »

صوابها في مع ، ش . وفي اللسان : « التوتيا معروف حجر يكتحل به » . وهو باللاتينية :

( Tutia ) وبالإنجليزية : ( Tuty ) . وقد عرفها الطبيب محمد شرف بأنها أكسيد الزنك

غير النقي . قال داود : « وأصل التوتيا إما معدني يوجد فوق الأقليميا ... وإما مصنوع من

الأقليميا المسحوقة » .

المنصّفين في تعظيم العُنود سعادة <sup>(١)</sup> ، وأنّ الرياسة في دفع الحقائق مرّتبة ، وأنّ الإقرار بما يظهر للعيون ضعة <sup>(٢)</sup> ، وأنّ الشّهرة <sup>(٣)</sup> بالمغالبة رفعة .

أظهرُ القوم عندك حجةً أرفعُهم صوتاً ، [وأخلقُهم <sup>(٤)</sup>] للتوبة أصلُهم وجهاً ، وأحسنهم تقيّةً أقلُّهم تحرُّجاً <sup>(٥)</sup> ، وأحسنهم إنصافاً أشدُّهم شغباً .

تعشّقُ المتهوّر <sup>(٦)</sup> ، وتكلّفُ بالجموح ، وتُصافِي الوَقاح . والأديبُ عندك من يعيب أحاديثَ الجلساء ، واعترض <sup>(٧)</sup> على نوادر الإخوان ، وغمزَ في قفا النّديم <sup>(٨)</sup> ، ونصّبَ للعالم ، وأبغضَ العاقل <sup>(٩)</sup> ، واستثقل الظّريف ، وحسدَ على كلّ نعمة ، وأنكرَ كلّ حقيقة .

جعلتُ فداك . إنّما أخرجك من شيءٍ إلى شيءٍ <sup>(١٠)</sup> ، وأوردُ عليك البابَ بعد الباب ، [لأنّ <sup>(١١)</sup>] من شأنِ النَّاسِ مَلالةَ الكثير ، واستثقالَ الطّويل وإن كثرت محاسنُه وجمّت فوائده . وإنّما أردتُ أن يكون استطرفك للآتي <sup>(١٢)</sup> قبل أن ينقضِيَ استطرفك للماضي ؛ ولأنّك متى

(١) العنود ، بالضم : الميل والجور عن القصد . ما عدا مع ، ش : « العمود » .

(٢) ما عدا مع ، ش : « بما يظهر للعيون » وفي م أيضاً : « صفة » ، تحريف .

(٣) ما عدا مع ، ش : « الشهرة » ، تحريف .

(٤) التكلّة من مع ، ش .

(٥) ما عدا مع ، ش : « وأحسنهم بغية أقلهم خرجا » ، تحريف .

(٦) مع : « المتهوّر » ، تحريف .

(٧) ب ، م : « وأعرض » ، صوابه في سائر النسخ .

(٨) كناية عن الغيبة . والغمز : العيب .

(٩) ب ، م : « للعاقل » ، صوابه في سائر النسخ .

(١٠) م ، ط : « من موسى إلى شيء » ، تحريف .

(١١) التكلّة من مع ، ش .

(١٢) مع ، ش : « للآتي » .

كنت للشيء متوقِّعاً ، وله منتظراً<sup>(١)</sup> ، كان أخطى<sup>(٢)</sup> لما يَرِدُ عليك ،  
وأشهى لما يُهدى إليك . وكلُّ منتظرٍ معظمٌ ، وكلُّ مأمولٍ مكرمٌ .  
كلُّ ذلك<sup>(٣)</sup> رغبةٌ في الفائدة ، وصِباةٌ بالعلم ، وكلَّفاً بالافتباس ،  
وشحاً على نصيبى منك ، وضناً بما أوَّملهُ عندك ، ومدارةً لطباعك ،  
واستزادةً من نشاطك . ولأنَّك على كلِّ حالٍ بشرٌ ، ولأنَّك مُتناهى  
القوَّة مدبِّر .

## ٨ - فصل

والعقلُ - حفظك اللهُ - أطولُ رقدة من العين<sup>(٤)</sup> ، وأحوجُ إلى  
الشَّحْد من السَّيْف<sup>(٥)</sup> ، وأفقرُ إلى التَّعَاهُد ، وأسرعُ إلى التَّغْيِير ،  
وأدواؤه أقتل ، وأطبَّأؤه أقلُّ . فمن تداركهُ قبل التَّفَاقُم أدرك أكثر  
حاجتِهِ ، ومن رامهُ بعد التَّفَاقُم لم يدرك<sup>(٦)</sup> شيئاً من حاجتِهِ .

ومن أكبر أسباب العلم كثرةُ الخواطر ، ثمَّ معرفةُ وجوهِ المطالب .  
[ثمَّ<sup>(٧)</sup>] فى الخواطر الغثُ والسَّمِين ، والفاسدُ والصَّحِيح ، والمسرعُ  
إليك والبطىءُ عنك ، والدَّقِيق الذى لا يكاد يُفهم ، والجليل الذى  
لا يلقى الفهم . ثم هى على طبقاتها فى التقديم والتأخير ، وعلى منازلها  
فى التَّبَايُن [والتَّمْيِيز<sup>(٨)</sup>] .

(١) مع ، ش : « منتظراً وله متوقِّعاً » .

(٢) م فقط : « أخطأ » ، محرف .

(٣) ط : « وذلك » .

(٤) ب فقط : « رقدة من العين » .

(٥) ما عدا مع ، ش : « من الشيب » ، تحريف .

(٦) ب ، م : « ولم يدرك » . والواو مقحمة .

(٧) التكلمة من مع ، ش .

(٨) التكلمة من مع ، ش .

وللمطالِبِ طُرُق ، وَلِدَرْكَ الحَقَائِقِ أَبْوَاب ؛ فَمَنْ أَخْطَأَهَا وَانْتَظَرَ<sup>(١)</sup>  
 كَانَ أَسْوَأَ حَالًا مِمَّنْ لَمْ يَخْطِئْهَا وَلَمْ يَنْتَظِرْ<sup>(٢)</sup> . وَعَلَى قَدْرِ صِحَّةِ العَقْلِ  
 يَصِحُّ الخَاطِرُ ، وَعَلَى قَدْرِ التَّفَرُّغِ يَكُونُ التَّنَبُّهُ .

هَذَا<sup>(٣)</sup> جِمَاعُ هَذَا الكِتَابِ وَجَمَهُرُهُ ، وَأَقْسَامُهُ وَجَمَلَتُهُ .

ثُمَّ مِنْ أَنْفَعِ أَسْبَابِهِ الحِفْظُ مَا قَدْ حُصِّلَ ، وَالتَّقْيِيدُ مَا وَرَدَ ،  
 وَالانْتِظَارُ مَا لَمْ يَرِدْ<sup>(٤)</sup> ، وَأَنْ لَا تُخْلِيَ نَفْسَكَ مِنَ الفِكْرَةِ إِلَّا بِقَدْرِ  
 جَمَامِ الطَّبِيعَةِ ، وَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ مَكَانَ الدَّرْسِ مِنَ الحِفْظِ كَمَكَانِ الحِفْظِ  
 مِنَ العِلْمِ ، وَأَنْ تَعْرِفَ فَضْلَ<sup>(٥)</sup> مَا بَيْنَ طَلْبِ العِلْمِ لِلْمُنَافَسَةِ وَالشُّهُورَةِ<sup>(٦)</sup> ،  
 وَبَيْنَ طَلْبِهِ لِلرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ، وَتَعْلَمَ أَنَّ العِلْمَ لَا يَجُودُ بِمَكُونِهِ ، وَلَا يَسْمَحُ  
 بِسُرِّهِ وَمَخْزُونِهِ ، إِلَّا لِمَنْ رَغِبَ فِيهِ لِكْرَمِ عُنُصُرِهِ ، وَفَضَّلَهُ لِحَقِيقَتِهِ  
 جَوْهَرِهِ ، وَرَفَعَهُ عَنِ التَّكْسِبِ ، وَصَانَهُ عَنِ التَّبَدُّلِ . وَأَنَّهُ لَا يُعْطِيكَ  
 خَالِصَ الحِكْمَةِ حَتَّى تُعْطِيَهُ خَالِصَ المَحَبَّةِ . كَانَ يُقَالُ : « مَنْ شَابَ  
 شَيْبًا لَهُ<sup>(٧)</sup> » .

وَخَصْلَةٌ يَنْبَغِي أَنْ تَعْرِفَهَا وَتَقِفَ عِنْدَهَا<sup>(٨)</sup> ، وَهُوَ أَنْ تَبْدَأَ مِنَ العِلْمِ

(١) مَا عَدَا مِج ، ش : « وَنَظَرَ » .

(٢) مَا عَدَا مِج ، ش : « وَلَمْ يَنْتَظِرْ » .

(٣) مِج ، ش : « هَذِهِ » . وَجِمَاعُ كُلِّ شَيْءٍ : مَجْتَمِعُ أَصْلِهِ ، وَالجَمَاعُ لِلأَشْيَاءِ الشَّامِلُ مَا فِيهَا

(٤) ب : « وَانْتِظَارًا كَمَا لَمْ يَرِدْ » ، صَوَابُهُ فِي م ، ط . وَفِي مِج ، ش : « وَالانْتِظَارُ

لَمَّا يَرِدُ » .

(٥) الفِصْلُ : الفِرْقُ . مَا عَدَا مِج ، ش : « فَضْلًا » .

(٦) مَا عَدَا مِج ، ش : « لِلْمُنَافَسَةِ وَالشُّهُورَةِ » . وَفِي مِج ، ش : « لِلْمُنَافَسَةِ وَالشُّهُورَةِ »

وَالوَجْهَ مَا أُثْبِتَ .

(٧) الشُّوبُ : الخَلْطُ .

(٨) م : « وَخَصْلَةٌ يَنْبَغِي أَنْ يَعْرِفَهَا وَيَقِفَ عِنْدَهَا وَهُوَ أَنْ يَبْدَأَ مِنَ العِلْمِ بِالمُهْمِ وَيَحْتَارُ »

.. إلخ ، تَحْرِيفٌ . وَفِي مِج ، ش : « وَخَصْلَةٌ يَنْبَغِي أَنْ يَعْرِفَهَا وَتَصْطَنِعَهَا وَتَتَذَكَّرَهَا وَتَقِفَ

عِنْدَهَا » .

بالمهم ، وتختار من صنوفه ما أنت أنشط له <sup>(١)</sup> ، والطبيعةُ به أعنى ؛  
فإنَّ القبول <sup>(٢)</sup> على قدر النشاط ، والبلوغ فيه على قدر العناية .

ثمَّ من أفضل أسبابه تخليصُ أخلاقه <sup>(٣)</sup> ، وتمييزُ أجناسه ، والمعرفةُ  
بأقداره ، حتىَّ تُعطى كلَّ معنى حقه من التقريب والرِّفعة <sup>(٤)</sup> ، وقسطه  
من الإبعاد والضَّعة ، حتى لا تتشاغل <sup>(٥)</sup> إلاَّ بالسَّمين الثمين ، وبالخطير  
النَّفيس ، ولا تُلقَى إلاَّ الغثَّ الخسيس ، والحقير السخيف . فإنَّك متى  
كنتَ كذلك لم تعتبرَ فضل <sup>(٦)</sup> ما بين النظَّرين ، ولا صرَّف ما بين  
النَّعتين <sup>(٧)</sup> .

الكيسُ كلُّ الكيس ، والحذقُ كلُّ الحذق : أن لا تعجَلَ ولا تبطئُ ،  
وأن تعلمَ أنَّ السرعة غير العجَلَة ، وأنَّ الأناةَ خلافُ الإبطاء . وأن تكون  
على يقينٍ من درك الحقِّ إذا وقَّفته شرطه <sup>(٨)</sup> ، وعلى ثقةٍ من ثواب  
النَّظر إذا أعطيته حقه .

هذا <sup>(٩)</sup> جملةٌ ما للعدر في هذه المسألة ، وجملةُ الحجَّةِ فيما قدَّمنا  
من الافتنان والإطالة . فإنَّ كُنَّا أصبنا فالصَّوابَ أردنا ، وإنَّ كُنَّا أخطأنا  
فما ذلك عن فسادٍ من الضمير ، ولا قِلَّة احتفالٍ بالتقصير . ولعلَّ طبيعةً

(١) ما عدا مج ، ش : « ما أنت أبسط له » .

(٢) ما عدا مج ، ش : « فإنَّ القول » ، تحريف .

(٣) ما عدا مج ، ش : « تلخيص » . والتلخيص : التبیین والشرح .

(٤) ما عدا مج ، ش : « حتى يعطى كل معنى حقه من التقرب والرِّفعة » .

(٥) ما عدا مج ، ش : « حتى لا يتشاغل » .

(٦) ش : « لم تميز فصل » ، مج : « لم تميز فضل » .

(٧) ط ، مج ، ش : « ولا فرق ما بين النعتين » . والصرف : الزيادة والفضل .

(٨) ب فقط : « أوفيته » .

(٩) مج ، ش : « هذه » .



خانت ، أو لعلَّ عادةً جذبت<sup>(١)</sup> ، أو لعلَّ سهواً اعترض ، أو لعلَّ شُغلاً مَنَع .

خَفَضَ عَلَيْكَ أَيُّهَا السَّامِعُ ، فَإِنَّ الْخَطَأَ كَثِيرٌ عَامٌ<sup>(٢)</sup> ، وَغَالِبٌ مُسْتَوَلٍ ، وَالصَّوَابَ قَلِيلٌ خَاصٌّ ، وَمَقْمُوعٌ مُسْتَخْفٍ .

فَوَجَّهَ اللَّائِمَةَ إِلَى أَهْلِهَا ، وَأَلْزَمَهَا مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِهَا ، فَإِنَّهُمْ كَثِيرٌ وَمَكَانُهُمْ مَشْهُورٌ<sup>(٣)</sup> .

اعْجَبُ مِنَ الصَّوَابِ لَا تَعْجَبُ مِنَ الْخَطَأِ . اعْجَبُ مِنْ أَنَّ الْعَجَبَ قَدْ ذَهَبَ . اعْجَبُ مِنْ تَعْجَبَ وَفِيهِ الْعَجَبُ اعْجَبَ . وَكَيْفَ التَّعْجَبُ وَالْأُمُورَ كُلُّهَا عَجَبٌ<sup>(٤)</sup> !؟

كُنْتُ<sup>(٥)</sup> اتَّعَجَبُ مِنْ كُلِّ فِعْلٍ خَرَجَ مِنَ الْعَادَةِ ، فَلَمَّا<sup>(٦)</sup> خَرَجْتُ الْأَفْعَالُ بِأَسْرَاهَا مِنَ الْعَادَةِ صَارَتْ<sup>(٧)</sup> بِأَسْرَاهَا عَجَبًا ، فَبَدْخُولِ كُلِّهَا فِي بَابِ الْعَجَبِ خَرَجَتْ بِأَجْمَلِهَا مِنْ بَابِ الْعَجَبِ .

وَقَدْ ذَكَرَ<sup>(٨)</sup> اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ التَّعْجَبَ فِي كِتَابِهِ جَلَّ جَلَالُهُ . وَقَدْ تَعْجَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ فِي زَمَانِهِ ، وَفِي النَّاسِ

(١) مع ، ش : « أو لعل علة حدثت » .

(٢) ما عدا مع ، ش : « كبير عام » ، تحريف .

(٣) ما عدا مع ، ش : « ومكانك مشهور » .

(٤) هذه الفقرة كلها ليست في مع ، ش . وهي نص ما في م ، ط . لكن في ب : « أعجب

الصواب لا تعجب وفيه العجب أعجب . وكيف التمتع والأموال كلها عجب » .

(٥) ما عدا مع ، ش : « كيف » .

(٦) ما عدا مع ، ش : « كما » .

(٧) من العادة ، ساقطة من ط . وفي ب ، م : « سارت » ، وفي ط : « وسارت » ،

تحريف .

(٨) ما عدا مع ، ش : « وقد ذكرنا » ، تحريف .

يومئذ النَّاقِصُ والوافر ، والمشوب والخالص ، والمستقيم والمعوج . وقال الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَإِنْ تَعَجَبَ فَعَجِبْ قَوْلُهُمْ ﴾<sup>(١)</sup> ، وقال له<sup>(٢)</sup> : ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

واعلم أنه لم يبق من المتعجب الفاتك<sup>(٤)</sup> إلا نصيب اللسان ، ولا من المستمع الفاتك<sup>(٥)</sup> إلا حصة السمع . فأما القلوب فخاوية قاسية ، وراكدة خامدة ، لا تسمع داعياً ولا تُجيب سائلاً ، قد أغفلها سوء العادة<sup>(٦)</sup> ، واستولى عليها سلطان السكر<sup>(٧)</sup> .

فدغ عنك ما لست مثله<sup>(٨)</sup> ، فإنّ فيما أورده عليك شغلاً شاغلاً<sup>(٩)</sup> ، وهماً داخلاً .

اعلم أنّ الله تعالى قد مسخّ الدنيا بحذافيرها ، وسكّخها من جميع معانيها . ولو مسّخها كما مسخ بعض المشركين قردةً ، أو كما مسخ بعض الأمم خنازير ، لكان قد بقى بعض أمورها ، وحبس عليها بعض أعراضها ، كبقية ما مع القرود في ظاهره<sup>(١٠)</sup> من شبه الآدمي ، وبقية ما مع الخنزير

(١) الآية ٥ من سورة الرعد .

(٢) له ، ساقطة من مع ، ش ، ط .

(٣) الآية ١٢ من سورة الصافات .

(٤) الفاتك : كل من يهجم على الأمور العظام غير مبال بما يفعل ، وأصل الفتك القتل

بجاهرة . ما عدا مع ، ش : « القائل » .

(٥) ما عدا مع ، ش : « القائل » .

(٦) أغفلها : جعلها غافلة .

(٧) السكر : حالة بين العقل وعدمه ، وغلبة اللذة على الشباب . ما عدا مع ، ش

« السكر » .

(٨) مع ، ش : « ما لست منه » .

(٩) ما عدا مع ، ش : « عليك شغلاً شاغلاً » ، تحريف .

(١٠) ب ، م : « في ظاهره » ، تحريف .

في باطنه من شبه البشري<sup>(١)</sup> . لكنه جل ذكره مسح الدنيا مسخاً  
متتبعاً ، ومُستقصى مستفرغاً ، فَبَيَّنَ حَالِيهَا<sup>(٢)</sup> جميعُ التضادِّ ، وبين  
مَعْنِيهَا<sup>(٣)</sup> غايةَ الخلافِ .

فالصوابُ اليومَ غريبٌ ، وصاحبه مجهولٌ . والعجبُ ممن<sup>(٤)</sup>  
يصيب وهو مغمورٌ ، ويقول وهو ممنوعٌ ، فإنَّ صرَّتْ عليه عوناً مع  
الزَّمانِ قتلتهُ ، وإنَّ أمسكت عنه فقد وفَّرته<sup>(٥)</sup> .

ولسنا نريدُ منك النصرَةَ ولا المعونةَ ، ولا التَّائِسَ ولا التعزية<sup>(٦)</sup> .  
وكيف أطلبُ منك ما قد انقطع سببهُ ، واجتثَّ أصله . وقد كان يقالُ :  
« مَنْ طلبَ عيباً وجدَه » .

هذا في الدهرِ الصَّالحِ دونِ الفاسدِ . فإنَّ أنصفتَ فقد أغرَبتَ ،  
وإنَّ جُرْتَ فلمْ تَعُدْ ما عليه الزَّمانُ .

وهَبَ اللهُ لنا ولكِ الإنصافَ ، وأعادنا وإياك من الظُّلمِ . والحمدُ لله  
كما هو أهلُه ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ العليِّ العظيمِ<sup>(٧)</sup> .

وصلى اللهُ على سيدنا محمدٍ خاصةً ، وعلى أنبيائه عامةً ، وسلِّمَ .

(١) م ، ط : « الهشري » .

(٢) ما عدا مج ، ش : « حالهما » .

(٣) ما عدا مج ، ش : « معنيهما » .

(٤) ما عدا مج ، ش : « من » .

(٥) مج ، ش : « رفته » .

(٦) م : « ولا التائيس ولا التفرية » ، تحريف .

(٧) العلي العظيم ، من ب فقط . وبدل هذا في كل من مج ، ش : « وهو حسبتنا ونم

الوكيل والمعين » ، كما أن عبارة الصلاة والتسليم التالية ليست فيهما .



٤

من رسالة في

مدح النبيذ وصفة أصحابه

إلى الحسن بن وهب



## فصل

من صدر رسالته إلى الحسن بن وهب<sup>(١)</sup>

في مدح النبيذ وصفة أصحابه

أنا - أبقاك الله - الطالبُ المشغول ، والقائلُ المعذور ، فإن رأيتَ خطأً فلا تنكر فإنني بصددِهِ وبعرضٍ منه ، بل في الحال التي توجبه<sup>(٢)</sup> ، والسبب الذي يؤدي إليه . وإن سمعتَ تسديداً فهو الغريب الذي لا نجاه<sup>(٣)</sup> . اللهم إلا أن يكون من بركة مكاتبتك ، ويمن مطالبتك . ولأنَّ ذكرك يشحذُ الذهن ، ويصورك في الوهم ، ويجلو العقل ؛ وتأميلك ينفي الشغل .

ولا يُعجبني ما رأيتُ من قلةِ إطنابك<sup>(٤)</sup> في هذا النبيذ ، وقلةِ تلهيك هذا الشرابِ وأنت تجد من فضل القول وحسن الوصف ما لا يُصاب عند خطيبٍ ، ولا يُوجدُ عند بليغ . وأنت ولو مشيتَ الخيلاء ، وحقرتَ العظماء ، وأرغبتَ الشعراء ، وأعطيتَ الخطباء ، ليكونَ القولُ منهم موصولاً غير مقطوع ، ومبسوطاً غير مقصور ، لكنك بعدُ مقصراً في أمره ، مفرطاً في واجبِ حقِّه . فلا تأديبَ اللهُ قبِلتَ ، ولا قولَ الناصح سمعت .

(١) الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين ، كاتب شاعر ، كان معاصراً لأبي تمام والبحتري ، ومحمد بن عبد الملك الزيات . وقد رثاه البحتري بعد وفاته ، فوات الوفيات ١ : ٢٦٧-٢٦٩ . وفي سنة ٢٢٩ يذكر الطبري أن الخليفة الواثق ألزمه فيمن ألزمهم من الكتاب أن يؤدي أربعة عشر ألف دينار ، كما ألزم أخاه سليمان بن وهب كاتب إيتاخ أن يؤدي أربعة آلاف دينار .

(٢) ب : « يوجبه » ، صوابه في م ، ط .

(٣) ط : « لا تجده » بالتاء .

(٤) الإطناب : المبالغة في المدح أو الذم . والمطنب : المداح لكل أحد . ب : « أظناك »

تحريف ، وفيها أيضاً : « ولم يعجبني » .

قال الله تبارك وتعالى<sup>(١)</sup> : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ<sup>(٢)</sup>﴾ . وقال الأول : « استديم النعمة بإظهارها ، واستزِد الوهاب بإدامة شكره<sup>(٣)</sup> » . بل كيف أنست بالجلساء<sup>(٤)</sup> ، وأرسلت إلى الأطباء ولم يكن في قربك [منه<sup>(٥)</sup>] ما يغنيك ، وفي النظر إليه ما يشفيك ؟ ولم ملكت نفسك دون أن تهدي<sup>(٦)</sup> ، ولم رأيت الوقار مروءة قبل أن تستخف<sup>(٧)</sup> ولم كان الهذيان هو الهذيان ، والسخف هو المروءة ، والتناقض هو الصِّحة وإلَّا بأي شيء خصصت<sup>(٨)</sup> ، وبأي معنى أتيت ،<sup>(٩)</sup> ولم لم تخلع فيه العذار ، ولم تخرج فيه عن كل مقدار<sup>(١٠)</sup> .

وأى شيء أجرب جلدك وأمات حالك ، وأضعف مسرتك<sup>(١١)</sup> ، وأوحش منك رفيقك ، وإلَّا العقوبة المحضة ، وإلَّا الغضب والعقاب ، وحرمت الثواب إلا التهاون في أمره ، وقلة الرعاية لحقه .

وكيف صارت أمراض الأغنياء وأمراضك أمراض الفقراء إلا لمعرفة بفضاه ، واستخفافك بقدره . ألا ترى أنني منقرس مفلوج ، وأنت أجرب مبسور<sup>(١٢)</sup> .

(١) بدله في ط : « سمعت قول الله تبارك وتعالى » بتكرار « سمعت » .

(٢) الآية ١١ من سورة الفصحى .

(٣) ط : « الموهاب بإدامة شكرها » .

(٤) ب ، م : « أيست بالجلساء » ، تحريف .

(٥) التكلة من م .

(٦) ب ، م : « أن تهدي » بالبدال المهملة .

(٧) ب : « تستخني » .

(٨) ب ، م : « خصصته » .

(٩) ب ، م : « أتيت » .

(١٠) ب ، م : « من كل مقدار » .

(١١) ب ، م : « وضعف مسرتك » .

(١٢) المبسور : من به البواسير . والباسور : علة تحدث في المقعدة . وفي جميع النسخ :

« مستور » ، ولا وجه له .



فإن ثبتَ فما أقربَ الفَرَجِ ، وأسرعَ الإجابة . وسنفرُغُ لك إن شاءَ اللهُ قريباً ، وتفلحَ سريعاً .

وإنْ أَصْرَرْتَ وتتابعت وتماذيت<sup>(١)</sup> أتاك والله من سَفَلَةِ الأدواء ، وزُؤَى عنك من عِلْيَةِ الأمراض ، ما يضعُك موضعاً لا ارتفاعَ معه ، ويُلزِقُ بعَقَبِكَ عاراً لا زوالَ له . ثم تُتبعُ أشياخك السُّبَّةَ ، وتُتبعُهُم المذمَّةَ . عَلِمَ اللهُ أَنَّهُ استظَرَفَكَ واستملحك ، واستحَسَنَ قَدَكَ ، واسترحج عَقْلَكَ ، وأحسَنَ بك ظناً ، وراكَ<sup>(٢)</sup> لنفسِهِ أهلاً ، ولا تُتخذه موضعاً ، وللأنس به مكاناً ، وأنت لاهِ عنه زارٍ عليه ، متهاونٌ به ، قد أَقْبَلْتَ على ديوانك تُشغَلُ بملازمتِهِ ، وتَدْعُ ما يجب عليك من صِفاته ، والدِّعاءُ إلى تعظيمِهِ . بلْ هل كنتَ من شيعته والذابِّين عن دَوْلته ، والمعروفين بالانقطاع إليه ، والانبِتات في حبلِهِ<sup>(٣)</sup> ، إِلَّا أن يكونَ عندك التقصيرُ لحقَّهُ ، والتَّهاونُ بأمرِهِ اللازمِ ، ونَهَى الناس عنه .

ولو خرجتَ إلى هذا لخرجتَ من جميع الأخلاق المحمودة ، والأفعال المرضية . وأحسبُ أَنَّكَ لا تعظِّمه ولا ترقُّ له . ولو لم تتعصَّبْ إِلَّا لجمالِهِ وحسنِهِ ، ولو لم تُحافظ على نقائه وعِتقهِ لكان ذلك واجباً ، وأمراً معروفاً . فكيف مع المناسبةِ التي بينكما ، والشَّكْلِ الذي يجمعكما . فإنْ كان بعضُك لا يصون بعضاً وأنت لا تعظِّم شقيقاً ، فأنت والله من حِفْظِ العشيرة أبعدُ ، ولمعرفة الصِّديقِ أنكر .

ولقد نعتَ إلى لُبِّكَ ، وأثكَلتَنِي حِفْظَكَ<sup>(٤)</sup> ، وأفسدتَ عندى كلَّ

(١) التتابع : التهافت في الشر ، والوقوع فيه . ب ، م : « تتابعت » ، صوابه في ط .

(٢) ب ، م : « وزادك » ، صوابه في ط .

(٣) الانبِتات : الانقطاع . والمراد به الملازمة وتوثق الصلة .

(٤) أثكله الأمر : جملة يفقده ، يقال أثكلها الله ولدها ، وأثكله الله أمه ، إذا أصابها

بفقدِها . ب : « أثكلتني » صوابه في ط ، م .

صحيح . وقد كان يقال : « لا يزال الناس بخير ما تعجبوا من العجب »  
قال الشاعر<sup>(٢)</sup> :

وهلك الفتى أن لا يرآح إلى الندى وأن لا يرى شيئاً عجيباً فيعجب  
قال بكر بن عبد الله المزني<sup>(٣)</sup> : « كنا نتعجب من دهر لا يتعجب  
أهله من العجب فقد صرنا في دهر لا يستحسن أهله الحسن . ومن  
لا يستحسن الحسن لم يستبج القبيح » .

وقال بعضهم : « العجب ترك التعجب من العجب » .

ولم أقل ذلك إلا لأن تكون به ضئيلاً<sup>(٤)</sup> ، وبما يجب له عارفاً .  
ولكنك لم توفّر حقّه ولم توفّر نصيبه<sup>(٥)</sup> .

فإن قلت : ومن يقضى واجب حقّه ، وينتهض بجميع شكره ؟  
قلنا : فهل أعذرت في الاجتهاد حتى لا يُذمّ إلا تعجبك ، وهل  
استغرقت الاعتذار حتى لا تعاب إلا بما زاد على قوتك . ولولا أنك عين  
الجواد<sup>(٥)</sup> لم نطلبه منك . ولولا ظنك<sup>(٦)</sup> لم نحمدك عليه . ولولا معرفتك

(١) هو حارثة بن بدر الغداني ، كما في الحيوان ٣ : ٨٠ والبيان ٣ : ٢١٩ والأغانى  
٢١ : ٣١ وأمالى المرتضى ١ : ٣٨٨ ويقال إن حارثة قد تمثل به . ونسب في معجم البلدان  
٢ : ٢٥٤ إلى عمرو بن النعمان البياضى . وانظر أمالى الزجاجى ٣٠ .

(٢) بكر بن عبد الله المزني : نسبة إلى مزينة ، أبو عبد الله البصرى ، ثقة ثبت . مات  
سنة ست ومائة . تقريب التهذيب وصفة الصفوة ٣ : ١٧١ . وفي جميع النسخ : « المرى » ،  
صوابه ما أثبت . وانظر الحيوان ٦ : ٥٠٨ - ٧ : ٢٠٢ ، ٢٥٤ . ولبكر هذا أقوال مأثورة  
في مواضع كثيرة من البيان والتبيين . وكان من التساك والزهاد من أهل البيان .

(٣) ب : « ظئينا » ، صوابه في م ، ط .

(٤) ط : « ولم تعرف نصيبه » .

(٥) عين الجواد ، أى نفسه ، والمراد الجواد الكامل ، الجامع لأسباب السخاء ، وفي

الجماسة ١٦٩١ بشرح المرزوق ، قول عبد العزيز بن زرارة الكلبي :

فإلا أكن عين الجواد فإني على الزاد في الظلماء غير شتم

وإلا أكن عين الشجاع فإني أرد سنان الرمح غير سليم

ب : « عين الجوار » ط : « عين الجود » . والضمير في « لم نطلبه » عائد إلى التبيذ المفهوم

من الكلام .

(٦) م : « ضنك » .

بفضله لم نعجب من تقصيرك في حقّه ، ولولا أنّ الخطأً فيك أقبح ،  
والقبيح منك أسمع ، وهو فيك أبينُ والنّاسُ به أكلف<sup>(١)</sup> ، والعيونُ  
إليه أسرع - لكان كتابنا كتابَ مُطالِبة ، ولم يكن كتاب معاتبه ،  
ولشغلنا الجِلْمُ لك عن الحلم عليك ، والقولُ لك عن القول فيك .

وقد كنتُ آهابك بفضلي هيتي لك ، وأجترئُ عليك بفضلي  
بَسْطِكَ لِي ، فمِنَعِي جِرْصُ الممنوع ، وخوفُ المُشْفِق ، وأمنُ الواثق ،  
وقناعة الراضى .

وبعد فمن طلب ما لا يُجاد به ، وسأل ما لا يُوهب مثله ممن يجود  
بكلِّ ثمين ، ويهبُ كلَّ خطير ، فواجبٌ أن يكون من الرّدِّ مشفقاً ،  
وبالنّجح موقناً .

وإن كان ، أبقاك الله<sup>(٢)</sup> ، أهلاً لأن يُمنع ، وكنتَ حفظك الله أهلاً  
أن تبذل ، وجب أن تكون<sup>(٣)</sup> باذلاً مانعاً ، وساكناً مطمئناً ، إلا أن  
يكون الحرب سلماً سِجَالاً ، والحالاتُ دُولاً .

ولهذه الخصال ما وقع الطّلب ، وشاع الطمع .

فإن منعتَ فعذرُك مبسوطٌ عندَ من عرف قدره<sup>(٤)</sup> ، وإن بذلتَ فلم  
تعدُ الذى أنتَ أهله عند من عرف قدرك ، إلا أنه لا وجودُ بمثله إلا  
غنى عند جميع الناس ، أو عاقلٌ فوق جميع الناس .

وكيف لا أطلبُ طلبَ الجرى المتهور ، وأمسكُ إمساكَ الهائب

(١) م ، ط : « فيه أكلف » .

(٢) في جميع النسخ : « أبقاه الله » ، والوجه ما أثبت .

(٣) ب ، ط : « يكون » .

(٤) ط : « قدرك » . والمراد قدر النبيذ .

الموقر. وليس في الأرض خَلْقٌ يُعْتَفَرُ<sup>(١)</sup> في وصفه المحال ولا يُسْتَحْسَنُ الهديانُ سواه ؟ !

على أن من الهديان ما يكون مفهوماً، ومن المحال ما يكون مسموعاً<sup>(٢)</sup>.

فمن جهل ذلك ولم يعرفه، وقصر ولم يبلغه<sup>(٣)</sup>، فليسمع كلام اللهفان والشكلان، والغضبان والغيران، ومرقصة الصبيان، والمنعيط<sup>(٤)</sup> إذا دنا منه الحلقى.

حتى إذا استوهبك لم تهب له منه<sup>(٥)</sup> حتى تقف وقفة، وتطرق ساعة<sup>(٦)</sup>، ثم تستحسن وتستشير، ثم تشفع<sup>(٧)</sup> على مستوهبه، وتعجب من شاريه، ثم تطيل الكتاب بالامتنان، وتسطر فيه بتعظيم الإنعام مع ذكر مناقبه، ونشر محاسنه<sup>(٨)</sup> بقدر الطاقة. وإن لم تبلغ الغاية فاعرف وزنه، وأشهد بطيبه، وأرخ ساعته<sup>(٩)</sup>، وأشهر في الناس يومه<sup>(١٠)</sup>.

وما ظنك بشيء لا تقدر أن تشرذ في ذكره<sup>(١١)</sup> وتفطر في مدحه،

(١) ب، م : «يفتقر» .

(٢) ما يكون، ساقطة من ب، م .

(٣) ب فقط : «فل يبلغه» .

(٤) ب : « المنفط » م : « والمنفط » ط : « والمتعظ » صوابها ما أثبت . والحلق :

الذي فسد عضوه فانعكس ميل شهورته . وهو من ألفاظ المولدين . وانظر شفاء الغليل ص ٧٠

والحيوان ١ : ٢٢٥ - ٣ : ١٦٦ . وفي جميع النسخ : « والحلق » ، والواو مقحمة .

(٥) ب ، م : « وحتى أتاك أن يهب لى منه » وليس له وجه . وأثبت ما في ط .

(٦) ط : « وتطرقه ساعة » .

(٧) في جميع النسخ : « تشفع » .

(٨) ب ، م : « وبشر محاسنه » .

(٩) في جميع النسخ : « وأرخ » بأحاء المهملة .

(١٠) في جميع النسخ : « وأشهد » بالبدال .

(١١) الشرود : الذهاب والهرب . م ، ط : « تسرد في ذكره » .

وتتصيرك واضح في لونه<sup>(١)</sup>، مكتوب في طعمه<sup>(٢)</sup>، موجود في رائحته<sup>(٣)</sup>،  
إذ كان كلُّ ممدوح يقصُر عن مدحه وقدره، ويصغُر في جنبه .  
ولو لم يُستدلَّ على سعادة جدِّك، وإقبالِ أمرِك، وأنَّ لك زىَّ  
صدِّقٍ في<sup>(٤)</sup> المعلوم، وحفظاً<sup>(٥)</sup> في الرِّزْقِ المقسوم، وأنَّك ممن تبقَى نِعْمُهُ،  
ويدومُ شكره، ويفهم النِّعمة ويربُّها<sup>(٦)</sup>، ويذراً عنها ويستديمها<sup>(٧)</sup>،  
إلاَّ أَنَّهُ وقع في قَسَمِك، وكان في نصيبك - لكان ذلك أعظمَ البرهان،  
وأوضحَ الدلالة .

بل لا نقول : إِنَّه وقع اتفاقاً وغرْساً نادراً، حتَّى يكون التَّوفيق  
هو الذى قصد به، والصُّنْع هو الذى دلَّ عليه .

ولو لم تملكْ غيره لكنتَ غنياً، ولو ملكت كلَّ شىءٍ سواه لكنت  
فقيراً . وكيف لا يكون كذلك وهو مُستراحٌ قلبك، ومجالٌ عقلك،  
ومرتعٌ عينك<sup>(٨)</sup>، وموضعٌ أنسك، ومُستنبطٌ لذتِك، وينبوعٌ سرورك،  
ومصباحك في الظلام : وشعارك من جميع الأقسام .

وكيف وقد جمع أهبة الجلال، ورشاقة الخلال، ووقار البهاء .

(١) في الأصول : « في كونه » .

(٢) ب : « مكتوب في طعمه » م : « مكتوب في طعمه » ط : « مكتوباً في طعمه » ،  
ولعل الوجه ما أثبت .

(٣) ط فقط : « موجوداً » بالنصب .

(٤) ب ، م : « ذى صدق » ، تحريف . والزى : اللباس والهيئة والمنظر ، وأصله  
زوى ، تقول منه زيبته ، والقياس زويته .

(٥) ب : « وخطا » م : « وخطأ » ، صوابهما في ط .

(٦) رب النعمة : حفظها ورعاها . وفي الحديث : « لك نعمة تربها » . ط فقط : « تربها »

(٧) ب ، م : « ويذرعها » ، صوابه في ط .

(٨) يرتع : يلهو ويلعب وينعم . وفي الأصول : « ومربع عينك » ، والوجه ما أثبت .  
ومنه قول المتنبي :

حشاشى على جمر ذكى من الهوى وعيناي فى روض من الحسن ترتع

وشرف الخير<sup>(١)</sup> ، وعزّ المجاهرة<sup>(٢)</sup> ولذة الاختلاس ، وحلاوة  
الدبيب<sup>(٣)</sup> .

وسأصف لك شرف<sup>(٤)</sup> النبيذ في نفسه ، وفضيلته على غيره ، ثم أصف  
فضل شرابك على سائر الأشربة ، كما أصف فضل النبيذ على سائر  
الأنبذة . لأن النبيذ إذا تمشى في عظامك ، والتبس بأجزائك ،  
ودب في جنانك ، منحك صدق الحس ، وفراغ النفس ، وجعلك رخي  
البال ، خلى الذرع<sup>(٥)</sup> ، قليل الشواغل ، قدير العين ، واسع الصدر ،  
فسيح الهم<sup>(٦)</sup> حسن الظن . ثم سدّ عليك أبواب التهم ، وحسن دونك  
الظن وخواطر الفهم<sup>(٧)</sup> ، وكفك مئونة الجراسة ، وألم الشفقة ،  
وخوف الحدثنان ، وذلل الطمع وكدّ الطلب<sup>(٨)</sup> ، وكل ما اعترض على  
السُرور وأفسد اللذة ، وقاسم الشهوة ، وأخل بالنعمة<sup>(٩)</sup> .

وهو الذي يردّ الشيوخ في طبائع الشبان ، ويردّ الشبان في نشاط  
الصبيان ، وليس يخاف شاربه<sup>(١٠)</sup> إلاّ مجاوزة السُرور إلى الأشر ،  
ومجاوزة الأشر إلى البطر .

(١) م فقط : « الخيل » ، تحريف .

(٢) ط فقط : « المجاهدة » ، والوجه في ب ، م .

(٣) أصل الدبيب المشى على هيئة ، واستعمل مع الاختلاس في معاني التوصل إلى المشوق  
في خفية . وفي جميع الأصول : « الزبيب » .

(٤) ب : « شرب » ، تحريف .

(٥) الذرع : الطاقة والوسع . م : « على الذراع » تحريف ، وفي ب : « خالي الذرع » ،  
وأثبت ما في ط .

(٦) ب ، م : « الهم » .

(٧) ب ، م : « الظن خواطر الفقه » .

(٨) م : « وكدّ الطلب » .

(٩) ب ، م : « واختل بالنعمة » .

(١٠) ب : « نجاة شاربه » م : « نجات شاربه » ، صوابهما في ط .

ولو لم يكن من أياديه ومِنِّهِ ، ومن جميل آلائه ونِعَمِهِ <sup>(١)</sup> ، إِلَّا  
 أَنْكَ ما دُمْتَ تَمْزُجُهُ بِرُوحِكَ ، وتُزَاجِرُ بَيْنَهُ وبين دَمِكَ فقد أَعْفَاكَ من  
 الجَدِّ ونَصَبِهِ ، وحبَّبَ إِلَيْكَ المِزَاجَ والفِكاكَةَ ، وبَغَّضَ إِلَيْكَ الاستِقْصَاءَ  
 والمِحاوَلَةَ ، وأزَالَ عَنكَ تَعَقُّبَ الحِشْمَةِ وكَدَّ المِروءَةِ ، وصارَ يَوْمُهُ جَمالاً  
 لِأَيَّامِ الفِكرَةِ ، وتَسهِيلاً لمِعاوَدَةِ الرُّويَةِ <sup>(٢)</sup> ، لكانَ في ذلكَ ما يوجبُ  
 الشُّكْرَ ، وَيُطِيبُ الذِّكْرَ <sup>(٣)</sup> . معَ أَنَّ جَمِيعَ ما وصفناه وأخبرنا به عنه  
 يقومُ بِأيسرِ الجِرمِ <sup>(٤)</sup> ، وأقلِّ الثمنِ .

ثم يعطيك في السَّفَرِ ما يُعطيك في الحَضَرِ ، وسواءٌ عَلَيْكَ البِساتينُ  
 والجِنَانُ <sup>(٥)</sup> . وَيَصْلِحُ بالليلِ كما يَصْلِحُ بالنهارِ ، وَيَطِيبُ في الصُّحُورِ  
 كما يَطِيبُ في الدُّجَنِ ، وَيَلْدُ في الصَّيْفِ كما يَلْدُ في الشِّتَاءِ ، ويعجى  
 معَ كُلِّ حالٍ . وكلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ فَإِنَّمَا يَصْلِحُ في بَعْضِ الأَحْوالِ .

ويدفع مَضْرَّةَ الخُمَارِ ، كما يَجلبُ مَنفَعَةَ السُّرُورِ .

إِنْ كُنْتَ جَدلاً [كانَ] <sup>(٦)</sup> باراً بِكَ ، وَإِنْ كُنْتَ ذا هَمٍّ نَفَاهُ عَنكَ .

وما الغيثُ في الحَرِّ بِأَنْفَعَ مِنْهُ في البَدَنِ ، وما الرِّيشُ السُّخَامُ <sup>(٧)</sup>  
 بِأَدْفَأَ مِنْهُ للمَقْرُورِ <sup>(٨)</sup> .

(١) ب ، م : « بلائه ونعمه » .

(٢) الروية : التفكير في مهل . ب ، م : « الروية » .

(٣) م ، ط : « ويطنب الذكر » . والإطناب : الإطالة .

(٤) الجرم ، بالفتح : الكسب .

(٥) البستان : جنية فيها نخيل متفرقة ، معرب . والجنة : الحديقة ذات النخل والشجر .

(٦) التكلمة من ط . والجذل : الفرح .

(٧) السخام ، كغراب : اللين الحسن ، أو ما كان ليناً تحت الريش الأعلى . وفي جميع

الأصول : « السخام » ، صوابه ما أثبت .

(٨) المقرور : الذي أصابه البرد . م : « بأذى منه » تحريف .

ويُستمرّاً به الغداء<sup>(١)</sup> ويدفع به ثِقَلُ الماء ، ويُعالَجُ به الأدوية ،  
ويحمرُّ به الوجنتان ، ويُعدَلُ به قضاءَ الدين .

إن انفردتَ به أهلك ، وإن نادمتَ به سواك .

ثم هو أصنع للسرور من زلزل<sup>(٢)</sup> ، وأشدُّ إطباقاً من مُخارق<sup>(٣)</sup> ،  
وقدر احتياجهما إليه كقدر استغنائه عنهما ؛ لأنه أصل اللذات وهي  
فرعُه ، وأول السرور ونتاجُه .

ولله درُّ أولٍ من عمله وصنعه<sup>(٤)</sup> ، وسقياً لمن استنبطه وأظهره .  
ماذا دبر ؟ وعلى أيّ شيءٍ دلّ ؟ وبأيّ معنى أنعم ؟ وأيّ دفينٍ آثار ؟ وأيّ  
كنزٍ استخراج .

ومن استغناء النبيذ بنفسه ، وقلة احتياجه إلى غيره ، أن جميع  
ماسواه من الشراب يُصلحه الثلج ، ولا يطيبُ إلا به .

وأول ما يُثنى عليه به ، ويُذكر منه<sup>(٥)</sup> ، أنه كريم الجوهر ، شريفُ  
النفس ، رفيع القدر ، بعيد الهم . وكذلك طبيعته المعروفة<sup>(٦)</sup> وسجيته  
الموصوفة . وأنه<sup>(٧)</sup> يسرُّ النفوس ويحبُّ إليها الجود ، ويزينُّ لها  
الإحسان ، ويرغبُّها في التوسع ، ويورثُها الغنى ، وينفي عنها الفقر ،

(١) م : « ويستمرى » بالتنهيل .

(٢) زلزل ، بفتح الزاوين : معن ضارب بالعود يضرب به المثل ، وإليه تضاف بركة  
زلزل ببغداد ، تعلم على إبراهيم الموصل ، وله أخبار مع هارون الرشيد مذكورة في الأغاني .

(٣) مخارق : أحد كبار المغنين في الدولة العباسية ، غنى هارون والمأمون والأمين والمعتمد  
والواثق . وأخباره مسهب في الأغاني .

(٤) ب : « أول من صنعه » ، فقط .

(٥) م ، ط : « ماثنى عليه به » وفي ط أيضاً : « ونذكر منه » .

(٦) طبيعته ، ساقطة من ب ، م .

(٧) ب ، م : « وأن » .



وَيَمْلؤها عِزًّا ، وَيَعِدُّها خَيْرًا ، وَيَحْسُنُ المِساَرَةَ <sup>(١)</sup> ، وَيَصِيرُ به النَّبْتُ حِصْبًا وَالجَنابُ مَرِيعًا <sup>(٢)</sup> ، وَمَأْهُوًّا مُعْشَبًا .

وليس شيء من المأكول والمشروب أجمع للظرفاء ، ولا أشد تالفًا للأدباء ، ولا أجلب للمؤنسين ، ولا أدعى إلى خلاف الممتنعين <sup>(٣)</sup> ، ولا أجدر أن يُستدام به حديثهم ويُخرج مكنونهم ، ويطول به مجلسهم ، منه .

وإنَّ كُلَّ شراب وإن كان حلاً ورقً <sup>(٤)</sup> ، وصفا ودقً ، وطاب وعذب ، وبرد ونقخ <sup>(٥)</sup> ، فإن استطابتك لأول جرعة منه أكثر <sup>(٦)</sup> ، ويكون من طبائعك أوقع . ثم لا يزال في نقصان إلى أن يعود مكرهاً وبلية <sup>(٧)</sup> ، إلا النبيذ ، فإن القدر الثاني أسهل من الأول ، والثالث أيسر <sup>(٨)</sup> ، والرابع ألد ، والخامس أسلس ، والسادس أطرب ، إلى أن يسلمك <sup>(٩)</sup> إلى النوم الذي هو حياتك ، أو أحد أقواتك <sup>(١٠)</sup> . ولا خير فيه إذا كان إسكاره تغلباً ، وأخذته بالرأس تعسفاً ، حتى يميت الحس

(١) م فقط : « السارة » .

(٢) المريع : المخضب ، يقال مكان مرع ومرع : خصيب مرع ناجع . قال الأعشى :

سلس مقلسه أسياً — سل خده مرع جنبابه

ب ، م : « مربعان ، صوابه في ط .

(٣) في الأصول : « الممتنعين » ، ولا وجه له .

(٤) ط ، م : « وإن حلا ورق » .

(٥) النفاخ : الماء العذب البارد الذي يتنقح العطش ، أي يكره برده . وفي جميع

الأصول : « ونفخ » ، والوجه ما أثبت .

(٦) م : « الأول جرعه منها » . وفي ب ، م . « كثير » ، وفي ط : « لأول جرعة

منا كثير » . والوجه ما أثبت .

(٧) ب فقط : « وبرية » ، تحريف .

(٨) ب فقط : « أسر » .

(٩) في جميع الأصول : « يسلك » ، ولا وجه له .

(١٠) ب : « وأحد أقواتك » .

بحدته ، وَيَصْرَعُ الشارب بسورته <sup>(١)</sup> ، ويورث البهْرَ بِكِبْرَتِهِ ،  
ولا يَسْرِى في العُرُوقِ لِعِلَظِهِ <sup>(٢)</sup> ، ولا يجرى في البدن لِرُكُودِهِ ، ولا يدخل  
في العُمُقِ ولا يدخل الصَّمِيمَ .

ولا والله حتى يغازل العقل ويعارضه ، ويدغدغه ويُخادعه <sup>(٣)</sup> ،  
فيسره ثم يهزه <sup>(٤)</sup> ، فإذا امتلاً سروراً وعاد ملكاً مجبوراً ، خاتله  
السُّكْرُ وراوَعَهُ ، وداراه وما كرهه ، وهازله وغانجه . وليس كما يعتصب  
السُّكْرُ <sup>(٥)</sup> ، ويعتسف الداذى <sup>(٦)</sup> ، ويفترس الزَّبِيبَ ؛ ولكن بالتفتير  
والعَمَزَ ، والحيلة والختل <sup>(٧)</sup> ، وتحبيب النوم ، وتزيين الصمت .

وهذه صفةُ شرابك إلا ما لا نُحِيطُ به <sup>(٨)</sup> ، ونعوته تتبدل <sup>(٩)</sup> إلا  
ما يقبح منها الجهل به .

وخيرُ الأشربة ما جمع المحمودَ من خصالها وخصالِ غيرها . وشرابك  
هذا قد أخذ من الخمر ديبجها في المفاصل <sup>(١٠)</sup> ، وتمشيها في العظام  
ولونها الغريب ؛ وأخذ بَرْدَ الماءِ ورقَّةَ الهواءِ ، وحركة النارِ ، وحمرة

(١) ب ، م : « ويسرع » بالسین ، تحريف . وسورة الشراب : تناوله للرأس  
ووثوبه فيه .

(٢) ط : « لغلظته » .

(٣) الدغدغة : حركة في نحو الإبط أو البطن أو الأخص يحدث عنه انفعال .

(٤) م : « ويسره ثم يهزه » .

(٥) السكر ، بالتحريك : الخمر نفسها .

(٦) الداذى : شراب يتخذ من نبت له عنقود مستطيل ، وجهه كحب الشعير ، طيب  
الرائحة جيد الإسكار . قال :

شربنا من الداذى حتى كأننا  
ملسوك لنسا بر العراقين والبحر

(٧) في جميع النسخ : « والحيل » ، والوجه ما أثبت .

(٨) ب ، م : « إلا ما لا يحيط به » .

(٩) ب ، م : « وبعث بتبدل » ، ط : « ونعوته بتبدل » ، والوجه ما أثبت .

(١٠) م ، ط : « زينتها في المفاصل » ، صوابه في ب . وفي ب أيضاً : « فقد أخذ » .

خَدُّكَ إِذَا خَجَلْتَ ، وَصَفْرَةَ لَوْنِكَ إِذَا فَرِغْتَ ، وَبِيَاضَ عَارِضِيكَ إِذَا  
ضَجِجْتَ (١) .

وحسبى بصفاتك غوضاً من كلِّ حَسَنٍ ، وخلفاً من كلِّ صالح .  
ولا تعجبُ أَنْ كانتِ نهايةَ الهمةِ وغايةَ المُنْمِيَةِ ؛ فَإِنَّ حُسْنَ الوجوهِ إِذَا  
وافقَ حُسْنَ القوامِ وشِدَّةَ العقلِ ، وجودَةَ الرَّأْيِ ، وكثرةَ المُضَلِّ (٢)  
وسَعَةَ الخُلُقِ ، والمُغْرَسَ الطَّيِّبَ والنَّصَابَ الكَرِيمَ ، وَالظَّرْفَ النَّاصِعَ (٣) ،  
وَاللِّسَانَ الفَخْمَ (٤) والمُخْرَجَ السَّهْلَ والمُحَايِثَ المُؤْتِقَ ، مع الإِشارةِ  
الحَسَنَةِ والنُّبْلِ فى الجِلْسَةِ ، والحركةِ الرَّشِيقَةِ وَاللَّهْجَةَ الفَصِيحَةَ ،  
وَالتَّمَهُّلَ فى المُحَاوَرَةِ (٥) وَالهُزَّ عِنْدَ المُنَاقَلَةِ (٦) ، وَالبَدِيَةَ البَدِيْعَ والفِكرَ  
الصَّحِيحَ ، والمعنىَ الشَّرِيفَ ، وَاللَّفْظَ المُحذوفَ ، وَالإِيجازَ يَوْمَ الإِيجازِ  
وَالإِطْنابَ يَوْمَ الإِطْنابِ (٧) ، يَفْلُ الحَزَّ (٨) وَيُصِيبُ المُفْصِلَ ، وَيَبْلُغُ بِالعَنوِ  
مَا يَقْصُرُ عَنهُ الجَهْدُ ، كَانَ أَكْثَرَ لِتَضاعِفِ الحُسْنِ ، وَأَحَقَّ بِالكَمالِ .  
والحمدُ لِلَّهِ .

وَإِنَّ التَّاجَ بِهِ (٩) وَهُوَ فى رَأْسِ المُلوكِ أَهْبَى ، وَالبِياقوتَ الكَرِيمَ حَسَنٌ  
وَهُوَ فى جِيدِ المَرأَةِ الحَسَناءِ أَحْسَنُ ، وَالشُّعْرَ الفَاخِرَ حَسَنٌ وَهُوَ منِ فى

(١) العارض : جانب الوجه ، وصفحة الخد ؛ وهما عارضان . ط : « وبياض عارضك »

بالإفراد .

(٢) فى جميع الأصول : « الفعل » .

(٣) م ، ط : « والطرف الناصع » صوابه فى ب . وانظر ما سبق فى ص ١٠٠ .

(٤) ط فقط : « المعجم » .

(٥) فى جميع النسخ : « المجاوزة » والوجه ما أثبت .

(٦) المناقلة : مراجعة الكلام فى صحب وتنازع . والهد : سرعة فى الكلام والقراءة .

وفى جميع الأصول : « والهمز » بالزاي ، تحريف .

(٧) المراد باليوم هنا الوقت . ب : « يؤم » بالهمز فى هذا الموضع وسابقه ، تحريف .

(٨) يفل : يكسر ويضرب . ب ، م : « يقل » باللقاف ، تحريف .

(٩) ب ، م : « التاج بهى » .

الأعرابي أحسن . فإن كان من قول المنشد وقريضه ، ومن نَحْتِه وتحبيره ، فقد بلغ الغاية وأقام النهاية .

وهذا الشرابُ حسنٌ وهو عندك أحسن ، والهديةُ منه شريفةٌ وهي منك أشرف .

وإن كنتَ قدّرتَ أنى إنمّا طلبته منك لأشربه أو لأسقيه ، أو لأهبه ، أو لأتحمّسه في الخلا ، أو أديره في الملا (١) أو لأنافس فيه الأكفء ، واجترأ زيادة الخلطاء (٢) ، أو لأبتذله لعيون الندماء ، أو أعرضه لنوائب الأصدقاء فقد أسأتَ بي الظنّ ، وذهبت من الإساءة بي في كلِّ فنّ (٣) ، وقصّرتَ به فهو أشدُّ عليك ، ووَضَعْتَ منه (٤) فهو أضربُ بك .

وإن ظننتَ أنى إنمّا أريده لأطرف به معشوقه (٥) ، أو لأستميل به هوى ملك ، أو لأغسل به أوضار الأفتدة (٦) ، أو أداوى (٧) به خطايا الأشربة ، أو لأجلو به الأبصار العليّة ، وأصلح به الأبدان الفاسدة ، أو لأتطوّع به على شاعر مُفلق (٨) أو خطيب مُصقّع ، أو أديب مُدقّع ، ليقتيق لهم المعاني (٩) ، وليخرج المذاهب ، وليما في جانبهم من

(١) ب فقط : « أو أدير في الملا » . والملا : المتسع من الأرض .

(٢) الاجترار : الاجتذاب والاجتلاب . ب ، م : « واختر » ط : « وأختبر » والوجه ما أثبت . وانظر الحيوان ٦ : ١٣ ورسائل الجاحظ ١ : ١٠٢ . والخلطاء : جمع خليط ، وهو الصاحب ، والجار المصافي . ب ، م : « الخطأ » ط : « الخطأ » ، والصواب ما أثبت .

(٣) ب ، م : « غن » ، صوابه في ط .

(٤) ب ، م : « ووضعت منه » .

(٥) الإطراف : الإتحاف ، أطرفه بالشئ : أتحمفه به . ب ، م : « لأطرف »

صوابه بالطاء المهملة كما في ط .

(٦) الوضر : الدرر والوسخ ، جمعه أوضار . ط : « وضر الأفتدة » .

(٧) م ، ط : « أو أداوى » ، صوابه في ب .

(٨) المفلق : الذى يأتي بما يعجب من الشعر . م : « مفلق » ، تحريف .

(٩) في جميع الأصول : « ليفيق » ، والوجه ما أثبت .

الأجر ، وفي أعناقهم من الشكر<sup>(١)</sup> ، ولينفضوا<sup>(٢)</sup> ما قالت الشعراء في الحمد ، وليرتجعوا ما شاع لهم من الذِّكر<sup>(٣)</sup> ؛ فإنني أريد أن أضع من قَدْرها ، وأن أكسر من يالها<sup>(٤)</sup> ، فقد تاهت وتيبه بها . أو لأن أتفاهل برؤيته<sup>(٥)</sup> وأتبرك بمكانه ، وآنس بقربه ، أو لأشفي به الظماء<sup>(٦)</sup> ، أو أجعله إكسير أصحاب الكيمياء<sup>(٧)</sup> ، أو لأن أذكرك كلما رأيته ، وأداعبك كلما قابلته<sup>(٨)</sup> أو لأجتلب به اليسر<sup>(٩)</sup> وأنفي العسر . ولأنه والفقير لا يجتمعان في دار ، ولا يقيمان في رُبْع . ولأتعرف<sup>(١٠)</sup> به حُسن اختيارك ، وأتذكّر به جوده اجتباك<sup>(١١)</sup> . أو لأن أستدلّ به على خالص حُبك ، وعلى معرفتك بفضلي ، وقيامك بواجب حقّي - فقد أحسنت بي الظنّ ، وذكرت من الإحسان في كلّ فن . بل هو الذي أصونته صيانة الأعراض ، وأغار عليه<sup>(١٢)</sup> غيرة الأزواج .

- (١) في جميع الأصول : « وفي أعناقهم من الشكر » ، والصواب ما أثبت .  
 (٢) النفض : الاستقصاء . ب : « ولينفضوا » ط : « ولينفضوا » ، صوابهما في م .  
 (٣) ط : « وليرتجعوا بما شاع لهم من الذِّكر » ، تحريف .  
 (٤) البال : القلب ، والنفس ، والخطاير ، والأمل .  
 (٥) ب ، م : « إلى رؤيته » .  
 (٦) الظماء : مصدر ظمى . يظلم ظمأ وظماء وظماء . ب : « الظماء » ط : « الظمان » .  
 (٧) الإكسير : مادة مركبة كان القدماء يزعمون أنها تحول المعدن الرخيص إلى ذهب ، وشراب في زعمهم يطيل الحياة ، معرب . ويسمى أيضاً حجر الفلاسفة . انظر استينجاس ٨٩ .  
 (٨) ب ، م : « وأدعبك كلما قابلته » ، صوابه في ط .  
 (٩) ب : « أو لأحتلب » بالحاء المهملة . وفي م : « البشري » موضع « اليسر » .  
 (١٠) ب فقط : « أو لأتعرف » .  
 (١١) الاجتباء ، بالجيم : الاختيار والاصطفاء . وفي الكتاب العزيز : « هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج » ، « شاكرأ لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم » ، « ولكن الله يجزي من رسله من يشاء » . وفي جميع الأصول : « اجتباك » بالحاء المهملة ، تحريف .  
 (١٢) غار يغار غيره : ثارت نفسه لإبدائها زينتها ومحاسنها لغيره ، أو لانصرافها عنه إلى آخر . م فقط : « وأغير » ، تحريف .

واعلم أنَّك إن أكثرت لى منه خرجتُ إلى الفساد ، وإن أقللتَ  
أقسمت على الاقتصاد ،

وأنا رجلٌ من بنى كنانة ، وللخلافة قرابة ، ولى فيها شُفعة<sup>(١)</sup> ،  
وهم بعد<sup>(٢)</sup> جنسٌ وعَصَبَةٌ ، فأقلُّ ما أصنعُ إن أكثرتَ لى منه أن أطلبُ  
المُلْك ، وأقلُّ ما يصنعون بى أن أنفَى من الأرض . فإن أقللتَ فإنَّك الولدُ  
الناصح ، وإن أكثرتَ فإنَّك الغاشُّ الكاشح . والسلام .

(١) ب : « وفيها شفعة » .  
(٢) ب : « أبعد » ، تحريف .

٥

من كتابه في

طبقات المعنّين





## فصل

## من صدر كتابه في طبقات المغنين

ثم إننا وجدنا الفلاسفة المتقدمين في الحكمة ، المحيطين بالأُمور معرفةً ، ذكروا أنَّ أصولَ الآدابِ التي منها يتفرَّعُ العلمُ لدَوَى الألبابِ أربعةٌ :

فمنها النُّجومُ وبروجُها ، وحسابُها الذي يعرف به <sup>(١)</sup> الأوقاتُ والأزمنةُ ، وعليها مزاجُ الطَّبائِعِ وأيامِ السَّنَةِ .

ومنها الهندسةُ وما اتَّصل بها من المساحةِ والوزنِ والتقديرِ ، وما أشبه ذلك .

ومنها الكيمياءُ والطَّبُّ اللَّدانُ بهما صلاحُ المعاشِ وقوامُ الأبدانِ ، وعلاجُ الأسقامِ ، وما يتشعبُ من ذلك .

ومنها اللُّحُونُ ومعرفةُ أجزائها وقسمها ، ومقاطعها ومخارجها ووزنها ، حتَّى يستوى على الإيقاعِ ويدخلَ في الوترِ وغير ذلك ممَّا اقتصرنا من ذكره على أسمائه وجُمَله ، اجتناباً للتطويلِ ، وتوخيّاً للاختصارِ . وقصدنا للأمر الذي إليه انتهينا ، وإياه أردنا . واللهُ الموفقُ وهو المستعانُ .

ولم يزلْ أهلُ كلِّ علمٍ فيما خلا من الأزمنةِ يركبونُ منهاجَه ، ويسلكون طريقَه ، ويعرفون غامضَه ، ويسهلون سبيلَ المعرفةِ بدلائلهِ ، خلا الغناءِ ، فإنَّهم لم يكونوا عرَّفوا عللهِ وأسبابَه ووزنه وتصاريفه ، وكان علمُهم به على الهاجسِ وعلى ما يسمعون من الفارسيَّةِ والهنديَّةِ <sup>(٢)</sup>

(١) ب ، م : « بها » ، صوابه في ط .

(٢) ب فقط : « والفهلندية » .

إلى أن نظر الخليل البصريُّ في الشعرِ ووزنه ، ومخارج ألفاظه ، وميَّز ما قالت العرب منه ، وجمعه وألَّفه ، ووضع فيه الكتابَ الذي سُمِّاه العروض ، وذلك أنَّه عرضَ جميعَ ما رُوِيَ من الشعرِ وما كان به عالماً ، على الأصول التي رسمَها ، والعلل التي بيَّنها ، فلم يجد أحداً من العرب خرجَ منها ، ولا قصرَ دونَها . فلما أحكمَ وبلغ منه ما بلغ ، أخذَ في تفسير النغم واللحون ، فاستدرك منه شيئاً ، ورسمَ له رسماً احتذى عليه من خلفه ، واستتمَّه من عُنَى به <sup>(١)</sup> .

وكان إسحاقُ بن إبراهيم الموصليُّ أولَ من حدا حدَّوه ، وامتلأ هذيه ، واجتمعت له في ذلك آلاتٌ لم تجتمع للخليل بن أحمد قبله <sup>(٢)</sup> ، منها معرفته بالغناء ، وكثرة استماعه إياه وعلمه بحسنة من قبيحه ، وصحيحه من سقيمه .

ومنها حدُّه بالضرب والإيقاع ، وعلمه بوزنها . وألَّف في ذلك كتباً مُعجبة ، وسهَّلَ له فيها ما كان مُستصعباً على غيره ، فصنع الغناء بعلمٍ فاضل ، وحدَّق راجع ، ووزَّن صحيح ، وعلى أصلٍ مستحكمٍ له دلائلٌ صحيحة واضحة ، وشواهدُ عادلة <sup>(٣)</sup> . ولم نر أحداً وجد سبيلاً إلى الطعن عليه والعيب له .

وصنع كثيرٌ من أهل زمانه أغاني كثيرةً بهاجسٍ طبعهم <sup>(٤)</sup> والاتباع لمن سبقهم ، فبعضُ أصاب وجهَ صوابه <sup>(٥)</sup> ، وبعضُ أخطأ ، وبعضُ قصرَ في بعضٍ وأحسنَ في بعضٍ .

(١) ط : « واستمد من عني به » .

(٢) ب ، م : « قبلها » صوابه في ط .

(٣) ب ، م : « وشواهد عادلة » .

(٤) ب فقط : « بها حبس طبعهم » .

(٥) ب ، م : « وجهل صوابه » .

ووجدنا لكلِّ دهرٍ دولةً للمغنين يَحْمِلُونَ الغناءَ عنهم ، ويُطَارِحُونَ به فِتْيَانَ زمانهم ، وجواريَ عصرِهِمْ . وكان يكون في كلِّ وقتٍ من الأوقات قومٌ يتنادمون ، ويستحسنون الغناءَ ، ويميزون رديّه من جيده ، وصوابه من خطائه <sup>(١)</sup> ، ويجمعون إلى ذلك محاسنَ كثيرةً في آدابهم وأخلاقهم ، ورؤايتهم وهيئاتهم <sup>(٢)</sup> ، فلم نجدْ هذه الطبقةَ ذُكِرُوا . ووَجَدْنَا ذَكَرَ الغناءَ وأهله باقياً .

وخصّصنا في أيامنا وزماننا بِفِتْيَةٍ أشرافٍ <sup>(٣)</sup> ، وخُلَافٍ نِظَافٍ ، انتظم لهم من آلاتِ الفُتُوَّةِ وأسبابِ المروءة ما كان محجوباً عن غيرهم ، معدوماً من سواهم ، فحملنِي الكَلْفُ والمودّةُ لهم <sup>(٤)</sup> والسُرورُ بتخليدِ فخرهم <sup>(٥)</sup> وتشديدِ ذكْرهم والحرصُ على تقويمِ أودِ ذِي الأودِ منهم حتّى يلحق بأهلِ الكمالِ في صناعته ، والفضلِ في معرفته ، على تمييزِ طبقةِ طبقةٍ منهم ، وتسميةِ أهلِ كلِّ طبقةٍ بأوصافهم ، وآلاتهم وأدواتهم ، والمذاهبِ التي نَسَبُوا إليها أَنفُسَهُمْ ، واحتملَهُمْ إِخْوَانُهُمْ عليها . وخططنا جدّاً بهزلاً ، ومزجنا تقرّيباً بتعريضٍ <sup>(٦)</sup> ، ولم نُردْ بأحدٍ مِّن سَمِينَا سُوءاً ، ولا تعمّدنا نقداً <sup>(٧)</sup> ولا تجاوزنا حدّاً .

ولو استعملنا غير الصّدقِ نفضّلنا قوماً وحاببينا آخريّن . ولم نفعَلْ

(١) الخطاءُ ، كسحاب : الخطأ . ط : « خطئه » . والجاحظ يميل إلى استعمال الممدود .

(٢) م : « وروايتهم » ب : « ومروايتهم » ، والوجه ما أثبت من ط . والرواء : المنظر ، والمنظر الحسن .

(٣) م : « بقتنه » .

(٤) لم ، ساقطة من ب .

(٥) م ، ب : « بتجلية فخرهم » .

(٦) التقرّيع : التأنيب والتعنيف . ب : « تقرّيباً » بالفاء ، م ، ط « تعريفاً » ، صوابها ما أثبت . والتعريض : الذم الذي لا يصرح به .

(٧) ب ، م : « مصحا »

ذلك ؛ تجنباً للحيف <sup>(١)</sup> ، وقصداً للإنصاف <sup>(٢)</sup> . وقد نعلم أن كثيراً منهم سبَّالغ في الذم ، ويحتفل في الشتم <sup>(٣)</sup> ، ويذهب في ذلك غير مذهبنا .

وما أيسر ذلك فيما يجب من حقوق الفتيان وتفكيههم ، والله حسيب من ظلم ، عليه نتوكل وبه نستعين ، وهو ربُّ العرش العظيم .

ولم نقصد في وصف مَنْ وصفنا من الطبقات التي صنَّفنا منهم ، إلا لمن أدرَكنا من أهل زماننا ممن حصل بمدينة السلام ، إذ مَنْ خرج عنها ونزع إلى الفتوة بعد التوبة ، وإلى أخلاق الحدَاثة بعد الحُنْكة <sup>(٤)</sup> ، وذلك في سنة خمس عشرة ومائتين <sup>(٥)</sup> . فرحم الله امرأً أحسن في ذلك أمرنا <sup>(٦)</sup> ، وحدًا فيه حدونا ، ولم يعجل إلى ذمنا ، ودعا بالمغفرة والرحمة لنا .

وقد تركنا في كلِّ بابٍ من الأبواب التي صنَّفنا في كتابنا ، فُرْحاً <sup>(٧)</sup> لزيادة إن زادت ، ولاحقه إن لحقت ، أو نابتة إن نبتت . ومن عسى أن ينتقل به الحدُّق من مرتبته إلى ما هو أعلى منها ، أو يعجزُ به القصور عما هو عليه منها إلى <sup>(٨)</sup> ما هو دونها ، إلى مكانه الذي إليه نقله ارتفاعُ درجةٍ أو انحطاطُها ، ومن لعلنا نصير إلى ذكره ممن

(١) م ، ط : « تجنباً » .

(٢) ط : « بل قصداً للإنصاف » .

(٣) ط : « ويحتفل في الشتم » .

(٤) الحنْكة والحنك ، بضم الحاء فيهما : التجربة والبصر بالأمر .

(٥) هذا تسجيل للسنة التي تم فيها أو بعدها تأليف هذه الرسالة .

(٦) ب : « من أحسن في ذلك أمرنا » .

(٧) الفرج : جمع فرجة ، والمراد الفراغ الذي يكتب فيه . ب فقط : « فرحاً »

بالحاء المهملة ، تحريف .

(٨) إلى ، ساقطة من ب .

عَزَبَ عَنَّا ذِكْرَهُ ، وَأَنْسَيْنَا اسْمَهُ ، وَلَمْ يُحِطْ عَلَمُنَا بِهِ ، فَنَصِيرُهُ فِي مَوْضِعِهِ ، وَنُلْحِقُهُ بِأَصْحَابِهِ .

وليس لأحدٍ أَنْ يثبت شيئاً من هذه الأصناف إلاَّ بعلمنا<sup>(١)</sup> ، ولا يستبدُّ بأمْرِ فيه دوننا . ويُورَدُ ذلك علينا فنمتحنه<sup>(٢)</sup> ، ونُعرِّفه<sup>(٣)</sup> بما عنده ، ويصير إلى ترتيبه في المرتبة التي يستحقُّها ، والطبقة التي يحتملها .

فلما استتبَّ لنا الفراغُ مما أردنا من ذلك خَطَرَ ببالنا كثرة العيابين من الجهالِ برَبِّ العالمين ، فلم نَأْمَنُ أَنْ يُسرِعُوا<sup>(٤)</sup> بسَفِّهِ رأْيهم وخِفَّةِ أحمالهم إلى نقضِ كتابنا وتبديله ، وتحريفه عن مواضعه ، وإزالته عن أماكنه التي عليها رَسْمُنَا ، وَأَنْ يقول كلُّ امرئٍ منهم في ذلك على حاله ، ويقدر هواه<sup>(٥)</sup> ورأيه ، وموافقته ومخالفته ، والميلِ في ذلك إلى بعض ، والذمُّ لطبقة والحمدُ لأخرى ، فيهجِّتوا كتابنا ، ويُلْحِقُوا بنا ما ليس من شأننا .

وأحببنا أَنْ نأخذَ في ذلك بالحزم ، وَأَنْ نحتاطَ فيه لأنفسنا ومَنْ ضمَّه كتابنا ، وتُبَادِرَ إلى تفريقِ نسخ<sup>(٦)</sup> منها وتصييرها في أيدي الثقات والمستبصرين ، الذين<sup>(٧)</sup> كانوا في هذا الشأن ، ثم ختموا ذلك

(١) ط : « بعلمنا » ، تحريف .

(٢) في جميع الأصول : « فيمتحنه » ، والوجه ما أثبت .

(٣) في جميع الأصول : « ويعرفه » بالياء .

(٤) ب فقط : « فلم نَأْمَنُ من أن يسرع » ، صوابه في سائر النسخ .

(٥) في جميع النسخ : « ولقدر هواه » .

(٦) في جميع النسخ : « نسخة » .

(٧) الذين ، ساقطة من ب ، م .

بالعزلة والتوبة منه ، كصالح بن أبي صالح ، وكأحمد بن سلام ، وصالح  
مولى رشيدة<sup>(١)</sup> .

ف فعلنا ذلك وصيرناه أمانة في أعناقهم ، ونسخةً باقية في أيديهم ،  
ووثقنا بهم أمناءً ومستودعين<sup>(٢)</sup> وحفظةً غير مضيعين ولا متهمين .  
وعلمنا أنهم لا يدعون صيانة ما استودعوا ، وحفظ ما عليه ائتمنوا .

فإن شيب<sup>(٣)</sup> به شوبٌ يخالفه ، وأضيف إليه<sup>(٤)</sup> مالا يلائمه ، رجعنا<sup>(٥)</sup>  
إلى النسخة المنصوبة ، والأصول المخلدة عند ذوى الأمانة والثقة ،  
واقصرنا عليها ، واستعلينا بها على المبطلين<sup>(٦)</sup> ، ودفعنا بها<sup>(٧)</sup> إدغال  
المُدغلين ، وتحريف المحرفين ، وتزويد المتزידين ، إن شاء الله .

ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

- 
- (١) لم أجد ترجمة لأحد هؤلاء الثلاثة ، ولم يرد لهم ذكر فيما سبق من مكتبة الجاحظ .  
(٢) ب ، م : « وأمناء ومستودعين » ، صوابه في ط .  
(٣) ط : « إذا شيب » م : « فإن شئت » ، صوابهما في ب .  
(٤) إليه ، ساقطة من ب ، م .  
(٥) في جميع النسخ : « وجعلنا » .  
(٦) ب ، م : « به على المبطلين » .  
(٧) ب ، م : « به » .

٦

من كتابه في

النساء





## ١ - فصل

## من صدر كتابه في النساء

إِنَّمَا ذَكَرْنَا فِي كِتَابِنَا هَذَا الْحُبَّ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الْهَوَى ، وَالْهَوَى  
الَّذِي يَتَفَرَّعُ مِنْهُ الْعِشْقُ ، وَالْعِشْقُ الَّذِي يَهَيِّمُ لَهُ الْإِنْسَانُ عَلَى وَجْهِهِ أَوْ  
يَمُوتُ كَمَدًّا عَلَى فِرَاشِهِ . وَأَوَّلُ ذَلِكَ إِدْخَالُ الضَّمِيمِ عَلَى مَرْوَعَتِهِ ، وَاسْتِشْعَارُ  
الذَّلَّةِ لِمَنْ أَطَافَ بِعِشْقِيَّتِهِ .

وَلَمْ نُطَنِّبْ مَعَ ذَلِكَ فِي ذِكْرِ مَا يَتَشَعَّبُ مِنْ أَصْلِ الْحُبِّ مِنَ الرَّحْمَةِ  
وَالرَّقَّةِ ، [ وَحُبِّ الْأَمْوَالِ النَّفِيسَةِ وَالْمَرَاتِبِ الرَّفِيعَةِ <sup>(١)</sup> ] ، وَحُبِّ الرَّعِيَّةِ  
لِلْأَنْعَمَةِ ، وَحُبِّ الْمُصْطَنَعِ لِصَاحِبِ الصَّنِيعَةِ ، مَعَ اخْتِلَافِ مَوَاقِعِ ذَلِكَ مِنْ  
النَّفُوسِ ، وَمَعَ تَفَاوُتِ طَبَقَاتِهِ فِي الْعَوَاقِبِ : احْتِجْنَا إِلَى الْإِعْتِزَالِ مِنْ  
ذِكْرِ الْعِشْقِ الْمَعْرُوفِ بِالصَّبَابَةِ ، وَالْمُخَالَفَةِ عَلَى قُوَّةِ الْعَزِيمَةِ ، لِنَجْعَلَ <sup>(٢)</sup>  
ذَلِكَ الْقَدْرَ جُنَّةً دُونَ مَنْ حَاوَلَ <sup>(٣)</sup> الطَّعْنَ عَلَى هَذَا الْكِتَابِ ، وَسَخَّفَ  
الرَّأْيَ الَّذِي دَعَا إِلَى تَأْلِيفِهِ ، وَالْإِشَادَةَ بِذِكْرِهِ <sup>(٤)</sup> . إِذَا كَانَتِ الدُّنْيَا  
لَا تَنْفَكُ مِنْ حَاسِدٍ بَاغٍ . وَمَنْ قَاتَلَ مُتَكَلِّفًا ، وَمَنْ سَامَعَ طَاعِنًا ، وَمَنْ  
مُنَافِسٍ مُقَصِّرًا . كَمَا أَنَّهَا لَا تَنْفَكُ مِنْ ذِي سَلَامَةٍ مُتَسَلِّمًا ، وَمَنْ عَالِمٍ  
مُتَعَلِّمًا . وَمَنْ عَظِيمِ الْخَطَرِ حَسَنَ الْمُحَضَّرِ ، شَدِيدِ الْمُحَامَاةِ عَلَى حَقُوقِ  
الْأُدْبَاءِ . قَلِيلُ التَّسَرُّعِ إِلَى أَعْرَاضِ الْعُلَمَاءِ .

وَإِنَّمَا الْعِشْقُ اسْمٌ لِمَا فَضَّلَ عَنِ الْمَقْدَارِ الَّذِي اسْمُهُ حُبٌّ . وَلَيْسَ

(١) التكلفة من م ، ط .

(٢) ب ، م : « ليجعل » .

(٣) ب ، م : « ما حاول » .

(٤) ب ، م : « والإشارة بذكره » ، صوابه في ط .

كلُّ حبٍّ يُسَمَّى عشقاً ، وإنما العشق اسمٌ للفاضل عن ذلك المقدار ، كما أنَّ السرف اسمٌ لما زاد على المقدار الذي يُسَمَّى جوداً ، والبخل اسمٌ لما نقص عن المقدار الذي يُسَمَّى اقتصاداً ، والجبن اسمٌ لما قَصَرَ عن المقدار الذي يُسَمَّى شجاعة .

وهذا القول ظاهرٌ على السنة الأدباء ، مُستعملٌ في بيان الحكماء . وقد قال عروة بن الزبير : <sup>(١)</sup> « والله إني لأعشق الشرف كما تُعشق المرأة الحسناء » .

وذكر بعض الناس رجلاً كان مُدقعاً محروماً ، ومنحوس الحظِّ منوعاً ، فقال : ما رأيت أحداً عَشِقَ الرِّزْقَ عِشْقَهُ ، ولا أَبْغَضَهُ الرِّزْقَ بَغْضَهُ ! فذكر الأوَّلُ عِشْقَ الشَّرْفِ ، وليس الشَّرْفُ بامرأة ، وذكر الآخر عشق الرزق والرزق اسمٌ جامعٌ لجميع الحاجات .

وقد يستعمل الناس الكناية <sup>(٢)</sup> ، وربَّما وضعوا الكلمة بدل الكلمة ، يريدون أن يَظْهَرَ المعنى <sup>(٣)</sup> بألین اللفظ ، إما تنويهاً وإما تفضيلاً <sup>(٤)</sup> ، كما سموا المعزول عن ولايته مصروفاً ، والمنهزم عن عدوه مُنْهَازاً . نعم ، حتَّى سَمِيَ بعضهم البخيل مقتصداً ومصلحاً <sup>(٥)</sup> ، وسُمِّي عامل الخراج التعدُّى بحقِّ السلطان مُستَقْصياً <sup>(٦)</sup> .

(١) م : « وقال عروة » فقط .

(٢) ط : « الكتابة » ، صوابه في سائر النسخ .

(٣) م فقط : « يظهروا المعنى » .

(٤) في جميع الأصول : « إما تنوها وإما تفصلاً » ، والوجه ما أثبت . والتنويه : الإظهار والإشادة والتعريف .

(٥) م : « أو مصلحاً » .

(٦) في جميع الأصول : « مستعصياً » بالعين ، والوجه ما أثبت . والاستقصاء : بلوغ الغاية القصوى .

ولما رأينا الحُبَّ من أكبر أسبابِ جماعِ الخير ، ورأينا البُغْضَ من أكبر أسبابِ الشر ، أَحْبَبْنَا<sup>(١)</sup> أن نذكر أبوابَ السَّبَبِ الجالبِ للخير ، ليفرق بينه وبين أبوابِ السببِ الجالبِ<sup>(٢)</sup> [ للشر حتى نذكر أصولهما وعللهما الداعية إليهما ، والموجبة لكونهما .

فتأملنا شأن الدنيا فوجدنا أكبر نعيمها وأكمل لذاتها، ظفر المحب بحبيبه، والعاشق بطليبه<sup>(٣)</sup> ، ووجدنا شقوة الطالب المكدي وعمه ، في وزن سعادة الطالب المنجح وسروره ، ووجدنا العشق كلما كان أرسخ . وصاحبه به أكلف ، فإن موقع لذة الظفر منه أرسخ ، وسروره بذلك أبهج . فإن زعم زاعم أن موقع لذة الظفر بعدوه المرصد أحسن من موقع لذة الظفر من العاشق الهائم بعشيقته<sup>(٤)</sup> .

قلنا : إننا قد رأينا الكرام والحلماء ، وأهل السؤدد والعظماء ، ربما<sup>(٥)</sup> جادوا بفضلهم من لذة شفاء الغيظ ، ويعدون ذلك زيادة في نُبُلِ النفس ، ويُبعد الهمة والقدر . ويُجودون بالنفيس من الصامت والناطق ، وبالثمين من العروض<sup>(٦)</sup> . وربما خرج من جميع ماله ، وآثرَ طيبَ الذكر على الغنى واليسر . ولم نر نفس العاشق تسخو بمعشوقه ، ويجود بشقيقة نفسه<sup>(٧)</sup> لوالدٍ ولا لولدٍ بارٍّ ، ولا لذي نعمةٍ سابعة<sup>(٨)</sup> يخاف سلبها ، وصرف إحسانه عنه بسببها .

(١) ط : « اجتنبنا » ، صوابه في ب ، م .

(٢) ما بين المعقفين ساقط من ب .

(٣) الطلب والطلبية ، بكر الطاء فيهما : ما يطلبه العاشق ويهواه ، الأخيرة عن الحياتي . وفي جميع النسخ : « بطليبه » .

(٤) ب : « لعشيقته » ، صوابه في م ، ط .

(٥) ب : « وربما » ، صوابه في م ، ط .

(٦) العروض : الأمتعة ، سوى الدراهم والدنانير فإنها عين ، واحدها عرض ، بالفتح .

(٧) ب : « لشقيقة نفسه » ، تحريف ب : « بعشيقته نفسه » ، وأثبت ما في ط .

(٨) السابعة : الكاملة الوافية . ب فقط : « السابعة » بالعين المهملة ، تحريف .

ولم نر الرجال يَهَيُونَ للرجال إِلَّا مالا بالَ به<sup>(١)</sup> ، في جَنب ما يهبون للنساء . حَتَّى كَأَنَّ العِطْرَ والصَّبِغَ<sup>(٢)</sup> ، والخِضَابَ والكحل ، والنَّتْفَ والقَصَّ ، والتَحْذِيفَ والحلْقَ ، وتَجْوِيدَ الثِّيَابِ وتنظيفها ، والقيامَ عليها وتُعْهَدُها ، مِمَّا لم<sup>(٣)</sup> يتكَلَّفُوهُ إِلَّا هُنَّ ، ولم يتقدِّموا فيه إِلَّا من أَجْلِهِنَّ ، وحَتَّى كَأَنَّ الحَيِّطَانَ الرَّفِيعَةَ ، والأبوابَ الوثِيقَةَ ، والسُّتُورَ الكَثِيفَةَ<sup>(٤)</sup> ، والخِضْيَانَ والظُّوْرَةَ ، والحِشْوَةَ والحواضِنَ لم تُتَّخَذْ<sup>(٥)</sup> إِلَّا للصَّوْنِ هُنَّ ، والاحتفاظ بما يجب من حفظ النِّعْمَةِ فيهنَّ .

## ٢ - فصل منه

وبابٌ آخر : وهو أَنَا لم نجدُ أَحَدًا مِنَ الناسِ<sup>(٦)</sup> عَشِقَ والدَيْهِ ولا وَاوَدَهُ ، ولا من عَشِقَ مراكِبَهُ ومنزِلَهُ ، كما رأيناهم يموتون من عَشِقِ النِّسَاءِ الحرامِ . قال الله تعالى : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ﴾<sup>(٧)</sup> . فقد ذكر<sup>(٨)</sup> تبارك وتعالى جملةَ أصنافِ ما خوَّطهم من كرامته ، ومَنَّ عليهم من نعمته ، ولم نَرَ النَّاسَ<sup>(٩)</sup> وَجَدُوا بشيءٍ من هذه الأصنافِ في وَجَدَهُم بالنِّسَاءِ . ولقد قدِّمَ ذكرهنَّ في هذه الآية على قدر تقدُّمهنَّ في قلوبهم .

- 
- (١) ب ، م : « يهبون » في هذا الموضع وتاليه ، صوابه في ط : والاتهاب : قبول الهبة ، ولا وجه له هنا . وفي ب ، م أيضاً : « إلا بما لا بال له » ، صوابه في ط .  
 (٢) ب : « والصَّبِغِ » ، صوابه في م ، ط .  
 (٣) ب ، م : « ما لم » ، صوابه في ط .  
 (٤) السُّتُور : جمع سِتْر ، بالكسر . ب فقط : « والسُّتُور » ، تحريف .  
 (٥) ب ، م : « لم يتخذ » ، ط : « لم يتخذن » ، والوجه ما أثبت .  
 (٦) كلمة « الناس » ساقطة من ب ، م ثابتة في ط .  
 (٧) الآية ١٤ من سورة آل عمران .  
 (٨) ب : « يقدِّم ذكرهن » ، صوابه في م ، ط .  
 (٩) ب : « ولم ير الناس » ، وأثبت ما في م ، ط .

فإن قال قائل : فقد نجد الرجلَ الحليمَ ، والشَّيخَ الرّكينَ ، يسمع الصّوتَ المُطربَ من المغنى المصيبِ ، فينقله ذلك إلى طَبَعِ الصّبيان ، وإلى أفعال المجانين ، فيشقُّ جيبه ، وينقُضُ حُبوتَه ، ويفدئُ غيره <sup>(١)</sup> ، ويرقُص كما يرقُصُ الحدُّثُ الغرير ، والشابُّ السّفيه . ولم نجد أحداً فعلَ ذلك عند رؤية معشوقه .

قلنا : أمّا واحدةٌ فإنّه لم يكن ليدعَ التّشاغَلَ بشمّها وبرشفيها ، واحتضانها ، وتقبيلِ قدميها ، والمواضع التي وطئتُ عليها <sup>(٢)</sup> ، ويتشاغَلَ بالرقص المباين لها ، والصّراخِ الشاغلِ عنها . فأما حلُّ الحُبوة ، والشّدُّ خُصراً عند رؤية الحبيبة <sup>(٣)</sup> فإنّ هذا مما لا يحتاج إلى ذكره <sup>(٤)</sup> ، لوجوده وكثرة استعمالهم له ، فكيف وهو إن خلا بمعشوقه لا يظنُّ <sup>(٥)</sup> أنّ لذّة الغناء تشغله <sup>(٦)</sup> بمقدار العُشر من لذته ، بل ربّما لم يخطر له ذلك الغناء على بال .

وعلى أنّ ذلك الطرب مجتازٌ غير لابت <sup>(٧)</sup> ، وظاعنٌ غير مقيم ، ولذّة المتعاشقين راكدة أبداً <sup>(٨)</sup> مقيمة غير ظاعنة .

وعلى أنّ الغناء الحسن من الوجهِ الحسن والبدن الحسن ، أحسن ،

(١) ب : « ويفدئ » م : « ويفدئ » ، صوابهما في ط .

(٢) في جميع النسخ : « عليه » تحريف .

(٣) الحضر ، بالضم : أصله عدو الفرس . ب : « والشد خسراً » م : « والشد خسراً » .  
 وفي ط : « والصراخ عند رؤية الحبيبة » ، صوابه ما أثبت .

(٤) ب ، م : « ما لا يحتاج إلى ذكره » .

(٥) ب ، م : « فكيف وإن هو خلا بمعشوقه فظن » ، صوابه في ط .

(٦) ب : « يشغل » م : « تشغل » ، والوجه ما أثبت من ط .

(٧) ب : « ثابت » .

(٨) ب ، م : « راكدة لا بد » .

والغناء<sup>(١)</sup> الشهي من الوجه الشهي والبدن الشهي أشهي . وكذلك الصوت  
الناعم الرخيم من الجارية الناعمة الرخيمة .

وكم بين أن يفدى إذا شاع فيك الطرب مملوكك ، وبين أن يفدى  
أمتك<sup>(٢)</sup> ؟

وكم بين أن يسمع الغناء من فم تشهي أن تقبله<sup>(٣)</sup> ، وبين  
فم تشهي أن تصرف وجهك عنه .

وعلى أن الرجال دخلاء على النساء في الغناء ، كما رأينا رجالاً  
ينوحون ، فصاروا دخلاء على النوائح .

وبعد ، فأيما أحسن وأملح<sup>(٤)</sup> ، وأشهي وأغنج ، أن يغنيك فحل  
ملتف اللحية ، كث العارضين ، أو شيخ منخلع الأسنان ، مغضن  
الوجه ، ثم يغنيك إذا هو تغنى بشعر ورقاء بن زهير :

رأيت زهيراً تحت كل كل خالد فأقبلت أسعى كالعجول أبادر<sup>(٥)</sup>  
أم تغنيك جارية كأنها طاقة نرجس ، أو كأنها ياسمينه ، أو كأنها  
خرطت من ياقوته ، أو من فصة مجلوة<sup>(٦)</sup> ، بشعر عكاشة بن محصن<sup>(٧)</sup> :

(١) ب : والغنى « تعريف ما في م ، ط .

(٢) كذا وردت « يفدى » بالياء في جميع النسخ ، ولها وجهها .

(٣) ب ، م : « يشهي أن يقبله » صوابه في ط .

(٤) ب ، م : « وبعد فأيما » ، صوابه في ط .

(٥) كنايات الجرجاني ٣٥ . وانظر الشعر ومقتل زهير بن جذيمة العبسي ، الأغاني .

١٠ : ١٥ .

(٦) انظر نحو هذا الكلام لثامة بن أشرس مع المأمون في زهر الآداب ٦٠٩ .

(٧) كذا . وعكاشة بن محصن صحابي لم يؤثر عنه شعر . انظر الإصابة ٥٦٢٦ . وإنما الشعر  
لعكاشة بن عبد الصمد العمي البصري ، وهو شاعر مقتل من شعراء الدولة الهاشمية . وأخوه  
أبو العذافر العمي شاعر أيضاً . وبنو العم : قوم نزلوا ببني تميم بالبصرة أيام عمر بن الخطاب  
فأسلموا وغزوا مع المسلمين وحسن بلاؤهم ، فقال لهم الناس : أنتم وإن لم تكونوا من العرب ،  
إخواننا وبنو العم ، فعرفوا بذلك فصاروا في جملة العرب .

من كَفَّ جاريةً كَانَ بَنَاتَهَا مِنْ فَضَّةٍ قَدْ طُرِّقَتْ عُنَابًا (١)  
وَكَانَ يُمْنَاهَا إِذَا نَطَقَتْ بِهِ أَلَقَتْ عَلَى يَدِهَا الشَّمَالِ حَسَابًا (٢)

### ٣ - فصل منه

فَأَمَّا الْغِنَاءُ الْمُطْرَبُ فِي الشَّعْرِ الْغَزَلِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْ حَقُوقِ النِّسَاءِ .  
وَإِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ تَغْنَى (٣) بِأَشْعَارِ الْغَزَلِ وَالتَّشْبِيبِ (٤) ، وَالْعِشْقِ ،  
وَالصَّبَابَةِ بِالنِّسَاءِ اللَّوَاتِي فِيهِنَّ نَطَقَتْ تِلْكَ الْأَشْعَارُ ، وَبِهِنَّ شَبَّبَ الرَّجَالُ ،  
وَمَنْ أَجْلَهِنَّ تَكَلَّفُوا الْقَوْلَ فِي النَّسِيبِ (٥) .

وَبَعْدُ ، فَكُلُّ شَيْءٍ وَطَبَّقَهُ ، وَشَكَّلَهُ وَلِفَقُّهُ ، حَتَّى تَخْرُجَ الْأُمُورُ  
مُوزَوْنَةً مُعَدَّلَةً ، وَمُتَسَاوِيَةً مُخْلِصَةً (٦) .

= وفي التقاوض ٣٦٠ أن بنى العم ، هم مرة بن مالك بن حنظلة . والبيتان بدون نسبة في الأمل  
١ : ٣٢٠ وحاسة ابن الشجرى ٢٦٠ ونسبا في الأغاني ٣ : ٧٣ وسمط اللآلىء ٥٢٦ ، وزهر  
الآداب ٦٠٩ ونهاية الأرب ٥ : ١١٤ إلى عكاشة العمى . ونسبا في العقد ٦ : ٧٤ إلى عكاشة بن  
الحسين خطأ . وقبلهما في سمط اللآلىء :

هبوا فقد عذب النسيم وطابا      والدهر يذهب بالنعيم ذهابا  
حشوا على حسن الصبوح فقد نضا      نور الصباح من الدجى جلبابا  
وقبلهما في الأغاني ثلاثة أبيات هي والبيتان خمسة ، في صوت من المائة المختارة :

ياليلة جمعت لنا الأحبابا      لوشت دام لنا النعيم وطابا  
بتنا نسقاها شولا قرقفا      تدع الصحيح بعقله مرتابا  
حمراء مثل دم الغزال وتارة      عند المزاج تخالها زريابا

(١) يقال طرفت الجارية بناتها ، إذا خضبت أطراف أصابعها بالحناء . وهذا البيت ساقط

من م .

(٢) في الأمل وابن الشجرى : « نطقت بها » . وفي نهاية الأرب : « نطقت به » كما  
هنا . وفي العقد والزهر : « إذا ضربت بها » . وفي ب ، م : « على يده الشمال » صوابه في  
ط وحاسة ابن الشجرى . وفي جميع النسخ : « حبابا » وصوابه في جميع المراجع . وفي الأمل  
والعقد ونهاية الأرب : « تلقى على يدها الشمال » ، وفي زهر الآداب : « تلقى على الكف الشمال » .

(٣) ب فقط : « نغنى » .

(٤) ب ، م : « والشبيب » ، صوابه في ط .

(٥) ط : « في التشبيب » .

(٦) ب : « متساوية مخلصه » .

ولو أنّ رجلاً من أدمث الناس وأشدّهم تلخيصاً لكلامه ، ومحاسبّة  
 لنفسه <sup>(١)</sup> ، ثم جلس مع امرأةٍ لا تُزَنُّ بمنطق <sup>(٢)</sup> ، ولا تعرف  
 بحسن حديث <sup>(٣)</sup> ، ثم كان يعشقها ، لتنتاجَ بينهما من الأحاديث ،  
 ولتلاقحَ بينهما <sup>(٤)</sup> من المعاني والألفاظ ، ما كان لا يجرى بين دغفل  
 ابن حنظلة <sup>(٥)</sup> ، وبين ابن لسان الحمرة <sup>(٦)</sup> . وإنّما هذا على قدر <sup>(٧)</sup>  
 تمكّن الغزل في الرجل .

#### ٤ - فصل منه

والمرأة أيضاً أرفع حالاً من الرجل في أمور . منها : أنّها التي تُخطَب  
 وتُراد ، وتُعشق وتُطلب ، وهي التي تُفدى وتُحمى . قال عنبسة بن  
 سعيد <sup>(٨)</sup> للحجاج بن يوسف : أيفدى الأميرُ أهله ؟ . قال : والله إن  
 تعدوني إلا شيطاناً ، والله لربّما رأيتني أقبل رجلَ إحداهنّ !

(١) م : « لكلامه ومحاسنه » فقط . وفي جميع النسخ : « محاسنه » بالنون ، والوجه  
 ما أثبت .

(٢) زنه بالخير أو بالمال ، أو بالعلم زنا ، وأزنه إزنانا : ظنه به . ب ، م : « لا يزن  
 بمنطق » .

(٣) ب ، م : « ولا يعرف بحسن حديث » .

(٤) ب : « والتلاقح بينهما » . والذي في ط : « ما كان الناتج بينهما من الأحاديث  
 والمتلاقح بينهما من المعاني والألفاظ إلا ما كان يجرى بين دغفل بن حنظلة » .

(٥) ودغفل هذا هو دغفل بن حنظلة بن زيد الشيباني الذهلي النسابة الخطيب . أدرك الرسول الكريم  
 ولم يسمع منه . غرق في يوم دولاب في قتال الحوارج سنة ٧٠ . الإصابة ٢٣٩٥ وابن النديم ١٣١  
 والمعارف ٢٣٢ والاشتقاق ٢١١ وتاريخ الإسلام للذهبي ٢ : ٢٨٧ . وانظر أخباره وأقواله  
 في البيان والتبيين .

(٦) في جميع النسخ : « وبين بشار بن الحمرة » ، والوجه ما أثبت . وابن لسان الحمرة  
 هذا هو عبيد الله بن الحصين ، أو ورقاء بن الأشعر ، كما في القاموس والمعارف ٢٣٣ . وهو  
 أعرابي من بني تميم الله بن ثعلبة ، وكان من علماء زمانه ، قال ابن قتيبة : « وكان أنسب العرب  
 وأعظمهم بصراً » . دخل الكوفة وعليها المغيرة بن شعبة ، فسأله المغيرة عن طبائع قبائل من  
 العرب ، وعن خلق النساء ، فأجاب أجوبة متممة ، سردها أبو الفرج في الأغاني ١٤ : ١٣٨ .

(٧) ب : « على قدر » ، صوابه في م ، ط .

(٨) هو عنبسة بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، كان من جلساء الحجاج ، كما  
 في الاشتقاق ٧٩ وجمهرة ابن حزم ٨١



## ٥ - فصل منه

وإنَّمَا يَمْلِكُ المولى مِن عبده بدنَه ، فَأَمَّا قلبُه فليس له عليه سلطان .  
والسلطانُ نفسه وإن ملك رقابَ الأُمَّة<sup>(١)</sup> ، فالناس يختلفون في جهة  
الطَّاعة ، فمنهم من يطيع بالرَّغبة ، ومنهم من يُطيع بالرَّهبة ، ومنهم  
مَن يطيع بالمحبَّة ، ومنهم من يُطيع بالديانة .

وهذه الأصناف ، وإن كان أفضلها طاعةُ الديانة فإنَّ تلك المحبَّة  
ما لم يمازجها هوى لم تقوَ<sup>(٢)</sup> على صاحبها قوة العشق . وفي الأثر  
المستفيض والمثل السائر : « إنَّ الهوى يُعمى ويصم » ؛ فالعشق يقتل .

## ٦ - فصل منه

ومَّا يُستدلُّ به على تعظيم شأنِ النساءِ أنَّ الرجل يُستحلِّفُ بالله  
الذى لا شيءَ أعظمُ منه ، وبالمشِّي إلى بيتِ الله ، وبصدقةِ ماله ، وعتق  
رقيقه . فيسهلُ ذلك عليه<sup>(٣)</sup> ، ولا يأنفُ منه . فإنَّ استحلِّفَ بطلاقِ  
امراته تربَّد وجهه<sup>(٤)</sup> ، وطار الغضبُ في دماغه ، ويمتنع<sup>(٥)</sup> ويَعصِي ،  
ويغضبُ ويأبئ ، وإن كان المُحلِّفُ سلطاناً مهيباً ، ولو لم يكن يحبُّها<sup>(٦)</sup> ،  
ولا يستكثرُ منها ، وكانت نفسها قبيحة المنظر ، دقيقة الحساب ،  
خفيفة الصِّدق ، قليلة النَّسب .

ليس ذلك إلاَّ لما قد عظمَ اللهُ من شأنِ الزَّوجاتِ في صدور الأزواج<sup>(٧)</sup> .

(١) رقاب ، ساقطة من ب .

(٢) في جميع الأصول : « لم يقو » ، ومرجع الضمير إلى المحبة .

(٣) م : « فيسهل عليه ذلك » .

(٤) تربد : احمر حمرة فيها سواد عند الغضب . ب : « تربد » م : « يزيد » ، صوابهما

في ط .

(٥) في جميع الأصول : « ويمتنع » .

(٦) ب : « ولم يكن يحبها » .

(٧) ب : « الرجال » .

## ٧ - فصل منه في ذكر الولد

وباب آخر : وهو أننا لو خيرنا رجلاً بين الفقر<sup>(١)</sup> أيام حياته ، وبين أن يكون ممتعاً بالباه أيام حياته ، لاختار الفقر الدائم مع التمتع الدائم .

وليس شيء مما يحدث الله لعباده من أصناف نعيمه وضروب فوائده ، أبقى ذكراً ، ولا أجلّ خطراً<sup>(٢)</sup> من أن يكون للرجل ابنٌ يكون وليّ بناته ، وسائر عورة حُرْمه ، وقاضى دينه ، ومُحْيَى ذِكْرِهِ ، مخلصاً في الدعاء له بعد موته ، وقائماً بعده في كل ما خلّفه مقام نفسه .

فمن أقلُّ أسفاً على ما فارق ، ممن خلّف كافياً مجرباً ، وحائطاً من وراء المال مؤقراً ، ومن وراء الحرم حامياً ، ولسلفه في الناس مُحِبِّباً . وقال رجلٌ لعبد الملك بن مروان ، وقد ذُكِرَ ولدٌ له<sup>(٣)</sup> : « أراك الله في بنيك ما أرى أباك فيك ، وأرى بنيك فيك ما أراك في أبيك ! » .

ونظر شيخٌ وهو عند المهلب إلى بنيه قد أقبلوا فقال : « آتَسَ اللهُ بكم لاجتكم ، فوالله إن لم تكونوا أسباط نبوة<sup>(٤)</sup> إنكم أسباط ملحة » .

وليسف النعمة في الولد المحي<sup>(٥)</sup> ، والخلف الكافي ، بصغيرة .

(١) ب : « الفقراء » ، تحريف .

(٢) ط : « ولا أجلّ خطراً » .

(٣) ب : « ولسفه ذكر ولد له » هذا النقص والتحريف . والإكمال والتصحيح من م ، ط ، مع زيادتي لكلمة « وقد » . وفي البيان ٢ : ١٤٥ : « وقال مدني لعبد الملك بن مروان ودخل عليه بنوه » . على أن الخبر قد روي في مجالس ثعلب ٢٢٧ في قصة دخول الوفود إلى الوليد بن يزيد حين بايع لابنيه الحكم وعثمان .

(٤) ب فقط : « بنوة » بتقديم الباء .

(٥) ب ، م : « المحوى » صوابه في ط . والمراد المحي لذكر والده .

## ٨ - فصل منه

وباب آخر : وهو أَنَّ الله تعالى خلق من المرأة ولدًا من غير ذكر ، ولم يخلق من الرجل ولدًا من غير أنثى . فخصَّ بالآية العجيبة والبرهان المنير المرأة دون الرجل ، كما خلق المسيح في بطن مريم من غير ذكر .

## ٩ - فصل منه في ذكر القرابات

وَأَمَّا أَنَا فَإِنِّي أَقُول : إِنَّ تباغض الأقرباء عارضٌ دخيل ، وتحابُّهم واطدُّ أصيل ، والسَّلامة من ذلك أعمُّ ، والتَّناصر أظهر ، والتَّصادق في المودَّة أكثر . فلذلك القبيلة تنزلُ معاً وترحلُ معاً ، وتُحارب من ناوأها معاً ، إِلَّا الشاذَّ النادر ، كخروج غنيٍّ وباهلة من غضبان ، وكنزول عبيسٍ في بني عامر ، وما أشبه ذلك <sup>(١)</sup> . وإلَّا فَإِنَّ القرابة يدٌ واحدة على من ناوأهم <sup>(٢)</sup> ، وسيفٌ واحد على من عاداهم <sup>(٣)</sup> ، وما صلاحُ شأنِ العشائر إِلَّا بتقارب سادتهم في القدر ، وإن تفاوتوا <sup>(٤)</sup> في الرِّياسة والفضل ، كما قال <sup>(٥)</sup> في الأثر المستفيض : « لا يزال النَّاسُ بخير ما تفاوتوا ، فإذا تقارَبُوا هلكوا » .

وحالُ العامَّة في ذلك كحال الخاصَّة .

## ١٠ - فصل منه

وقضيةٌ واجبة : أَنَّ الناس لا يُصلحهم إِلَّا رئيسٌ واحد ، يجمع شملهم ، ويكفيهم ويحميهم من عدوهم ، ويمنع قويهم من ضعيفهم .

(١) ذلك ، من ط فقط .

(٢) م : « ناوى لهم » ، تحريف .

(٣) م : « من عادهم » ، تحريف .

(٤) م ، ب : « وإن يتفاوتوا » .

(٥) كذا . والوجه « قيل » .

وقليل له نظام ، أقوى من كثيرٍ نَشَرٍ<sup>(١)</sup> لا نظام لهم ، ولا رئيسَ عليهم .  
 إذ قد علم الله<sup>(٢)</sup> أَنَّ صلاحَ عامَّةِ البهائمِ في أن يجعل لكلِّ جنسٍ<sup>(٣)</sup> منها  
 فحلاً يُوردها الماءَ ويُصدرها ، وتتبعُه إلى الكلاء ، كالعَيرِ في العانة<sup>(٤)</sup> ،  
 والفحل من الإبلِ في الهجمة<sup>(٥)</sup> ، وكذلك النَّحلُ العَسَّالة<sup>(٦)</sup> ،  
 والكراكى<sup>(٧)</sup> ، وما يحمى الفرسُ الحصانُ الحُجورَ في المَروج<sup>(٨)</sup> ،  
 فجعل منها رؤوساً متبوعة ، وأذناً تابعة .

ولو لم يُقيمَ اللهُ للنَّاسِ الوزعةَ من السُّلطان ، والحُماةَ من المُلوكِ وأهلِ  
 الحِياطةِ عليهم من الأئمة - لعادوا نَشراً<sup>(٩)</sup> لا نظامَ لهم ، ومُستكَلِبينَ  
 لا زاجرَ لهم ، ولكانَ مَنْ عَزَّ بَزَّ<sup>(١٠)</sup> ، وَمَنْ قدر قهر ، ولمَّا زال اليُسْر  
 راكداً ، والهَرَجُ ظاهراً ، حتَّى يكون التغابنُ والبوارُ<sup>(١١)</sup> ، وحتَّى تنطمسَ

- 
- (١) النشر ، بالتحريك : القوم المتفرقون لا يجمعهم رئيس . وهذه الكلمة ساقطة من ط .  
 (٢) ط : « الله سبحانه وتعالى » .  
 (٣) ب : « في كل جنس » .  
 (٤) العانة : القطيع من حمر الوحش . وانظر لعير العانة الحيوان ١ : ١١٠ ، ١٩٥ /  
 ٧ : ١٤١ . وفي جميع النسخ : « الغابة » ، صوابه ما أثبت .  
 (٥) في الأصول : « والفحل في الإبل » . وفي ط أيضاً : « والهجمة » ، والوجه  
 ما أثبت .  
 (٦) انظر الحيوان ١ : ١٩ / ٣ / ٣٢٩ / ٥ : ٤١٧ .  
 (٧) الحيوان ٣ : ٣٢٨ ، ٤٠٦ / ٥ : ٤١٩ .  
 (٨) الحجور : جمع حجر ، بالكسر ، الفرس الأثني . ويقال في جمعه أحجار وحجورة  
 أيضاً . وانظر الحيوان ٧ : ١٤١ .  
 (٩) انظر للنشر ما سبق قريباً في هذه الصفحة ب : « نثرا » ط : « نثرا » ، صوابهما في م .  
 (١٠) ب : « من عز يزل غيره » ، صوابه في م ، ط . وانظر جمهرة العسكري ٢ : ٢٨٨  
 والفاخر ٨٩ والميداني ٢ : ٢٣٥ والمستقصى ٢ : ٣٥٧ واللسان ( بز ) . ومعناه من غلب  
 سلب . قاله جابر بن رألان السبسي لما أقرع النعمان يوم يؤسه بينه وبين صاحبيه ، فقرعها  
 فخل سبيله .  
 (١١) التغابن : أن يغيب القوم بعضهم بعضاً . ب : « التغاني » ، صوابه في م ، ط .

منهم الآثار<sup>(١)</sup> ؛ ولكانت الأنعام طعاماً للسباع ، وكانت عاجزة عن حماية أنفسها ، جاهلة بكثير من مصالح شأنها .

فوصل الله تعالى عجزها بقوة من أحوجّه إلى الاستمتاع بها ، ووصل جهلها بمعرفة من عرف كيف وجه الحيلة في صونها والدفاع عنها .

وكذلك فرض على الأئمة أن يحوطوا الدهماء<sup>(٢)</sup> بالحراسة لها ، والذبياد عنها<sup>(٣)</sup> ، ويرد قوبيها عن ضعيفها<sup>(٤)</sup> ، وجاهلها عن عالمها ، وظالمها عن مظلومها ، وسفيها عن حليما .

فلولا السائس ضاع المسوس ، ولولا قوة الراعي هلكت الرعية<sup>(٥)</sup> .

### ١١ - فصل منه

وانفراد السيد بالسيادة كانفراد الإمام بالإمامة . وبالسلامة من تنازع الرؤساء تجتمع الكلمة ، وتكون الألفة ، ويصلح شأن الجماعة . وإذا كانت الجماعة انتهت الأعداء ، وانقطعت الأهواء<sup>(٦)</sup> .

### ١٢ - فصل منه

ولسنا نقول ولا يقول أحد من يعقل : إن النساء فوق الرجال ، أو دونهم بطبقة أو طبقتين ، أو بأكثر<sup>(٧)</sup> ، ولكننا رأينا ناساً يُزرون عليهنّ أشدّ الزرارية ، ويحتقرونهنّ أشدّ الاحتقار ، ويبخسونهنّ أكثر حقوقهنّ .

(١) ب ، م : « ينطمس » ، وفي ب : « منه الآثار » ، صوابه في م ، ط .

(٢) ب : « أن يحيط الدهماء » ط : « أن يحوطها » م : « أن يحوط الدهماء » ، والوجه

ما أثبت .

(٣) في الأصول : « والزيادة عنها » ، صوابه ما أثبت . والزيادة والذود : الدفاع .

(٤) ب : « وترد » ، م ، ط : « ويرد » ، والوجه ما أثبت .

(٥) ب : « هلكت الرعية » .

(٦) ب ، م : « وانقطع الأهواء » .

(٧) ب ، م : « إلا بأكثر » ، صوابه في ط .

وإنَّ من العجز أن يكون الرجل لا يستطيع توفيرَ حقوقِ الآباءِ والأعمامِ إلاَّ بأنَّ ينكرَ حقوقَ الأمَّهاتِ والأخوالِ ، فلذلك ذكرنا جملةً ما للنساءِ من المحاسنِ .

ولولا أنَّ ناساً يفخرون بالجلدِ وقُوَّةِ المُنَّةِ ، وانصرافِ النَّفسِ عن حبِّ النساءِ ، حتَّى جعلوا شدَّةَ حُبِّ الرَّجُلِ لأمَّتِهِ ، وزوجتِهِ وولدهِ ، دليلاً على الضَّعفِ ، وباباً من الخورِ ، لما تكلفنا كثيراً مما شرطناه في هذا الكتابِ .

### ١٣ - فصل منه

كما نحبُّ أن يخرجَ هذا الكتابُ تاماً ، ويكونَ للأشكالِ الدَّاخِلةِ فيه جامعاً ، وهو القولُ فيما للذكورِ والإناثِ في عامَّةِ أصنافِ الحيوانِ ، وما أمكن من ذلك ، حتَّى يحصلَ ما لكلِّ جنسٍ منها<sup>(١)</sup> من الخصالِ المحمودِة والمذمومِة . ثمَّ يُجمعُ بينِ المحاسنِ منها والمساوئِ ، حتَّى يستبينَ لقارئِ الكتابِ نقصانُ المفضولِ من رجحانِ الفاضلِ ، بما جاءَ في ذلك من الكتابِ النَّاطقِ ، والخبرِ الصَّادقِ ، والشَّاهدِ العَدْلِ ، والمثلِ السائرِ . حتَّى يكونَ الكتابُ عربياً أعرابياً ، وسُنِّيًّا جماعياً ، وحتَّى يُجتنَبَ<sup>(٢)</sup> فيه العويصُ والطُّرُقُ المتوعِّرةُ ، والألفاظُ المستنكرةُ ، وتلزيقُ المتكلِّفينِ<sup>(٣)</sup> ، وتلفيقُ أصحابِ الأهواءِ من المتكلمينِ ، حتَّى نظرنا<sup>(٤)</sup> لمن لا يعلمُ مقاديرَ ما استخزنتها اللهُ من المنافعِ ، وغشَّها من البرهاناتِ<sup>(٥)</sup> ، وألزمها من الدَّلالةِ عليه ، وأنطقها به من الحُجَّةِ له .

(١) منها ، ساقطة من م ، ط .

(٢) ب : « وحتَّى يجب » صوابه في م ، ط .

(٣) في اللسان : « الملزق - بتشديد الزاي - : الشيء ليس بالحكم » .

(٤) ب ، م : « نظر » ، ط : « نظرا » ، والوجه ما أثبت .

(٥) ط فقط : « البراهين » .

فمنع من ذلك فرط الكِبَرَةِ<sup>(١)</sup> ، وإفراط العِلَّةِ ، وضعف المُنَّةِ ،  
وانحلال القوَّةِ .

فلما<sup>(٢)</sup> وافق هذا الكتابُ منَّا هذه الحال ، وألقى<sup>(٣)</sup> قلوبنا على هذه  
الأشغال ، اجتنبنا أن نقصد من جميع ذلك إلى فرق ما بين الرجل  
والمرأة .

فلما اعتزمتنا على ما ابتدأنا به وجدناه قد اشتمل على أبوابٍ يكثرُ  
عددها ، وتبعُدُ غايتها ، فرأينا ، والله الموقُّ ، أن نقتصرَ منه<sup>(٤)</sup> على  
ما لا يبلغُ بالمستمع إلى السَّامةِ ، وبالمألوف إلى مجاوزةِ القدرِ .

وليس ينبغي لكتب الآداب والرياضات أن يحمل أصحابها على  
الجدِّ الصَّرفِ ، وعلى العَقْلِ المحض ، وعلى الحقِّ المرِّ ، وعلى المعاني  
الصَّعبةِ ، التي تستكِدُّ النفوسَ ، وتستفرِّغُ المجهود .  
وللصبر غايةٌ ، وللإحتمال نهاية .

ولا بأس بأن يكون الكتاب موشَّحاً ببعض الهزل . وعلى أن الكتاب  
إذا كثُرَ هزله سَخُفٌ ، كما أنه إذا كثُرَ جدُّه ثَقُلُ .

ولا بدُّ للكتاب من أن يكون فيه بعض ما ينشط القارئ ، وينفِي  
التعاس عن المستمع . فمن وجد في كتابنا هذا بعض ما ذكرنا ، فليعلم  
أنَّ قصدنا في ذلك إنما كان على جهة الاستدعاء لقلبه ، والاستمالةِ  
لسمعه وبصره . والله تعالى نسأل التوفيق .

(١) في جميع الأصول : « الكبوة » ، وجهه ما أثبت .

(٢) ب ، م ، « فا » .

(٣) في جميع الأصول : « وألقى » بالقاف .

(٤) ب : « أن أتصر منه » .

## ١٤ - فصل منه في ذكر العشق

ورجلان من الناس لا يَعشِقَانِ عِشْقَ الْأَعْرَابِ :

أحدهما الفقير المُدْفِع ، فَإِنَّ قَلْبَهُ يُشْعَلُ عَنِ التَّوَعُّلِ فِيهِ وَبَلُوغِ أَقْصَاهُ .

والمَلِكُ الصَّخْمُ الشَّانُ ، لِأَنَّ فِي الرِّيَاسَةِ الكِبْرَى ، وَفِي جَوَازِ الْأَمْرِ وَنَفَازِ النَّهْيِ ، وَفِي مِلْكِ رِقَابِ الْأُمَّمِ ، مَا يَشْعَلُ شَطْرَ قُوَى الْعَقْلِ عَنِ التَّوَعُّلِ فِي الْحُبِّ ، وَالْإِحْتِرَاقِ فِي الْعِشْقِ .

## ١٥ - فصل منه

كثيراً ما يعترى العُشَّاقَ والمُحِبِّينَ غير المُحْتَرِقِينَ <sup>(١)</sup> ، كَالرَّجُلِ تَكُونُ لَهُ <sup>(٢)</sup> جَارِيَةٌ وَقَدْ حَلَّتْ مِنْ قَلْبِهِ مَحَلًّا ، وَتَمَكَّنَتْ مِنْهُ تَمَكُّنًا ، وَلَا يَجْتَنُّ أَصْلَ ذَلِكَ الْحُبِّ الْغَضْبَةُ تَعْرِضُ ، وَكَثْرَةُ التَّأْدِي بِالْخِلَافِ يَكُونُ مِنْهَا ، فَيَجِدُ <sup>(٣)</sup> الْفِتْرَةَ عَنْهَا ] فِي <sup>(٤)</sup> [بَعْضِ هَذِهِ الْحَالَاتِ الَّتِي تَعْرِضُ ، فَيُظَنُّ أَنَّهُ قَدْ سَلَا ، أَوْ يُظَنُّ أَنَّهُ فِي عَزَائِهِ عَنْهَا <sup>(٥)</sup> عَلَى فَقْدِهَا مُحْتَمِلًا ، فَيَبِيعُهَا <sup>(٦)</sup> إِنْ كَانَتْ أُمَّةً ، أَوْ يَطْلُقُهَا <sup>(٧)</sup> إِنْ كَانَتْ زَوْجَةً ، فَلَا يَنْشَبُ ذَلِكَ الْغَضْبُ أَنْ يَزُولَ ، وَذَلِكَ الْأَدَى أَنْ يَنْسَى ، فَتَتَحَرَّكُ لَهُ الدَّفَائِنُ <sup>(٨)</sup> ، وَيُثْمِرُ ذَلِكَ الْغَرَسُ ، فَيُتْبَعُهَا قَلْبَهُ ، فَأِمَّا أَنْ يَسْتَرْجِعَ

(١) ب : « المحترفين » بالفاء .

(٢) ب ، م : « لا يحب » ، صوابه في ط .

(٣) ط فقط : « فيوجد » .

(٤) ليست في الأصول .

(٥) ط : « فتظن » و « أو تظن أنه » ، صوابه في ب ، م . والعزاء : الصبر . ب :

« في غراية عنها » م ، ط : « في عزاية عنها » ، والوجه ما أثبت .

(٦) م ، ط : « مبيعها » ، صوابه في ب .

(٧) م ، ط : « أو طلقها » .

(٨) ب : « فيتحرك له الدفائن » .



الأمّة من مُبتاعها ، بأضعافِ ثمنها ، أو يسترجع الزوجة بعد أن نكحت . فإنّ تصبّرَ وأمكنه الصّبر لم يزلْ معدّباً ، وإنّ أطاع هواه واحتمل المكروه فهذا هو العقابيل والنكس<sup>(١)</sup> .

فليحذر الحازمُ الفترةَ في حبِّ حبيبه ، والعُضبة التي تُنسيه عواقبَ أمره .

### ١٦ - فصل منه

. قال إبراهيم بن السندي<sup>(٢)</sup> : حدّثني عبد الملك بن صالح<sup>(٣)</sup> قال :  
بيننا عيسى بن موسى<sup>(٤)</sup> قد خَلَا بنفسه<sup>(٥)</sup> ، وهو قد كان  
استكثر من النساءِ حتّى انقطع ، إذ مرّت به جارية<sup>(٦)</sup> كأنّها جانٌّ ،  
وكأنّها جدلُ عنان<sup>(٧)</sup> ، وكأنّها جُمارة ، وكأنّها قُضيبُ فِضّة ، فتحرّكت  
نفسه ، وخاف أن تخذله قوّته ، ثم طمع في القوّة<sup>(٨)</sup> لطول التّرك ،  
واجتماعِ الماء ، فلمّا صرّعها ، وجلس منها ذلك المجلس خطر على باله  
لو عجزَ كيف يكون حاله<sup>(٩)</sup> ؟ فلما فكّر فترّ ، فأقبلَ كالمخاطب لنفسه  
فقال : إنك لتجلسيني هذا المجلسَ ، وتحمليني على هذا المركّب ، ثم

- 
- (١) العقابيل : بقايا العلة والمشق والمرض ، الواحد عقبول وعقبولة . والنكس ، بالضم : عود المرض بعد النقه . وفي الأصول : « العقابيل » ولا وجه له .  
(٢) إبراهيم بن السندي ، سبقت ترجمته في ص ٦٠ . ب : « بن السدي » م ، ط : « بن السبيدي » ، صوابهما ما أثبت .  
(٣) انظر البيان والتبيين ١ : ٣٣٤ .  
(٤) هو عيسى بن موسى بن محمد بن عبد الله بن العباس ، أحد ولاة العباسيين وقوادم .  
وأبوه موسى هو أخو السفاح والمنصور . انظر المعارف ١٦٥ .  
(٥) ب ، م : « قد خلى بنفسه » تحريف .  
(٦) ب : « إذ مرّت جارية » .  
(٧) أي عنان مجدول . وانظر الحيوان ٦ : ٢٦٢ ورسائل الجاحظ ٢ : ١٢١ .  
(٨) ط : « في لقوة » .  
(٩) ب : « عن عجز كيف يكون حاله » ، تحريف .

تَخَذُلْنِي هَذَا الْخِذْلَانَ<sup>(١)</sup> وَتُعْشِينِي مِثْلَ هَذَا الذُّلِّ ، وَلَوْلَا حَيْرَةُ الْخِجَلِ<sup>(٢)</sup> لَمْ أَسْتَعْمَلْ مَا لَا يَقْتُلُ ! وَذَلِكَ أَنَّهُ حِينَ رَأَى أَنَّ أَبْلَغَ الْحَيْلِ فِي تَوْهِيْمِهَا أَنَّ الْعَجْزَ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِهِ أَنْ يَقُولَ لَهَا : تَعَرَّضِينَ لِي وَأَنْتِ تَفْلَةُ ، ثُمَّ لَا تُرْخِجِينَ بَادِيَتِكَ<sup>(٣)</sup> ، وَلَا تَسْتَهْدِفِينَ لِسَيْدِكَ ، وَلَا تُعِينِينَ عَلَى نَفْسِكَ ، حَتَّى كَأَنَّكَ عِنْدَ عَبْدٍ يُشْبِهُكَ ، أَوْ سُوقَةٍ لَا يَقْدِرُ إِلَّا عَلَى مِثْلِكَ<sup>(٤)</sup> . أَمَا لَوْ كُنْتِ<sup>(٥)</sup> مِنْ بَنَاتِ مَلُوكِ الْعَجَمِ لَأَلْفَاكَ سَيِّدُكَ عَلَى أَجُودِ صِنْعَةٍ ، وَعَلَى أَحْسَنِ طَاعَةٍ ، إِذْ كُلُّ رَجُلٍ يَنْبَسِطُ لِلتَّمَتُّعِ مَعَ الثَّقَلِ<sup>(٦)</sup> .

### ١٧ - فصل منه

وَلَمْ أَسْمَعْ وَلَمْ أَقْرَأْ فِي الْأَحَادِيثِ الْمَوْلَدَةَ ، فِي شَأْنِ الْعُشَاقِ ، وَمَا صَنَعَ الْعَشْقُ فِي الْقُلُوبِ وَالْأَكْبَادِ وَالْأَحْشَاءِ ، وَالزَّرْفَاتِ وَالْحَنِينِ ، وَفِي التَّدْلِيهِ وَالتَّوَلِّيهِ<sup>(٧)</sup> ، مَتَى تَسْتَعْرِ الدَّمْعَةَ<sup>(٨)</sup> ، وَمَتَى يُورِثُ الْعَيْنَ الْجُمُودُ<sup>(٩)</sup> .

(١) ب ، م : « لتجلسني » و « وتحملني » ، و « تخذلني » ، والصواب في ط . واجتماع نون الرفع مع نون الوقاية يجوز فيه حذف أحدهما أو إبقاؤها معاً مع الفلك ، ومع الإدغام ، كما في المغنى ٣٨٠ . قال : « ونحو تأمروني يجوز فيه الفلك ، والإدغام ، والنطق بنون واحدة » .

(٢) ب ، م : « خيرة الخجل » بالخاء المعجمة ، تحريف .

(٣) البادان : باطنا الفخذين ، وما بين الرجلين ، ومنه قول الدهناء بنت مسحل : « إني لأرخي لك بادي » . اللسان ( بدد ٤٦ ) . ب : « لا ترحين » بالخاء المهملة ، ط ، م : « لا ترحين » ، والصواب ما أثبت . وفي ط أيضاً « بادئك » ، صوابه في ب ، م .

(٤) ب : « على ملكك » م : « على ملك » ، صوابهما في ط .

(٥) لو ، ساقطة من ب ، م .

(٦) ب : « يبسط » م : « تنبسط » ، صوابهما في ط . وفي ب أيضاً : « مع الثقل » . وفي ط : « للتمتع » ، تحريفان .

(٧) دمه الحب تدلياً : حيره وأدهشه ، فهو مدله . وكذا وله توليها : حيره وأذهب عقله . وفي م ، ط : « التولية والتولية » ، صوابهما في ب .

(٨) في جميع الأصول : « ومتى » ، والوجه حذف الواو . وفي ب فقط : « الدمع » ، تحريف .

(٩) جود العين : قلة دمعها . ب ، م : « متى يورب » ، والوجه ما أثبت . وفي ط : « ومتى يعترى » .

## ١٨ - فصل منه

ونحن وإن رأينا أَنَّ فَضْلَ الرَّجُلِ عَلَى الْمَرْأَةِ ، فِي جُمْلَةِ الْقَوْلِ فِي الرَّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، أَكْثَرَ وَأَظْهَرَ ، فَلَيْسَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَقْصُرَ فِي حَقُوقِ الْمَرْأَةِ . وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِمَنْ عَظَّمَ حَقُوقَ الْآبَاءِ أَنْ يَصْغُرَ حَقُوقُ الْأُمَّهَاتِ ، وَكَذَلِكَ الْإِخْوَةَ وَالْأَخَوَاتِ ، وَالْبَنُونَ وَالْبَنَاتِ . وَأَنَا وَإِنْ كُنْتُ أَرَى أَنَّ حَقَّ هَذَا أَعْظَمُ فَإِنَّ هَذِهِ أَرْحَمُ .

١٩ - فصل من احتجاجه للإمام<sup>(١)</sup>

قال بعض من احتجَّ للعلَّة التي من أجلها صار أكثر الإماء أحظى عند الرجال من أكثر المهورات<sup>(٢)</sup> : أَنَّ الرَّجُلَ قَبْلَ أَنْ يَمْلِكَ الْأُمَّةَ قَدْ تَأَمَّلَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْهَا وَعَرَفَهُ ، مَا خِلا حُطُوءَ الْخُلُوءِ ، فَأَقْدَمَ<sup>(٣)</sup> عَلَى ابْتِياعِهَا بَعْدَ وَقُوعِهَا بِالْمُوَافَقَةِ . وَالْحُرَّةُ إِنَّمَا يُسْتَشَارُ فِي جَمَالِهَا النَّسَاءُ ، وَالنِّسَاءُ لَا يُبْصِرْنَ مِنْ جَمَالِ النَّسَاءِ وَحَاجَاتِ الرَّجَالِ وَمُوَافَقَتِهِنَّ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا . وَالرَّجَالُ بِالنِّسَاءِ أَبْصَرَ . وَإِنَّمَا تَعْرِفُ الْمَرْأَةَ مِنَ الْمَرْأَةِ ظَاهِرَ الصِّفَةِ ، وَأَمَّا<sup>(٤)</sup> الْخِصَائِصُ الَّتِي تَقَعُ بِمُوَافَقَةِ الرَّجَالِ فَإِنَّهَا لَا تَعْرِفُ ذَلِكَ .

وقد تُحْسِنُ الْمَرْأَةُ أَنْ تَقُولَ : كَأَنَّ أَنْفَهَا السِّيفُ ، وَكَأَنَّ عَيْنَهَا عَيْنُ غَزَالٍ ، وَكَأَنَّ عُنُقَهَا إِبْرِيْقُ فِضَّةٍ ، وَكَأَنَّ سَاقَهَا جُمَارَةٌ<sup>(٥)</sup> ، وَكَأَنَّ شَعْرَهَا

(١) م فقط : « في الإمام » .

(٢) المهيرة : التي تعطى المهر من الحرائر .

(٣) ب فقط : « فأقبل » .

(٤) ب : « فأما » .

(٥) ب فقط : « وكأنها » . والجوار : شحم النخل ، تشبه به الساق في اللين والبياض .

وفي الحديث : « كأن أنظر إلى ساقه في غرزه كأنها جمارة » .

العناقيد، وكان أطرافها المداري<sup>(١)</sup>، وما أشبه ذلك :  
وهناك<sup>(٢)</sup> أسباب أخر بها يكون الحب والبغض .

### ٢٠ - فصل منه

وقد علم الشاعر وعرف الواصف ، أن الجارية الفائقة الحسن  
أحسن من الطيبة ، وأحسن من البقرة ، وأحسن من كل شيء تشبه به ،  
ولكنهم إذا أرادوا القول شبهوها بأحسن ما يجدون .

ويقول بعضهم : كأنها الشمس ، وكأنها القمر ! والشمس وإن  
كانت هبةً فإنما هي شيء واحد ، وفي وجه الجارية الحسناء وخلقتها  
ضروب من الحسن الغريب والتركيب العجيب .

ومن يشك أن عين المرأة الحسناء أحسن من عين البقرة ، وأن  
جيدها أحسن من جيد الطيبة ، والأمر<sup>(٣)</sup> فيما بينهما متفاوت ، ولكنهم  
لو لم يفعلوا هذا وشبهه لم تظهر بلاغتهم وفطنتهم .

### ٢١ - فصل منه

ورأيت أكثر الناس من البصراء بجواهر النساء<sup>(٤)</sup> ، الذين هم  
جهاذة هذا الأمر ، يقدمون المجذولة<sup>(٥)</sup> ، والمجدولة من النساء تكون  
في منزلة بين السمينية والمشوقة .

ولا بد من جودة القدد ، وحسن الخرط ، واعتدال المنكبين ،

(١) أطرافها ، أي أطراف أصابعها . والمداري بكسر الراء وفتحها : جمع مدري  
ومدراة ، وهي شيء يعمل من حديد أو خشب على هيئة سن من أسنان المشط . تشبه به في الدقة .

(٢) ب : « هناك » بدون واو .

(٣) الواو ساقطة من ب .

(٤) ب : « لجواهر النساء » .

(٥) ب ، م : « المجذولة » . في هذا الموضع وتاليه ، تصحيف .

واستواء الظهر ، ولا بدّ من أن تكون كاسية العظام ، بين المتلثة والقضيصة .

وإنّما يريدون بقولهم : مجدولة<sup>(١)</sup> ، جودة العصب ، وقلة الاسترخاء ، وأن تكون سليمة من الزوائد والفضول .

وكذلك قالوا : خمصانة وسيفانة<sup>(٢)</sup> ، وكأنّها جانّ ، وكأنّها جدل عنان<sup>(٣)</sup> ، وكأنّها قضيب خيزران .

والتثنى في مشيها أحسن ما فيها ، ولا يمكن ذلك الضخمة والسمنة ، وذات الفضول والزوائد .

على أنّ النحافة في المجدولة<sup>(٤)</sup> أعمّ ، وهي بهذا المعنى أعرف<sup>(٥)</sup> ، تحبّب على السمان الضخام<sup>(٦)</sup> ، وعلى المشوقات والقضاف<sup>(٧)</sup> ، كما يحبّب هذه الأصناف على المجدولات<sup>(٨)</sup> .

ووصفوا المجدولة بالكلام<sup>(٩)</sup> المنشور فقالوا : « أعلاها قضييب ، وأسفلها كتيب » .

(١) ب ، م : « مجدولة » ، تصحيف ما في ط .

(٢) الخمصانة ، بفتح الخاء وضمها : الضامرة البطن . والسيقانة : الطويلة المشوقة الضامرة . ب : « خصانه » ، صوابه في م ، ط . وفي ط : « سيقانة » ، صوابه بالفاء كما في ب ، م .

(٣) انظر الحاشية ٧ من ص ١٥٥ .

(٤) ب ، م : « المجدولة » في هذا الموضع وتاليه ، والصواب في ط .

(٥) بعدها في جميع النسخ : « ولم أر المجدولة أعم وهي بهذا المعنى أعرف » ، وهو تكرار

لما سبق .

(٦) ب ، م : « تحبب على أصحاب السمان الضخام » ، وأثبت ما في ط .

(٧) القضيصة : الدقيقة النحيفة لا عن هزال . ب ، م : « أصحاب المشوقات والقضاف » .

(٨) ب : « كما يحبب » ، وأثبت ما في م ، ط . وفي ب ، م أيضاً : « أصناف

المجدولات » ، صوابه في ط .

(٩) ب : « المجدولة » م : « المجدولة » ، صوابه في ط .



٧

من رسالة في

مناقب التُّرك وعامة جُند الخِلافة





فصل من صدر رسالته إلى الفتح بن خاقان (١)  
في مناقب الترك وعمامة جند الخلافة (٢)

وَفَقَّكَ اللهُ لِرُشْدِكَ<sup>(٣)</sup> ، وَأَعَانَ عَلَى شُكْرِكَ<sup>(٤)</sup> ، وَأَصْلَحَكَ وَأَصْلَحَ  
عَلَى يَدَيْكَ ، وَجَعَلْنَا وَإِيَّاكَ مَنْ يَقُولُ بِالْحَقِّ وَيَعْمَلُ بِهِ ، وَيُؤَثِّرُهُ ، وَيَحْتَمِلُ  
مَا فِيهِ مِمَّا قَدْ يَصُدُّ عَنْهُ<sup>(٥)</sup> ، وَلَا يَكُونُ حِطَّةً مِنْهُ<sup>(٦)</sup> الْوَصْفَ لَهُ ،  
وَالْمَعْرِفَةَ بِهِ ، دُونَ الْحَثِّ عَلَيْهِ ، وَالْإِنْقِطَاعِ إِلَيْهِ ، وَكَشَفِ الْقِنَاعِ فِيهِ<sup>(٧)</sup> ،  
وَإِيصَالِهِ إِلَى أَهْلِهِ ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَحَافِظَةِ فِي أَنْ لَا يَصِلَ إِلَى غَيْرِهِمْ ،  
وَالْتَثْبُتِ فِي تَحْقِيقِهِ لَدَيْهِمْ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُعَلِّمِ النَّاسَ لِيَكُونُوا عَامِلِينَ  
دُونَ أَنْ يَكُونُوا عَامِلِينَ ، وَإِنَّمَا عَلَّمَهُمْ لِيَعْمَلُوا<sup>(٨)</sup> ، وَبَيْنَ لَهُمْ لِيَتَّقُوا<sup>(٩)</sup> التَّوَرُطَ  
فِي وَسْطِ الْخَوْفِ ، وَالْوُقُوعِ فِي الْمَضَارِّ ، وَالتَّوَسُّطِ فِي الْمَهَالِكِ . فَلذَلِكَ  
طَلَبَ النَّاسَ التَّبْيِينَ<sup>(١٠)</sup> .

- (١) الفتح بن خاقان هذا هو وزير المتوكل العباسي . وكان أديباً شاعراً فصيحاً بارع الذكاء . وكانت له خزانة كتب حافلة ، وله مؤلفات منها: كتاب اختلاف الملوك ، وكتاب الصيد والجراح ، وكتاب الروضة والزهرة . وقتل مع المتوكل سنة ٢٤٧ هـ .  
وهو غير الفتح بن محمد عبيد الله بن خاقان ، صاحب قلانة العقيان . انظر فهرست ابن النديم ١٦٩ - ١٧٠ وفوات الوفيات ٢ : ١٥٣ - ١٥٤ .
- (٢) نشرت كاملة في ليدن ١٩٠٣ م بعناية فان فلوتن ، كما نشرها الساسي في مجموع رسائله سنة ١٣٢٤ هـ = ١٩٠٧ م كما نشرت في رسائل الجاحظ بتحقيق سنة ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م . وقد رمزت للأولى هنا بالرمز ( ن ) وللثانية بالرمز ( ميج ) .
- (٣) في جميع الأصول : « وأرشدك » ، وأثبت ما في ميج والرسائل ١ : ٥ هارون .
- (٤) ط ، م : « وأعانك على شكره » .
- (٥) ب : « يصدر عنه » ، وأثبت ما في م ، ط . وفي ميج والرسائل : « بما قد يصد عنه »
- (٦) منه ، ساقطة من الأصول ، ثابتة في ميج والرسائل .
- (٧) ميج فقط : « عنه » .
- (٨) ب ، ط : « ليعلموا » ، صوابه في سائر النسخ .
- (٩) ب : « ليتقوا » صوابه في م ، ط والرسائل . وبعد هذه الكلمة في ميج فقط :  
« ولخوف الوقوع في المضار ، والتورط في المهالك ، طلب الناس التبين » .
- (١٠) م ، ط فقط : « التبين » .

ولحبِّ السَّلامَةِ مِنَ المَلَكَةِ ، والرَّغْبَةِ فِي المَنْفَعَةِ اِحْتَمَلُوا<sup>(١)</sup> ثِقَلِ التَّعَلُّمِ ، وَتَعَجَّلُوا مَكْرُوهُ المَعَانَاةِ<sup>(٢)</sup> .

ولقلَّةِ العَامِلِينَ وكثرةِ الوَاصِفِينَ قال الأَوَّلُونَ : العَارِفُونَ أَكْثَرُ مِنَ الوَاصِفِينَ ، وَالوَاصِفُونَ أَكْثَرُ مِنَ العَامِلِينَ .

وَإِنَّمَا كَثُرَتِ الصِّفَاتُ وَقَلَّتِ المَوْصُوفَاتُ لِأَنَّ ثَوَابَ العَمَلِ مُوجَلٌّ ، وَاحْتِمَالٌ مَا فِيهِ مَعْجَلٌّ .

وقد أعجبنى ما رأيتُ من شَغَفِكَ<sup>(٣)</sup> بطاعة إمامك ، واحتجاجك لتدبير خليفتك ، وإشفاقك من كلِّ خَلَلٍ يَدْخُلُهُ وَإِنْ دَقَّ ، وَنَالَ سُلْطَانَهُ<sup>(٤)</sup> وَإِنْ صَغُرَ ، وَمِنْ كَلِّ أَمْرِ خَالَفَ هَوَاهُ وَإِنْ خَفِيَ مَكَانَهُ ، وَجَانَبَ رِضَاهُ وَإِنْ قَلَّ ضَرَرُهُ . وَمِنْ تَخَوُّفِكَ<sup>(٥)</sup> أَنْ يَجِدَ<sup>(٦)</sup> المَتَأَوِّلَ إِلَيْهِ مَتَطَرِّقًا ، وَالعَدُوَّ عَلَيْهِ مَتَعَلِّقًا ؛ فَإِنَّ السُّلْطَانَ لَا يَنْفِكُ مِنْ مَتَأَوِّلٍ نَاقِمٍ ، وَمِنْ مَحْكُومٍ عَلَيْهِ سَاخِطٍ ، وَمِنْ مَعزُولٍ<sup>(٧)</sup> عَنِ الحَكْمِ زَارٍ ، وَمِنْ مَتَعَطِّلٍ مَتَصَفِّحٍ ، وَمِنْ مُعْجَبٍ بِرَأْيِهِ ، ذِي خَطَلٍ فِي بَيَانِهِ ، مُوَلِّعٍ بِتَهْجِينِ الصَّوَابِ ، وَبِالاعتراض على التدبير ، حَتَّى كَانَهُ رَائِدٌ لِجَمِيعِ الأُمَّةِ ، وَوَكِيلٌ لِسُكَّانِ جَمِيعِ المَمْلَكَةِ ؛ يَضَعُ نَفْسَهُ فِي مَوَاضِعِ الرُّقْبَاءِ ، وَفِي مَوَاضِعِ التَّصَفِّحِ عَلَى الخُلَفَاءِ وَالمُوزَرَاءِ . لَا يَعْذِرُ وَإِنْ كَانَ مَجَازُ العُدْرِ ظَاهِرًا ، وَلَا يَقِفُ فِيمَا يَكُونُ لِلشُّكِّ مُحْتَمِلًا ، وَلَا يَصَدِّقُ بِأَنَّ الشَّاهِدَ

(١) ب فقط : « احتمل » .

(٢) مج والرسائل : « مكروه المعاناة » .

(٣) ب فقط : « شغفك » .

(٤) ط فقط : « ونول سلطانه » .

(٥) ب ، م : « وإن تخونك » ، صوابه في سائر النسخ .

(٦) في جميع الأصول : « أن تجد » ، صوابه في مج والرسائل .

(٧) مج والرسائل : « معدول » بالبدال ، وله وجهه .

يرى ما لا يرى الغائب ، وأنه لا يعرف مصادر الرأى من لم يشهد  
موارده ، ومُستدبره من لم يعرف مُستقبله .

ومن محرومٍ قد أضعفه الحرمان ، ومن لثيمٍ قد أفسده الإحسان ،  
ومن مستبطنٍ قد أخذ أضعافَ حقه ، وهو لجهله بقدره ، ولضيق  
ذرعِهِ ، وقلّةِ شكره ، يظنُّ أنّ الذى بقى له أكثر ، ولحقه أوجب .

ومن مستزيدٍ لو ارتجع السلطان سالف أياديه البيضِ عنده ،  
ونعمته السالفة عليه ، لكان<sup>(١)</sup> لذلك أهلاً ، وله مستحقاً . قد غره  
الأمل<sup>(٢)</sup> ، وأبطره دوامُ الكفاية ، وأفسده طولُ الفراغ .

ومن صاحب فتنة<sup>(٣)</sup> شامل في الجماعة ، رئيس في الفرقة نَعاق في الهرج ،  
قد أقصاه عزُّ السلطان<sup>(٤)</sup> ، وأقام صغوه ثقاف الأدب<sup>(٥)</sup> ، وأذله الحكم  
بالحق<sup>(٦)</sup> ، فهو مغيظٌ لا يجد غير التشيع<sup>(٧)</sup> ، ولا يتشقى بغير  
الإرجاف ، ولا يستريح إلا إلى الأمان<sup>(٨)</sup> ، ولا يأنس إلا بكلُّ مُرجفٍ  
كذاب ، ومفتونٍ مُرتاب ، وخارصٍ لا خير فيه ، وخالفٍ لا غناءَ عنده ،  
يُريد أن يسوى بالكفاة ، ويرفع فوق الحماة ، لأمرٍ ما سلف<sup>(٩)</sup> له ،  
ولإحسانٍ كان من غيره<sup>(١٠)</sup> ، وليس ممن يربُّ قديمٍ مجد<sup>(١١)</sup> ، ولا يحفل

(١) ب ، م : « ولكان » ، صوابه في سائر النسخ .

(٢) ب ، م : « وسائل الجاحظ : « الإملاء » .

(٣) ط : « للفتنة » .

(٤) وكذا في م . وفي رسائل الجاحظ : « قد أقصاه السلطان » .

(٥) الصغو ، بالكسر والفتح : الميل . وفي جميع النسخ : « صغره » ، صوابه في م .

(٦) ب ، م : « الحلم بالحق » وفي ط « الجهل بالحق » ، صوابهما في م ورسائل

الجاحظ .

(٧) ب : « التشيع » ، صوابه في م ، ط ، م : « وسائل الجاحظ » .

(٨) ب : « إلا بالأمان » .

(٩) ب : « لا يسلف له » ، م ، ط : « لا أب سلف له » ، صوابهما في رسائل الجاحظ .

وفي م : « لأمر سلف له » .

(١٠) ط فقط : « وإحسان كان من غيره » .

(١١) ط : « يربه قديم مجد » . م : « وسائل الجاحظ : « يرب قديماً بجد » .

بُدروس شرف<sup>(١)</sup> ، ولا يَفْصِلُ بين ثواب [المحتسبين ، وبين الحفظ  
لأبناء<sup>(٢)</sup>] الْمُحْسِنِينَ .

وكيف يعرف فَرَقَ ما بين حَقِّ الذِّمَامِ<sup>(٣)</sup> وَثَوَابِ الْكِفَايَةِ مَنْ  
لا يعرف طبقاتِ الحَقِّ في مراتبه ، ولا يَفْصِلُ بين طبقات الباطل<sup>(٤)</sup>  
في منازلِهِ .

ثم اعلم<sup>(٥)</sup> بعد ذلك أَنَّكَ بِنَفْسِكَ بدأتَ في تعظيمِ إمامك ، والحفظِ  
لمناقبِ أنصارِ خليفتك<sup>(٦)</sup> ، وإيَّاهَا حُطَّتْ بحياطنك<sup>(٧)</sup> لأشْياعِهِ ،  
واحتجاجك لأوليائه ، ونعم العون أنتَ ، إن شاء الله ، على ملازمةِ الطَّاعَةِ ،  
والموازرةِ على الخَيْرِ<sup>(٨)</sup> ، والكفايةِ لأهلِ الحَقِّ .

وقد استدللتُ بالذي أرى من شدةِ عِنَايتِكَ<sup>(٩)</sup> وَفَرَطِ اكْتِرَائِكَ ،  
وتفقدِكَ لأجناسِ الأعداءِ<sup>(١٠)</sup> ، وبحثك عن مناقبِ الأولياءِ - على أَنَّ  
ما ظَهَرَ من نُصْحِكَ أُمَّمٌ في جَنْبِ ما بَطَّنَ من إخلاصك<sup>(١١)</sup> . فَامْتَع

(١) ط : « ولا يحفل به رروس شرفا » صوابه في سائر النسخ .

(٢) التكملة من مج والرسائل .

(٣) الذمام ، بكسر الذاي : الحق والحرمة ، وكل حرمة تلزمك إذا ضيعتها المذمة .

ب : « فوق ما بين حق الزمام » ، تحريف .

(٤) ب فقط : « المبطل » ، تحريف .

(٥) مج والرسائل : « ثم أعلمتني » .

(٦) ب : « والحفظ بمناب أبطار لخليفتك » ، صوابه في سائر النسخ .

(٧) في الأصول : « لحياطنك » ، وأثبت ما في مج والرسائل .

(٨) ب فقط : « والموازنة » ، تحريف .

(٩) من ، ساقطة من ب ، م . وكلمة « شدة » من مج والرسائل .

(١٠) في الأصول : « ولتفقدك » ، صوابه في مج والرسائل . وفي مج والرسائل :

« لأخبار الأعداء » . والأخبار : جمع جمع للخبير ، كما في اللسان .

(١١) الأيم : اليسير . وأنشد ياقوت في معجم البلدان :

تسألني برامتين سلجسا يا هند لو سألت شيئا أما

جاء به الكرى أو تيمها

الله بك خليفته ، وَمَنَحْنَا وَإِيَّاكَ مَحَبَّتَهُ ، وَأَعَاذْنَا وَإِيَّاكَ مِنْ قَوْلِ الزُّورِ ،  
والتَّقَرُّبِ بِالْبَاطِلِ ، إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، فَعَالٌَّ لِمَا يَرِيدُ .

وذكرتَ أَنَّكَ جالستَ أَخْلَاطاً مِنْ جُنْدِ الخِلافةِ ، وجماعاتٍ مِنْ  
أبناءِ الدَّعوةِ ، وشيوخاً مِنْ جِلَّةِ الشُّيعَةِ<sup>(١)</sup> ، وكهولاً مِنْ أبناءِ رجالِ  
الدولةِ ، المنسوبين إلى الطاعةِ والمُناصحةِ ، ومحبَّةِ الدِّيْنُونَةِ<sup>(٢)</sup>  
دونِ محبَّةِ الرِّغبةِ والرَّهبةِ ، وَأَنَّ رجُلًا مِنْ عُرُضِ تلكِ الجماعةِ<sup>(٣)</sup>  
ارتجل الكلامَ ارتجالَ مستبدٍّ ، وتفرَّدَ به تفرُّدٌ مُعجَبٌ ، وَأَنَّهُ تعسَّفَ  
المعانيَ وتهجَّمَ على الألفاظِ<sup>(٤)</sup> فزعمَ أَنَّ جندَ الخِلافةِ اليومَ على خمسةِ  
أقسامٍ : خُرَاسانيٌّ ، وتُرْكِيٌّ ، ومَوَلِيٌّ ، وعَرَبِيٌّ ، وبنَوِيٌّ<sup>(٥)</sup> ، وَأَنَّهُ أَكثَرَ حمدَ  
اللهِ وشكره على إحسانه ومِنِّتهِ ، وعلى جميعِ أياديهِ ، وسبوغِ نِعَمِهِ<sup>(٦)</sup> ،  
وعلى شمولِ عافيتهِ ، وجزيلِ مواهبهِ ، حينَ أَلَّفَ على الطاعةِ هذهِ

(١) الجلة : جمع جليل ، وهو ذو الخطر والشأن . وفي الأصول : « من جلة الشيعة » ،  
وأثبت ما في مج والرسائل .

(٢) الدينونة : الطاعة ، من الدين بالكسر . وهذا ما في م . وفي ب : « ومحبة الدينوية » ،  
وفي ط والرسائل : « والمحبة الدينية » . وفي مج : « والمناصحة الدينية . والدينونة لم ترد في  
المعاجم المتداولة . وفي اللسان ( كون ) : « قال الفراء : العرب تقول في ذوات الياه مما يشبه  
زغت وسرت : طرت طيرورة ، وحدث حيدودة ، فيما لا يحصى من هذا الضرب .  
فأما ذوات الواو مثل قلت ورضت فإنهم لا يقولون ذلك . وقد أتى عنهم في أربعة أحرف ،  
منها الكينونة من كنت ، والديمومة من دمت ، والمهينوعة من الهواع ، والسيدودة من سدت » .  
(٣) ب ، م : « الجملة » ، وأثبت ما في ط ومج والرسائل . وبعده فيما : « ومن  
حاشية تلك الجلة » .

(٤) في جميع الأصول : « وتهكم » بالكاف ، صوابه في مج والرسائل .  
(٥) البنوي : نسبة إلى واحد الأبناء . ويقال أيضاً « أبنائي » نسبة إلى الجمع ، وهم قوم  
أرسلهم كسرى مع سيف بن ذى يزن حين جاء يستنجده على الحبشة ، فنصروه وملكوا اليمن  
وتديروها ، وتزوجوا في العرب فقبيل لأولادهم الأبناء ، وغلب عليهم هذا الاسم ، لأن أمهاتهم  
من غير جنس آباؤهم . اللسان ( بنو ) والتنبية والإشرف ٤٢١ . ويبدو أن جميع الذين اجتذبتهم  
الحروب من الفرس إلى جزيرة العرب كان العرب يسمونهم الأبناء . وفي جميع الأصول :  
« وبنوني » ، صوابه في مج والرسائل .  
(٦) مج والرسائل : « وسابغ نِعَمِهِ » .

القلوب المختلفة ، والأجناس المتباينة ، والأهواء المتفرقة ، وأنك اعترضت على هذا التكلم المستبد ، وعلى هذا القائل المتكلف الذي قسم هذه الأقسام ، وخالف بين هذه الأركان ، وفضل بين أنسابهم . وأنك أنكرت ذلك عليه أشد الإنكار ، وقذعته أشد القذع .

وزعمت أنهم لم يخرجوا من الاتفاق ، أو من شيء يقرب من الاتفاق<sup>(١)</sup> ، وأنك نفيت<sup>(٢)</sup> التباعد في النسب ، والتباين في السبب .

وقلت : بل أزعم أن الخراساني والتركي أخوان ، وأن الحيز واحد ، وأن حكم ذلك الشرق<sup>(٣)</sup> ، والقضية على ذلك الصنع<sup>(٤)</sup> متفق غير مختلف ، ومتقارب غير متفاوت ، وأن الأعراق في الأصل إن لا تكن<sup>(٥)</sup> كانت راسخة ، فقد كانت متشابهة ، وحدود البلاد المشتملة عليهم إن لا تكن<sup>(٦)</sup> متساوية فإنها متناسبة ، وكلهم خراساني في الجملة ، وإن تميزوا ببعض الخصائص ، وافترقوا ببعض الوجود .

وزعمت أن اختلاف التركي والخراساني ليس كاختلاف ما بين الرومي والصقلبي ، والزنجي والحبشي ، فضلاً على ما هو<sup>(٧)</sup> أبعد جوهرأ ، وأشد خلافاً ، بل كاختلاف ما بين المدري والوبري ، والبدوي والحصري ، والسهلي والجبلي ، وكاختلاف ما بين من نزل البطون وبين

(١) أو من شيء يقرب من الاتفاق ، ساقط من م ، ط وإن كان قد ورد بهامش م بخط مخالف .

(٢) مع والرسائل : « وأنك أنكرت » .

(٣) ب فقط : « الشرف » بالفاء ، صوابه في سائر النسخ .

(٤) ط : « والقضاء » بدل « القضية » . وفي م : « ذلك الصنع » ، تحريف .

(٥) ط : « إذا لم تكن » مع : « إن لم تكن راسخة » .

(٦) مع : « إن لم تكن » .

(٧) مع والرسائل : فضلاً عما هو .

من نزل النجود<sup>(١)</sup> ، وبين من نزل الأغوار<sup>(٢)</sup> .

وزعمتَ أَنَّ هَوْلَاءَ وَإِن اختلفوا في بعض اللُّغة ، وفارقَ بعضُهُم بعضاً في بعض الصُّورة<sup>(٣)</sup> ، فقد نجد أَنَّ عَلِيّاً تَمِيمٌ<sup>(٤)</sup> ، وَسُفْلَى قَيْسٍ ، وَعَجْزٌ هَوَازِنٌ<sup>(٥)</sup> ، وفصحاء الحجاز ، خلافُ لُغَةِ حَمِيرٍ<sup>(٦)</sup> وَسَكَّانٍ مَخَالِيفِ اليَمَنِ ، وكذلك الصُّورة والصُّورة ، والشَّامِلِ والشَّامِلِ ، والأخلاق والأخلاق . وكلُّهم مع ذلك عربيٌّ خالصٌ غير مَشُوبٍ ، ولا مُعلَّهَجٍ ولا مدرَّعٍ<sup>(٧)</sup> ولا مزلَّجٍ<sup>(٨)</sup> . ولم يختلفوا كاختلاف ما بين

(١) النجود : جمع نجد ، وهو ما غلظ من الأرض وارتفع واستوى ، والجمع أنجد ، وأنجاد ، ونجاد ، ونجود ، ونجد . ب ، ط : « البحور » تحريف ، صوابه في م مع أثر تصحيح ، وكذا في مج والرسائل .

(٢) الأغوار : جمع غور ، وهو ما انخفض من الأرض . ب : « الأهواز » م : « الأغوال » ، صوابهما في ط ، مج والرسائل .

(٣) ب : « وقارب بعضهم بعضاً وبعض الصورة » ، صوابه في م ، ط ، مج والرسائل ، لكن في ط : « وبعض الصورة » تحريف .

(٤) مج والرسائل : « فقد تحالفت علياً تميم » . وعلياً تميم ، أو عالية تميم هم بنو عمرو بن تميم ، وهم بنو الهجيم والعنبر ومازن ، كما في اللسان ( علا ٣٢٦ ) . وفي الصاحبي ٢٨ والمزهر ١ : ٢١١ : « أفصح العرب علياً هوازن وسفلى تميم » . وفي البرهان للزركشى : ٢٨٣ : « وأما سفلى تميم فبنو دارم » . وهم بنو دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم .

(٥) في الصاحبي ٢٨ والمزهر ١ : ٢١٠ : « العجز من هوازن ، وهم الذين يقال لهم علياً هوازن ، وهم خمس قبائل أو أربع ، منها سعد بن بكر ، وجشم بن بكر ، ونصر بن معاوية ، وثقيف » . وفي اللسان : « عجز هوازن : بنو نصر بن معاوية ، وبنو جشم بن بكر ، كأنه آخرهم » . ويبدو أن الوصف بالعليا والسفلى راجع إلى الموقع الإقليمي . فعليا تميم : من يسكنون العالية ، وهي ما ولى الحجاز وتهامة . وسفلام : من يسكنون السافلة ، وهي ما ولى العراق . وتميم كلها مشهود لها بالفصاحة .

(٦) مج والرسائل : « وهي في أكثرها على خلاف لغة حمير » .

(٧) الملهج : الهجين ، وهو العربي المولود من أمة . والمدرع : الذي أمه عربية وأبوه عربي . وأنشد :

إذا باهل عنده حنظلية لها ولد منه فذاك المدرع

وفي جميع النسخ : « ولا مربوع » ، صوابه في مج والرسائل وهامش م .

(٨) المزلاج : الدعي ، والمزلق بالقوم وليس منهم ، كأنهم يزلقونه عن أنسابهم لعدم

أصلته . ب فقط : « مزنج » ، صوابه في م ، ط ومج والرسائل .

فَقَحَطَانَ وَعَدْنَانَ ، مِنْ قَبْلِ مَا طَبِعَ اللَّهُ عَلَيْهِ تِلْكَ التُّرْبَةَ مِنْ خِصَائِصِ  
الْغَرَائِزِ ، وَمَا قَسَمَ لِأَهْلِ كُلِّ جَزِيرَةٍ مِنَ الشَّكْلِ وَالصُّورَةِ ، وَمِنَ الْأَخْلَاقِ  
وَاللُّغَةِ .

فَإِنْ قُلْتَ : وَكَيْفَ صَارَ أَوْلَادُهُمَا جَمِيعاً عَرَبِيًّا ، مَعَ اخْتِلَافِ الْأَبْوَةِ ؟  
قُلْنَا : إِنَّ الْجَزِيرَةَ لَمَّا كَانَتْ وَاحِدَةً فَاسْتَوَوْا<sup>(١)</sup> فِي التُّرْبَةِ وَفِي اللُّغَةِ ،  
وَفِي الشَّمَائِلِ وَالْهَمَّةِ ، وَفِي الْأَنْفِ وَالْحَمِيَّةِ ، وَفِي الْأَخْلَاقِ [ وَالسَّجِيَّةِ<sup>(٢)</sup> ] ،  
فَسَبَكُوا سَبْكَاً وَاحِداً ، تَشَابَهَتْ الْأَجْزَاءُ وَتَنَاسَبَتْ الْأَخْلَاطُ<sup>(٣)</sup> ، حَتَّى  
صَارَ ذَلِكَ أَشَدَّ تَشَابُهًا فِي بَابِ الْأَعْمِّ وَالْأَخْصِّ ، وَفِي بَابِ الْوِفَاقِ  
وَالْمُبَايِنَةِ<sup>(٤)</sup> مِنْ بَعْضِ الْأَرْحَامِ ، وَجَرَى عَلَيْهِمْ حُكْمُ الْإِتِّفَاقِ فِي الْحَسَبِ<sup>(٥)</sup> ،  
وَصَارَتْ هَذِهِ الْأَسْبَابُ وَلِادَّةً أُخْرَى حَتَّى تَنَاقَحُوا عَلَيْهَا ، وَتَصَاهَرُوا  
مِنْ أَجْلِهَا . وَامْتَنَعَتْ عَدْنَانُ قَاطِبَةً مِنْ مَنَاكِحَةِ بَنِي إِسْحَاقَ ، وَهُوَ أَخُو  
إِسْمَاعِيلَ ، وَجَادُوا<sup>(٦)</sup> بِذَلِكَ فِي جَمِيعِ الدَّهْرِ لِبَنِي قَحَطَانَ<sup>(٧)</sup> .

فَفِي إِجْمَاعِ الْفَرِيقَيْنِ عَلَى التَّنَاقُحِ وَالتَّصَاهُرِ ، وَمِنْهُمَا ذَلِكَ جَمِيعَ  
الْأُمَّمِ ، كَكَسْرَى<sup>(٨)</sup> فَمَنْ دُونَهُ ، دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ النَّسَبَ<sup>(٩)</sup> عِنْدَهُمْ مَتَّفِقٌ ،  
وَأَنَّ هَذِهِ الْمَعَانِيَ قَدْ قَامَتْ عِنْدَهُمْ مَقَامَ الْوِلَادَةِ وَالْأَرْحَامِ الْمَاسَّةِ .

(١) ط فقط : « استوا » بدون فاء .

(٢) التكلية من مج والرسائل .

(٣) ب ، م : « وتباينت الأخلاط » ، ط : « وتباينت الأخلاق » ، صوابها في مج

والرسائل .

(٤) في الأصول : « وفي باب الوفاق وفي البنية » ، صوابه في مج والرسائل .

(٥) في الأصول : « وفي الحسب » ، والوجه حذف الواو كما في مج والرسائل .

(٦) جادوا ، أى سمحوا . وفي الأصول : « وجازوا » ، صوابه في مج والرسائل .

(٧) في الأصول : « وكبني قحطان » ، وأثبت ما في مج والرسائل .

(٨) ب فقط : « كسرى » .

(٩) ب ، م : « دليل على النسب » ، تحريف .



وزعمت أنه أراد الفرقة والتخريب<sup>(١)</sup> ، وأنت أردت الألفة والتقريب<sup>(٢)</sup> .

ثم زعمت أيضاً أن البنوي<sup>(٣)</sup> خراساني ، وأن نسب الأبناء نسب آبائهم ، وأن حُسن صنيع الآباء ، وقديم فعال الأجداد ، هو حسب الأبناء ، وأن الموالى بالعرب أشبه ، وإليهم أقرب ، وبهم أمس ؛ لأن السنة<sup>(٤)</sup> قد نقلت الموالى إلى العرب في كثير من المعاني ، لأنهم عرب في المدعى ، وفي العاقلة ، وفي الوراثة<sup>(٥)</sup> . وهذا تأويل قوله<sup>(٦)</sup> : « مولى القوم منهم<sup>(٧)</sup> » . و « الولاء لحمة كلحمة النسب<sup>(٨)</sup> » .

ثم زعمت أن الأتراك قد شاركوا القوم في هذا النسب ، وصاروا من العرب بهذا السبب ، مع الذى بانوا به من الخلال ، وحُبوا به من شرف الخصال .

على أن ولاء الأتراك للباب قريش ، ولمصاص عبد مناف ، [وهم<sup>(٩)</sup> في سر هاشم ، وهاشم موضع العذار من خد الفرس ، ومحل العقد

(١) التخريب : أن يجعلهم أحراباً وفرقاً . ب : « والتخريب » م : « والتخويف » ط : « والتخرب » ، صوابه في مج والرسائل .

(٢) ط فقط : « والتقرب » .

(٣) في الأصول : « البنوي » صوابه في مج والرسائل . وانظر ما سبق في صفحة ١٦٧ .

(٤) ب ، م : « الشبه » ط : « النسبة » صوابها مج والرسائل .

(٥) في الأصول : « الولاية » ، وأثبت ما في مج والرسائل .

(٦) مج : « قوله عليه الصلاة والسلام » .

(٧) ويروى : « من أنفسهم » . الجامع الصغير ٩١٢٤ . وأخرجه البخارى عن أنس .

(٨) أخرجه الطبرانى عن عبد الله بن أبي أوفى ، والحاكم والبيهقى عن ابن عمر . الجامع

الصغير ٩٦٨٧ .

(٩) التكلة من رسائل الجاحظ .

من لَبَّةِ الكَعَابِ<sup>(١)</sup> . وهو<sup>(٢)</sup> الجواهر المكنون ، والذَّهَبُ المصْفَى ، وموضع المُحَّةِ من البيضة<sup>(٣)</sup> ، والعَيْنُ في الرَّأْسِ<sup>(٤)</sup> ، والرُّوحُ من البدن . وَهُمُ الأَنْفُ المَقْدَمُ ، والسَّنَامُ الأَكْوَمُ ، والطَّيْنَةُ البِيضَاءُ ، والدَّرَّةُ الزَّهْرَاءُ ، والرَّوْضَةُ الخَضْرَاءُ ، والذَّهَبُ الأَحْمَرُ .

فقد شاركوا العَرَبُ في أنسابهم ، وفَضَلُوهم بهذا الفضل الخاص الذي لا يبلغه فضلٌ وإن بَرَعَ ، بل لا يَعُشْرُهُ شَرَفٌ وإن عَظُمَ ، ولا مَجْدٌ وإن قَدُمَ . فزعمت أن أنساب الجميع متقاربةٌ غير متباعدة ، وعلى حسب ذلك التَّقَارُبِ تكون الموازنة والمكائفة<sup>(٥)</sup> ، والطاعةُ والمُنَاصَحةُ ، والمحبةُ للخلفاء والأئمة .

وذكرت أنه ذكرَ جُمَلًا من مفاخر هذه الأجناس ، وجمهرة من مناقب هذه الأصناف ، وأنه جمع ذلك وفصله ، وأجمَلَه وفسره ، وأنه ألغى ذكر الأتراك فلم يعرض لهم<sup>(٦)</sup> ، وأضرب عنهم صفحاً فلم يُخَيِّرْ عنهم ، كما أخبرَ عن<sup>(٧)</sup> حُجَّةِ كلِّ جيل ، وعن بُرْهَانِ كلِّ صنف . فذكر أن الخراساني يقول : نحنُ النُّقبَاءُ ، وأبناءُ النُّقبَاءِ ، ونحن النُّجَبَاءُ وأبناءُ النُّجَبَاءِ ، ومِنَّا الدعاة قبل أن تظهر نقابة<sup>(٨)</sup> ، أو تُعرفَ

(١) في رسائل الجاحظ : « الكاعب » ، وهما سواء . يقال جارية كعاب ومكعب ، وكاعب : نهد ثديها . واللبة بالفتح ، واللبب بالتحريك : موضع القلادة من الصدر .

(٢) وهو ، ليست في رسائل الجاحظ . كما أن وجهها « وهم » .

(٣) محة البيضة ومحها : ما في جوفها من صفرة . ب فقط : « المحة » تحريف .

(٤) ميج فقط : « من الرأس » .

(٥) المكائفة ، بالنون : المعاونة ، ومثلها المكائفة ، بالتاء ، كما في المعجم الوسيط .

ب ، م : « والمكايفة » . صوابها في ط ومج . وفي رسائل الجاحظ : « والمكائفة » بالتاء .

(٦) ط فقط : « بهم » .

(٧) ط فقط : « خبر » .

(٨) النقيب : العريف على القوم المقدم عليهم ، الذي يتعرف أخبارهم وينقب عن أحوالهم .

والنقابة بالفتح المصدر ، وبالكسر الاسم .

نَجَابَةٌ ، وَقَبْلَ الْمَغَالِبَةِ وَالْمِبَادَاةِ<sup>(١)</sup> ، وَقَبْلَ كَشْفِ الْقِنَاعِ وَزَوَالِ التَّقِيَّةِ .  
وَبِنَا زَالَ مُلْكُ أَعْدَائِنَا عَنْ مُسْتَقَرِّهِ ، وَثَبَّتَ مُلْكُ أَوْلِيَانِنَا فِي  
نَصَابِهِ ، وَبَيَّنَّ ذَلِكَ مَا قُتِلْنَا وَشُرِّدْنَا ، وَنُهِكْنَا ضَرْباً وَطَلْباً ، وَبُضِعْنَا  
بِالسُّيُوفِ الْخُدَادِ ، وَعُذِّبْنَا بِاللَّوَانِ الْعَذَابِ .

وَبِنَا شَفَى اللَّهُ تَعَالَى الصُّدُورَ ، وَأَدْرَكَ الثَّأْرَ ، وَمَنَا الْاِثْنَى عَشَرَ  
النُّقْبَاءَ ، وَالسَّبْعُونَ النَّجْبَاءَ . وَنَحْنُ الْخَنْدَقِيَّةُ وَأَبْنَاءُ الْخَنْدَقِيَّةِ<sup>(٢)</sup> ،  
وَنَحْنُ الْكُفَيْيَّةُ وَأَبْنَاءُ الْكُفَيْيَّةِ<sup>(٣)</sup> ، وَمَنَا الْمُسْتَجِيبَةُ ، وَمَنْ<sup>(٤)</sup> يَهْرَجُ النِّيمِيَّةَ ،  
وَمَنَا نَيْمُ خِرْزَانَ<sup>(٥)</sup> ، وَأَصْحَابُ الْجَوْزَيْنِ<sup>(٦)</sup> ، وَمَنَا الزَّغْنَدِيَّةُ<sup>(٧)</sup> ،  
وَالْأَزَادْمَرْدِيَّةُ<sup>(٨)</sup> .

وَنَحْنُ فَتَحْنَا الْبِلَادَ ، وَقَتَلْنَا الْعَدُوَّ بِكُلِّ وَادٍ ، وَنَحْنُ أَسْلُ هَذِهِ الدَّوْلَةُ ،  
وَمَنْبِتُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، وَأَصْحَابُ هَذِهِ الدَّعْوَةِ ، وَمِنْ عِنْدِنَا هَبَّتْ هَذِهِ الرِّيحُ .  
وَالْأَنْصَارُ أَنْصَارَانِ : الْأَوْسُ وَالخَزْرَجُ ، نَصَرُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ فِي أَوَّلِ الزَّمَانِ ، وَأَهْلُ خُرَّاسَانَ نَصَرُوا وَرَثَتَهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ،  
غَدَّانَا بِذَلِكَ آبَاؤُنَا ، وَغَزَّوْنَا بِهِ أَبْنَاءُنَا ، وَصَارَ لَنَا نَسَباً لَا نَعْرِفُ إِلَّا بِهِ ،  
وَدِيناً لَا نُؤَالِي إِلَّا عَلَيْهِ .

(١) فِي الرِّسَالَةِ : « وَالْمِبَارَاةُ » وَبِالرَّاءِ .

(٢) الْخَنْدَقِيَّةُ : أَصْحَابُ الْخَنْدَاقِ أَيَّامَ نَصْرِ بْنِ سِيَّارٍ ، كَمَا سَيَأْتِي فِي أَوَّلِ ص ١٧٦ .

(٣) ط فَقَطْ : « الْكُفَيْيَّةُ وَأَبْنَاءُ الْكُفَيْيَّةِ » .

(٤) م ، ط : « وَمَنَا » وَفِي ط وَالرِّسَالَةِ بَعْدَهُ : « يَهْرَجُ التِّيمِيَّةَ » وَفِي مِج : « يَمْجِرُ التِّيمِيَّةَ » .

(٥) ط فَقَطْ : « تَيْمُ خِرْزَانَ » .

(٦) ب ، م : « الْجَوْزَيْنِ » . وَفِي ط : « الْحَوْزَيْنِ » ، وَأُثْبِتَ مَا فِي مِجِ وَالرِّسَالَةِ .

(٧) زَغْنَدُ ، فِي الْفَارْسِيَّةِ بِمَعْنَى صَوْتِ الْحَيَوَانَ الْوَحْشِيِّ . وَسَيَأْتِي فِي ص ١٧٩ : « وَلَنَا

الْأَصْوَاتُ الَّتِي تَسْقُطُ الْجِبَالُ » .

(٨) الْأَزَادْمَرْدِيَّةُ : اِسْمُ كَانٍ يَطْلُقُ عَلَى طَبَقَةِ الْأَشْرَافِ مِنَ الْفَرَسِ . انظُرْ مَقَالَ الدُّكْتُورِ

كِرَاوَسِ فِي مَجَلَّةِ الثَّقَافَةِ الْعَدَدِ ٢٢٤ . ب : « وَالْأَزَادْمَرْدِيَّةُ » م : « وَالْأَزَادْمَرْدِيَّةُ » ط :

« وَالْأَزَادْمَرْدِيَّةُ » ، صَوَابُهُ فِي مِجِ وَالرِّسَالَةِ .

ثم نحنُ على وتيرةٍ واحدةٍ ، ومنهاجٍ غيرٍ مشتركٍ ، نُعرفُ بالشَّيعةِ ، ونَدِينُ بالطَّاعةِ ، ونُقْتَلُ فيها ، ونَمُوتُ عليها . سَيَانَا موصوفٌ ، ولِبَاسُنَا معروفٌ ، ونحنُ أصحابُ الرِّاياتِ السُّودِ ، والرِّواياتِ الصَّحيحةِ<sup>(١)</sup> ، والأَحاديثِ المأثورةِ ، والذين يَهْدِمونُ مُدُنَ الجبابرةِ ، وينتزعونُ المُلكَ من أيدي الظُّلَمَةِ . وفينا تقدِّمُ الخبرِ ، وصَحَّ الأثرُ . وجاءَ<sup>(٢)</sup> في الحديثِ صفةُ الذين يفتحونُ عَمُورِيَّةً<sup>(٣)</sup> ، ويظهرونُ عليها<sup>(٤)</sup> ، ويقتلونُ مقاتليها<sup>(٥)</sup> ، وَيَسْبُونُ ذراريها ، حيثُ قالوا في نعتهم : «شُعورهم شعورُ النَّسَاءِ ، وثيابهم ثيابُ الرُّهبانِ» . فصدَّقَ الفعلُ القولَ ، وحقَّقَ الخَبَرَ العِيانَ .

ونحنُ الذين ذكَّرنا ، وذَكَرَ بِلاننا<sup>(٦)</sup> إمامُ الأئمَّةِ ، وأبو الخلائفِ العشرةِ<sup>(٧)</sup> محمد بن علي ، حينَ أراد توجيهِ الدُّعاةِ إلى الآفاقِ ، وتفريقَ شيعتهِ في البُلدانِ :

(١) في الأصول : « في الروايات الصحيحة » ، وأثبت ما في مج والرسائل .

(٢) ب ، ط : « جاء » بدون واو .

(٣) عمورية ، بتشديد الميم المضمومة والياء : بلدة في الروم فتحها المعتصم العباسي سنة ٢٢٣ . ولهذا الفتح قصة عجيبة مذكورة في كتب التاريخ . وفيه يقول أبو تمام :

يا يوم وقعة عمورية انصرفت عنك المنى حفلا معسولة الخلب

(٤) عليها ، ساقطة من م .

(٥) كذا في مج والرسائل وم . وفي ب : « مقاتلها » وفي ط : « مقاتلتها » .

(٦) ب ، م : « بلاد ناه » ، صوابه في ط .

(٧) يعني خلفاء العباسيين العشرة الذين أدرك الجاحظ آخرهم ، وهو الخليفة المتوكل . وهم على الولاة : أبو العباس السفاح ، وأبو جعفر المنصور ، ثم المهدي ، والهادي ، والرشيد ، والأمين ، والمأمون ، والمعتصم الذي كان يسمى « الخليفة المشن » ، لأنه الثامن من خلفاء بني العباس ، أو لأنه مات عن ثمانية بنين وثمانى بنات ، وخلف في بيت المال ثمانية آلاف ألف دينار ، وثمانية آلاف ألف درهم ، كما ذكر المسعودي في التنبية والإشراف ٣٠٧ . ثم تأسهم الخليفة الواثق ، والعاشر الخليفة المتوكل المقتول بالجعفرية من سر من رأى سنة ٢٤٧ .

وقد توالى بعد هؤلاء الخلائف العشرة من العباسيين ٢٦ خليفة كان آخرهم المستعصم بالله الذي قتله هولاء ملك التتر حين استولى على بغداد سنة ٦٥٦ .

«أما البصرة وسوادها فقد غلب عليها عثمان ، وصنائعُ عثمان ، فليس بها من شيعتنا إلا القليل .

وأما الكوفة وسوادها فقد غلب عليها عليٌّ وشيعةُ عليٍّ ، فليس بها من شيعتنا إلا القليل .

وأما الشام فشيعة بني مروان ، وآل بني سُفيان .

وأما الجزيرة فخارجةٌ ، وحروريةٌ ومارقة .

ولكن عليكم بهذا الشرق فإنَّ هناك<sup>(١)</sup> صدوراً سليمة ، وقلوباً باسلة ، لم تُفسدْها الأهواء ، ولم تُخامرْها الأدواء ، ولم تعتقِبْها البدع ، وهم مغيظون<sup>(٢)</sup> موتورون . وهناك العدة والعُدَّة ، والعتاد والنَّجدة .

ثم قال : « وأنا أتفاءلُ إلى حيث ما تطلع<sup>(٣)</sup> .

فكنا خيرَ جندٍ لخيرِ إمام ، وصدقنا ظنَّه ، وثبتنا رأيه ، وصوبنا فراسته .

وقال مرةً أخرى : « إنَّ أمرنا هذا شرقيٌّ لا غربيٌّ ، ومقبِلٌ غيرُ مدبر ، يطلعُ كطلوعِ الشمس ، ويمتدُّ على الآفاق امتدادَ النهار ، حتى يبلغ<sup>(٤)</sup> حيث ما تبلغه الأنخاف<sup>(٥)</sup> ، وتنالُه الحوافِرُ .

قالوا : ونحن قتلنا الصَّحْصِيةَ<sup>(٦)</sup> ، والدَّالِقيَّةَ<sup>(٧)</sup> ، والدَّكوانيةَ ،

(١) ط فقط : « هناك » .

(٢) ط فقط : « مغيظون » ، صوابه في سائر النسخ .

(٣) ب : « ما نطلع » ، تحريف . والمراد : حيثما تطلع الشمس . وفي مج : « حيث يطلع النهار » ، وفي الرسائل : « حيث يطلع منه النهار » .

(٤) في الأصول : « حتى تبلغ » ، صوابه بالياء كما في مج والرسائل .

(٥) أى أخفاف الإبل . ب ، م : « الإخفاف » ، صوابه في ط ، مج والرسائل .

(٦) الصحصية : نسبة إلى صحصح ، وكان أحد المتكلمين . انظر الحيوان ٣ : ٣٩٥ والبخلاء ٤ والطبرى في حوادث سنة ١٣٢ . وفي الأصول : « الصحيحة » ، صوابه في مج والرسائل .

(٧) م ، ب : « الدالقية » بالفاء . وبدله في الطبرى : « الدوكانية » .

والرَّاشِدِيَّة . ونحن أصحابُ<sup>(١)</sup> الخنادق ، ونُباتة بن حنظلة<sup>(٢)</sup> ، وعامر ابن ضُبارة<sup>(٣)</sup> ، وأصحابُ ابن هُبيرة . فلنا قديمُ هذا الأمرِ وحديثُهُ ، وأوَّلُهُ وآخِرُهُ<sup>(٤)</sup> .

ومنا قاتل مروان .

ونحن قومٌ لنا أجسامٌ وأجرامٌ ، وشُعورٌ وهامٌ ، ومناكبٌ عظامٌ ، وجباهٌ عراضٌ ، وقَصْرٌ غِلاظٌ<sup>(٥)</sup> ، وسواعدٌ طِوالٌ .

ونحن أولدٌ للذكورة ، وأنسلُ بُعولةٌ ، وأقلُّ ضَوَى وضُولةٌ ، وأقلُّ إِتَاماً<sup>(٦)</sup> ، وأنتقُ أرحاماً<sup>(٧)</sup> ، وأشدُّ عصباً ، وأتمُّ عظاماً . وأبداننا أحملٌ للسَّلاحِ ، وتجنَّفنا أملاً للعيون<sup>(٨)</sup> .

(١) بعده في مِج والرسائل : « أيام نصر بن سيار ، وابن جديع الكرمانى ، وشيبان بن سلمة الخارجى » . وابن جديع هذا هو على بن جديع الكرمانى ، كما في حواشى رسائل الجاحظ ١٧ : ١ .

(٢) ب : « وبناته بن حنظلة » ، م : « وبناته » صوابهما فى ط ، مِج والرسائل . وفيهما : « ونحن أصحاب نباتة بن حنظلة » . وكان نباتة هذا والياً على جرجان . وانظر جمهرة ابن حزم ٢٨٢ . وهو نباتة بن حنظلة بن ربيعة بن عبد قيس بن ربيعة بن كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وانظر خبر مقتله فى تاريخ الطبرى سنة ١٣٠ .

(٣) كان عامر بن ضُبارة هذا من قواد ابن هُبيرة . وانظر الاشتقاق ٢٨٩ ، ٢٩٠ وجمهرة ابن حزم ٢٥٤ . وفى الأصول : « بن ضُبابة » صوابه بالراء كما فى مِج والرسائل والتنبية والإشراف ٢٨٣ والطبرى ٧ : ٤٠٥ . قتله قحطبة بن شبيب الطائى بأصبهان فى حروب أبي مسلم الخراسانى سنة ١٣١ .

(٤) فى الطبرى أن قاتل مروان بن محمد ، هو رجل من أهل البصرة يقال له المغود ، طعنه وهو لا يعرفه قصره ، فصاح صائح : صرع أمير المؤمنين ! وابتدروه ، فسبق إليه رجل من أهل الكوفة كان يبيع الرمان فاحتز رأسه . انظر حوادث سنة ١٣٢ .

(٥) القصر ، بالتحريك : جمع قصرة ، وهى أصل العنق . وبه فسر ابن عباس قوله تعالى : « إنها ترى بشر كالقصر » فى قرآته بفتح الصاد .

(٦) الإِتَام : أن تلد المرأة اثنين فى بطن .

(٧) أنتقُ أرحاماً ، أى أكثر ولادة . والمرأة ناتق ، لأنها ترى بالأولاد رميةً . والناتق :

الرمى والنفض .

(٨) فى الأصول ومِج وأصل الرسائل ١ : ١٨ : « وأخفافنا » . والوجه ما أثبت .

وانظر حواشى الرسائل . والتجنَّف ، بفتح التاء وكسرها : ما جلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح فى الحرب . وانظر ص ١٧٨ .

ونحن أكثر مادّةً ، وأكثر عدداً وعدّةً ، ولو أنّ يأجوج ومأجوج  
كاثروا<sup>(١)</sup> من وراء النهرِ منا لظهروا عليهم بالعدد .

فأمّا الأيّدُ وشِدّةُ الأسرِّ فليس لأحدٍ بعد عادٍ وثمودَ والعمالقةِ  
والكنعانيين مثل أيدِنَا وأسرِنَا .

ولو أنّ خيولَ الآفاقِ ، وفُرسانَ جميعِ الأطرافِ جُمِعُوا في حلّيةٍ  
واحدةٍ لكننا أكثرُ في العيونِ ، وأهولُ في الصدورِ .

ومتى رأيتَ مواكبنا وفُرساننا وبُنودنا التي لا يحملها<sup>(٢)</sup> غيرُنَا  
علمتَ أنّنا لم نُخلَقْ إلّا لقلبِ الدُّولِ ، وطاعةِ الخلفاءِ ، وتأييدِ السُّلطانِ .

ولو أنّ أهلَ تُبَّتْ ، ورجالَ الزَّابِجِ<sup>(٣)</sup> ، ورجالَ فُرسانِ الهندِ<sup>(٤)</sup> ،  
وحلّيةِ<sup>(٥)</sup> الرُّومِ ، هَجَمَ عليهم هاشمُ بنُ أشْتاخنجِ<sup>(٦)</sup> لَمَّا امتنعوا من  
طَرَحِ السِّلَاحِ ، والهربِ في البلادِ .

ونحنُ أصحابُ اللِّحَى ، وأربابُ النُّهى ، وأهلُ الحِلمِ والحِجَابِ<sup>(٧)</sup> ،  
وأهلُ الثَّخانةِ في الرأى<sup>(٨)</sup> ، والبُعْدِ مِنَ الطَّيْشِ .

(١) كاثروهم : باروهم في الكثرة . م فقط : « كثروا » ، تحريف .

(٢) ب ، م : « يحمله » ، صوابه في ط ، مع الرسائل .

(٣) الزابج ، بفتح الباء وكسرهما : جزيرة في أقصى بلاد الهند في حدود الصين . وفي  
الحيوان ٧ : ٣٣٠ : « يزعم تجار التبت من قد دخل الصين والزابج » . وفي الأصل ، ودو  
هنا ب فقط : « الزنج » إذ لم ترد « رجال الزابج » في كل من م ، ط .

(٤) هذا ما في ط . وفي ب ومع والرسائل : « فرسان الهند » ، وفي م : « وفرسان  
ورجال الهند » .

(٥) الحلبة ، بالفتح : جماعة الخيل في السباق ، والمراد هنا الفرسان .

(٦) كان قد عصى وخالف في إفريقية ، فقتله أبو جعفر المنصور سنة ١٥٢ كما في

الطبرى .

(٧) كتبت في م ، ط : « الحجى » بالياء : والكلمة واوية بمعنى العقل والفضة ، يقال  
حاجيته فحجوته .

(٨) ثخانة الرأى : قوته وجزالته . ب : « النجانة » م ، ط : « الشجانة » ، صوابها

في مع والرسائل .

ولسنا كجند الشام المتعرضين للحرم ، والمتنهكين لكلٍ مُحَرَّم .

ونحن نأمن لنا أمانة ، وقينا عمّة . ونحن نجتمع بين النزاهة  
والقناعة ، والصبر على الخدمة ، وعلى التجمير والبعد الشقة (١) .

ولنا الطبول المهولة والبُنود العظام (٢) .

ونحن أصحاب التجافيف والأجراس (٣) ، والبارفكند (٤) ،  
واللبود الطوال ، والأعماد المعقفة (٥) ، والقلانس الشاشية (٦) ، والخيول  
الشهوية (٧) ، ولنا الكافر كوبات (٨) ، والطبرزينات في الأكف (٩) ،  
والخناجر في الأوساط .

(١) تجمير الجيش (١) إبقاؤه في ثغر العدو ، وأصل معناه التجميع . مع والرسائل ٤ : « محمد بعد الشقة » .

(٢) وكذا في مع . لكن في الرسائل : « ولنا الطبول المهولة العظام والبُنود » . والبُنود : جمع بندق ، وهو العلم الكبير ، فارسي معرب .

(٣) النظر والتجافيف المارضي في ص ١٧٤ .

(٤) مع والرسائل : « والبارفكند » . وفي البيان ١ : ٤٨ - ٣ : ١١٥ : « بازيكند » أيضاً . وضبطت في أعلى نسخ البيان بفتح الزاي وضم الياء المثناة وفتح الكاف . وفي هامشها : « بازيكند : نوع من الثياب ، فارسية » . ويبدو أنه كساء يلقى على الكتف . وبار في الفارسية بمعنى الكتف .

(٥) الأعماد : جمع عمدة ، وهو جفن السيف . في الأصول : « والأعمدة » ، صوابه في مع والرسائل ، والمعقفة : المعوجة ، وذلك لإعوجاج السيوف التي تشتمل عليها . ب : « والمعقفة » والواو مقحمة . وفي ط : « والحقفة » وفي م : « والمقفة » ، صوابها ما أثبت

(٦) نسبة إلى الشاش ، وهو نسج رقيق من القطن تضمد به الجروح ، ويشتمل أيضاً لغافة للعمامة ، ولفظه مولد . ب ، م : « الشبسية » صوابه في ط ومع والرسائل .

(٧) الشهوية : بالكسر كما في اللسان والقاموس . وذكر ابن منظور أنه ضرب من البراذن . و زاد صاحب اللسان أنه بين البراذن والمقرف من الخيل .

(٨) جمع كافر كوب ، وفي هامش ل من نسخ البيان أن كافر كوب هي المقرعة .

(٩) الطبرزينات : جمع طبرزين ، وهو فأس تستعمل في القتال عند الفرس ، مركب من « تبر » بمعنى الفأس ، و « زين » بمعنى السرج ، ولعله سمي بذلك لالتزام وضعه بجانب السرج . استينجاس ٢٧٠ والمغرب ١٩٤ والألفاظ الفارسية لأدي شير ١١١ .



ولنا تعليق السيوف وحسن الجلسة على ظهور الخيل، ولنا الأصوات  
 التي تسقط الجبال، <sup>(١)</sup> ولنا حيلها، <sup>(٢)</sup> ولنا حيلها، <sup>(٣)</sup> ولنا حيلها، <sup>(٤)</sup>  
 وليس في الأوض صناعات غريبة <sup>(٥)</sup> من أدب وحكمة وحساب  
 وهندسة، وارتفاع أبنائه وصنعة <sup>(٦)</sup> وفقه ورواية عن نظرات فيها  
 الخراسانية إلا فرغت فيها الرؤساء <sup>(٧)</sup> وأبنت فيها العلماء <sup>(٨)</sup>  
 ولنا صنعة السلاح، حدة الحرب <sup>(٩)</sup>، وثقينا ودربة للمشاور  
 والمشاورة <sup>(١٠)</sup>، وللكر بعد الفتر، مثل الذبوق <sup>(١١)</sup>، والنزوي على الخيل صغاراً،  
 ومثل الطبطاب والصوالة كباراً <sup>(١٢)</sup>، ثم رمى المجهمة <sup>(١٣)</sup> والبرجاس <sup>(١٤)</sup>  
 والطائر الخاطف <sup>(١٥)</sup>، فنحن أحن بالأثرة، وأولى بشرف المنزلة.  
 قلت: وزعم أن العربي يقول: إن تكن القرية <sup>(١٦)</sup> تستحق بالأنساب

(١) في الأصول: «عراية ولا حجازية» وهو تحريف ساق إلى تحريف الوجه  
 ما أثبت من مع والرسائل، <sup>(١)</sup> يسألون أيعالاً <sup>(٢)</sup> بلصفاً <sup>(٣)</sup>  
 (٢) مع والرسائل: «وإيقاع وصنعة»  
 (٣) (خرج فلان فلاناً) «علاه» وفاقه في الأصول: «فرغت منها الرؤساء»، صوابه  
 في مع والرسائل: <sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup> <sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup> <sup>(٨)</sup> <sup>(٩)</sup> <sup>(١٠)</sup> <sup>(١١)</sup> <sup>(١٢)</sup> <sup>(١٣)</sup> <sup>(١٤)</sup> <sup>(١٥)</sup> <sup>(١٦)</sup>  
 (٤) يذهبون عليهم وسبقهم. في الأصول: «ويدت» صوابه بالذال المصححة كما  
 في مع والرسائل.

- (٥) العبارة هنا موجزة بإيجاز شديداً. وانظر الرسائل ٢: ٢٠.
- (٦) المشاورة: أن يتناول بعضهم بعضاً عند القتال بالرمح أو السيف.
- (٧) في اللسان: «الذبوق لعبة يلعب بها الصبيان، معروفية»، وفي القاموس: «العبة معروفية».
- (٨) الطبطاب، بالفتح: مضرب الكرة. والصوجلان: المحجن، أي العصابة المعروجة  
 الطرف، ويستعملها الفرس للعب بالكرة وهو على ظهور الخيل. استبحار ٧٩٦. واللفظ معروف  
 من الفارسي «شوجلان». والجمع صوالة. في مع والرسائل: «والصوالة الكعبة» ويبدو أن  
 ما هنا هو الوجه لأنه ما يقابل «صغاراً» السابقة. ولنا حيلها، <sup>(١)</sup> ولنا حيلها، <sup>(٢)</sup> ولنا حيلها، <sup>(٣)</sup>
- (٩) المجهمة: ما ينصب من الحيوان للرمي والقتل، بلفظ ذي الحية، تحريفية.
- (١٠) (الجزا جاس) في بضم الجاء، وقتحها: غرض في الهواء على رأس رمح أو نحوه، أي كافي الألفاظ  
 الفارسية ١٨ ومعجم استبحار ١٧٠. وللفظه فارسي، بضم الجاء، والبرجاسين: طير  
 «البرجاسياران» تحريف على مع والرسائل. في مع والرسائل: «ب»
- (١١) مع والرسائل: «الخطاف».
- (١٢) ب: «القرية» تحريف. وفي ط: «القرى»، وأثبت على م: مع والرسائل.

الثابتة ، والأرحام الشابكة ، وبالقدمة<sup>(١)</sup> ، وبطاعة الآباء والعشيرة ،  
وبالشكر النافع ، والمديح الباقي<sup>(٢)</sup> ، وبالشعر الموزون الذى يبقى بقاء  
الدهر ، ويلوح ملاح نجم ، ويُشَدُّ ما أهْلٌ بالحجّ ، وما هبَّت الصِّبا ،  
وما كان للزيت عاصر . وبالكلام المنشور ، والقول المأثور ، وبصفة  
مخرج الدولة ، والاحتجاج للدعوة ، وتقعيد المآثر ، إذ لم يكن ذلك  
من عادة العجم ، ولا كان يحفظ ذلك معروفاً لسوى العرب ، ونحن  
نرتبطها بالشعر المقفى ، ونقيدها بحفظ الأُميين<sup>(٣)</sup> الذين لا يتكلمون<sup>(٤)</sup>  
على الكتب المدونة ، والخطوط المطرسة<sup>(٥)</sup> .

ونحن أصحاب التفاخر والتنافر ، والتنازع في الشرف ، والتحاكم  
إلى كلِّ حَكَمٍ مُقنِع ، وكاهنٍ سَجَّاع<sup>(٦)</sup> .

ونحن أصحاب<sup>(٧)</sup> التعايرُ بالمثالب ، والتفاخرُ بالمناقب .

ونحن أَحْفَظُ لأنسابنا ، وأرعى لحقوقنا<sup>(٨)</sup> ، وتقبيدها<sup>(٩)</sup> أيضاً  
بالمنشور المرسل ، بعد الموزون المعدل ، بلسانٍ أمضى من السنان ، وأرهف

(١) م : وبالقدومة « صوابه في ب ، ط ومج والرسائل .

(٢) في جميع الأصول : « والمدح الباقي » ، صوابه في مج والرسائل . وفيهما : « والمدح

الكاقي » .

(٣) ب : « الأُميين » ب : « الأُميين » مع تشديد الميم ، صوابه في ط ومج والرسائل .

(٤) ط فقط : « لا يتكلمون » ، تحريف .

(٥) التطريس ، كما في القاموس : إعادة الكتابة على المكتوب .

(٦) السجّاع : الذى يستعمل السجع ، وهو الكلام المقفى ، أو الكلام الذى له فواصل ،

وكان ذلك من دأب الكهان ، كما نراه في سيرة ابن هشام من أفوالهم . وفي جميع الأصول وكذلك

مج : « شجاع » بالشين المعجمة ، صوابه في رسائل الجاحظ ١ : ٢٢ ،

(٧) ب : « ونحن بنا » ، وأثبت ما في م ، ط . وفي مج والرسائل : « ولنا » .

(٨) ط فقط : « وأدعى لحقوقنا » .

(٩) م فقط : « وتقبيد » .

من السَّيْفِ الحِسام ، حَتَّى نذَكَّرَهُم ما قد درس رَسْمُهُ ، وَغفا أثره .  
وبين القتال من جهة الرَّغبة والرَّهبة فرق . زليس المعرق في الحِفاظ كمن  
هذا فيه حادث<sup>(١)</sup> . وهذا بابٌ يتقدَّم التالذُّ القديمُ الطارفُ الحديث<sup>(٢)</sup>

وطلَّابُ الطَّوائِلِ رجِلان : سِجِسْتانِيٌّ وأَعرابِيٌّ . وهَلِ أَكثَرُ النُّقباءِ  
إِلَّا من صميمِ العرب ، ومن صَلِيبَةِ هذا النَّسَبِ ، كَأبي عبد الحميد  
قَحطَبَةِ بنِ شبيبِ الطائِيِّ<sup>(٣)</sup> ، وأبي محمد سُلَيْمان بن كثير الخُزاعيِّ<sup>(٤)</sup> ،  
وأبي نصر مالك بن الهيثم الخُزاعيِّ<sup>(٥)</sup> ، وأبي داود خالد بن إبراهيم  
الدُّهليِّ ، وكأبي عمرو لاهزِ بن قُرَيْظِ المَرَّثِيِّ<sup>(٦)</sup> ، وأبي عُتَيْبَةَ موسى

(١) ط فقط : « كُن هذِي فِيهِ حادِثًا » .

(٢) ب فقط : « والطارف الحديث » تحريف .

(٣) قطبة بن شبيب الطائي ، صاحب أبا مسلم الخراساني ، في اثني عشر رجلا من النقباء اختارهم له أبو محمد الصادق ، فكان شريكا لأبي مسلم في إقامة الدعوة العباسية بخراسان ، وقاد جيوش أبي مسلم فكان مظفراً . ومات غرقاً في الفرات سنة ١٣٢ حين بدأت الخلافة العباسية . انظر الطبري في حوادث سنة ١٠٠ ، وسنة ١٣٢ . ط : « كعبه الحميد بن قطبة » ، صوابه في سائر النسخ ومع والرسائل .

(٤) كان سليمان بن كثير الخُزاعي أحد النقباء الاثني عشر من دعاة الدولة العباسية وأنصار أبي مسلم ، ولكن أبا مسلم شك في أمره وأمر بضرب عنقه في سنة ١٣٢ . الطبري ٧ : ٤٥٠ وابن الأثير ٥ : ٤٣٧ .

(٥) أبو نصر هذا : أحد النقباء ، وكان المنصور قد أمر بقتله بعد قتله لأبي مسلم ، ولكنه أظهر من الطاعة والتصح ما غير رأى المنصور فيه ، فن عليه واستعمله على الموصل . وذلك في سنة ١٣٧ . الطبري وابن الأثير .

(٦) لاهز بن قريظ ، بالطاء المعجمة كما في الطبري وابن الأثير ورسائل الجاحظ . وفي الأصول : « بن قريظ » بالطاء المهمل . وفي معج : « بن طريز » ، صوابهما ما أثبت . ونسبته من الجمهرة ٢١٤ : لاهز بن قريظ بن سري بن الكاهن بن زيد بن عصية بن امرئ القيس . كان من وجوه أهل دعوة بني العباس وضرب أبو مسلم عنقه صبراً لأنه قرأ بحضرة نصر بن سيار : « إن الملائمة يأتون بك ليقتلوك فاخرج إنى لك من الناصحين » ، ففهمها نصر وهرب . فنسبته « المرثي » هي إلى امرئ القيس . وفي الأصول ومعج : « المرثي » ، تحريف . وما بعده من الكلام إلى : « ومن كان يجرى » ساقط من ط .

ابن كعب المرثي<sup>(١)</sup> ، وأبي سهل القاسم بن مجاشع المرثي<sup>(٢)</sup> . ومن كان يجري مجرى النقباء ولم يدخل فيهم ، [مثل<sup>(٣)</sup> مالك بن الطواف<sup>(٤)</sup> المرثي<sup>(٥)</sup>]

وبعد ، فمن هذا الذي باشر قتل مروان<sup>(٦)</sup> ، ومن هزم ابن هبيرة ، ومن قتل ابن صبرة ، ومن قتل نباتة بن حنظلة ، إلا عرب الدعوة ، والصميم من أهل الدولة ؟ ومن فتح السند إلا موسى بن كعب ، ومن فتح إفريقية إلا محمد بن الأشعث ؟

وقلت : وقال : ويقول المولى<sup>(٧)</sup> لنا النصيحة الخالصة ، والمحبة الراسخة . ونحن موضع الثقة عند الشدة ، وغلل المولى<sup>(٨)</sup> من تحت موجبة لمحبة المولى من فوق ؛ لأن شرف مولاہ راجع إليه ، وكرمه زائد في كرمه ، وخموله مسقط لقدره ، وبودده<sup>(٩)</sup> أن خصال الكرم كلها اجتمعت فيه ، لأن ذلك كلما<sup>(١٠)</sup> كان مولاہ أكبر وأشرف وأظهر ، كان هو بها أشرف وأنبل ، ومولاك أسلم لك صدراً ، وأودّ ضميراً ، وأقلّ حسداً .

(١) في الطبري ٧ : ٣٨٠ : « ومن تميم : موسى بن كعب أبو عينية » كما في معج ، لا أبو عتيبة بالتاء كما هنا . وكما في الرسائل . ولاهز بن قريظ ، والقاسم بن مجاشع ، كليهما من بني امرئ القيس « ب : « المراني » م : « المراني » تحريف والصواب « المرثي » نسبة إلى امرئ القيس .  
(٢) ب : « المرثي » م : « المراني » ، صوابهما ما أثبت . وانظر الحواشي السابقة .  
(٣) التكملة من معج والرسائل .  
(٤) م : « الطراف » وفي الطبري : « بن طريف » وفي ابن الأثير : « بن طراف » ، وجعلنا نسبته « الخراساني » .

(٥) في معج : « المراني » وفي ط والرسائل : « المرثي » .

(٦) انظر ما سبق في ص ١٧٦ س ٤ .

(٧) ب فقط : « اللوالم » ، تحريف .

(٨) ب فقط : « المولى » ، تحريف .

(٩) ب : « ويوده » م : « ويوده » ، صوابه في سائر النسخ .

(١٠) معج والرسائل : « لأنه كلما » .

وَبَعْدُ ، فَالْوَلَاءُ لِحِمَّةٍ كَلِمَةُ النَّسَبِ (١) ، فَقَدْ صَارَ لَنَا النَّسَبُ الَّذِي  
يَصُوبُهُ الْعَرَبِيُّ (٢) ، وَلَنَا الْأَصْلُ الَّذِي يَفْتَخِرُ بِهِ الْعَجَمِيُّ .

قال : وَالصَّبْرُ ضَرْبٌ ، فَأَكْرَمُهَا كُلُّهَا الصَّبْرُ عَلَى إِفْشَاءِ السَّرِّ ،  
وَالْمَوْلَى فِي هَذِهِ الْمَكْرَمَةِ مَا لَيْسَ لِأَحَدٍ ، وَنَحْنُ أَخْصَنُ مَدْخَلًا ، وَالطَّفُّ فِي  
الْخِدْمَةِ مَسْلُكًا . وَلَنَا مَعَ الطَّاعَةِ وَالْخِدْمَةِ ، وَالْإِخْلَاصِ وَحُسْنِ النِّيَّةِ ،  
خِدْمَةُ الْأَبْنَاءِ لِلْآبَاءِ ، وَالْآبَاءِ لِلْأَجْدَادِ (٣) ، وَهُمْ بِمَوْلَاهُمْ أَنْسٌ ،  
وَبِنَاهِيَّتِهِمْ أَوْثَقٌ ، وَبِكِفَايَتِهِمْ أَسْرٌ .

وقد كان المنصور ، ومحمد بن علي ، وعلي بن عبد الله ؟؟ يخصّون  
مواهبهم بالمواكلة والبسط واليناس ، لا يُبهرجون الأسود لسواده ،  
ولا الدميم لدمامته ، ولا ذا الصناعة الدنيئة لدناءتها . ويوصون بحفظهم  
أكابر أولادهم ، ويجعلون لكثير من موتاهم الصلاة على جنازتهم (٤) ،  
وذلك بحضرة من العمومة ، وبنى الأعمام والإخوة .

وَيَتَذَكَّرُونَ إِكْرَامَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِزَيْدِ بْنِ خَارِثَةَ  
مَوْلَاهُ ، حِينَ عَقَدَ لَهُ يَوْمَ مُوتِهِ عَلَى جِلَّةِ بَنِي هَاشِمٍ ، وَجَعَلَهُ أَمِيرَ كُلِّ  
بَلَدَةٍ (٥) يَطُؤُهَا .

وَيَتَذَكَّرُونَ حُبَّهُ لِأَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ، وَهُوَ الْحَبِيبُ ابْنُ الْحَبِيبِ . وَعَقَدَ لَهُ  
عَلَى عِظْمَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَأَكَابِرِ الْأَنْصَارِ .

(١) مع : « وبعد فقالوا : لائمة كلمة النسب » ، تحريف : « لائمة » (٢)

(٢) ب : « تصوب به العربي » م : « تصوبى به العربي » ط : « تقوى به العربي » ، صوابه

من مع والرسائل بال... (٣)

(٣) في جميع النسخ : « والأجداد للأجداد » ، والوجه ما أثبت من مع والرسائل (٤)

(٤) ط فقط : « ويجعلون الكثير من موتاهم في الصلاة على جنازتهم » . (٥)

(٥) ب فقط : « بلد » ، تحريف : « بلد » ، (٦)

ويتذاكرون صنيعه بسائر مواليه كتابي أنسة<sup>(١)</sup> وشفقران<sup>(٢)</sup> ، وفلان وفلان .

قالوا : ولنا صاحب الدولة : أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم ، وأبو سلمة حفص بن سليمان . وأبو مسلم مولى الإمام ، وعليهما دارت رحى الدولة ، وتم الأمر واتسق نظام الملك .

قالوا : ولنا من رؤوس<sup>(٣)</sup> النقباء : أبو منصور مولى خزاعة ، وأبو الحكم عيسى بن أعين مولى خزاعة ، وأبو حمزة عمرو بن أعين<sup>(٤)</sup> مولى خزاعة ، وأبو النجم عمران بن إسماعيل<sup>(٥)</sup> مولى آل أبي معيط<sup>(٦)</sup> .

فلنا مناقب الخراسانية ، ولنا مناقب الموالى فى هذه الدعوة . ونحن منهم وإليهم ، ومن أنفسهم ، لا يرفع ذلك مسلم . ولا ينكره مؤمن . خدمناهم كباراً ، وحملناهم على عواتقنا صغاراً .

هذا مع حق الرضاع والخوالة ، والنشوء فى الكتاب ، والتقلب فى تلك العراض التى لم يبلغها إلا كل سعيد الجد ، وجيه فى الملوك . فقد شاركتنا العربى فى فخره ، والخراسانى فى مجده ، والبنوى فى فضله<sup>(٧)</sup> ، ثم تفرّدنا بما لم يشاركونا فيه ، ولا سابقونا إليه<sup>(٨)</sup> .

(١) اختلف فى اسمه ، فقيل أنسة أيضاً ، كما فى الإصابة ٢٨٥ . وكان حبشياً كما فى جوامع السيرة لابن حزم ١١٤ . وكان يأذن على النبى صلى الله عليه وسلم . ومات فى خلافة أبى بكر .

(٢) شقران ، يقال كان اسمه صالح بن عدى . وكان حبشياً أهداه عبد الرحمن بن عوف إلى رسول الله . الإصابة ٣٩١١ . وهو أحد من دلى رسول الله فى قبره . جوامع السيرة ٢٦٥ . وذكر ابن هشام فى السيرة ١٠١٨ أنه تولى صب الماء عليه فى غسله .

(٣) فقط : « رؤساء » .

(٤) فى الأصول : « عمر بن أعين » ، صوابه فى معج والرسائل والطبرى ٦ : ٥٦٢ .

(٥) فى الأصول : « عامر بن إسماعيل » ، صوابه فى معج الرسائل والطبرى ٦ : ٥٦٢ .

(٦) فقط : « مولى أبى معيط » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٧) النبوى : نسبة إلى الأبناء ، كما سبق فى ١٦٧ ط : « والنبوى » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٨) معج والرسائل : « ولا سبقونا إليه » ، وهو الوجه .

قالوا : ونحن أشكلُ بالرعيَّة ، وأقربُ إلى طباعِ الدَّهْماءِ ، وهم<sup>(١)</sup> بنا آنس ، وإلينا أسكن ، وإلى لقائنا أحنّ . ونحن بهم أرحم ، وعليهم أعطف ، وبهم أشبه . فمن أحقُّ بالأثرة ، وأولى بحسن المنزلة ممن هذه الخصالُ له ، وهذه الخلالُ فيه .

وقلت : وذكرت أنّ النبويّ قال : نحن أصلُ خراساني<sup>(٢)</sup> ، وهو مخرج الدولة ، ومطلع الدعوة ، ومنها نجم هذا القرن ، وصبأ هذا النّاب ، وتفجّر هذا ينبوع ، واستفاض هذا البحر ، حتّى ضرب الحقُّ بجرانه<sup>(٣)</sup> ، وطبّق الآفاق بضياته ، فأبرأ من السُّقم القديم ، وشفى من الداء العُضال ، وأغنى من العَيْلة ، وبصّر من العمى .

وهذه بغدادُ وهي مستقرُّ الخلافة ، والقرارُ بعد الجَوْلَة<sup>(٤)</sup> ، وفيها بقيّة رجالِ الدعوة ، وأبناءُ أبناءِ الشيعة<sup>(٥)</sup> ، وهي خُراسان العراق ، وبيتُ الخلافة<sup>(٦)</sup> وموضعُ المادة .

وأنا أعرقُ<sup>(٧)</sup> في هذا الأمر من أبنى ، وأكثر تردداً فيه من جدّي ، وأحقُّ بهذا الفضل من المولى والعربيّ .

ولنا بعدُ في أنفسنا مالا يُنكر من الصّبر تحت ظلال السّيوف

(١) م فقط : « وهما » .

(٢) ب ، م ، « أصل » ، صوابه في ط . وفي مج والرسائل : « أنا أصلُ خراسان » .

(٣) ضرب بجرانه : استقر وثبت . وأصل الجران باطن عنق البعير . فإذا برك واستقر

قيل ألقى جرانه .

(٤) ب ، م ، مج والرسائل : « الحولة » ، وهي بالخاء المهملة المفتوحة : التحول

والتنقل . وما هنا من ط .

(٥) مج والرسائل : « وأبناء الشيعة » .

(٦) بعده في الأصول : « وفيها بقيّة رجال الدعوة » ، وهو تكرار لما سبق .

(٧) ب ، ط : « أعرف » ، صوابه في م ، مج والرسائل .

القصار ، والرِّمَاح الطَّوَالُ ، ولنا معانقة الأبطال عند تحطم القنا ،  
وانقطاع الصفائح <sup>(١)</sup> ، ولنا المواجئة بالسكاكين ، وتلقى الخناجر  
بالعيون .

ونحن حماة المستلحم ، وأبناء المضايق ، ونحن أهل الثبات عند  
الجولة ، والمعرفة عند الحيرة <sup>(٢)</sup> ، وأصحاب المشهات <sup>(٣)</sup> ، وزينة  
العساكر وحلى الجيوش <sup>(٤)</sup> ، ومن يمشى في الرُمح ، ويختال بين الصَّفين ،  
ونحن أصحاب الفتك والإقدام .

ولنا بعد التسلق ونقب المدن ، والتفحم على طبات السيوف <sup>(٥)</sup> ،  
وأطراف الرماح ، ورضخ الجنادل ، وهشم العمد ، والصبر تحت  
الجراح <sup>(٦)</sup> ، وعلى حجر السلاح <sup>(٧)</sup> ، إذا طار قلب الأعرابي ، وساء ظن  
الخراساني .

ثم الصبر تحت العقوبة ، والاحتجاج عند المسألة ، واجتماع العقل ،  
وصحة الطرف ، وثبات القدمين ، وقلة التكنف بجبل العقابين <sup>(٨)</sup> ،

.....

- (١) الصفائح : جمع صفيحة ، وهي السيف العريض .  
(٢) في الأصول ، مج : « الحيرة » ، صوابه في الرسائل .  
(٣) المشهات : اللحل الفاخرة الموسومة بالثبيرة لحسبها ، كما في الفائق للزخري .  
عند حديث عمر : « وقد إليه عامله من اليمن وعليه حلة مشهرة » : ط فقط : المشهيات .  
(٤) الحل بكسر الحاء وضمها : جمع حلية ، بالكسر ، وهي كل ما حليت به امرأة أوسيفاً  
ونحوه : اب فقط : « والحلى الجيوش » ، تحريف .  
(٥) الطبات : جمع طبة ، وهي حد السيف والخنجر وما أشبه ذلك . وفي فقط : « طباة » ،  
وهو خطأ .  
(٦) في الرسائل : « على الجراح » .  
(٧) يقال أجره الرمح إجراراً ، إذا طمنه به فثنى وهو يجرة .  
(٨) التكنف : الميل والثقلب . والعقابان : خشبتان يشبع بينهما الرجل فيجلا . انظر  
اللسان (عقب) وجنى الجنتين ٨٠ .



والبعد من الإقرار<sup>(١)</sup> ، وقلّة الخضوع للدهر ، والخضوع عند جفوة الزوائد<sup>(٢)</sup> ، وجفاء الأقارب والإخوان . ولنا القتال عند أبواب الخنادق ورؤوس القناطر<sup>(٣)</sup> .

ونحن الموت الأحرر عند أبواب الثقب ، ولنا المواجهة في الأوقّة ، والصبر على قتال السجون . فسل عن ذلك الخليّة<sup>(٤)</sup> والكتفية والبلاية ، والحزبية ، ونحن أصحاب المكابرات<sup>(٥)</sup> ، وأرباب البيات<sup>(٦)</sup> ، وقتل الناس<sup>(٧)</sup> جهاراً في الأسواق والطرق .

ونحن نجتمع بين السلة والمزاحفة . ونحن<sup>(٨)</sup> أصحاب القنا الطوال ما كنا رجالة ، والمطارد القصار ما كنا فرساناً<sup>(٩)</sup> . فإن صرنا كمننا<sup>(١٠)</sup> فالحتف القاضي ، والسّم الزعاف<sup>(١١)</sup> ، وإن كنا طلائع فكلنا يقوم مقام أمير الجيش . نقاتل بالليل كما نقاتل بالنهار ، ونقاتل في الماء كما نقاتل على الأرض<sup>(١٢)</sup> ، ونقاتل في القرية كما نقاتل في المحلة .

(١) ط : « من الفرار » .

(٢) مع : « حفوة الزوار » بالخاء المهملة .

(٣) ب فقط : « الروس القناطر » ، تحريف .

(٤) زطائفة منسوبة إلى خليلي . وفي الخلاصة : « فسل عن ذلك الخليّة والكتفية والحزبية والبلاية » . والظاهر أنهم طوائف من أهل الشب والفوضى . م ، ط : « الخلدية » فإن صحت كانت بضم الخاء وفتح اللام ، فإن المراد يحيز الحذف في فعل مضموم الفاء باطراد .

(٥) ط فقط : « المكابرات » بالبدال .

(٦) وكذا في مع والرسائل . وفي ط فقط : « البيئات » .

(٧) ب فقط : « وقتل الناس » ، تحريف .

(٨) في جميع النسخ : « وبين » ، والوجه ما أثبت من مع والرسائل .

(٩) المطارد : جمع مطرد ، بالكسر ، وهو الرمح القصير .

(١٠) جمع كين ، وهم الذين يكنون ويحتفون في الحرب ، وفي ط : « كمننا » .

(١١) الذعاف : الوحي السريع ، ويقال أيضاً الزعاف بالزاي . وفي ب ومع : « الزعاف » بالزاي .

(١٢) م فقط : « كما على الأرض » .

(١٣) م فقط : « كما على الأرض » .

ونحن أفتك وأخشب<sup>(١)</sup> . ونحن أقطع للطريق ، وأذكرُ في الثُغور<sup>(٢)</sup> ،  
مع حسن القُدود ، وجودة الخُرط ، ومقادير اللَّحَى ، وحُسن العِمة ،  
والنفس المُرّة ، وأصحاب الباطل والفتوة<sup>(٣)</sup> ، ثم الخطُّ والكتابة ،  
والفِقه والرّواية .

ولنا بغدادُ بأسرها ، تسكنُ ماسكنا ، وتتحركُ ما تحركنا . والدنيا  
كلُّها معلقة بها ، وصائرةٌ إلى مَعناها<sup>(٤)</sup> ، فإذا كان هذا أمرها وقدرها  
فجميعُ الدنيا تبعُ لها ، وكذلك أهلها لأهلها ، وفُتاكُها لفُتاكها ،  
وخُلَاعُها لِخُلَاعِها ، ورؤساؤها لرؤسائها ، وصُلحاؤها لصلحائها .

ونحن تربيةُ الخُلفاء ، وجيرانُ الوزراء<sup>(٥)</sup> ، وُلدنا في أفنيةِ  
مُلوكنا<sup>(٦)</sup> ، ونحن أجنحةُ خلفائنا ، فأخذنا بأدابهم ، واحتدينا على  
مثالهم ، فلسنا نعرفُ سواهم ، ولا نُتهمُ بغيرهم<sup>(٧)</sup> ، ولم يطمع فينا أحدٌ  
قطُّ<sup>(٨)</sup> مِنْ خُطابِ مُلكهم ، ومن يترشَّح للاعتراض عليهم . فمن أحقُّ  
بالأثرة ، وأولى بالقرب في المنزلة ممَّن هذه الخصالُ فيه ، وهذه الخِلالُ  
له<sup>(٩)</sup> .

إنَّ ذهبنا ، حَفِظَكَ اللهُ ، بعقبِ هذه الاحتجاجات ، وعند مُنقطعِ

(١) أى أشد غلاظة وخشونة .

(٢) جمع ثغر ، وهو الموضع يخاف هجوم العدو منه . ب فقط : « الصغور » ،

تحريف .

(٣) ط فقط : « وأصحاب الفتوة » .

(٤) المغنى : المنزل يقام فيه طويلا . مع والرسائل : « معناها » بالعين المهملة .

(٥) ب : « وجيران والوزراء » ، تحريف .

(٦) الفناء : ساحة الدار ، والجمع أفنية . ب فقط : « أئنية » ، تصحيف .

(٧) مع والرسائل : « ولا نعرف بغيرهم » .

(٨) في جميع الأصول : « ولم يطمع فينا أحد قط أحداً » صوابه في مع والرسائل .

(٩) بعده في مع والرسائل : بسم الله الرحمن الرحيم «

هذه الاستدلالات نستعمل المفاوضة<sup>(١)</sup> بمناقب الأتراك ، والمقارنة<sup>(٢)</sup> بين خصالهم وخصال كلِّ صنف من هذه الأصناف ، سلكننا في هذا الكتاب سبيلَ أصحابِ الخصومات في كتبهم ، وطريقَ أصحابِ الأهواء في الاختلاف الذي بينهم .

وكتابنا هذا إنما تكلفناه لنؤلّف بين قلوبهم إن كانت مختلفة<sup>(٣)</sup> ، ولنزيد في الألفة إن كانت مؤتلفة ، ولنخبر عن اتفاق أسبابهم ، لتجتمع كلمتهم ، ولتسلم صدورهم ، وليعرف مَنْ كان لا يعرف منهم موضع التفاوت في النسب كم مقدار الخلاف في الحسب ، لئلا يُغيّر بعضهم غير ، ويُفسده<sup>(٤)</sup> عدوُّ بآباطيل مموهة ، وشبهات مزورة ، فإن المناق العليم ، والعدوُّ ذا الكيد العظيم قد يصور لمن دونه الباطل في صورة الحق ، ويلبس الإضاعة ثياب الحزم<sup>(٥)</sup> .

إلا أننا على حال<sup>(٦)</sup> ، سنذكر جملاً من أحاديث رويناهنا ، وأمور<sup>(٧)</sup> رأيناها وشاهدناها ، وقصصاً تلقفناها من أفواه الحكماء وسمعناها .

وسنذكر ما حفظ لجميع الأصناف من الآلات والأدوات ، ثم ننظر أيّهم لها أشد استعمالاً ، وبها أشد استقلالاً ، ومن أثقب حسباً<sup>(٨)</sup> ،

(١) ب : « يستعمل » م ، ط : « تستعمل » ، والوجه ما أثبت من مج والرسائل .

(٢) في جميع الأصول : « والمقاربة » ، والوجه ما أثبت . وفي مج والرسائل : « والموازنة » .

(٣) في الرسائل فقط : « التي كانت مختلفة » .

(٤) ب ، م : « ومفسدة » ، صوابه في ط ، مج والرسائل . وفي الأخيرتين : « فلا يغير بعضهم غير ، ولا يفسده » .

(٥) ب ، م : « ثبات الحزم » ، صوابه في ط ، مج والرسائل .

(٦) مج فقط : « على كل حال » .

(٧) م ، ط فقط : « وأموراً » .

(٨) مج والرسائل : « كيساً » . والكيس ، بالفتح : العقل ، وتوقد الذهن .

وَأَبْقَطُهُ عَيْنَهُ وَأَزْكَى نَفْسَهُ ، وَأَشَدُّ غَوْرًا <sup>(١)</sup> ، وَأَعْلَمُ أَخْوَاطِرًا <sup>(٢)</sup> ، وَأَكْثَرُ انْفِعَالَهُ  
 فِي الْحُرُوفِ وَضَرًّا ، وَأَوْدَرْجُبُ مُدْرَجَةٌ ، وَأَعْمَضُ لَمَكِيدَةٌ ، وَأَشَدُّ احْتِرَاسًا ،  
 وَالطُّفُّ احْتِيَالًا ، حَتَّى يَكُونَ الْخَيْلُ فِي حَيْدِ النَّظَرِ فِي هَذَا الْكِتَابِ ،  
 الْمُتَصَفِّحُ لِمَعَانِيهِ ، وَالْمَقْلَبُ لَوْجُوهِهِ ، وَالْمُضَكَّرُ فِي أَبْوَابِهِ ، وَالْمُقَابِلُ بَيْنَ  
 أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ . وَلَا نَكُونُ نَحْنُ انْتَحَلْنَا شَيْئًا دُونَ شَيْءٍ ، وَتَقَلَّدْنَا تَفْضِيلَ  
 بَعْضٍ عَلَى بَعْضٍ ، بَلْ لَعَلَّنَا أَنْ لَا نُخِيرَ عَنْ خَاصَّةٍ مَا عِنْدَنَا بِحَرْفٍ  
 وَاحِدٍ . وَهَذِهِ سَبْعٌ كَمَا قَالَ فِيهِ سَعِيدٌ ، وَهِيَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَتَمْتَلِكُ  
 هَذِهِ دِيْبْرِيْنَا كِتَابِنَا هَذِهِ التَّدْبِيرُ ، وَكَانَ مَوْضُوعًا عَلَى هَذِهِ الصُّفْهِ كَانَ  
 أَبَعَدَ لَهُ <sup>(٣)</sup> مِنْ هَذَا هَبَّ الْجِدَانُ وَالْمَرَاةُ ، وَالْمُتَعَمَّلُ الْهُوَى <sup>(٤)</sup> ، وَتَمْتَلِكُ  
 ، وَتَقْدَرُ فَنُتَمِّنُ كَثِيرًا لَكِنَّ أَسْمَاءَ ائْتِصَافِ الْأَجْتَالِمَا ائْتِخَلَفَ فِي الصُّوْرَةِ وَالخَطِّ  
 وَالْهَجَاءِ ، أَنْ حَقَائِقُهَا وَمَعَانِيهَا عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ . وَلَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا يَتَوَهَّمُونَ <sup>(٥)</sup> .  
<sup>(٦)</sup> أَلَا أُنَبِّئُكَ أَنَّ لِسْمَ الشَّاكِرِيَّةِ <sup>(٦)</sup> ، وَإِنْ خَالَفَ فِي الصُّوْرَةِ وَالخَطِّ وَالْهَجَاءِ  
 اسْمَ الْجَنْدِيِّ فَإِنَّ الْمَعْنَى أَفْقِيهِمَا ، لَيْسَ يَتَعَدَّلُ لَنَا فَمَهُمْ ، يُوجَعُونَ إِلَى الْمَعْنَى  
 وَاحِدٍ ، وَعِلْمٌ وَاحِدٌ <sup>(٧)</sup> . وَالَّذِي يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ طَاعَةُ الْخُلَفَاءِ وَتَأْيِيدُ  
 السُّلْطَانِ . كَمَا لَقِّنْتَنَا نَشْرًا لِيَوْمِ . كَمَا لَقِّنْتَنَا نَشْرًا لِيَوْمِ هَذَا الْيَوْمِ .

وإذا كان <sup>(٨)</sup> المولى منقولاً إلى العرب في أكثر المعاني ، ومجوعلاً

---

(١) مع والرسائل : « وَأَبَعَدَ غَوْرًا » . « وَأَعْلَمُ أَخْوَاطِرًا » : ب (١) .  
 (٢) م ، ب : « أَخْوَاطِرًا » تعريف .  
 (٣) وكذا في مع والرسائل . وفي م : « كَانَ الْعَدْلُ لَهُ » .  
 (٤) ب : « الْهُوَى » م ، ط : « الْهُوَا » ، صوابه في مع والرسائل . ب (٢) .  
 (٥) ب : « تَتَوَهَّمُونَ » .  
 (٦) الشاكرية : ضرب من الجنود . وفي القاموس : « الشاكرية : الأخير المشغوم ،  
 معرب جاجر » . وانظر الحيوان ٢ : ١٣٠ .  
 (٧) مع والرسائل : « وعمل واحد » .  
 (٨) م : « فإذا » .

منهم في عامة الأسباب لم يكن بأعجب من جعل الخال والدأ<sup>(١)</sup> ،  
والحليف من الصميم ، وابن الأخت من القوم .  
وقد جعل الله لبن الملاعنة المولود على فراش البعل منسوباً إلى أمه ،  
وقد جعل<sup>(٢)</sup> إسماعيل وهو ابن أعجميين عربياً ، لأن الله تعالى لما  
فتق لهاته بالعربية المبينة على غير التلقين<sup>(٣)</sup> والترتيب ، وفطره على  
الفصاحة العجيبة على غير النشوء والتمرين ، وسلخ طبعه من طبائع  
العجم ، ونقل إلى بدنه تلك الأجزاء ، وراكبه اختراعاً على ذلك التركيب ،  
وسواء تلك التسوية ، وصابغه تلك الصبغة ، ثم جمده من طبائعهم ،  
ومنعه من أخلاقهم وشائلتهم ، وطبعه من كرمهم وأنفقتهم وهميتهم  
على أكرهها وأسناها ، وأشرها وأعلاها ، وجعل ذلك برهاناً على رسالته ،  
ودليلاً على نبوته ، وصار أحق بذلك النسب<sup>(٤)</sup> ، وأولى بشرف ذلك  
الحسب .

وكما جعل إبراهيم أباً لمن لم يلد<sup>(٥)</sup> ، قال بنو خراسان من جهة  
الولادة ، والمولى عربى من جهة المدعى والعاقلة .

- ولو أحاط علمنا بأن زيداً لم يخلق من نجل عمرو إلا عهراً<sup>(٦)</sup>  
لنفينا عنه ، وإن أيقنا أنه لم يخلق إلا من ماء ضلبيه .  
وكما جعل النبي أزواجه أمهات المؤمنين ، وهن لم يلدنهم ولا  
ولدتهم .  
(١) ب : « جعله الخال والدأ » .  
(٢) في الرسائل : « وقد جعلوا » .  
(٣) م ، ط : « التعين » ، صوابه في ب . مع والرسائل .  
(٤) ب : « بهذا النسب » ، وفي مع والرسائل : « فكان أحق بذلك النسب » .  
(٥) في الرسائل : « لمن لم يلد » .  
(٦) ط : « لم يخلق إلا من نجل عمرو » . فقط وهو تحريف . والنجل : النسل والولادة .

أَرْضَعْنَهُمْ . وفي بعض القراءات : ﴿ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ، وَهُوَ أَبُو لَهُمْ ﴾<sup>(١)</sup> على قوله : ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وجعل المرأة من جهة الرضاع أمًا ، وجعل امرأة البعل أمٌ وولد البعل من غيرها ، وجعل الراب والدًا<sup>(٣)</sup> . وجعل العم في كتاب الله أبًا . وهم عبيده<sup>(٤)</sup> لا يتقلَّبون إلا فيما قلبهم فيه .

وله أن يجعل من عباده من شاء عربيًا ، ومن شاء أعجميًا ، ومن شاء قرشيًا ، ومن شاء زنجيًّا . كما أن له أن يجعل من شاء ذكراً ومن شاء أنثى ، ومن شاء خنثى ، ومن شاء أخرجه من ذلك<sup>(٥)</sup> فجعله لا ذكراً ولا أنثى ولا خنثى .

وكذلك خلق الملائكة ، وهم أكرم على الله من جميع الخليفة . ولم يجعل لآدم<sup>(٦)</sup> أباً ولا أمًا ، وخلق من طين ونسبه إليه ، وخلق حواء<sup>(٧)</sup> من ضلع آدم ، وجعلها له زوجاً وسكناً . وخلق عيسى من غير ذكر ، ونسبه إلى أمه التي خلقه منها . وخلق الجان من نار السموم ، وآدم من طين ، وعيسى من غير

(١) هي قراءة أبي وعبد الله بن مسعود في الآية ٦ من سورة الأحزاب . انظر تفسير أبي حيان ٧ : ٢١٢ .

(٢) الآية ٧٨ من سورة الحج .

(٣) الراب : فاعل من ربه يربه ربا ، بمعنى رباه حتى يفارق الطفولية ، كان ابنه أو لم يكن .

(٤) ب فقط : « وهم عبيد » ، وفي مع : « وهم عباده » ، وأثبت ما في م ، ط والرسائل .

(٥) مع والرسائل : « أفرد من ذلك » .

(٦) مع في الأصول : « فلم يجعل لآدم » ، والوجه ما أثبت . والذي في مع والرسائل :

« وخلق آدم فلم يجعل له » .

(٧) ب ، م : « حوى » .

نُطْفَةٌ ، وَخَلَقَ السَّمَاءَ مِنْ دُخَانٍ ، وَالْأَرْضَ مِنَ الْمَاءِ . وَخَلَقَ إِسْحَاقَ مِنْ عَاقِرٍ .

وَأَنْطَقَ عَيْسَى فِي الْمَهْدِ ، وَأَنْطَقَ يَحْيَى بِالْحِكْمَةِ وَهُوَ صَبِيٌّ ، وَعَلَّمَ سُلَيْمَانَ مِنْطَقَ الطَّيْرِ ، وَكَلَامَ النَّمْلِ . وَعَلَّمَ الْحَفَظَةَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جَمِيعَ الْأَلْسِنَةِ حَتَّى كَتَبُوا بِكُلِّ خَطٍّ ، وَنَطَقُوا بِكُلِّ لِسَانٍ . وَأَنْطَقَ ذَنْبَ أَهْبَانَ ابْنِ أَوْسٍ (١) .

وَالْمُؤْمِنُونَ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ ، وَكَذَلِكَ أَطْفَالُهُمْ وَالْمَجَانِينُ مِنْهُمْ ، يَتَكَلَّمُونَ سَاعَةً يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِكَلَامِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، عَلَى غَيْرِ التَّرْتِيبِ وَالتَّنْزِيلِ ، وَالتَّعْلِيمِ عَلَى طُولِ الْأَيَّامِ وَالتَّلْقِينِ . فَكَيْفَ يَتَعَجَّبُ الْجَاهِلُونَ مِنْ إِنْطَاقِ إِسْمَاعِيلَ بِالْعَرَبِيَّةِ عَلَى غَيْرِ تَعْلِيمِ الْآبَاءِ ، وَتَأْدِيبِ الْحَوَاضِنِ ؟ !

وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ رَبَّمَا سَأَلَ عَنْهَا بَعْضُ الْقَحْطَانِيَّةِ ، مِمَّنْ لَا عِلْمَ لَهُ ، بِبَعْضِ الْعَدْنَانِيَّةِ (٢) ، وَهِيَ عَلَى حَالِ الْقَحْطَانِيَّةِ أَشَدُّ (٣) .

فَأَمَّا جَوَابُ الْعَدْنَانِيِّ فَسَلِسُ النِّظَامِ ، سَهْلُ الْمَخْرَجِ ، قَرِيبُ الْمَعْنَى ؛ لِأَنَّ بَنِي قَحْطَانَ لَا يَدْعُونَ لِقَحْطَانَ نُبُوَّةً (٤) فَيُعْطِيهِ اللَّهُ تَعَالَى مِثْلَ هَذِهِ الْأَعْجُوبَةِ .

وَمَا الَّذِي قَسَمَ اللَّهُ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا كَمَا صَنَعَ اللَّهُ فِي طِينَةِ

(١) أَهْبَانَ هَذَا : أَحَدُ الصَّحَابَةِ ، ذَكَرُوا أَنَّ الذَّنْبَ كَلَّمَهُ ثُمَّ بَشَرَهُ بِالرَّسُولِ . انظُرْ تَفْصِيلَ ذَلِكَ فِي ثَمَارِ الْقُلُوبِ ٣٠٩ . وَانظُرْ كَذَلِكَ الْحَيَوَانَ ١ : ٢٩٨ / ٣ : ٥١٣ / ٤ : ٧ / ٨٠ .

(٢) ب ، م : « لِبَعْضِ الْعَدْنَانِيَّةِ » ، صَوَابُهُ فِي ط ، مَعَ وَالرِّسَالَةِ .

(٣) مَج : « وَهِيَ عَلَى الْقَحْطَانِيِّ أَشَدُّ » .

(٤) ب فَقَطْ : « نُبُوَّةٌ » بِتَقْدِيمِ الْبَاءِ ، تَحْرِيفٌ .

الأرض<sup>(١)</sup> ، فجعل بعضها حجراً ، وبعض الحجر ياقوتاً ، وبعضه ذهباً ، وبعضه نحاساً ، وبعضه رصاصاً ، وبعضه صفراً<sup>(٢)</sup> ، وبعضه حديداً ، وبعضه تراباً ، وبعضه فخاراً . وكذلك الزجاج ، والمغرة ، والزرنخ ، والمرتك ، والكبيريت ، والقار ، والتوتيا ، والنوشادر<sup>(٣)</sup> ، والمرقشيشا<sup>(٤)</sup> ، والمغنطيس<sup>(٥)</sup> .

وَمَنْ يُحْصِي عَدَدَ جِوَاهِرِ الْأَرْضِ وَأَصْنَافِ الْفِلِيزِ<sup>(٦)</sup> ؟ !

وإذا كان الأمر على ما وصفنا فالبنوي<sup>(٧)</sup> خراساني . وإذا كان الخراساني مولى والمولى عربي<sup>(٨)</sup> ، فقد صار الخراساني والبنوي والمولى والعربي<sup>(٩)</sup> شيئاً واحداً . وأدنى ذلك أن يكون الذى معهم<sup>(١٠)</sup> من خصال الوفاق غامراً لما معهم من خصال الخلاف ، بل هم فى معظم الأمر ، وفى كبر الشأن<sup>(١١)</sup> وعمود النسب متفقون . فالأترك خراسانية ،

(١) م فقط : « إلا كما صنع فى طينة الأرض ، .

(٢) الصفر ، بالضم : : النحاس الأصفر .

(٣) انظر حواشى الحيوان ٣ : ٣٧٧ / ٥ : ٣٤٩ .

(٤) المرقشيشا ، هو ما يعرف بحجر الماركزيت ، كما فى معجم استينجاس ١٢١٨ . وقد وردت فى ميج والرسائل : « المرقشيشا » بالثاء بدل الشين الثانية . كما وردت بالثاء أيضاً فى تذكرة داود عرضاً فى الكلام على « المغنيسيا » إذ يقول : « حجر كالمرقشيشا » . وعقد له رسماً فى المعتمد لابن رسولاً ٣٤٢ بلفظ « مرقشيشا » .

(٥) ذكر داود فى تذكرته أنه يسمى حجر المثلود وحجر الحديد . وقال : « وأجوده اللازوردى الرزين الصافى » الجاذب للحديد » . ومثله فى المعتمد لابن رسولاً .

(٦) الفلز : جميع جواهر الأرض من الذهب والفضة والنحاس وأشباهاها . ب فقط : « الفلل » ، تحريف .

(٧) ط : « فالنبوي » ، تحريف . وانظر ما سبق فى ١٦٧ .

(٨) ط : « عربياً » .

(٩) فى جميع الأصول : « والمولى مولى والعرب » ، صوابه فى ميج والرسائل .

(١٠) ب فقط : « معه » .

(١١) الكبر ، ب كسر الكاف وضمها : الرفة فى الشرف .



وموالى الخلفاء قُصرة<sup>(١)</sup> ، فقد صار فضل التركِ إلى الجميع راجعاً ،  
وصار شرفهم زائداً في شرفهم .

وإذا عرف سائرُ الأجنادِ ذلك سامحت النفوس ، وذهب التعقيد ،  
ومات الضغن ، وانقطع سببُ الاستثقال ، فلم يبقَ إلاَّ التحاسد والتنافس الذي  
لا يزال يكون بين المتقاربين في القرابة ، وفي الصناعة ، وفي المُجاورة .  
على أنَّ التوازر والتسالم في القرابات وفي بنى الأعمام والعشائر  
أفشى وأعمُّ من التخاذل والتعادى .

ولحبُّ التناصر والحاجة إلى التعاون انضمَّ بعض القبائل في البوادي  
إلى بعض ، ينزلون معاً ، ويظعنون معاً . ومن فارق أصحابه أقلُّ ، ومن  
نصر ابن عمه أكثر ، ومن اغتبط بنعمته وتمنى بقاءها والزيادة  
فيها أكثر من بغاها الغوائل<sup>(٢)</sup> وتمنى انقطاعها وزوالها .

ولا بدُّ في أضعافِ ذلك من بعض التنافس والتخاذل ، إلاَّ أنَّ ذلك  
قليلٌ من كثير .

وليس يكون<sup>(٣)</sup> أن تصفو الدنيا ، وتنقى<sup>(٤)</sup> من الفسادِ والمكروه ،  
حتى يموت جميع الخلف<sup>(٥)</sup> ، وتستوى لأهلها ، وتمهد لسكانها<sup>(٦)</sup>  
على ما يشتهون ويهوون ؛ لأنَّ ذلك من صفة دار الجزاء ، وليس كذلك  
صفة دار العمل .

(١) قصرة، بضم القاف، أى أدنى إليهم. كما يقال هو ابن عمي قصرة ، أى داني النسب .

(٢) الغوائل : المهلكات . ويقال بغيتك الشيء : طلبته لك وتمنيته . وفى كتاب الله :

« ييغونكم الفتنة » ، أى يبتغونها لكم .

(٣) وكذا في مج . وفى الرسائل : « وليس يجوز » .

(٤) ب : « أن يصفو الدنيا ويبقى » م ، ط : « أن تصفو الدنيا ويبقى » ، صوابها في

مج والرسائل . ونق الشيء ينقى نقاء : صار نقياً خالصاً .

(٥) فى جميع الأصول : « وحتى » ، صوابه فى مج والرسائل . وفى الرسائل أيضاً :

« جميع الخلائق » .

(٦) فى جميع الأصول : « ويستوى لأهلها ويتمهد لسكانها » ، صوابه فى مج والرسائل .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا كتابٌ كتبه أَيْامَ المَعْتَصِمِ بالله<sup>(١)</sup> رضى الله عنه ونَصَرَ وجهه ، فلم يصل إليه لأسباب يطول ذكرها<sup>(٢)</sup> ، فلذلك لم أعرض للإخبار عنها ، وأحببت أن يكون كتاباً قَصْداً ، ومذهباً عدلاً ، ولا يكون كتابَ إسرافٍ في مديح قوم ، وإغراقٍ في هجاء آخرين ؛ فإنَّ الكتابَ إذا كان كذلك شابهَ الكذب<sup>(٣)</sup> وخالطه التزُّيد ، وبُنِيَ أساسه على التكلُّف<sup>(٤)</sup> ، وخرج كلامه مَخرج الاستكراه والتَّغْلِيْقِ<sup>(٥)</sup> .

وأُنفَع المذائح للمادح ، وأجداها على الممدوح ، وأبقاها أثراً ، وأحسنها ذكراً ، أن يكون المديح صدقاً ، ولِظَاهِرِ حالِ الممدوح موافقاً ، وبه لائقاً ، حتَّى لا يكون من المعبرِّ عنه والواصفِ له إلَّا الإشارةُ إليه ، والتَّنبِيهُ عليه .

وأنا أقول : إن كان لا يمكن ذكرُ مناقب الأتراك إلَّا بذكر مثالب سائر الأجناد ، فتركُ ذكرِ الجميع أصوب ، والإضراب عن هذا الكتاب أحزم .

- 
- (١) هو محمد بن هارون الرشيد ، بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه المأمون سنة ٢١٨ . وتوفى بسر من رأى سنة ٢٢٧ . وولى الخلافة بعده ولده هارون الواثق .  
 (٢) مع والرسائل : « يطول شرحها » .  
 (٣) هذا مافى الرسائل . وفى جميع الأصول : « شانه » فقط . وفى معج : « شانه الكذب » .  
 (٤) فى جميع الأصول : « فى التكلّف » .  
 (٥) التعليق ، المراد به العسر ، كما يفتلق الباب تغليقاً . وفى جميع الأصول وكذا فى معج والرسائل : « التعليق » ، والوجه ما أثبت .

وذكرُ الكثير من هذه الأصناف بالجميل لا يقوم إلا بالقليل من ذكر بعضهم بالقبيح ، وهو معصية<sup>(١)</sup> وبابٌ من ترك الواجب . وقليلُ الفريضة أجدى علينا ، لأن ذكر الأكثر بالجميل نافلة ، وبابٌ من التطوع ؛ وذكر الأقلُّ بالقبيح معصية ، وبابٌ من ترك الواجب . وقليلُ الفريضة أجدى علينا من كثيرِ التطوع .

ولكلُّ الناس نصيبٌ من النقص ، ومقدارٌ من الذنوب ، وإنما يُتفاضلُ بكثرة المحاسن وقلة المساوي . فأما الاشتغالُ على جميع المحاسن ، والسَّلامةُ من جميع المساوي ، دقيقتها وجليلها ، ظاهرها وخفيها ، فهذا لا يعرف فيهم<sup>(٢)</sup> .

فإذا كان الخطأ من جمهور الناس وأهلِ المعاش<sup>(٣)</sup> من دهماء الجماعة<sup>(٤)</sup> يرون ذلك واجباً في الأخلاق ، ومصلحةً في المعاش ، وتدبيراً في التعامل ، على ما فيهم من مشاركة الخطأ للصواب ، وامتزاج الضعف بالقوة ، فلسنا نشكُّ أن الإمام الأكبر<sup>(٥)</sup> ، والرئيس الأعظم مع الأعراق الكريمة ، والأخلاق الرفيعة ، والتمام في الحلم والعلم ، والكمال في العزم والحزم ، مع التمكين والقدرة ، والفضيلة والرياسة والسيادة ، والخصائص التي معه من التوفيق والعصمة ، والتأييد وحسن المعونة - لم يكن الله ليجلِّله لباس الخلافة ، ويحبوه ببهاء الإمامة<sup>(٦)</sup> ، وبأعظم نعمة

(١) ب : « لم نعصيه » م : « معصية » فقط . وأثبت ماني ط .

(٢) في جميع الأصول : « فهذا ما يعرفونه » ، صوابه في مع والرسائل مع سقوط كلمة « فيهم »

منهما .

(٣) في جميع الأصول : « وأهل المقاييس » . وفي مع : « وأصحاب المقاييس » ، وأثبت

ماني الرسائل .

(٤) ط فقط : « من زعماء الجماعة » .

(٥) ب فقط : « في أن الإمام الأكبر » .

(٦) ب : « بهاء الإمامة » ، وفي مع والرسائل : « بتاج الخلافة » .

وَأَسْبَغَهَا ، وَأَفْضَلَ كِرَامَةً وَأَسْنَاهَا ، ثُمَّ وَصَلَ طَاعَتَهُ بِطَاعَتِهِ ، وَمَعْصِيَتَهُ بِمَعْصِيَتِهِ ، إِلَّا وَمَعَهُ مِنَ الْحِلْمِ فِي مَوْضِعِ الْحِلْمِ ، وَالْعَفْوِ فِي مَوْضِعِ الْعَفْوِ ، وَالتَّغَافُلِ فِي مَوْضِعِ التَّغَافُلِ ، مَا لَا يَبْلُغُهُ فَضْلُ ذِي فَضْلِ ، وَلَا حِلْمُ ذِي حِلْمٍ .

ونحن قائلون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فيما انتهى إلينا من القول في الأثر الك .

زعم محمد بن الجهم وثمامة بن الأشرس<sup>(١)</sup> والقاسم بن سيار<sup>(٢)</sup> في جماعة ممن يغشون دار الخلافة<sup>(٣)</sup> ، وهي دار العامة<sup>(٤)</sup> ، قالوا جميعاً : بينا حميد بن عبد الحميد جالساً ومعه إخشيد الصغددي<sup>(٥)</sup> ، وأبو شجاع شبيب بن بخار خدای<sup>(٦)</sup> البلخي ، ويعحي بن معاذ ، ورجال من المعدودين المتقدمين في العلم بالحرب ، من أصحاب التجارب والميراس ، وطول المعالجة والمعاناة بصناعة الحرب ، إذ خرج رسول المأمون فقال لهم : يقول لكم مفترقين ومجتمعين : فليثبت<sup>(٧)</sup> كلُّ

(١) ب : « الأثرث » ، تحريف . وهو ثمامة بن أشرس النيمري مولى بني نيمر . كان زعيم القدرية في زمان المأمون والمتصم والوائقي . وهو الذي دعا المأمون إلى الاعتزال . انظر الفرق بين الفرق ١٥٧ . وتروى عنه قصص تشير إلى استخفافه بالدين ، من ذلك أنه رأى الناس يوم جمعة يتعادون إلى المسجد الجامع ، لخوفهم من فوت الصلاة ، فقال لرفيق له : انظر إلى هؤلاء الحمير والبقر ! ثم قال : ما صنع ذلك العربي بالناس . تأويل مختلف الحديث ٦٠ . قتل ثمامة في زمان الوائقي الذي تولى الخلافة من ٢٢٧ - ٢٣٢ . وقيل مات سنة ٢١٣ . انظر الفرق ١٥٩ ولسان الميزان ٢ : ٨٤ وتاريخ بغداد ٧ : ١٤٥ - ١٤٨

(٢) ب : « يسار » ، صوابه في سائر النسخ والحيوان ٤ : ٤٤٢

(٣) ط فقط : « ممن يغشون دار الخلافة » .

(٤) ط فقط : « وهي دار الإمامة » .

(٥) مع : « يخشاد الصغددي » ، وفي الرسائل : « بخشاد الصغددي » .

(٦) ب : « بخار خدای » ، وأثبت ما في م ، ط ، مع . وفي الرسائل ١ : ٤٠ : « بخارا

خدای » .

(٧) مع والرسائل : « فليكتب » .

رجلٍ منكم دَعَوَاهِ وَحُجَّتِهِ ، يقول لكم : أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَى كُلِّ قَائِدٍ مِنْكُمْ ، إِذَا كَانَ فِي مَائَةٍ مِنْ نَخْبَتِهِ وَثِقَاتِهِ <sup>(١)</sup> : أَنْ يَلْقَى بِهِمْ مَائَةٌ تَرْكِيٌّ أَوْ مَائَةٌ خَارِجِيٌّ ؟

فَقَالَ الْقَوْمُ جَمِيعاً : [لَآنَ <sup>(٢)</sup>] نَلْقَى مَائَةَ تَرْكِيٌّ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ نَلْقَى مَائَةَ خَارِجِيٌّ ! وَحُمِيدٌ سَاكِتٌ ، فَلَمَّا فَرِغَ الْقَوْمُ جَمِيعاً مِنْ حُجَجِهِمْ قَالَ الرَّسُولُ لِحُمَيْدٍ : قَدْ قَالَ الْقَوْمُ فَقُلْ وَاكَتُبْ قَوْلَكَ ، وَلِيَكُنْ حُجَّةً لَكَ أَوْ عَلَيْكَ . قَالَ : بَلِ أَلْقَى مَائَةَ خَارِجِيٌّ أَحَبُّ إِلَيَّ ؛ لِأَنِّي وَجَدْتُ الْخِصَالَ الَّتِي فَضَّلَ بِهَا التَّرْكِيُّ جَمِيعَ الْمُقَاتِلَةِ غَيْرَ تَامَةً فِي الْخَارِجِيِّ ، وَوَجَدْتُهَا تَامَةً فِي التَّرْكِيِّ . فَفَضَّلُ التَّرْكِيَّ عَلَى الْخَارِجِيِّ بِقَدْرِ فَضْلِ الْخَارِجِيِّ عَلَى سَائِرِ الْمُقَاتِلَةِ . وَذَلِكَ بَأَنَّ التَّرْكِيَّ بَانَ مِنَ الْخَارِجِيِّ بِأُمُورٍ لَيْسَ فِيهَا لِلْخَارِجِيِّ دَعْوَى وَلَا مُتَعَلِّقٌ . عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ الَّتِي بَانَ بِهَا التَّرْكِيُّ مِنَ الْخَارِجِيِّ أَعْظَمُ خَطِراً وَأَقْلُ نَفْعاً مِمَّا شَارَكَهُ الْخَارِجِيُّ فِي بَعْضِهِ .

ثُمَّ قَالَ حُمَيْدٌ : وَالْخِصَالُ الَّتِي يَصُولُ بِهَا الْخَارِجِيُّ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ : صِدْقُ الشَّدَّةِ عِنْدَ أَوَّلِ وَهْلَةٍ ، وَهِيَ الدَّفْعَةُ الَّتِي يَبْلُغُونَ بِهَا مَا أَرَادُوا ، وَيُنَالُونَ بِهَا مَا أَمَلُوا .

وَالثَّانِيَةُ : الصَّبْرُ عَلَى الْخَبَبِ <sup>(٣)</sup> ، وَعَلَى طُولِ السَّرْيِ حَتَّى يُصْبِحُوا الْقَوْمَ الَّذِينَ مَرَّقُوا بِهِمْ غَارِينَ <sup>(٤)</sup> ، فِيهِجَمُوا <sup>(٥)</sup> عَلَيْهِمْ وَهُمْ بَسُوهُ <sup>(٦)</sup>

(١) ب : « من نخبه » . وفي مج والرسائل : « إذا كان في عدته من صحبه وثقاته » .

(٢) هذه من ط والرسائل .

(٣) الخبب : ضرب من العدو السريع . ب : « الخنب » تحريف .

(٤) المروق : المرور بسرعة كما يمرق السهم من الرمية . غارون : غافلون . ب : « غازين » .

(٥) ب فقط : « فهجموا » .

(٦) في الأصول : « بشر » ، ولا وجه له . والوجه ما أثبت من مج والرسائل . وهو

من قولهم : ناقة بسوء ، بفتح الباء : لا تمنع الخالب . وهذا مثل للضعف .

ولحم على وَصَمَ<sup>(١)</sup> ، فَيُعَجَّلُوا بِهِمْ عَنِ الرَّوْيَةِ<sup>(٢)</sup> ؛ وعن رَدِّ النَّفْسِ بَعْدَ  
الْجَوْلَةِ<sup>(٣)</sup> وَالنَّزْوَةَ ، لا يظنون أَنَّ أَحَدًا يَقْطَعُ فِي ذَلِكَ الْمَقْدَارِ مِنَ الزَّمَانِ  
ذَلِكَ الْمَقْدَارَ مِنَ الْبِلَادِ .

والثالثة : أَنَّ الْخَارِجِيَّ مُوصَفٌ عِنْدَ النَّاسِ بِأَنَّهُ إِنْ طَلَبَ أَدْرَكَ ،  
وَإِنْ طَلَبَ فَات .

والرابعة : خِفَّةُ الْأَزْوَادِ<sup>(٤)</sup> ، وَقَلَّةُ الْأَمْتَعَةِ ، وَأَنَّهَا تَجُنَّبُ الْخَيْلَ<sup>(٥)</sup> ،  
وَتَرْكَبُ الْبِغَالَ ، وَإِنْ احتاجتْ أَمَسَتْ بِأَرْضٍ وَأَصْبَحَتْ بِأُخْرَى<sup>(٦)</sup> ،  
وَأَنَّهُمْ قَوْمٌ حِينَ خَرَجُوا لَمْ يَخْلُفُوا الْأَمْوَالَ الْكَثِيرَةَ ، وَالْجِنَانَ الْمُنْتَفَةَ ،  
وَالدُّورَ الْمَشِيدَةَ ، وَلَا ضِياعاً وَلَا مُسْتَعْلَاتَ ، وَلَا جَوَارِيَ مَطْهَمَاتَ ، وَأَنَّهُمْ<sup>(٧)</sup>  
لا سَلَبَ لَهُمْ ، وَلَا مَالَ مَعَهُمْ ، فَيُرِغِبُ الْجَنْدُ فِي لِقَائِهِمْ ، وَإِنَّمَا هُمْ كَالطَّيْرِ  
لا تَدَّخِرُ ، وَلَا تَهْتَمُّ<sup>(٨)</sup> لِعَدِيٍّ ، وَلَهَا فِي كُلِّ أَرْضٍ مِنَ الْمِيَاهِ وَالْبُرُورِ<sup>(٩)</sup>  
مَا يَقْتُوها . وَإِنْ لَمْ تَجِدْ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْبِلَادِ فَاجْنَحْتُهَا تَقَرَّبَ لَهَا الْبَعِيدُ ،  
وَتَسَهَّلَ لَهَا الْحَزُونُ . وَكَذَلِكَ الْخَوَارِجُ لا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمُ الْقِرَى وَالطُّعْمُ<sup>(١٠)</sup> ،

(١) الوضم : جمع وضمة ، وهو كل شيء يوضع عليه اللحم من خشب أو حصير ،  
يوق به الأرض . واللحم على الوضم مثل للضعف وعدم الامتناع .

(٢) في جميع الأصول : « على الروية » ، والوجه ما أثبت من معج والرسائل .

(٣) ب ، م : « بعد الحولة » بالحاء المهملة .

(٤) ب فقط : « الأزواج » تحريف . والأزواد : جمع زاد ، وهو الطعام ولاسيما في

والسفر .

(٥) تجنبها : تقودها إلى جنب البغال . والضمير للخوارج .

(٦) ب فقط : « وأضحت بأخرى » .

(٧) ب ، م : « أنهم » بدون واو .

(٨) ب : « ولا تهتم لعدو » .

(٩) في جميع الأصول : « والبرور » ، ولاوجه له . وفي معج والرسائل : « والأقوات » .

(١٠) معج والرسائل : « والمطم » . والطعم ، بالضم : الطعام .

فإن يمتنع<sup>(١)</sup> عليهم ففى بنات أعوج<sup>(٢)</sup> وبنات شحاج<sup>(٣)</sup> ، وخيفة الأنفال ، والقوة على طول الخبب ما يأتيها بأرزاقها ، وأكثر من أرزاقها .

والخامسة : أن الملوك إذا أرسلوا إليهم أعدادهم ليكونوا فى خفة أزوادهم وأثقالهم ، وليقووا على التنقل كقوتهم<sup>(٤)</sup> ، لم يقووا عليهم ، لأن مائة<sup>(٥)</sup> من الجند لا يقومون لمائة من الخوارج . وإن كثفوا الجيش وضاعفوا العدد<sup>(٦)</sup> ثقلوا عن طلبهم ، وعن الغوث إن طلبهم عدوهم . ومتى شاء الخارجى أن يقرب منهم ليتطرقهم<sup>(٧)</sup> ، أو ليصيب الغيرة<sup>(٨)</sup> أو ليثبتهم<sup>(٩)</sup> ، فعل ذلك<sup>(١٠)</sup> ، ثقة بأنه يغتم<sup>(١١)</sup> عند الفرصة ورؤية العورة ، ويمكنه الحرب عند الخوف ، وإن شاء كبسهم<sup>(١٢)</sup> ليقطع نظامهم ، أو ليقطع القطعة منهم .

(١) فى الأصول : « تمتنع » ، وأثبت ما فى مج . وفى الرسائل : « فإن تمتنع » .

(٢) ط : « أعوج » تحريف . وأعوج هذا : فرس كان لكندة ، فأخذته بنو سليم فى بعض أيامهم ، فصار إلى بنى هلال . وليس فى العرب فعل أشهر ولا أكثر نسلاته .

(٣) بنات شحاج ، هى البغال ، لأنها تشحج بصوتها . وفى مج والرسائل : « وبنات شحاج وبنات صهال » . وبنات صهال يعنى بها الخيل فإن الصهيل لها . وبنات صهال لم ترد فى اللسان ولا القاموس ، ولكن وردت فى المزهر ١ : ٥٢٥ .

(٤) ب : « كقولهم » ، صوابه فى م ، ط ومج والرسائل .

(٥) ب : « لماية » تحريف .

(٦) مج والرسائل : « وإن كثفوا الجيش بالجيش ، وضاعفوا العدد بالعدد .

(٧) التطرف : الإغارة من حول العسكر . ب : « لينظر فيهم » . م ، ط : «

« ليتطرقهم » بالقاف ، صوابه فى مج والرسائل .

(٨) الغرة ، بالكسر : الغفلة . ب : « العراة » ، صوابه فى م ، ط ، مج والرسائل .

(٩) أثبتته : جرحه جراحة لا يقوم معها . وفى الكتاب العزيز : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك » فى الآية ٣٠ من الأنفال . وفى مج والرسائل : « أو ليسلهم » .

(١٠) ب ، مج : « فعل » بإسقاط « ذلك » .

(١١) فى الأصول : « يقيم » ، وأثبت ما فى مج والرسائل .

(١٢) الكبس : الاقتحام ، كالتكبيس والتكبس . ب : « كبسهم » بالياء المثناة التحتية ،

قال حميد: فهذه هي مفاخرهم وخصالهم، التي بها كره القواد لقاءهم.

قال القاسم بن سيار: وخصلة أخرى، وهي التي رعبت القلوب<sup>(١)</sup> وحشتها<sup>(٢)</sup>، ونقضت العزائم<sup>(٣)</sup> وفسختها، وهو ما تسمع الأجناد ومقاتلة العوام من ضرب المثل بالخوارج، كقول الشاعر:

إذا ما البخيل والمحاذير للقرى

رأى الضيف مثل الأزرق المجفف<sup>(٤)</sup>

هذه زيادة القاسم بن سيار.

فأما حميد<sup>(٥)</sup> فإنه قال:

فأما الشدة فالتركي فيها أحمد أثراً، وأجمع أمراً، وأحكم شأناً؛ لأن التركي من أجل أن تصدق شدته ويتمكن عزمه، ولا يكون مشترك العزم، ومُنقِسم الخواطر، قد عودَ برذونه أن لا ينثنى وإن ثناه، أن يملأ فروجه<sup>(٦)</sup>، إلا أن يُديره مرةً أو مرتين، وإلا فإنه لا يدع سننه، ولا يقطع ركضه<sup>(٧)</sup>، وإنما أراد التركي أن يويس نفسه من البدوات<sup>(٨)</sup>،

(١) ط فقط: «أرعبت». يقال رعب فلاناً رعباً: خوفه وأفرعه، كما يقال أربعه إرعاباً.

(٢) أى ملاءتها من الرعب. وفي م: «وجشتها»، وفي م و الرسائل: «وخلمتها».

(٣) ب: «ونقضتها العزائم».

(٤) ب: «إذا ما الخيل، تحريف. وفي ط: «إذا ما رأى الخيل المحاذي للقرى»

تحريف أيضاً، صوابه في م، وم و الرسائل. ب، م: «الضيف» بالصاد المهملة، تحريف. والمحفف: الذي جفف فرسه بالتجفاف، وهو ما جلل به من سلاح وآلة تقيه الجراح. وفي ب: «المخفف» وفي م، ط: «المخفف» صوابهما في م و الرسائل.

(٥) م، ط: «وأما حميد».

(٦) ط فقط: «فلا يملأ فروجه» تحريف. والفروج: ما بين قوائم الفرس. وكفى بملها عن الإسراع وشدة العدو حتى لا تكاد تظهر تلك الفروج للنظر.

(٧) ب فقط: «ركده» تصحيف.

(٨) ب فقط: «يويس» بالباء، تحريف. والبدوات: الحطرات والآراء تبدو وتظهر.

ط فقط: «البدرات».



ومن أن يعتريه التَّكْذِيبُ<sup>(١)</sup> بعد الاعتزام ، لهول اللقاء ، وحبِّ الحياة ،  
لأنَّه إذا علم أنَّه قد صيرَّ بِرِذْوَنِهِ إلى هذه الغاية حتَّى لا ينشئ ،  
ولا يجيبه إلى التصرُّف معه إلَّا بَأَن يُصنع شيئاً بين الصَّفِين فيه عَطْبُه ،  
لم يُقَدِّم على الشَّدَّة إلَّا بعد إحكام الأمر ، والبَصْر بالعورة<sup>(٢)</sup> . وإنَّما  
يريد أن يشبَّه نفسه بالمُخْرَج<sup>(٣)</sup> الذي إذا رأى أشدَّ القتال لم يدعْ  
جُهْداً ولم يدخِر حيلة ، ولينفِي<sup>(٤)</sup> عن قلبه خواطرَ الفرار ، ودواعي  
الرُّجوع .

وقال : الخارجيُّ عند الشَّدَّة إنَّما يعتمد على الطَّعان . والأتراك  
تطعن طعنَ الخوارج ، وإن شَدَّ منهم أَلْف فارسٍ فرموا رِشْقاً واحداً<sup>(٥)</sup>  
صرعوا أَلْفَ فارس ، فما بقَاءُ<sup>(٦)</sup> جيشٍ على هذا النوع من الشَّدِّ<sup>(٧)</sup> !؟  
والخوارج والأعراب ، ليست لهم رمايةٌ مذكورةٌ على ظُهور الخيل ،  
والتركيُّ يرمى الوَحْشَ ، والطَّيْرَ ، والبُرْجاس<sup>(٨)</sup> ، والنَّاسَ<sup>(٩)</sup> ، والمجثمَةَ<sup>(١٠)</sup> ،  
والمُثَّلَ الموضوعة ، والطَّيْرَ الخاطف<sup>(١١)</sup> ، ويرمى وقد ملأ فُروج دابَّته

(١) التَّكْذِيبُ : الإحجام ، يقال للرجل إذا حمل ثم ولي ولم يمض : قد كذب عن  
قرنه تكذيباً .

(٢) العورة : موضع الخلل عند العدو . ويقال بيوت عورة ، أي مكتنة للسراق ، خللها  
وأنها غير حريزة . وفي جميع الأصول : « بالعودة » . وأثبت ما في مع والرسائل .

(٣) في جميع الأصول : « بالخرج » ، صوابه بالخاء المهمله كما في مع والرسائل .

(٤) ب فقط : « ولينق » بالقاف ، صوابه في م ، ط ، مع والرسائل .

(٥) الرشق بالكسر : الاسم من الرشق ، ورشقاً واحداً ، أي وجهاً واحداً بجميع

مباهم .

(٦) في جميع الأصول ، مع : « بقى » ، صواب رسمه من الرسائل .

(٧) هذا ما في ب . وفي م ، ط ومع والرسائل : « من الشدة » .

(٨) البرجاس ، بضم الباء ، سبق تفسيره في ص ١٧٩ .

(٩) انظر ما سيأتى في ٢٠٦ س ٤ .

(١٠) المجثمَة ، سبق تفسيرها في ص ٣٢ . ب فقط : « المجثمَة » ، تحريف .

(١١) م ، ط : « والطائر الخاطف » .

مُدْبِرًا وَمُقْبَلًا<sup>(١)</sup> ، وَيَمْنَةً وَيَسْرَةً ، وَصُعْدًا وَسَفْلًا ، وَيُرْمَى بِعَشْرَةِ  
أَسْهُمٍ<sup>(٢)</sup> قَبْلَ أَنْ يَفُوقَ الْخَارِجِيَّ سَهْمًا وَاحِدًا . وَيَرْكُضُ دَابَّتَهُ مَنْحَدِرًا  
مِنْ سَهْلٍ ، أَوْ مَتَسَفِّلًا إِلَى بَطْنِ وَادٍ بِأَكْثَرِ مَا يُمْكِنُ الْخَارِجِيُّ عَلَى بَسِيطِ  
الْأَرْضِ .

وَالْتَرَكِيُّ لَهُ أَرْبَعَةٌ أَعْيُنٌ<sup>(٣)</sup> : عَيْنَانِ فِي وَجْهِهِ ، وَعَيْنَانِ فِي قَفَاهُ .  
وَلِلْخَارِجِيِّ عَيْبٌ فِي مُسْتَدْبِرِ الْحَرْبِ ، وَلِلْخِرَاسَانِيِّ عَيْبٌ فِي مُسْتَقْبَلِ  
الْحَرْبِ .

فَعَيْبُ الْخِرَاسَانِيِّ أَنْ لَهَا جَوْلَةٌ عِنْدَ أَوَّلِ الْإِلْتِقَاءِ<sup>(٤)</sup> ، فَإِنْ رَكِبُوا  
أَكْسَاءَهُمْ<sup>(٥)</sup> كَانَتْ هَزِيمَتُهُمْ ، وَكَثِيرًا مَا يَثُوبُونَ ، وَذَلِكَ بَعْدَ الْخِطَارِ  
بِالْعَسْكَرِ ، وَإِطْمَاعِ الْعَدُوِّ فِي الشَّدَّةِ .

وَالْخَوَارِجُ إِذَا وَلَّوْا فَقَدْ وَلَّوْا ، وَلَيْسَ لَهُمْ بَعْدَ الْفَرِّ كَرٌّ إِلَّا مَا لَا يُعَدُّ .  
وَالْتَرَكِيُّ لَيْسَتْ لَهُ جَوْلَةٌ الْخِرَاسَانِيِّ ، وَإِذَا أَدْبَرَ فَهُوَ السَّمُّ النَّاقِعُ ،  
وَالْحَتْفُ الْقَاضِي ، لِأَنَّهُ يُصِيبُ بِسَهْمِهِ وَهُوَ مُدْبِرٌ ، كَمَا يُصِيبُ بِسَهْمِهِ  
وَهُوَ مُقْبَلٌ ، وَلَا يُؤْمِنُ وَهَقَّهُ<sup>(٦)</sup> .

(١) انظر ما سبق في ص ٢٠١ .

(٢) ب : « لعشرة أسهم » محرف ، م : « العشرة أسهم » ؛ وهو خطأ ، وفي ط :  
« العشرة الأسهم » ، وأثبت ما في معج والرسائل .

(٣) معج والرسائل : « وللتركي أربعة عين » . وقد وردت « أربعة » مؤنثة مع العين المؤنثة ،  
وهو وجه جائز في العربية مذكور في المطولات . وانظر الصبان ٤ : ٦٢ حيث ذكر ابن هشام  
أن ما كان لفظه مذكراً ومعناه مؤنثاً ، أو بالعكس ، فإنه يجوز فيه وجهان .

(٤) م : « الألقاء » ، صوابه في ب ، ط .

(٥) الأكساء : جمع كساء ، بالضم ، وهو مؤخر كل شيء . يقال ركب كساءً : وقع  
على قفاه . والمراد : أدبروا وتأخروا . ب فقط : « كسأهم » ، بالإفراد .

(٦) الوهق ، بالتحريك : خيل شديد القتل يرمى وفيه أنشودة ، فتؤخذ فيه الدابة  
والإنسان . ب فقط : « رهقه » ، تحريف .

قال : وهم علّموا الفُرسانَ حملَ قوسين وثلاثِ قِسيٍّ ، ومن الأوتار  
على حَسَبِ ذلك<sup>(١)</sup> .

والتركيُّ في حالِ شدّته معه كلُّ شيءٍ يحتاج إليه ، لنفسه ،  
ولسلاحه ، ولدابّته ، وأداة دابّته<sup>(٢)</sup> . فأما الصّبر على الخَبَبِ<sup>(٣)</sup>  
ومواصلة السّير ، وعلى طول السّرى وقطع البلاد [ فعجيبٌ جداً ]<sup>(٤)</sup> .

فواحدة<sup>(٥)</sup> : أن فرسَ الخارجيّ لا يصبر صَبْرَ بردّونِ التركيِّ .

والخارجيّ لا يحسن أن يعالج فرسه إلا مُعالِجَةَ الفُرسانِ لخيولهم ،  
والتركيُّ أَحَدَقُ من البَيطار ، وأجود تقويماً لِبِرْدُونِهِ على ما يريد من  
الرّاضة<sup>(٦)</sup> ، وهو استنتجهُ ، وهو ربّاه فلوأ ، ويتبعه إن ساء<sup>(٧)</sup> ، وإن  
ركض ركضَ خلفه ، قد عودّه [ ذلك ]<sup>(٨)</sup> حتّى عرفه ، كما يعرف  
الفرس : اجدم<sup>(٩)</sup> ، والناقة : حلي<sup>(١٠)</sup> ، والجمل : جاه<sup>(١١)</sup> ، والبغل :  
عدس ، والحمار : ساسأ ؛ وكما يعرف المجنون لقبه ، والصبيُّ اسمه .

(١) م ، ط : « على حساب ذلك » .

(٢) ب فقط : « وأداة دابّته » ، تحريف .

(٣) انظر ما معنى في ص ٨٩ . وفي ب : « الجنب » ، تحريف .

(٤) التكلّة من مج والرسائل .

(٥) ط فقط : « فظاهر » .

(٦) الرّاضة : جمع راض ، وهو من يروض الدابة ويسوسها وينذلها .

(٧) ب ، م والرسائل : « وتتبعه إن ساء » ، وأثبت ما في ط .

(٨) التكلّة من مج والرسائل .

(٩) أجدم ، بوصل الهزمة بعدها جيم ودال مهملة ، وهو زجر للفرس ، ومثله « هجدم »

بالهاء . وفي الأصول : « اجدم » بالذال المعجمة ، صوابه في مج ومعظم أصول الرسائل . انظر :

٤٧ : ١

(١٠) يقال في زجر الناقة : حل ، وحلي أيضاً . وأنشدوا لأبي النجم :

\* وقد حدوناها بحوب وحلي \*

(١١) جاه ، بكسر الهاء : زجر للإبل . وربما قيل جاه بالتنوين ، وكذلك جوه جوه

بسكون الهاء . ومثله جأ ، وشأ ، كما يقال جيء جيء : أمر لها بورود الماء وهي على الحوض .

وجؤجؤ : أمر لها بورود بالماء وهي بعيدة منه ، أو هو زجرها لا أمر بورود الماء . وفي م ، ط :

« جأ » . وأثبت ما في ب ، مج والرسائل .

ولو حصلت مُدَّةٌ عُمُرِ التُّرْكِيِّ وَحَسَبَتْ أَيَّامَهُ لَوَجِدْتَ جُلُوسَهُ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ نَادراً<sup>(١)</sup>. والتُّرْكِيُّ يَرْكَبُ فَحْلاً أَوْ رَمَكَةً<sup>(٢)</sup> ، وَيَخْرُجُ غَازِيًا أَوْ مَسَافِراً ، أَوْ مَتَبَاعِداً فِي طَلَبِ صَيْدٍ ، أَوْ سَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ ، فَتَتَبِعُهُ الرَّمَكَةُ وَأَفْلَاؤُهَا ؛ إِنَّ أَعْيَاهُ اصْطِيَادُ النَّاسِ اصْطِيَادَ الْوَحْشِ ، وَإِنْ أَخْفَقَ مِنْهَا وَاحْتِاجَ إِلَى طَعَامٍ فَصَدَّ دَابَّةً مِنْ دَوَابِّهِ ، وَإِنْ عَطِشَ حَلَبَ رَمَكَةً مِنْ رِمَاكِهِ ، وَإِنْ أَرَاكَ وَاحِدَةً رَكِبَ أُخْرَى ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْزَلَ إِلَى الْأَرْضِ .

وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ إِلَّا وَبَدَنُهُ يَنْتَقِضُ<sup>(٣)</sup> عَنْ اقْتِنَاتِ اللَّحْمِ وَحَدِّهِ - غَيْرِهِ ، وَكَذَلِكَ دَابَّتُهُ تَكْتَنِي بِالْعُنْقُرِ<sup>(٤)</sup> وَالْعُشْبِ وَالشَّجَرِ ، لَا يُظَلِّلُهَا مِنْ شَمْسٍ ، وَلَا يُكْنِئُهَا مِنْ بَرْدٍ .

قَالَ : وَأَمَّا الصَّبْرُ عَلَى الْخَبَبِ<sup>(٥)</sup> فَإِنَّ التَّغْرِيينَ<sup>(٦)</sup> ، وَالْفُرَانَقِيينَ<sup>(٧)</sup> ، وَالْخَصِيانَ ، وَالْخَوَارِجَ ، لَوْ اجْتَمَعَتْ قُوَاهُمْ فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ لَمَّا وَقَوْا بِتُرْكِيٍّ وَاحِدٍ . وَالتُّرْكِيُّ لَا يَبْقَى مَعَهُ مَعَ طَوْلِ الْغَايَةِ إِلَّا الصَّمِيمُ مِنْ دَوَابِّهِ ، وَالَّذِي يَقْتُلُهُ التُّرْكِيُّ بِإِتْعَابِهِ لَهُ . وَيَنْفِيهِ<sup>(٨)</sup> عِنْدَ غَزَاتِهِ هُوَ الَّذِي لَا يَصْبِرُ

(١) نادراً ، ساقطة من ب . وفي م : « نادر » محرف . وفي ميج والرسائل : « لوجدت جلوسه على ظهر دابته أكثر من جلوسه على ظهر الأرض » .

(٢) الرمكة ، بالتحريك : الأثني من البراذين . وفي جميع الأصول : « فحل أرمাকে » ، وأثبت ما في ميج والرسائل .

(٣) ينتقض : يفسد ويهزل . وفي جميع الأصول : « ينتفض » بالفاء ، ولا وجه له .

(٤) العنقر كعصفر : أصل القصب والبردي والبقيل مادام أبيض مجتمعاً .

(٥) ب : « الجنب » ، تحريف . وانظر ١٩٩ .

(٦) الثغريون : نسبة إلى الثغر ، وهو واحد ثغور الشام . ومن أشهرها : أنطاكية ، وبغراس ، والمصيصة . وأصل أهلها من الروم .

(٧) نسبة إلى الفرائق بالضم ، يعنى بهم عمال البريد ، ويبدو أنهم كانوا من غير العرب .

والفرائق : الذي يدل صاحب البريد على الطريق ، معرب « بروانك » . ب ، م : « والغزانقيين » ط : « والغزانقيين » ، صوابهما ما أثبت .

(٨) في جميع الأصول : « ويبقيه » ، وأثبت ما في ميج والرسائل .

معهُ فرُسُ الخارجي ، ولا يَبْقَى معه كلُّ برذونٍ بخاريٍّ (١) ، ولو ساير خارجياً لاستفرغ جهده (٢) قبل أن يبلغ الخارجي عَفْوَهُ .

والتركيُّ هو الراعي ، وهو السائس ، وهو الرائيض ، وهو النخاس (٣) ، وهو البيطار ، وهو الفارِسُ . فالتركيُّ الواحدُ أُمَّةٌ على حدة .

قال : وإذا سار التركيُّ في غير عساكر الترك فسار القومُ عشرةَ أميال سار التركيُّ عشرين ميلاً ، لأنَّهُ ينقطع عن العسكر يمنة ويسرة ، ويصعدُ في ذُرَى الجبال ، ويستبطنُ قعورَ الأودية ، في طلب الصيد ، وهو في ذلك يرمي كلَّ ما دبَّ ودرج ، وطارَ ووقع .

قال : والتركيُّ لم يسِر في العسكر سِيرَ النَّاسِ قَطُّ ، ولا سارَ مستقيماً قَطُّ (٤) .

قال : وإذا طالت الدَّلجة ، واشتدَّ السَّير ، وبُعِدَ المنزلُ ، وانتصفَ النَّهار ، واشتدَّ التعب ، وشغَلَ النَّاسَ الكلالُ (٥) ، وصمَّت المتسايرون فلم يَنطِقوا ، وقَطَعَهُم ما همُّ فيه عن التَّشاغل بالحديث ، وتفَسَّخَ (٦) كلُّ شَيْءٍ من شِدَّةِ [ الحرِّ ، وجَمَد كلِّ شَيْءٍ من شِدَّةِ (٧) ] البَرْد ، وتمنى كلُّ جليدٍ القوى على طُول السُّرى أن تُطوى له الأَرْض ، وكلَّما رأى خيالاً (٨)

(١) ط فقط : «نجارى» ، تحريف .

(٢) هذا الصواب من م ، مج . وفي الرسائل : «لاستفرغ وسعه» . وفي ب : «لا استفرغ جهده» . وفي ط «لايستفرغ جهده» ، محرفتان .

(٣) ب ، م : «النحاس» ، تحريف . والنخاس ، بانحاء المعجمة : بائع الدواب ، سمي بذلك لنخسه إياها حتى تنشط .

(٤) ب : «ولا مدار» ، صوابه في م ، ط .

(٥) في جميع الأصول : «الكلام» ، ولا يستقيم مع ما بعده . والصواب من مج والرسائل . والكلال : التعب والإعياء .

(٦) التفسخ : عدم الطاقة وقلة الاحتمال . م فقط : «وتفسخ» ، تحريف .

(٧) التكلمة من مج والرسائل ، لكن في الرسائل : «وخذ» بانحاء .

(٨) الخيال : مانصب في الأرض ليعلم أنها حي فلا تقرب . والخيال والخيالة أيضاً : ماتشبه لك في اليقظة أو الحلم من صورة

أو علماً استبشَرَ به ، وظنَّ أنه قد بلغ المنزل ، وإذا بلغه الفارس نزل وهو متفحج<sup>(١)</sup> ، كأنه صبيُّ محقون<sup>(٢)</sup> ، يثنُّ أنينَ المريض ، ويستريح إلى الثناؤب<sup>(٣)</sup> ، ويتداوى مما به بالتمطى والتضجع . وترى التركيَّ في تلك الحال ، وقد سار ضعُفَ ما ساروا ، وقد أتعبَ منكبَّيه كثرةُ النَّزْعِ<sup>(٤)</sup> ، يرى بقرب<sup>(٥)</sup> المنزلِ غيراً أو ظبيّاً ، أو عرَّسَ له ثعلبٌ أو أرنب ، كيف يركضُ ركضَ مبتدئٍ مستأنفٍ ، حتَّى كأنَّ الذي سار ذلك السيرَ ، وتعبَ ذلك التعبَ غيره .

وإن بلغ النَّاسُ وادياً فازدحموا على مَسلكه أو على قنطرتِه ، بَطَنَ<sup>(٦)</sup> بِرذونِه فأقحمَه ثم طلع من الجانب الآخر كأنه كوكبٌ . وإن انتهوا إلى عَقَبَةٍ صَعْبَةٍ ترك السَّنَنُ<sup>(٧)</sup> ، وذهبَ في الجَبَلِ صُعُداً ، ثم تدلَّى من موضعٍ يَعِجُزُ عنه الوَعِلُ ، وأنت تحسبه مخاطراً بنفسه ، لِلَّذِي ترى من مُطَّلَعِه . ولو كان في كل ذلك مخاطراً لما دامت له السَّلَامَةُ ، مع تتابع ذلك منه .

(١) متفحج : قد فتح ما بين رجليه ، وذلك من تأثير طول الركوب . ب : « متفحج » م ، ط : « متفحج » بتقديم الجيم على الحاء ، ولا مادة لهذه في العربية ، وصوابها ما أثبت من مج والرسائل .

(٢) محقون : قد أعطى الدواء بالحقنة . وفي جميع الأصول : « مجنون » ، صوابه في مج والرسائل .

(٣) ب : « الثناؤب » ، م ، ط « الثنواب » ، والصواب ما أثبت من مج والرسائل .

(٤) النَّزْعُ في القوس : مد وترها ليرى بسهامها .

(٥) في جميع الأصول : « لقرب » باللام ، والوجه ما أثبت . وفي مج والرسائل : « قرب المنزل » .

(٦) بطنه بطناً : ضرب بطنه . ب : « فطن » ، بالفاء ، صوابه في م ، ط ، مج والرسائل .

(٧) السَّنَنُ ، بالتحريك : نهج الطريق ومحجته . م ، ط : « السير » تحريف .

قال : وَيَفْخَرُ<sup>(١)</sup> الْخَارِجِيُّ بِأَنَّهُ إِذَا طَلَبَ أَدْرَكَ ، وَإِذَا طُلِبَ فَاتَ<sup>(٢)</sup> .  
وَالْتُرْكِيُّ لَيْسَ يُحْجَجُ إِلَى أَنْ يَفُوتَ ، لِأَنَّهُ لَا يُطَلَّبُ وَلَا يُرَامُ .  
وَمَنْ يَرُومُ مَا لَا يُطْمَعُ فِيهِ ؟ !

فهذا دليلٌ على أننا قد علمنا أنَّ العلةَ التي عمَّت الخوارج بالنجدة استواء حالاتهم في أشدِّ الديانة<sup>(٣)</sup> ، واعتقادهم بأنَّ القتالَ دينٌ ؛ لأنَّنا حين وجدنا السَّجستانيَّ ، والجزريَّ<sup>(٤)</sup> ، واليائيَّ ، والمغرَّبيَّ ، والعُمانيَّ ، والأزرقيَّ منهم والنَّجديَّ<sup>(٥)</sup> ، والإباضيَّ ، والصُّفريَّ<sup>(٦)</sup> ، والمولى والعربيَّ ، والعجميَّ والأعرابيَّ ، والعبيديَّ والنِّسائيَّ ، والحائك والفلاح ، كلُّهم يُقاتِلُ مع اختلافِ الأنساب ، وتباينِ البلدان - علمنا أنَّ الديانة هي التي سوَّت بينهم في ذلك ، كما أنَّ كلَّ حِجَامٍ في الأرض من أيِّ جنسٍ كان ، ومن أهلِ أيِّ بلدٍ كان ، فهو يحبُّ النبيذَ . وكما أنَّ

(١) في جميع الأصول : « ويمجز » ، صوابه في مج والرسائل .

(٢) مج والرسائل : « لم يدرك » .

(٣) مج والرسائل : « في الديانة » .

(٤) ب : « والخزري » ط : « والخزري » ، وأثبت ما في م ومج والرسائل .

(٥) نسبة إلى نجدة بن عامر ، أو ابن عاصم ، الحنفي . ويقال لهم « النجدات » أيضاً . وكان نجدة ممن خرج مع ابن الزبير ثم فارقه هو ونافع الأزرق من الخوارج ، فصار نافع إلى البصرة ونجدة إلى الحِجامة ، وذلك في سنة ٦٤ . الملل والنحل ١ : ١٦٥ والطبرى في حوادث ٦٤ . ثم صار إلى الطائف ثم إلى البحرين ، ووجه إليه مصعب بن الزبير بخيل بعد خيل فهزمهم ، وظل خمس سنوات هو وعماله بالبحرين والحِجامة وعمان وهجر والعرض ، ثم نغم عليه الخوارج فخلعوه بعد أن كان يسمى أمير المؤمنين ، وأقاموا أبافديك مكاتة سنة ٧٣ وقتل نجدة في تلك السنة . الطبرى والفرق بين الفرق ٦٧ والمواقف ٦٢٩ .

(٦) الصفريَّة ، بضم الصاد : طائفة من الخوارج ، وهم أصحاب زياد بن الأصغر ، ويقال لهم الزيدانية أيضاً . وقولهم كقول الأزارقة في أن أصحاب الذنوب مشركون ، غير أن الصفريَّة لا يرون قتل أطفال مخالفينهم ونسائهم ، وهم يرون ذلك . انظر آرامم في الملل ١ : ١٨٣ والفرق ٧٠ والسماقي ٣٥٤ والمواقف ٦٤٠ ومفاتيح العلوم ١٦ والكامل ٦٠٤ . ط :

« والصفوى » تحريف .

(١٤ - رسائل الجاحظ)

أصحاب الخُلُقَانِ<sup>(١)</sup> ، والسَّمَاكِينِ ، والنَّخَّاسِينَ والحَاكَةَ ، في كُلِّ بَلَدٍ ومن كُلِّ جَنَسٍ ، شِرَارَ خَلْقِ اللَّهِ في المِبَايَعَةِ والمَعَامَلَةِ . فَعَلَّمْنَا بِذَلِكَ أَنَّ ذَلِكَ خَلْقَةٌ في هَذِهِ الصَّنَاعَاتِ ، وَبِنِيَّةٍ في هَذِهِ التِّجَارَاتِ ، حَتَّى صَارُوا مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ النَّاسِ كَذَلِكَ .

قال : ورَأَيْنَاهُ في بِلَادِهِ لَيْسَ يُقَاتِلُ عَلى دِينِ ، وَلَا عَلى تَأْوِيلِ ، وَلَا عَلى مُلْكٍ وَلَا عَلى خِرَاجٍ ، وَلَا عَلى عَصَبِيَّةٍ ، وَلَا عَلى غَيْرَةٍ دُونَ الحُرْمَةِ ، وَلَا عَلى حِمِيَّةٍ وَلَا عَلى عِدَاوَةٍ ، وَلَا عَلى وَطَنِ وَلَا عَلى مَنَعِ دَارٍ<sup>(٢)</sup> وَلَا مَالٍ ، وَإِنَّمَا يُقَاتِلُ عَلى السَّلْبِ والخِيَارِ في يَدِهِ . وَلَيْسَ يَخَافُ الوَعِيدَ إِن هَرَبَ ، وَلَا يَرْجُو الوَعْدَ إِن أَبْلَى عِذْرًا . وَكَذَلِكَ هُم في بِلَادِهِمْ وَغَارَاتِهِمْ<sup>(٣)</sup> وَحُرُوبِهِمْ .

وهو الطالب غير المطلوب ، ومن كان كذلك فَإِنَّمَا يَأْخُذُ العَفْوَ مِنْ قُوَّتِهِ ، وَلَا يَحْتَاجُ إلى مَجْهُودِهِ ، ثُمَّ مَعَ ذَلِكَ لَا يَقُومُ لَهُ شَيْءٌ ، وَلَا يَطْمَعُ فِيهِ أَحَدٌ ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ ، أَن لَوْ<sup>(٤)</sup> اضْطَرَّه إِحْرَاجٌ أَوْ غَيْرَةٌ<sup>(٥)</sup> ، أَوْ غَضَبٌ أَوْ تَدْيِينٌ ، أَوْ عَرَضَ لَهُ بَعْضُ مَا يَصْحَبُ المِقَاتِلَ المَحَائِمِ مِنَ العِلَلِ والأَسْبَابِ .

قال : وَقَنَاةُ الخَارِجِيِّ طَوِيلَةٌ صَمَاءٌ ، وَقَنَاةُ التَّرِكِيِّ مِطْرَدٌ أَجُوفٌ<sup>(٦)</sup> . وَالقَنَاةُ الجُوفُ القِصَارُ أَشَدُّ طَعْنَةً ، وَأَخْفُ مَحْمِلًا . وَالعِجْمُ تَجْعَلُ القَنَاةَ الطُّوَالَ لِلرَّجَالَةِ ، وَهِيَ قَنَاةُ الأَبْنَاءِ<sup>(٧)</sup> عَلى أَبْوَابِ الخِنَادِقِ والمِضَابِقِ .

(١) يراد بهم من يبيعون الخلقان من الثياب ، جمع خلق ، بالتحريك ، وهو البالي . وانظر الحيوان ٢ : ١٠٥ .

(٢) ب فقط : « ومنع دار » .

(٣) في الأصول : « وعاداتهم » ، وأثبتت ما في مع والرسائل .

(٤) ب ، م : « أولو » ط : « ولو » ، صوابه في مع والرسائل .

(٥) ب ، م : « إخراج أو غيره » ط : « إخراج أو غيره » ، صوابه من مع والرسائل .

(٦) المِطْرَدُ ، بكسر الميم : رمح قصير .

(٧) ب : « قنائة » ، وإنما تجتمع القنائة على قنوات وقنات وقنات ، الأخيرة على وزن فَعُولٍ .

وفي مع والرسائل : « قنات الأبناء » . والأبناء سبق القول عليهم في ص ١٦٧ .



والأبناء في هذا الباب لا يجرون مع الأتراك والخراسانية ، لأنَّ الغالب على الأبناء المطاعنةُ على أبواب الخنادق ، وفي المضايق ، وهؤلاء أصحاب الخيل والفُرسان ، وعلى أصحاب الخيل والفرسان يدور أمر الفروسية<sup>(١)</sup> . لهم الفرُّ والكرُّ . والفارس هو الذي يطوى الجيش طياً السَّجِل<sup>(٢)</sup> ، ويفرقهم فرَّق الشعر<sup>(٣)</sup> . وليس يكون الكمين ولا الطليعة ولا السَّاقَة إلاَّ الكبار منهم<sup>(٤)</sup> . وهم أصحاب الأيام المذكورة ، والحروب الكبار ، والفتوح العظام .

#### ٢٤ - فصل منها

والشَّحُّ على الوطن ، والحنين إليه ، والصَّبابَةُ به ، مذكور في القرآن<sup>(٥)</sup> ، مخطوط في الصُّحف بين جميع الناس ، غير أنَّ التركيَّ للعلل التي ذكرناها أشدُّ حنيناً ، وأكثر نزوعاً<sup>(٦)</sup> .

وباب آخر مما كان يدعوهم إلى الرجوع قبل ثنى العزم<sup>(٧)</sup> والعادة المنقوضة : وذلك أنَّ الترك قومٌ يشتدُّ عليهم الحَضْر<sup>(٨)</sup> والجُثوم<sup>(٩)</sup> ،

- 
- (١) ب ، م : « الفروس » ، صوابه في ط . وفي مج والرسائل : « تدور الجيوش »  
 (٢) السجل : الصحيفة ، والكتاب الكبير ، والسجل : الكاتب أيضاً أو ملك يطوى كتب بني آدم إذا رفعت إليه ، وبهما فسر الآية الكريمة : « يوم نظوى السماء كملى السجل للكتب » في الآية ١٠٤ من الأنبياء . ب : « على السجل » ، صوابه في م ، ط ومج والرسائل .  
 (٣) مج والرسائل : « ويفرقهم تفريق الشعر » .  
 (٤) في الرسائل فقط : « وليس يكون الكمين إلا منهم ولا الطليعة ولا الساقَة » .  
 (٥) في آيات كثيرة فيها ذكر « الديار » . ينظر لها المعجم المفهرس .  
 (٦) النزوع والنزاع أيضاً : الحنين والاشتياق إلى الأهل والوطن . ب : « نزعا » تحريف . وفي مج : « نزاعا » . وأصل النزاع المغالبة ، يقولون : نازعتنى نفسى إلى هواها أى غالبتنى . كما يقولون نزع إلى أهله ووطنه نزوعاً .  
 (٧) ب ، م : « عزم الثاني » ، وأثبت ما في ط . وفي مج والرسائل : « قبل العزم الثابت » .  
 (٨) في جميع الأصول وكذا في مج : « الحضر » ، وأثبت ما في الرسائل .  
 (٩) جثم جثوماً : لزوم مكانه فلم يبرحه . وهذه الكلمة ساقطة من ط . وفي ب : « الحنثوم » وفي م : « الحنثوم » ، صوابها من مج والرسائل .

وطول اللَّبِثِ والمُكْثِ ، وَقِلَّةُ التَّصَرُّفِ والتَّحَرُّكِ<sup>(١)</sup> . وَأَصْلُ بِنِيَتِهِمْ  
 إِنَّمَا وَضِعَ عَلَى الْحَرَكَةِ ، وَلَيْسَ لِلسُّكُونِ فِيهِمْ نَصِيبٌ ، وَفِي قُوَى أَرْوَاحِهِمْ  
 فَضْلٌ عَلَى قُوَى أَبْدَانِهِمْ ، لِأَنَّهُمْ أَصْحَابُ تَوْقُيدٍ وَحَرَارَةٍ ، وَاشْتِعَالٍ وَفِطْنَةٍ<sup>(٢)</sup> ،  
 كَثِيرَةٌ خَوَاطِرُهُمْ ، سَرِيعٌ لِحْظُهُمْ . وَكَانُوا يَرُونَ الْكِفَايَةَ مَعْجَزَةً ، وَطُولَ  
 الْمَقَامِ بُلْدَةً<sup>(٣)</sup> ، وَالرَّاحَةَ عَقْلَةً<sup>(٤)</sup> وَالْقِنَاعَةَ مِنْ قِصْرِ الْهَمَّةِ ، وَأَنَّ تَرَكَ  
 الْغَزْوِ يورث الذَّلَّةَ .

وقد قالت العرب في مثل ذلك : قال عبد الله بن وهب الراسبي<sup>(٥)</sup> :  
 « حُبُّ الْهُوَيْنِيِّ يُكْسِبُ النَّصَبَ » .

والعرب تقول : « من غلا دماغه في الصَّيْفِ غَلَّتْ قِدْرُهُ فِي الشِّتَاءِ » .

وقال أكرم بن صبيح : « مَا أَحَبُّ أَنِّي مَكْنِي كُلَّ أَمْرِ الدُّنْيَا » ، قِيلَ :  
 ولم ؟ قال : « أَخَافُ عَادَةَ الْعَجْزِ<sup>(٦)</sup> » .

فهذه كانت عِلَلُ التُّرْكِ فِي حُبِّ الرَّجُوعِ ، وَالْحَنِينِ إِلَى الْوَطَنِ .

وَمِنْ أَعْظَمِ مَا كَانَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الشُّرُودِ ، وَيُبْعَثُهُمْ عَلَى الرَّجُوعِ ،  
 وَيُكْرَهُ عِنْدَهُمُ الْمَقَامُ ، مَا كَانُوا فِيهِ مِنْ جَهْلِ قُوَادِمِهِمْ بِأَقْدَارِهِمْ ، وَقِلَّةِ  
 مَعْرِفَتِهِمْ بِأَخْطَارِهِمْ ، وَإِغْفَالِهِمْ مَوْضِعَ الرَّدِّ عَلَيْهِمْ<sup>(٧)</sup> ، وَالانْتِفَاعِ

(١) ب ، م : « والتحرق » ط : « والتحرف » ، صوابهما في مج والرسائل .

(٢) هذا ما في ط . وفي ب ، م ومج والرسائل : « واشتغال » بالنين المعجمة .

(٣) البلدة بضم الباء وفتحها : ضد الذكاء والنفاذ والمضاء في الأمور ، ومثلها البلادة .

ط ، ومج والرسائل : « بلادة » .

(٤) عقلة ، بضم العين المهملة : أي تمقل صاحبها وتحبسه عن الانطلاق . ط فقط : « غفلة » .

(٥) الراسبي : نسبة إلى راسب بن ميدعان بن مالك بن نصر بن الأزدي . وكان عبد الله هذا قد

خرج على علي في أربعة آلاف ، وبايعه الخوارج لعشر خلون من شوال سنة ٣٧ وقاتل يوم

النهر وان سنة ٣٨ كما في الطبري . وانظر التنبيه والإشراف ٢٥٦ وجمهرة ابن حزم ٣٨٩ .

(٦) م : « عارة العجز » . تحريف . وفي الرسائل : « أخاف العجز » .

(٧) الرد : النفع ، من قولهم : هذا أرد من ذلك ، أي أنفع .

بهم ، ولأنهم حين جعلوهم أسوةً أجنادهم<sup>(١)</sup> لم يقنعوا أن يكونوا في الحاشية والحشوة ، وفي غمارِ العامة<sup>(٢)</sup> ، ومن عرض العساكر ، وأنفوا [ من ذلك ]<sup>(٣)</sup> لأنفسهم ، وذكروا ما يجب لهم ، ورأوا أن الضيم لا يليق بهم ، وأن الخمول لا يجوز عليهم ، وأنهم في المقام على من لم يعرف حقهم ألوم من منعهم حقهم . فلما صادفوا ملكاً حكيماً ، وبأقدار الناس عليماً ، لا يميل إلى سوء عادة ، ولا يجنح إلى هوى ، ولا يتعصب لبلد على بلد ، يدور مع التدبير حيثما دار<sup>(٤)</sup> ، ويقدم مع الحزم حيثما أقام - أقاموا إقامة من منح الحظ<sup>(٥)</sup> ، ودان بالحق<sup>(٦)</sup> ، وتبذ العادة ، وآثر الحقيقة ، ورحل نفسه لقطيعة وطنه<sup>(٧)</sup> ، وآثر الإمامة على ملك الجبرية ، واختار الصواب على الألف .

ثم اعلم بعد ذلك كله أن كل أمة وقرن وجيل وبنى أب وجدتهم قد برعوا في الصناعات ، وفضلوا الناس في البيان ، أو فاقوهم في الآداب<sup>(٨)</sup> أو في تأسيس الملك ، أو في البصر بالحرب<sup>(٩)</sup> . فإنك لا تجدهم في العاية وفي أقصى النهاية ، إلا أن يكون الله تعالى قد سخرهم لذلك المعنى بالأسباب ، وقصرهم عليه بالعلل التي تقابل تلك

(١) وكذا في مج . وفي الرسائل : « حتى جعلوهم » ، بإسقاط « ولأنهم » .

(٢) الغار : جمع غمرة ، بالفتح ، وهي الزحمة من الناس والماء ، وفي حديث أويس : « أكون في غمار الناس » ، أي جمهم المتكاثف . وفي الأصول : « نجارة العامة » صوابه في مج والرسائل .

(٣) التكلة من مج والرسائل .

(٤) ط : « مع التدبير مدار » .

(٥) هذا ماق ط . وفي م : « فهم الخط » ، وفي ب : « فهم الخط » .

(٦) في جميع الأصول : « ودار بالحق » ، وأثبت ماق مج والرسائل .

(٧) رحل نفسه لكذا ، إذا صبر على آذاه . وفي جميع الأصول : « ووصل نفسه بقطيعة

وطنه » ، وأثبت ماق مج والرسائل .

(٨) ب ، م : « وفاقوهم في الآداب » ، وفي ط : « وفاقوهم » . وأثبت ماق مج والرسائل .

(٩) في جميع النسخ : « أو في النصر بالحرب » ، صوابه في مج والرسائل .

الأُمور ، وتصلُّح لتلك المعاني ، لأنَّ من كان متقسِّمَ الهوى ، مُشترَكَ الرَّأْيِ ، متشعِّبَ النَّفْسِ<sup>(١)</sup> ، غير موفِّرٍ على ذلك الشيء ، ولا مهيباً له ، لم يحذِق من تلك الأشياء شيئاً بأسره ، ولم يبلغ فيه غايته ، كأهل الصِّين في الصَّناعات ، واليونانيِّين في الحِكم والآداب ، والعربِ فيما نحن ذاكره في موضعه ، والسَّاسانِ<sup>(٢)</sup> في الملك ، والأتراك في الحروب .

ألا ترى أنَّ اليونانيِّين الذين نظروا في العِلل لم يكونوا تُجَّاراً ولا صُنَّاعاً بأَكْفَهُم ، ولا أصحابَ زرعٍ وفِلاحة ، وبناءٍ وغَرْس ، ولا أصحابَ جمعٍ ومنعٍ وكدٍّ<sup>(٣)</sup> . وكانت الملوك تفرِّغُهُم<sup>(٤)</sup> ، وتُجرِّى عليهم كفايتهم ، فنظروا حين نظروا بأنفسِ مجتمعة ، وقوَّة وافرة ، وأذهانٍ فارغة ، حتَّى استخرجوا الآلات والأدوات ، والملاهي التي تكون جَمَاماً للنفس ، وراحةً بعد الكدِّ ، وسُروراً يداوى قرْحَ المهموم<sup>(٥)</sup> ، فصنعوا من المرافق ، وصاغوا من المنافع ، كالقرسطنونات<sup>(٦)</sup> ، والقَبانات ،

(١) الرسائل فقط : « ومتشعب النفس » .

(٢) مَج والرسائل : « وآل ساسان » .

(٣) في مَج والرسائل : « ومنع ، وحرص وكد » .

(٤) ب ، ط : « تفرغهم » ، صوابه في م والرسائل .

(٥) القرَح ، بالفتح والضم : الجرح . ب : « فرج المهموم » م : « فرح المهموم ، ط :

« فرح المهموم » ، وأثبت ما في مَج . وفي الرسائل : « قرح الهوموم » .

(٦) في النزعة المبهجة لداود الأنطاكي بهامش تذكرة داود ١ : ١٥ : « علم مركز

الأنفال مثل القرسطيون ، يعني القبان » . كما جاء في كتاب التربيع والتدوير ص ١٣٨ ساسي :

« وخبرني عن القرسطون كيف أخرج أحد راسيه ثلاثمائة رطل ذلك أم نقص ، ووزن

جميعه ثلاثون رطلا زاد ذلك أو نقص » . وانظر الحيوان ١ : ٨١ . ويبدو أنه ضرب من

الميزان القبان .

والأسطرلابات<sup>(١)</sup> ، وآلة الساعات ، وكالكونيا<sup>(٢)</sup> ، والكسيران<sup>(٣)</sup> ،  
والبركار<sup>(٤)</sup> ، وكأصناف المزامير والمعازف ، والطب<sup>(٥)</sup> والحساب ،  
والهندسة ، واللحون ، وآلات الحرب ، وكالمجانيق ، والعَرَادَات<sup>(٦)</sup> ،  
والرَتِيَلَات<sup>(٧)</sup> ، والدَّبَابَات ، وآلة النَّفَّاطِين ، وغير ذلك مما يطول ذكره<sup>(٨)</sup> .

وكانوا أصحابَ حِكْمَةٍ ، ولم يكونوا فَعَلَةً . يَصُورُونَ الآلَةَ ، وَيَخْرِطُونَ  
الأدَاةَ<sup>(٩)</sup> ، وَيَصُوغُونَ المِثْلَ ولا يحسنون العمل بها<sup>(١٠)</sup> ، ويشيرون  
إليها ولا يمسونها ، يُرَغَّبُونَ في التعلّم<sup>(١١)</sup> ، وَيَرَغَّبُونَ عن العمل .

فَأَمَّا سَكَّانُ الصِّينِ فإِنَّهُمْ أَصْحَابُ السَّبِكِ والصِّيَاغَةِ ، والإفْرَاغِ  
والإذَابَةِ ، والأَصْبَاغِ العَجِيبَةِ ، وَأَصْحَابُ الحَرْطِ والنَّجْرِ<sup>(١٢)</sup> والتَّصَاوِيرِ ،

(١) الأسطرلاب أو الأسطرلاب : مقياس النجوم ، هو باليونانية : أسطرلابون .  
وأسطر هو النجم ، ولابون هو المرأة . وقد يهذى بعض المولعين بالاشتقاق في هذا المعنى بما لمعنى  
له ، وهو أنهم يزعمون أن لاب اسم رجل وأسطر جمع سطر . وهذا اسم يوناني ، اشتقاقه  
من لسان العرب جهل وتخلف . انظر مفاتيح العلوم للخوازمي ص ١٣٤ والحيوان ١ : ٢/٨١ :  
٢٤٢ . وقد وقع صاحب القاموس في هذا الوهم الذي نبه عليه الخوارزمي في مادة (لوب) .

(٢) ب ، ط : « وكالكونيا » وفي م : « والكرنيا » ، وأثبت مافي مع والرسائل . وجاء  
في مفاتيح العلوم : « الكونيا » بالواو كما أثبت وقال : « للنجارين يقدرون بها الزاوية القائمة » .

(٣) كذا في جميع الأصول . وفي مع : « والكشتوان » ، وفي الرسائل : « وكالشيزان » .

(٤) في جميع النسخ « والبوكار » ، صوابه في مع والرسائل . والبركار : آلة هندسية مركبة  
من ساقين متصلتين ، تثبت إحداهما وتدور حولها الأخرى ، ترسم بها الدوائر والأقواس ، وهي  
في العامة المصرية « البرجل » ، وفي الفارسية : « بركار » .

(٥) مع والرسائل : « وكالطب » .

(٦) العرادة : منجنيق صغير . والمنجنيق : آلة ترمى بها الحجارة ونحوها في القتال .

وانظر حواشي البيان ٣ : ١٧ . ط : « والقرادات » ، تحريف .

(٧) انظر ما سبق في حواشي ١ : ٦٩ .

(٨) ب فقط : « يطيل ذكره » ، تحريف .

(٩) م فقط : « الادات » ، تحريف .

(١٠) في جميع الأصول : « به » ، صوابه في الرسائل . وفي مع : « ويصوغون المثال

ولا يحسنون العمل به » .

(١١) مع والرسائل : « في العلم » .

(١٢) مع والرسائل : « والنحت » .

وَالنَّسِجَ وَالْحَطَّ<sup>(١)</sup> ، وَرَفِقَ الكَفِّ فِي كُلِّ شَيْءٍ يَتَوَلَّوْنَهُ وَيُعَانُونَهُ ،  
وَإِنْ اِخْتَلَفَ جَوْهَرُهُ ، وَتَبَايَنَتِ صِنْعَتُهُ ، وَتَفَاوَتَ ثَمَنُهُ<sup>(٢)</sup> .

فَالْيُونَانِيُّونَ يَعْرِفُونَ الْعِلَلَ وَلَا يَبَاشِرُونَ الْعَمَلَ ، وَسُكَّانُ الصِّينِ  
يَبَاشِرُونَ الْعَمَلَ وَلَا يَعْرِفُونَ الْعِلَلَ ؛ لِأَنَّ أَوْلَئِكَ حِكْمَاءُ ، وَهَؤُلَاءِ فَعَلَةٌ .

وَكَذَلِكَ الْعَرَبُ لَمْ يَكُونُوا تِجَاراً وَلَا صُنَاعاً ، وَلَا أَطْبَاءً وَلَا حُسَاباً  
وَلَا أَصْحَابَ فَلَاحَةٍ ، فَيَكُونُوا مَهَنَةً<sup>(٣)</sup> ، وَلَا أَصْحَابَ زَرْعٍ ، لَخَوْفِهِمْ  
صَغَارَ الْجِزْيَةِ<sup>(٤)</sup> . وَلَمْ يَكُونُوا أَصْحَابَ جَمْعٍ وَكَسْبٍ ، وَلَا أَصْحَابَ  
اِحْتِكَارٍ لِمَا فِي أَيْدِيهِمْ ، وَطَلَبٍ لِمَا عِنْدَ غَيْرِهِمْ ، وَلَا طَلَبُوا<sup>(٥)</sup> الْمَعَاشَ مِنْ  
السَّنَةِ الْمَوَازِينِ وَرُءُوسِ الْمَكَايِيلِ ، وَلَا عَرَفُوا الدَّوَانِيْقَ وَالقَرَارِيْطَ ، وَلَمْ  
يَفْتَقِرُوا الْفَقْرَ الْمُدْفَعَ الَّذِي يَشْغَلُ عَنِ الْمَعْرِفَةِ ، وَلَمْ يَسْتَغْنَوْا الْغِنَاءَ الَّذِي  
يُورِثُ الْبُلْدَةَ<sup>(٦)</sup> ، وَالثَّرْوَةَ الَّتِي تُحَدِّثُ الْغِرَّةَ<sup>(٧)</sup> ، وَلَمْ يَحْتَمِلُوا ذَلَّاقَةً  
فِيْمِيتَ قُلُوبِهِمْ ، وَيَصْغُرُ<sup>(٨)</sup> عِنْدَهُمْ أَنْفُسَهُمْ . وَكَانُوا سُكَّانَ فَيَافٍ ،  
وَتَرْبِيَةِ الْعَرَاءِ ، لَا يَعْرِفُونَ الْعَمَقَ وَلَا اللَّثْقَ<sup>(٩)</sup> ، وَلَا الْبُخَارَ وَلَا الْغِلْظَ<sup>(١٠)</sup> ،

(١) فِي الرِّسَالِ : « وَالنَّسِجَ وَالْحَطَّ » .

(٢) ثَمَنُهُ ، سَاقِطَةٌ مِنْ م .

(٣) فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ : « كَانَ النَّاسُ مَهَنَةً أَنْفُسِهِمْ » ، جَمْعُ مَا هِنَ ، كَكَاتِبٍ وَكُتِبَ ، وَيُقَالُ  
مَهَانٌ أَيْضاً كَكَاتِبٍ وَكُتِبَ .

(٤) الصَّغَارُ ، بِالْفَتْحِ : الذَّلُّ وَالضَّيْمُ .

(٥) ب : « وَلَا طَلَبَ » .

(٦) الْغِنَاءُ ، بِالْفَتْحِ : ضِدُّ الْفَقْرِ ، وَهُوَ الْغِنَى بِالْكَسْرِ وَالْقَصْرُ . ب : « الْغِنَاءُ » م :  
« الْغِنَاءُ » ، وَجِهَهُمَا مَا أُثْبِتَ مِنْ مِج . وَفِي ط ، وَالرِّسَالِ : « الْغِنَى » . وَالْبِلَادَةُ : بِضَمِّ الْبَاءِ  
وَفَتْحِهَا : ضِدُّ النِّفَازِ وَالذِّكَاةِ وَالْمَضَاءِ فِي الْأُمُورِ . وَفِي ط : « الْبِلَادَةُ » وَفِي مِج : « التَّبْلِيدُ » .

(٧) ب ، م : « الْعِزَّةُ » صَوَابُهُ فِي ط وَمِج وَالرِّسَالِ . وَالغِرَّةُ : الْغَفْلَةُ .

(٨) ب : « أَوْ تَصْغِيرُ » صَوَابُهُ فِي م ، ط . وَفِي مِج : « أَوْ يَصْغُرُ » ، وَفِي الرِّسَالِ :

« وَيَصْغُرُ » .

(٩) الْعَمَقُ ، بِالتَّحْرِيكِ : التَّنْدِي وَالرُّطُوبَةُ وَالْوَحَامَةُ . وَاللَّثْقُ : التَّنْدِي مَعَ سُكُونِ الرَّيْحِ .

(١٠) فِي جَمِيعِ النِّسَخِ : « الْغِلْظُ » بِالطَّاءِ الْمَهْمَلَةِ ، صَوَابُهُ بِالطَّاءِ الْمَعْجَمَةِ ، وَهُوَ ضِدُّ الرِّقَّةِ

فِي الْخَلْقِ وَالطَّبِيعِ وَالْعَيْشِ ، وَالْمُرَادُ غِلْظُ الْهَوَاءِ .

ولا العَفَنَ ، ولا التَّخَمَ (١) . أذهانٌ حديدة (٢) ، ونفوسٌ منكرة . فحين حملوا حدهم (٣) ، ووجهوا قواهم إلى قول الشعر ، وبلاغة المنطق ، وتشقيق اللغة (٤) ، وتصارييف الكلام ، وقيافة البشر بعد قيافة الأثر ، وحفظ النسب ، والاهتداء بالنجوم ، والاستدلال بالآثار ، وتعرف الأنواء (٥) ، والبصر بالخييل والسلاح وآلة الحرب ، والحفظ لكل مسموع ، والاعتبار بكل محسوس ، وإحكام شأن المناقب والمثالب ، بلغوا في ذلك الغاية ، وحازوا كل أمنية . وبيعض هذه العلل صارت نفوسهم أكبر ، وهممهم أرفع ، وهم من جميع الأمم أفخر (٦) ، ولأيامهم أذكّر .

وكذلك الترك ، أصحاب عميد ، وسكان فياف ، وأرباب مواش . وهم (٧) أعراب العجم ، كما أن هذيلًا أكراد العرب ، لم تشغلهم الصناعات ولا التجارات ، ولا الطب والفلاحة والهندسة ، ولا غراس ولا بُنيان ، ولا شق أنهار ، ولا جباية غلات ، ولم يكن لهم غير الغارة والغزو والصيد ، وركوب الخيل ، ومقارعة الأبطال ، وطلب الغنائم ، وتدويخ البلاد . وكانت (٨) هممهم إلى ذلك مصروفة ، وكانت هذه المعاني والأسباب مسخرة ، ومقصورة عليها وموصولة بها ، أحكموا ذلك الأمر بأسره ، وأتوا على آخره ، وصار ذلك هو صناعتهم وتجارتهم ، ولذتهم في الحرب وفخرهم ، وحديثهم وسمرهم .

فلما كانوا كذلك صاروا في الحرب كاليونانيين في الحكمة ،

(١) النخم : الوحم ، وهو الوباء .

(٢) معج والرسائل : « حداد » .

(٣) ب فقط : « أحدهم » ، تحريف .

(٤) ط فقط : « وتشقيق اللغة » ، تحريف .

(٥) ط : « الأنوار » ، تحريف .

(٦) وكذا في معج ، لكن في الرسائل : « وهمهم أرفع من جميع الأمم وأفخر » .

(٧) ب : « والترك » . (٨) التكملة من م ، ط ، معج والرسائل .

وأهل<sup>(١)</sup> الصِّينِ في الصناعات ، والأعرابِ فيما عددنا ونزلنا<sup>(٢)</sup> ،  
وكالساسان<sup>(٣)</sup> في الملك والسياسة .

ومِمَّا يُستدلُّ به على أنهم قد استقصَوْا هذا البابَ واستفرغوه ،  
وبلغوا أقصى غايته وتعرفوه ، أَنَّ السَّيْفَ إلى أَنْ يتقلَّده متقلِّدٌ ، أو  
يضرب به ضارب<sup>(٤)</sup> ، قد مرَّ على أيدي كثيرة ، وعلى طبقاتٍ من  
الصُّنَّاعِ ، كلُّ واحدٍ منهم لا يعمل عملَ صاحبه ولا يُحسنه ، ولا يدعيه  
ولا يتكلفه ؛ لأنَّ الذي يُذِيب حديد السَّيْفِ ويُبيعه ويصفيه ويُهذِّبه ،  
غيرُ الذي يمدُّه ويمطِّله<sup>(٥)</sup> ، والذي يمدُّه ويمطِّله<sup>(٦)</sup> غيرُ الذي يطبِّعه  
ويسوي متنه ، ويقيم خشيبته<sup>(٧)</sup> ، والذي يطبِّعه ويسوي متنه غير<sup>(٨)</sup>  
الذي يسقيه ويُرْهفه ، والذي يسقيه ويُرْهفه ، غيرُ الذي يركِّب قبِيعته ،  
ويستوثقُ من سيلانه<sup>(٩)</sup> ، والذي يعمل مسامير السَّيْلانِ ، وشاربِي  
القبِيعَة<sup>(١٠)</sup> ونعلَ السَّيْفِ<sup>(١١)</sup> غيرُ الذي ينحت خشبَ غِمدِه . والذي  
ينحت خشبَ غِمدِه غيرُ الذي يدبغُ جِلده ، والذي يدبغُ جِلده غيرُ  
الذي يحلِّيه ، والذي يحلِّيه ويركِّب نصله غيرُ الذي يخرِّزُ حمائله .

(١) ب فقط : « وأصل » ، تحريف .

(٢) ب ، م : « ونولنا » ط : « ونوعنا » ، صوابهما في مع والرسائل .

(٣) مع والرسائل : « وكالساسان » .

(٤) في جميع النسخ : « ويضربه ضارب » ، صوابه في مع والرسائل .

(٥) المطل : المد والبسط . ط : « ويمطه » .

(٦) ط : « ويمطه » .

(٧) يقال سيف مشقوق الخشبية : عرض حين طبع . ب فقط : « خشابته » .

(٨) ب ، م : « سوى » .

(٩) السيلان ، بالكسر : سنخ قائم السيف ، أي أصل مقبضه .

(١٠) القبِيعَة : ما على مقبض السيف من فضة أو حديد . والشاربان : أنفان طويلان في

أصل مقبض السيف . وفي ب : « وشاذى القبِيعَة » وفي م ، ط : « وشاذى القبِيعَة » .

(١١) نعل السيف : الحديدية التي تكون في أسفل جفته من حديدية أو فضة ، وفي الحديث :

« كان نعل سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضة » . مع والرسائل : « ونصل السيف » .



وكذلك السَّرْجُ ، وحالات السَّهْمِ والجَعْبَةِ والرُّمَحِ ، وجميع السلاح مما هو جارح<sup>(١)</sup> أو جُنَّةٌ .

والتركيُّ يعمل هذا كله بنفسه ، من ابتدائه إلى غايته ، ولا يستعينُ برفيقي ، ولا يَفْزَعُ إلى رأى صديق ، ولا يختلف إلى صائغ ، ولا يَشْغَلُ قلبه بمطاله وتسويفه<sup>(٢)</sup> ، وأكاذيبِ مواعيده ، وبغُرمِ كِرَائِهِ<sup>(٣)</sup> .

وليس في الأرض كلُّ تركيٍّ كما وصفنا ، كما أنه ليس كلُّ يونانيٍّ حكيماً ، ولا كلُّ صينيٍّ حاذقاً ، ولا كلُّ أعرابيٍّ شاعراً فائقاً<sup>(٤)</sup> ، ولكن هذه الأمور في هؤلاء أعمُّ وأنمُّ ، وفيهم أظهر وأكثر .

قد قلنا في السَّببِ الذي تكاملت به النجدة والفروسيَّة في الترك دونَ جميع الأمم ، وفي العلل<sup>(٥)</sup> التي من أجلها نظموا جميع معاني الحرب ، وهي معاني تشتمل على مذاهب غريبة ، وخصالٍ عجيبة ، فمنها ما يُقْضَى<sup>(٦)</sup> لأهله بالكرم ، وببُعدِ الهمة ، وطلبِ الغاية . ومنها ما يدلُّ على الأدب السديد<sup>(٧)</sup> ، والرأى الأصيل ، والفطنة الثاقبة ، والبصيرة النافذة .

ألا ترى أنه ليس بدُّ لصاحب الحرب من الحلم والعلم ، والحزم والعزم ، والصبر والكيان ، ومن الثقافة وقلة الغفلة ، وكثرة التجربة ؟ ولا بدُّ من البصر بالخيالِ والسَّلاحِ<sup>(٨)</sup> ، والخبرة بالرجال والبلاد ،

(١) م ، ط : « خارج » ، صوابه في ب ، ومع الرسائل .

(٢) م ، ط : « بمطله وتسويفه » . والمطل والمطال : التسويف وتأجيل موعد الوفاء بالشيء .

(٣) هذا الصواب من مع و الرسائل . وفي ب : « وبغرم كرائه » ، وفي م : « وبغرم كرائه » وفي ط : « وبغرم كرائمه » .

(٤) مع و الرسائل : « فائقاً » . القائف : الذي يتتبع الآثار ويعرفها ، ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه . وأثبت ما في سائر النسخ

(٥) كذا في مع و الرسائل . وفي جميع النسخ : « في العلل » بسقوط الواو .

(٦) في الأصول : « يقضى » بالغاء ، وأثبت ما في مع و الرسائل .

(٧) كذا في مع و الرسائل . وفي ب : « الأرب الشديد » ، وفي م ، ط : « الأدب الشديد » .

(٨) ب : « في الخليل والسلاح » ، وفي مع : « من البصر في الخيول والسلاح » .

والعلم بالمكان والزمان والمكاييد ، وبما فيه صلاحُ الأمورِ كُلِّها<sup>(١)</sup> .  
 والمُلْكُ يَحْتَاجُ إلى أَوْاخٍ شِدَادٍ ، وَأَسْبَابٍ مِثَانٍ ، وَمَنْ أَمْتَنَهَا  
 سَبباً ، وَأَعْمَهَا نَفْعاً ، مَا ثَبَّتَهُ فِي نَصَابِهِ<sup>(٢)</sup> ، وَسَكَّنَهُ فِي قَرَارِهِ ، وَزَادَهُ  
 فِي تَمَكِينِهِ وَبَهَائِهِ ، وَقَطَعَ أَسْبَابَ المَطْمَعَةِ فِيهِ ، وَمَنَعَ أَيْدِيَ البُغَاةِ مِنَ  
 الإِشَارَةِ إِلَيْهِ ، فَضْلاً عَنِ البِسْطِ عَلَيْهِ .

قد قلنا في مناقب جميع الأصنافِ بِجُمْلٍ ما انتهى إلينا ، وَبَلَغَهُ  
 عَلْمُنَا ، فَإِنْ وَقَعَ بِالمُوافَقَةِ فَبِتَوْفِيقِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَصُنْعِهِ ، عَزَّ ذِكْرُهُ .  
 وَإِنْ قَصَّرَ دُونَ ذَلِكَ فَالذِي قَصَّرَ بِنَا<sup>(٣)</sup> نُقْصَانُ عَلْمِنَا ، وَقَلَّةُ حِفْظِنَا ،  
 وَأَسَاعِنَا<sup>(٤)</sup> . فَأَمَّا حُسْنُ [النِّيَّةِ<sup>(٥)</sup>] ، وَالذِي نَضَمَرُ مِنَ المَحَبَّةِ وَالجَهْدِ  
 فِي القُرْبَةِ ، فَإِنَّا لَا نَرْجِعُ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْفُسِنَا بِلائِمَةٍ . وَبَيْنَ التَّقْصِيرِ  
 مِنْ جِهَةِ العِزِّ وَضَعْفِ القُوَّةِ<sup>(٦)</sup> فَرَقٌ .

ولو كان هذا الكتاب من كُتُبِ المناقضات ، وَكُتُبِ المسائل  
 والجوابات ، وكان كلُّ صنف من هذه الأصناف يريد الاستقصاء على  
 صاحبه ، ويكون غايته إظهار نفسه وإن لم يصل إلى ذلك إِلَّا بِإِظْهَارِ  
 نَقْصِ أَخِيهِ وَوَلِيِّهِ ، لكان كتابنا كبيراً ، كثير الورق عظيماً . ولكنَّ  
 القليل الذي يَجْمَعُ ، خَيْرٌ مِنَ الكَثِيرِ الذي يَفْرُقُ .

ونحن نعوذ بالله من هذا المذهب ، ونسأله العون والتسديد ، إِنَّهُ  
 سَمِيعٌ قَرِيبٌ ، فَعَالٌ لَمَّا يَرِيدُ .

- 
- (١) في الرسائل : « صلاح هذه الأمور كلها » .  
 (٢) ب : « ما بثته في نصابه » م : « ما بثته » فقط ، صوابها في ط ، ميج والرسائل .  
 (٣) ب ، م : « فا الذي قصر بنا » ، صوابه في ط وميج والرسائل .  
 (٤) ميج والرسائل : « وسمننا » .  
 (٥) التكملة من ميج والرسائل . وفي م : « وأما حسن » فقط . وفي ط : « وربما حسنه » .  
 (٦) ط : « الذي » بطرح الواو .  
 (٧) ميج والرسائل : « وضعف العزم » .

٨

من كتابه في

مُجَجَّ النَّبُوَّةِ



## ٢٥ - فصل (١) من صدر كتابه

## في حجج النبوة

الحمد لله الذي عرفنا نفسه ، وعلمنا دينه ، وجعلنا من الدعاء إليه ، والمحتجين له . فنحن نسأله تمام النعمة ، والعون على أداء شكره ، وأن يوفقنا للحق برحمته ، إنه ولي ذلك ، والقادر عليه ، والمرغوب إليه فيه ، وصلى الله على محمد وآله وسلم .

ثم إننا قائلون في الأخبار ، ومخبرون عن الآثار ، ومفرقون بين أسباب الشبهة ، وأسباب الحجة ، ثم مفرقون بين الحجة التي تلزم الخاصة دون العامة ، ومخبرون عن الضرب الذي يكون الخاصة فيه حجة على العامة ، وعن الموضع الذي يكون القليل فيه أحق بالحجة من الكثير ، ولم شاع الخبر وأصله ضعيف ؟ ولم خفي وأصله قوى ؟ وما الذي يؤمن من فساده وتبديله مع تقادم عصره ، وكثرة الطاعنين فيه (٢) ، وعن الحاجة إلى رواية الآثار ، وإلى سماع الأخبار ، وعن أخلاق الناس وآبائهم ، ومذاهب أسلافهم ، وعن سير الملوك قبلهم (٣) ، وما صنعت الأيام بهم ، وعن شرائع أنبيائهم ، وأعلام رسلهم ، وعن أدب حكمائهم ، وأقاويل أئمتهم وفقهائهم ، وعن حالات من غاب عن أبصارهم في دهرهم ، ولم كان الإخبار على الناس (٤) أخف من الكتمان ؟ ولم

(١) ب فقط : « فصل منها » .

(٢) كلمة « فيه » من ط فقط .

(٣) ب : « وعن سر الملوك قبلهم » ، تحريف .

(٤) ب ، م : « عن الناس » .

كان الصَّمْتُ أثقلَ عليهم من الكلام ؟ وما الضَّرْبُ الذى يَقْدِرُونَ على كتمانهِ وطِيَّهِ ، والضَّرْبُ الذى لا يقدرُونَ إِلَّا على إذاعته ونَشْرِهِ ؟ ولم اجتمعت الأمم على الصَّدق فى أمور ، واختلفت فى غيرها ؟ ولم حَفِظَتْ أموراً ونسيت سواها ؟ ولم كان الصَّدق أكثر من الكذب ؟ ولم كان الصَّمْتُ أثقل والقول أفضل ؟

والعجب من تركِ الفقهاء تمييزَ الآثار ، وتركِ المتكلمين القولَ فى تصحيح الأخبار ، وبالأخبار يعرفُ الناسُ النبيَّ من المتنبىِّ (١) ، والصادقَ من الكاذب ، وبها يعرفون الشريعةَ من السنة ، والفريضةَ من النافلة ، والحظرَ من الإباحة ، والاجتماعَ من الفرقة ، والشذوذَ من الاستفاضة (٢) ، والرَّدَّ من المعارضة ، والنارَ من الجنة . وعامةُ المفسدةِ من المصلحة (٣) .

فإذا نزلتُ الأخبارَ منازلها وقسمتها ، ذكرتُ حججَ الرسولِ صلى الله عليه وسلم ، ودلائلهَ وشرائعهَ وسُنَّته ، ثم جنَّستُ الآثارَ على أقدارها ، ورتبْتُها فى مراتبها ، وقربْتُ ذلك واختصرته ، وأوضحتُ عنه وبينته ، حتى يستوى فى معرفتها مَنْ قلَّ سماعه وساءَ حفظه ، ومَنْ كثرَ سماعه وجادَ حفظه ، بالوجوهِ الجليلة ، والأدلةِ الاضطرارية .

ولم أرِدْ فى هذا الكتابِ جمعَ حججِ الرسولِ عليه السلام ، وتفصيلها والقولَ فيها ، لنقصِ مَسْئَلِها (٤) ، أو لوْهِنَ كان فى أصلها من ناقلها

(١) ب : «المتنبى» بالهمز .

(٢) م فقط : «الإفاضة» .

(٣) م ، ط : «والمصلحة» .

(٤) ب : «لنقص سببها» ط : «لنقص مسألتها» م : «لنقص مسألتها» ، والوجه ما أثبت .

والمخبرين عنها ، أو لأنَّ طعنَ الملحدِّين نَهَكها وفرَّقَ جَماعتها ، ونَقَضَ قَواها . ولكنْ لأُمورٍ سأذكرها وأحتجّ .

وكيف تقصُر الحُجَّة عن بلوغِ الغاية ، وتنقُص عن التمام (١) ، والله تعالى المتوكِّل بها ، ومُسخرُ أصنافِ البريةِ ومهيِّجِ النفوسِ على إبلاغها (٢) ، وقد أخبر بذلك عن نفسه في محكم كتابه عزَّ ذكره (٣) ، حين قال : ﴿ هو الذى أرسلَ رَسولَه بالهدى ودينِ الحقِّ ليُظهِرَه على الدينِ كُلِّه ولو كرهه المُشركون (٤) ﴾ . وأدنى منازل الإظهار إظهار الحُجَّة على من ضارَّه وخالف عايه .

وقال عزَّ ذكره : ﴿ يُريدونَ ليُطفئوا نورَ اللهِ بأفواهِهِم واللهُ مُتِمُّ نُورِهِ ولو كرهه الكافرون (٥) ﴾ .

وأخبرَ أَنه أمرَ الأحمرَ والأسود ، ولم يكنْ ليأمرَ الأقصى إلَّا كما يأمرُ الأدنى (٦) ويأمرُ الغائب على الحاضر (٧) ، قال الله تعالى لنبيه عليه السلام : ﴿ وما أرسلناك إلَّا كافَّةً للناسِ بشيراً ونذيراً (٨) ﴾ .

فأقول : إنَّ كلَّ مُطيقٍ محجوج (٩) « والحُجَّة حُجَّتان : عيانٌ ظاهر ،

(١) ب : « وينقص عن التمام » ، والوجه ما في م ، ط .

(٢) ب ، م : « عن إبلاغها » .

(٣) ب : « عن ذكره » ، تحريف .

(٤) الآية : ٣٣ من سورة التوبة . وفي الكتاب العزيز أيضاً : « هو الذى أرسل رَسولَه بالهدى ودينِ الحقِّ ليُظهِرَه على الدينِ كُلِّه وكفى بالله شهِيداً » . الآية ٢٨ من سورة الفتح .

(٥) الآية ٨ من سورة الصف .

(٦) كلمة « إلَّا » ليست في جميع النسخ ، كما أن كلمة : « يكن » ساقطة من ب .

(٧) كذا في الأصول ، والوجه : « إلَّا كما يأمر الحاضر » .

(٨) الآية ٢٨ من سورة سبأ .

(٩) المطيق : القادر ، والمراد المكلف . وفي ط : « منطيق » . والمنطيق : البليغ ، ولاوجه

وخبيرٌ قاهر. فإذا تكلمنا في العيان وما يفرغ منه<sup>(١)</sup> فلا بد من التعارف في أصله وفرعه منه . ولا بد من التصادق في أصله ، والتعارف في فرعه . فالعقل هو المستدل ، والعيان والخبر هما علة الاستدلال وأصله ، ومحال كون الفرع مع عدم الأصل ، وكون الاستدلال<sup>(٢)</sup> مع عدم الدليل . والعقل مضمّن بالدليل ، والدليل مضمّن بالعقل ، ولا بد لكل واحد منهما من صاحبه<sup>(٣)</sup> ، وليس لإبطال أحدهما وجه مع إيجاب الآخر .

والعقل نوعٌ واحد ، والدليل نوعان : أحدهما شاهد عيان يدل على غائب ، والآخر مجيء خبير يدل على صدق .

ثم رجع الكلام إلى الإخبار عن دلائل النبي صلى الله عليه وسلم وأعلامه ، واحتجاج لشواهد وبرهانه ، فأقول :

إنَّ السلف الذين جمعوا القرآن<sup>(٤)</sup> في المصاحف بعد أن كان متفرقاً في الصدور ، والذين جمعوا الناس على قراءة زيد ، بعد أن كان غيرها<sup>(٥)</sup> مطلقاً غير محظور ، والذين حصنوه ومنعوه الزيادة والنقصان لو كانوا جمعوا علامات النبي صلى الله عليه وسلم ، وبرهانه ، ودلائله وآياته وصنوف بدائعه ، وأنواع عجائبه في مقامه وظعنه<sup>(٦)</sup> ، وعند دعائه واحتجاجه في الجمع العظيم ، وبحضرة العدد الكثير الذي

(١) ب : « وما يفرغ » ، تحريف .

(٢) ب ، م : « ويكون » ، صوابه في ط .

(٣) ط فقط : « من صاحب » .

(٤) ب فقط : « جعلوا القرآن » .

(٥) أى غير قراءة زيد .

(٦) الظعن ، بالفتح والتحريك : السير والارتحال . ب فقط : « وطمته » بالطاء المهملة ،



لا يستطيعُ الشكُّ في خبرهم إلاَّ الغيُّ الجاهلِ ، والعدوُّ المائلِ ، لما استطاعَ اليومَ أن يدفعَ كَوْنَهَا وصحَّةَ مَجِيئِهَا<sup>(١)</sup> ، لا زنديقٌ جاحدٌ ، ولا دُهرىٌّ معانِدٌ ، ولا متطرِّفٌ ماجنٌ ، ولا ضعيفٌ مخدوعٌ ، ولا حدِّثٌ مغرورٌ ؛ ولكان مشهوراً في عوامِّنا كشهرة في خواصِّنا ، ولكان استبصارُ جميعِ أعياننا في حقِّهم كاستبصارهم في باطلِ نصارهم ومجوسهم ، ولما وجد المَلِحِدُ مَوْضِعَ طمعٍ في غنىِّ يستميله<sup>(٢)</sup> ، وفي حدِّثِ يموه له<sup>(٣)</sup> .

ولولا كثرةُ ضُعفائنا مع كثرةِ الدُّخلاءِ فينا ، الذين نَطَقُوا بِأَسْتِنَا ، واستعانوا بعقولنا على أغيبياتنا وأغمارنا ، لما تكلفنا كَشَفَ الظَّاهِرِ ، وإظهارَ البارزِ ، والاحتجاجَ الواضحَ .

إلَّا أنَّ الذي دعا سلفنا إلى ذلك ، الاتِّكَالُ على ظهورها واستفاضةِ أمرها .

وإذ كان<sup>(٤)</sup> ذلك كذلك فلم يُؤتَ من أتى من جُهلنا وأحداثنا ، وسفهاننا وخلعائنا<sup>(٥)</sup> إلاَّ من قِبَلِ ضعفِ العنايةِ ، وقلةِ المبالاةِ ، ومن قِبَلِ الحدائثةِ والغرارةِ ، ومن قِبَلِ أنَّهم حملوا على عقولهم من دقيقِ الكلامِ قِبَلِ العلمِ بجلبيله ما لم تبلغه قواهم ، وتتنسَّعَ له صدورهم ، وتحمله أقدارُهم ، فذهبوا عن الحقِّ<sup>(٦)</sup> يميناً وشمالاً ، لأنَّ مَنْ لم يلزم الجادَّةَ تحبُّطاً ، ومَنْ تناول الفرعَ قبل إحكامِ الأصلِ سَقَطَ ، ومن خرَّقَ بنفسه

(١) ب : « وصحة مجيها » ، صوابه في م ، ط .

(٢) في جميع الأصول : « يستميله » . واستملاء الكتاب : سأله أن يمليه عليه . ولا وجه

له هنا .

(٣) م ، ط : « يموه له » .

(٤) ب ، م : « وإن كان » ، وأثبت ما في ط .

(٥) الخليج : المستهتر بالشرب والهو ، وأصله الشاطر الخبيث الذي خلعتة عشيرته وتبرمو

منه . ط : « وخلفائنا » ، تحريف .

(٦) ط فقط : « عن الحق » ، محرف ،

وكلّفها فوق طاقتها<sup>(١)</sup> ، ولم ينلّ مالا يقدر عليه تفلّت منه ما كان يقدر عليه<sup>(٢)</sup> .

فإذا كانوا كذلك فإنّما أتوا من قبيل أنفسهم ، ولم يؤتوا من سلفهم ، أو لأنّ الله تبارك وتعالى صرف أسلافنا بنسيانٍ أو غيره ليמתحن بذلك غيرهم في آخر الزمان ، وليعرضهم لطاعته بالذّب عن دينه ، والاحتجاج لنبيه صلى الله عليه وسلم ، وليجرى هذا الخير على أيديهم ، كما أجرى أكثر منه على أيدي أسلافهم ، لئلا يُبخس أحدُ خلقته<sup>(٣)</sup> من العلماء والفقهاء ، ولأنّ يجعلَ فضلَه مقسماً بين جميع الأولياء ، وإن كان الأول أحقّ بالتقديم ، والآخِرُ أحقّ بالتأخير ، للذي<sup>(٤)</sup> قدّموا من الاحتمال ، وأعطوا من المجهود ، ولأنّهم أصلُ هذا الأمرِ ونحنُ فرعُه ، والأصلُ أحقّ بالقوّة من الفرع . وهم السابقون ونحن التابعون ، وهم الذين وطّئوا لنا ، وكلّفونا ما لم نكن لنكلّفه أنفسنا ، فتجرّعوا دُوننا المرار<sup>(٥)</sup> ، ومَنحونا رُوحَ الكفاية . ولأنّ الله تعالى اختارهم لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ولأنّ القرآنَ نطقَ بفضيلتهم ؛ والله تعالى أعلمُ بمن بعدهم ، والذي جمَعَ أسلافنا<sup>(٦)</sup> الذين جمعوا النَّاسَ على قراءة زيد ، دون أبيّ بن كعبٍ وعبدِ الله بن مسعود ، والذين رأوا من قول عبد الله في المعوذتين<sup>(٧)</sup> ، وقول أبيّ في سورتي الحفد والحلَع<sup>(٨)</sup> .

(١) ب ، م : « طاقتها » .

(٢) عليه ، ساقطة من ب .

(٣) ب ، م : « لتلايخس من أحد خلقته » .

(٤) ب ، م : « للذين » ، تحريف .

(٥) المرار ، بالضم : شجر مر .

(٦) أي والله تعالى هو الذي جمع الأسلاف .

(٧) انظر في ذلك البرهان ١ : ٢٥١ والإنتقان ١ : ١٨٤ . وانظر لتليل عدم كتابته للمعوذتين ولأم الكتاب في مصحفه ، مقدمه كتاب المباني نشرة آرثر جفري ص ٩٣ ، ٩٦ - ٩٧ .

(٨) هذا التصويب من الإنتقان للسيوطي ١ : ١٨٤ . وفي جميع الأصول =

وَمِنْ تَعَلَّقِ النَّاسِ بِالِاخْتِلَافِ ، فَكَانُوا لَا يَزَالُونَ قَدْ رَأَوْا الرَّجُلَ يَرُوى الحَرْفَ الشَّاذَّ ، وَيَقْرَأُ بِالحَرْفِ الَّذِي لَا يَعْرِفُونَهُ ، فَرَأَوْا أَنَّ تَحْصِيْنَهُ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِحَمْلِ النَّاسِ عَلَى المَقْرُوءِ عِنْدَهُمْ<sup>(١)</sup> ، المشهور فيما بينهم ، وَأَنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَشُدُّوا فِي ذَلِكَ لَمْ يَنْقَطِعِ الطَّمَعُ ، وَلَمْ يَنْزَجِرِ الطَّيْرُ<sup>(٢)</sup> ، لِأَنَّ رَجُلًا مِنَ العَرَبِ لَوْ قَرَأَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ خُطْبَائِهِمْ وَبَلْغَائِهِمْ سُورَةً وَاحِدَةً ، طَوِيلَةً أَوْ قَصِيرَةً ، لِتَبَيَّنَ لَهُ فِي نِظَامِهَا وَمَخْرَجِهَا ، وَفِي لَفْظِهَا وَطَبَعِهَا ، أَنَّهُ عَاجِزٌ عَنْ مِثْلِهَا . وَلَوْ تَحَدَّى بِهَا أَبْلَغَ العَرَبِ لظَهَرَ عَجْزُهُ عَنْهَا . وَليس ذلك<sup>(٣)</sup> فِي الحَرْفِ وَالحَرْفِيْنَ ، وَالكَلِمَةِ وَالكَلِمَتَيْنِ .

أَلَا تَرَى أَنَّ النَّاسَ قَدْ كَانَ يَتَهَيَّأُ فِي طِبَائِعِهِمْ ، وَيَجْرِي عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ أَنَّ يَقُولَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : الحَمْدُ لِلَّهِ ، وَإِنَّا لِلَّهِ ، وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ، وَرَبُّنَا اللَّهُ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ ، وَهَذَا كُلُّهُ فِي القُرْآنِ ، غَيْرَ أَنَّهُ مَتَفَرِّقٌ غَيْرَ مُجْتَمِعٍ ؛ وَلَوْ أَرَادَ أَنْطَقُ النَّاسِ أَنْ يُؤَلَّفَ مِنْ هَذَا الضَّرْبِ سُورَةً وَاحِدَةً ، طَوِيلَةً أَوْ قَصِيرَةً ، عَلَى نَظْمِ القُرْآنِ وَطَبَعِهِ ، وَتَأْلِيفِهِ وَمَخْرَجِهِ لَمَا قَدَّرَ عَلَيْهِ ، وَلَوْ اسْتَعَانَ بِجَمِيعِ قَحْطَانَ وَمَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ .

وَرَأَوْا<sup>(٤)</sup> بِفَهْمِهِمْ وَبِتَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ أَنْ يَحْصِنُوهُ مِمَّا يَشْكَلُ ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُفْتَعَلَ مِثْلُهُ مِنَ الحَرْفِ وَالحَرْفِيْنَ ، وَالكَلِمَةِ وَالكَلِمَتَيْنِ ،

= : «سورتي العرب» ووجهه ما أثبت من الإتيان . وانظر النصوص فيه . وجاء في كتاب مقدمتان في علوم القرآن ص ٧٥ : «وأما ما ذكر عن أبي بن كعب أنه عد دعاء القنوت : اللهم إنا نستعينك» إلى آخره ، سورة من القرآن ، فإنه إن صح ذلك عنه فإنه كتبها في مصحفه لا على أنها من القرآن ، بل ليحفظها ولا ينساها احتياطاً ، لأنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم كان يقنت بها في صلاة الوتر .

(١) ب : «المكروه عندهم» م : «المكروه» فقط ، صوابها في في ط .

(٢) م فقط : «الطين» .

(٣) ذلك ، ساقطة من ب ، م .

(٤) ب فقط : «فأوا» .

وقد كانوا عرفوا الابتداعَ الكثير<sup>(١)</sup> على البلغاء والشعراء ، وخافوا إن هم لم يتقدموا في ذلك أن يتطرفوا عليه ، كما تطرفوا على الرواية<sup>(٢)</sup> ، لأنهم حين رأوا كثرة الرواية في غير ذوى السابقة ، ورأوا كثرة اختلافها ، والغرائب التي لا يعرفونها ، لم يكن لهم إلا تحصين الشيء الذى عليه مدار الأمر ، وإن كانوا يعلمون أن الله بالغ أمره .

فعلى الأئمة أن تحوط هذه الأمة ، كما حاط<sup>(٣)</sup> السلف أولها ، وأن يعملوا<sup>(٤)</sup> بظاهر الحيطة ، إذ كان على الناس الاجتهاد<sup>(٥)</sup> ، وليس عليهم علم الغيوب . وإنما ذلك كنعو رجل أبصر نبياً يحيى الموتى فعرف صدقه ، فلما انصرف سأله عنه بعض من لم ير ذلك ولا صحَّ عنده ، فعليه أن لا يكتمه ، وإن كان يعلم أن الله تعالى سيُعَلِّمه ذلك من قبل غيره ، وأنه عز ذكره سيسمعه صحته على حبه وكرهه .

ورأوا أن قراءة زيدٍ أحقُّ بذلك ، إذ كانت آخر العرض ، ولأنَّ الجُمع الذين سمِعُوا آخر العرض أكثرُ ممن سمع أوله ، فحملوا الناس على قراءة زيد ، دون أبي وعبد الله ، وإن كان الكلُّ حقاً ، إذ كان ربُّ حقٍّ فى بعض الزمان أقطعُّ للقليل والقال ، وأجدُرُّ أن يُميتَ الخلاف ، ويحسمَ الطمع . فتركوا حقاً إلى حقِّ العملُ به أحقُّ .

ولو أن فقيهاً رأى إطباقَ العلماء على صومِ يومِ عرفة ، واستنكارهم الإفطارَ فيه ، فافطَرَ وأظهرَ ذلك ليُعلمهم موضعَ الفريضة من النافلة ،

(١) ب : « امتناع الكثير » ، م : « المتناع الكثير » وأثبت ما فى ط .

(٢) المتطرف : الذى لا يثبت على أمر . وفى الأصول : « أن يتطرقوا عليه كما تطرقوا على الرواية » ، مع سقوط « على الرواية » من م . والصواب ما أثبت .

(٣) ب ، م : « أحاط » .

(٤) ب ، م : « وأن يعمل » ، صوابه فى ط .

(٥) ب ، م : « إذا كان » . وكلمة « على » ساقطة من ب .

أو خاف أن يلحق الفرض على تطاول الأيام ما ليس فيه - كان مصيباً ، ولكان قد ترك حقاً إلى أحق منه .

وللحق درجات ، وللخلاف درجات ، وللحرام درجات . ألا ترى أن لولي المقتول أن يقتل ويصفح ، وأنه إن قتل قتل بحق ، وإن صفح صفح بحق ، والصفح أفضل من القتل .

ولو أن رجلاً أخرج ساكناً بيتاً له <sup>(١)</sup> ، أو اقتضى ديناً له ساعة محلّه <sup>(٢)</sup> ، أو طلق زوجته وما دخل بها <sup>(٣)</sup> - لكان ذلك له ، ولحق فعل <sup>(٤)</sup> . وغير ذلك الحق أولى به .

وكيف لا يكون أولى به وهو أحسن ، والثواب فيه أعظم ، وإلى سلامة الصدور أقرب .

وقد يكون الأمران حسنين ، وأحدهما أحسن . وقد يكون الأمران قبيحين ، وأحدهما أقبح .

وبعد ، فعلى الناس طاعة الأئمة في كل ما أمرؤا به ، إلا فيما تبين أنه معصية . فأمّا غير ذلك فإنه واجب مفروض ، ولازم غير مرفوع .

وعلموا أيضاً أنهم لا يبقون إلى آخر الزمان ، وأن من يجيء بعدهم لا يقوم مقامهم ، ولا يفصل الأمور تفصيلهم . ولو عرفوا كمعرفتهم ، وأرادوا ذلك كإرادتهم ، لما أطيعوا كطاعتهم .

وعلموا أن الأكاذيب والبدع ستكثر ، وأن الفتن ستفتح ، وأن

(١) بيتاً ، ساقطة من ب ، م .

(٢) ب ، م : « واقتضى » . ومحل الدين : وقت حلول أدائه . وفي ط : « عند حلول أجله »

(٣) ب ، م : « ولما دخل بها » ووجه هذه : « ولما يدخل بها » .

(٤) ب ، م : « ولحق فعله »

الفساد سيفشوا ، فكرهوا أن يجعلوا للمتطرفين علة<sup>(١)</sup> ، ولأهل الزبغ حجة .

بل لا شك<sup>(٢)</sup> أنهم لو تركوا الناس عامة يقرءون على حرف فلان وكل ما أجاز فيه فلان عن فلان ، لألحق قوم في آخر الزمان بهم ما ليس منهم ، ولا يجرى مجراهم ، ولا يجوز مجازهم .

## ٢٦ - فصل منه في الاحتجاج للجمع

### على قراءة زيد

ولو كان زيد من آل أبي العاص ، أو من عرض بني أمية ، لوجد ابن مسعود متعلقاً .

ولو كان بدل زيد عبد الرحمن بن عوف لوجد إلى القول سبيلاً .

ولو كان ابن مسعود رجلاً من بني هاشم لوجد للطعن موضعاً .

ولو كان عثمان رضى الله تعالى عنه استبد بذلك الرأى على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وسعد وطلحة والزبير رحمهم الله ، وجميع المهاجرين والأنصار ، لوجد للتهمة مساعاً .

فأما والأمر كما وصفنا ونزلنا ، فما الطاعن على عثمان إلا رجل أخطأ خطئة الحق<sup>(٣)</sup> ، وعجل على صاحبه . ولكل بني آدم من الخطأ نصيب ، والله عز ذكره يغفر له ويرحمه .

(١) في جميع الأصول : « للمتطرفين » . وانظر ما سبق في حواشي ٢٣٠ .

(٢) ب : « بل شك » ، صوابه ف م ، ط .

(٣) ب ، م : « أخطأ خطه » مع سقوط كلمة « الحق » ، والصواب في ط .

والذى يخطئُ عثمان في ذلك فقد خطأَ علياً وعبَدَ الرحمن وسعداً ،  
والزبيرَ وطلحة ، وعِليَّة الصَّحابة <sup>(١)</sup> .

ولو لم يكن ذلك رأىً على لغيره ، ولو لم يمكنه التغيير لقال فيه ،  
ولو لم يمكنه في زمن عثمان لأمكنه في زمن نفسه ، وكان لا أقلَّ من  
إظهار الحجَّة إن لم يملك تحويل الأُمَّة ، وكان لا أقلَّ من التجربة  
إن لم يكن من الشَّج على ثقة ، بل لم يكن لعثمان في ذلك ما لم يكن  
لجميع الصَّحابة ، وأهل القَدَم والقُدوة . ومع أنَّ الوجه فيما صنعوا واضح ،  
بل لا نجدُ لما صنعوا وجهاً غير الإصاَبة والاحتياط ، والإشفاق والنظر  
للعواقب ، وحسَم طعن الطاعن .

ولو لم يكن ما صنعوا لله تعالى فيه رضاً <sup>(٢)</sup> لما اجتمع عليه أولُ  
هذه أول الأُمَّة وآخِرُها . وإنَّ أمراً اجتمعت عليه المعتزلة والشيعة ،  
والخوارج والمرجئة ، لظاهر الصَّواب ، واضح البرهان ، على اختلاف  
أهوائهم ، وبغيتهم لكلِّ ما ورد عليهم .

فإن قال قائل : هذه الروافض بأسرها تأبى ذلك وتنكره ، وتطعن  
فيه ، وترى تغييره <sup>(٣)</sup> .

قلنا : إنَّ الروافض ليست مِنَّا بسبيل ، لأنَّ من كان أَدَانه غيرَ  
أَدَاننا ، وصلاته غيرَ صلَاتنا ، وطلاقه غيرَ طلاقنا ، وعتقه غيرَ عتقنا ،  
وحجته غيرَ حجَّتنا ، وفقهاؤه غير فقهاءنا <sup>(٤)</sup> وإمامه غير إمامنا ،

(١) ط : « وما عليه الصحابة » .

(٢) م فقط : فيما صنعوا « مع سقوط كلمة « فيه » من ب ، م . وأثبت ما في ط .

(٣) ب ، م : « لغيره » ، والوجه ما أثبت من ط .

(٤) غير فقهاءنا ، ساقط من ب ، م .

وقراءته غَيْرَ قِرَاءَتِنَا ، وحلالُهُ غَيْرَ حَلَالِنَا ، وحرَامُهُ غَيْرَ حَرَامِنَا ، فلا نحنُ منه ولا هو مِنَّا<sup>(١)</sup> .

ولأَيِّ شَيْءٍ حَامَتِ<sup>(٢)</sup> عن قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ ، فَوَاللَّهِ مَا كَانَ أَحَدٌ أَفْرَطَ فِي الْعَمْرِيَّةِ مِنْهُ ، وَلَا أَشَدَّ عَلَى الشَّيْعَةِ مِنْهُ ، وَلَقَدْ بَلَغَ مِنْ حُبِّهِ لِعَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ قَالَ : لَقَدْ خَشِيتُ اللَّهَ تَعَالَى فِي حُبِّي لِعَمْرِ . فَلَيْمَ يُحَامُونَ عَنْهُ وَهُوَ كَانَ شِجَاهِمُ<sup>(٣)</sup> لَوْ أَدْرَكَهُمْ .

### ٢٧ - فصل منه

فَأَمَّنَ اللَّهُ رَجُلًا فَارْقَهُمْ وَلَزِمَ الْجَمَاعَةَ ، فَإِنَّ فِيهَا الْأَنْسَةَ وَالْحُجَّةَ<sup>(٤)</sup> ، وَتَرَكَ الْفُرْقَةَ فَإِنَّ فِيهَا الْوَحْشَةَ وَالشُّبْهَةَ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا لَا نَفْرَقَ بَيْنَ أُنْمَتِنَا ، كَمَا جَعَلَنَا لَا نَفْرَقَ بَيْنَ أَنْبِيَائِنَا .

### ٢٨ - فصل منه

وَالَّذِي دَعَانَا إِلَى تَأْلِيفِ حُجَجِ الرُّسُولِ وَنَظْمِهَا ، وَجَمْعِ وَجُوهِهَا وَتَدْوِينِهَا - أَنَّهَا مَتَى كَانَتْ مَجْمُوعَةً مَنْظُومَةً ، نَشِطَ لِحِفْظِهَا وَتَفْهَمُهَا مَنْ كَانَ عَسَى أَنْ لَا يَنْشِطَ لِجَمْعِهَا ، وَلَا يَقْدِرَ عَلَى نَظْمِهَا ، وَجَمْعَ مِتْفَرِّقِهَا ، وَعَلَى اللَّفْظِ الْمُؤَثِّرِ عَنْهَا<sup>(٥)</sup> ، وَمَنْ كَانَ عَسَى أَنْ لَا يَعْرِفَ وَجْهَ مَطْلَبِهَا ، وَالْوَقُوعَ عَلَيْهَا .

(١) ب ، م : « ولا نحن منه ولا هو منا » ، صوابه في ط .

(٢) في جميع الأصول : « جانب » ، والوجه ما أثبت . وانظر ما سيأتي .

(٣) أصل الشجا : ما يعترض في خلق الإنسان والدابة من عظم أو عود أو غيرها ، ومنه

قول سويد بن أبي كاهل في المفضليات ١٩٨ :

ويراني كالشجا في حلقة  
عمرأ مخرجه ما ينتزع

وفي م فقط : « سحاه » تحريف .

(٤) الأنس ، بالضم ، والأنسة ، بالتحريك : الطمأنينة . ط فقط : « الأنس » .

(٥) كذا في جميع النسخ . وأراها « المأثور عنها » . يقال أثر الحديث أثرًا : نقله ورواه

عن غيره ، فهو مأثور .



ولعلَّ بعض الناس يعرف بعضها ويجهل بعضها .

ولعلَّ بعضهم وإن كان قد عَرَفَهَا بحَقِّهَا وصِدْقِهَا فلم يعرفها من أسهلِ طُرُقِهَا ، وأقربِ وجوهها .

ولعلَّ بعضهم أن يكون قد عَرَفَ فنسَى ، أو تهاون بها فعَمِيَ ، بل لا نشكُّ أنَّهَا إذا كانت مجموعةً محبِّرةً<sup>(١)</sup> ، مستقصاةً مفصلةً ، أنَّهَا ستزِيدُ<sup>(٢)</sup> في بصيرة العالم ، وتَجْمَعُ الكلَّ لمن كان لا يعرف إلاَّ البعض ، وتُذَكِّرُ النَّاسِيَّ ، وتكونُ عُدَّةً على الطاعن<sup>(٣)</sup> .

ولعلَّ بعض من أَلْحَدَ في دينه ، وَعَمِيَ عن رُشْدِهِ ، وَأَخْطَأَ موضعَ حَظِّهِ<sup>(٤)</sup> أن يدعُوهُ العُجْبُ بنفسه ، والثُّقَّةُ بما عنده ، إلى أن يلتبس قراءتها ، ليتقدَّم<sup>(٥)</sup> في نقضها وإفسادها ، فإذا قرأها فهمها ، وإذا فهمها انتبه من رَقْدَتِهِ<sup>(٦)</sup> ، وأفاق من سكرته<sup>(٧)</sup> ، لعزِّ الحقِّ ، وذُلِّ الباطل ، ولإشراف الحجَّةِ على الشُّبْهَةِ<sup>(٨)</sup> ، ولأنَّ من تفرَّد بكتاب فقرأه ليس كمن نازع صاحبه وجأته<sup>(٩)</sup> ، لأنَّ الإنسان لا يُباهي بنفسه<sup>(١٠)</sup> ،

(١) من تحبير الخط والشعر ونحوهما ، أى تحسينه ، ب ، م : « نخبرة » صوابه في ط .

(٢) ب ، م : « سيزيد » ، صوابه في ط .

(٣) في جميع الأصول : « ويجمع » و « يذكر » و « يكون » ، صوابها كلها بالتاء كما

أثبت .

(٤) ب فقط : « خطه » ، تحريف .

(٥) ب ، م : « ليقدم » ، صوابه في ط .

(٦) م فقط : « فإذا قرأها وفهمها انتبه من رقدته » .

(٧) ب ، م : « عن سكرته » .

(٨) ب فقط : « ولإشراق » بالقاف .

(٩) المجاثاة : أن يجلس مع خصمه على ركبتيه للخصومة . وفي البهان والتبيين ٣ : ٦ :

« وبالأرجاز عند المتخ وعند مجاثاة الخصم » . وفي ب ، م : « وحائاه » ، و في ط : « وجافاه »

صوابهما ما أثبت .

(١٠) ب ، م : « نفسه » ، صوابه في ط .

والحقُّ بعدُ قاهرٌ له . ومع التَّلاقِي يحدثُ التَّبَاهِي ، وفي المحافل يقلُّ الخُضُوع ، ويشتدُّ النُّزُوع .

ثمَّ رَجَعَ الكلامُ إلى حاجة النَّاسِ إلى استماعِ الأخبارِ ، والتفهُةِ في تصحيحِ الآثارِ ، فأقول : إِنَّ النَّاسَ لو استغَنَوْا عن التَّكْرِيرِ <sup>(١)</sup> ، وكُفُّوا مَثُونَةَ البَحْثِ والتَّنْقِيرِ <sup>(٢)</sup> لَقَلَّ اعتبارُهُم <sup>(٣)</sup> . ومن قَلَّ اعتباره قَلَّ عِلْمُهُ ، وَمَنْ قَلَّ عِلْمُهُ قَلَّ فَضْلُهُ ، ومن قَلَّ فَضْلُهُ كَثُرَ نَقْصُهُ ، ومن قَلَّ عِلْمُهُ وَفَضْلُهُ وَكَثُرَ نَقْصُهُ لم يُحْمَدَ على خَيْرِ أَتَاه ، ولم يُدَمَّ على شَرِّ جَنَاه ، ولم يَجِدْ طَعْمَ العِزِّ ، ولا سُرُورَ الظَّفَرِ ، ولا رُوحَ الرَّجَاءِ ، ولا بَرْدَ اليَقِينِ ، ولا راحةَ الأَمَنِ .

وكيف يُشكر من لا يقصد ، وكيف يُلام من لا يتعمد ، وكيف يُقصد من لا يعلم . وما عسى أَنْ يَبْلُغَ قَدْرُ سُرُورٍ من لا يحسن من السُّرُورِ إِلَّا ما سُرَّ به حَواشِيه <sup>(٤)</sup> وَمَسَّ جِلْدُهُ <sup>(٥)</sup> .

وكيف يَأْتِي أَرَبِحَ الأَفْعَالِ ، وأَبْعَدَ الشَّرِّينِ من رَكْبٍ في شِراةِ السَّبَاعِ <sup>(٦)</sup> وَغَبَاوَةَ البَهَائِمِ ، ثمَّ <sup>(٧)</sup> لم يُعْطِ الآلَةَ التي بها يستطيع التَّفَرُّقَةَ <sup>(٨)</sup> بين ما عليه وله ، والعِلْمَ بِمِصَالِحِهِ ومِفاسدِهِ ، فيقوى بها على عِصْيَانِ طِبائِعِهِ ، ومُخَالَفَةِ شَهْوَاتِهِ ، وبها يعرف عواقبَ الأُمُورِ ، وما تَأْتِي به

(١) في جميع الأصول : « قد استغنوا عن التكرير » ، والصواب ما أثبت .

(٢) ب فقط : « وكفوا عن مثونة البحث والتنقير » .

(٣) ب ، ط : « لقله اعتبارهم » ، صوابه في م .

(٤) ب ، م : « وحواشيه » ، والوجه حذف الواو كما في ط .

(٥) ب فقط : « ومس جلده » .

(٦) ب ، م : « من ركب في شراة السباع » ، ط : « من ركب شراة السباع »

صوابهما ما أثبت .

(٧) ثم ، ساقطة من ب .

(٨) ب ، م : « تفرقة » .

الدهور<sup>(١)</sup>، وفضل<sup>(٢)</sup> لذة القلب على لذة البدن .

وإن سرور الجاهل لا يحسن في جنب سرور العالم ، وإن لذة البهائم لا تعشر<sup>(٣)</sup> لذة الحكيم العالم .

وأى سرور كسرور العز والرياسة ، واتساع المعرفة ، وكثرة صواب الرأى ، والنجاح الذى لا سبب له إلا حسن النظر والتقدم<sup>(٤)</sup> فى التدبير ، ثم العلم بالله وحده ، وأنتك بعرض ولايته والجاه عنده ، وأنه الذى يردك ويكفيك ، وأنتك إذا عملت اليسير<sup>(٥)</sup> أعطاك الكثير ، ومتى تركت له الفائز أعطاك الباقي ، ومتى أدبرت عنه دعاك ، ومتى رجعت إليه اجتباك ، ويحمدك على حقك ، ويعطيك على نظرك ، لنفسك ولا يُفنيك إلا ليُبقيك<sup>(٦)</sup> ، ولا يُميتك إلا ليحييك ، ولا يمنحك إلا ليعطيك . وأنه المبتدئ بالنعمة قبل السؤال ، والناظر لك فى كل حال .

وهذا كله لا يُنال إلا بغريزة العقل . على أن الغريزة لا تنال ذلك بنفسها ، بما باشرت حواسها ، دون النظر والتفكر ، والبحث والتصفح . ولن ينظر ناظر ولا يفكر مفكر<sup>(٧)</sup> دون الحاجة التى تبعث على

(١) ب : « وما يأتي به الدهور » .

(٢) الفضل : الزيادة . وفى ب ، م : « وفضلة » ، وإنما الفضلة والفضالة : البقية من الشيء ، فالوجه ما أثبت من ط .

(٣) تشرها : تبلغ عشرها . ب ، م : « لا يعشر » ، صوابه ما أثبت . وفى ط : « لاتعادل » .

(٤) فى جميع الأصول : « والتقديم » .

(٥) ب : « علمت اليسير » .

(٦) ب ، ط : « ولا يفنيك » ، وأثبت ما فى م . وفى جميع الأصول : « إلا ليقيك » . والمراد بالإبقاء هنا الإبقاء الأبدي فى الآخرة .

(٧) ب : « ولم ينظرنا ولا فكر مفكر » ، صوابه فى م ، ط .

الفكرة<sup>(١)</sup> ، وعلى طلب الحياة . ولذلك وضع الله تعالى في الإنسان طبيعة الغضب ، وطبيعة الرضا ، وطبيعة البخل والسخاء ، والجزع والصبر ، والرياء والإخلاص ، والكبر والتواضع ، والسخط والقناعة ، فجعلها عروفاً . ولن تفي<sup>(٢)</sup> قوة غريزة العقل بجميع<sup>(٣)</sup> قوى طبائعه وشهواته ، حتى يقيم ما اعوجَّ منها<sup>(٤)</sup> ، ويسكن ما تحرك ، دون النظر الطويل الذي يشدها ، والبحث الشديد الذي يشحذها ، والتجارب التي تحنكها<sup>(٥)</sup> ، والفوائد التي تزيد فيها<sup>(٦)</sup> . ولن يكثر النظر حتى تكثر الخواطر<sup>(٧)</sup> ، ولن تكثر الخواطر حتى تكثر الحوائج<sup>(٨)</sup> ، ولن تبعد<sup>(٩)</sup> الرؤية إلا لبعد الغاية وشدة الحاجة .

ولو أن الناس تركوا وقدر قوى غرائزهم<sup>(١٠)</sup> ، ولم يهاجوا بالحاجة على طلب مصلحتهم والتفكر في معاشهم ، وعواقب أمورهم ، وألجئوا إلى قدر خواطرهم التي تولدها مباشرة حواسهم ، دون أن يسمعهم الله تعالى خواطر الأولين ، وأدب السلف المتقدمين ، وكتب رب العالمين ، لما أدركوا من العلم إلا اليسير<sup>(١١)</sup> ، ولما ميزوا من الأمور إلا القليل .

(١) ب فقط : « على الفكر » .

(٢) ب فقط : « ولم يف » ، تحريف .

(٣) يقال هذا الشيء لا يفي بذلك ، أى يقصر عنه ولا يوازيه . وفي جميع النسخ :

« لجميع » ، والصواب ما أثبت .

(٤) ب ، م : « ماعدا منها » ، صوابه في ط .

(٥) يقال حنكته التجارب : حنكا ، بالفتح ، وحنكاً بالتحريك ، وأحنكته وحنكته تحنكاً ، واحنكته : أى هدبته وأحنكته . ب : « الذى يحنكها » م : « التى يحنكها » ، صوابها في ط .

(٦) ب ، م : « التى يزيد فيها » ، صوابها في ط .

(٧) ب ، م : « يكثر الخواطر » ، وأثبت ما في ط .

(٨) ب : « ولم يكثر » صوابه في م ، ط ، وفي ب ، م : « حتى يكثر الحوائج » ،

وأثبت ما في ط .

(٩) ب : « ولن يبعد » صوابه في م ، ط .

(١٠) م : « تركوا قدر قوى غرائزهم » .

(١١) ب : « الستر » م : « التستر » ، صوابها ط .

ولولا أن الله تعالى أراد تشریف العالم وترتيبته<sup>(١)</sup> ، وتسويد العاقل ورفع قدره ، وأن يجعله حكيماً ، وبالعواقب عليماً ، لما سخر له كل شيء ، ولم يسخره لشيء ، ولما طبعه الطبع الذى يجيء منه أريب حكيم ، وعالمٌ حلیم .

كما أنه عز ذكره لو أراد أن يكون الطفل عاقلاً ، والمجنون عالماً ، لطبعهم طبع العاقل ، ولسواهم تسوية العالم ، كما أراد أن يكون السبع وثاباً ، والحديد قاطعاً ، والسم قاتلاً ، والغذاء مقيماً ؛ فكذلك أراد<sup>(٢)</sup> أن يكون المطبوع على المعرفة عالماً ، والمهيأ للحكمة حكيماً ، وذو الدليل مستديلاً ، وذو النعمة مستنفعاً بها<sup>(٣)</sup> .

فلما علم الله تبارك وتعالى أن الناس لا يدركون مصالحهم بأنفسهم ، ولا يشعرون بعواقب أمورهم بغرائزهم ، دون أن يرد عليهم آداب المرسلين ، وكُتِبَ الأوّلين ، والأخبار عن القرون ، والجابرة الماضين - طبع كل قرن من الناس على أخبار من يليه ، ووضع القرن الثانى دليلاً يعلم به صدق خبر الأوّل ؛ لأن كثرة السماع للأخبار العجيبة ، والمعاني الغريبة ، مشحذة للأذهان ، ومادة للقلوب ، وسبب للتفكير ، وعلة للتنقيح<sup>(٤)</sup> عن الأمور .

وأكثر الناس سماعاً أكثرهم خواطر ، وأكثرهم خواطر أكثرهم تفكيراً ، وأكثرهم تفكيراً أكثرهم علماً ، وأكثرهم علماً أرجحهم عملاً . كما أن أكثر البصراء رؤيةً للأعاجيب أكثرهم تجارب<sup>(٥)</sup> ، ولذلك

(١) ب ، م : « وترتيبه » .

(٢) أراد ، من ط فقط .

(٣) ب ، م : « والدليل مستدلاً والنعمة مستنفعاً بها » ، صوابه فى ط .

(٤) ب ، م : « للتبقيح » ، صوابه فى ط .

(٥) فى جميع الأصول : « تجارباً » ، والصواب ما أثبت .

صار البصير أكثر خواطر<sup>(١)</sup> من الأعمى ، وصار السميع البصير أكثر خواطر من البصير .

وعلى قدر شدة الحاجة تكون الحركة ، وعلى قدر ضعف الحاجة يكون السكون ، كما أن الرجى والخائف دائبان ، والآيس والآمن وإدعان .

وإذا كان<sup>(٢)</sup> الله تعالى لم يخلق عباده في طبع عيسى بن مريم ، ويحيى بن زكريا ، وآدم أبي البشر ، صلوات الله عليهم أجمعين ، وخلقهم منقوصين<sup>(٣)</sup> ، وعن ذلك مصالحتهم عاجزين ، وأراد منهم العبادة ، وكلفهم الطاقة<sup>(٤)</sup> ، وترك العنان<sup>(٥)</sup> للأمل البعيد ، وأرسل إليهم رسله ، وبعث فيهم أنبياءه ، وقال : ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾<sup>(٦)</sup> ، ولم يشهد أكثر عباده حجج رسله<sup>(٧)</sup> عليهم السلام ، ولا أحضرهم عجائب أنبيائه<sup>(٨)</sup> ، ولا أسمعهم احتجاجهم ، ولا أراهم تدبيرهم - لم يكن بد من أن يطلع<sup>(٩)</sup> المعانين على أخبار الغائبين ، وأن يسخر أساع<sup>(١٠)</sup> الغائبين لأخبار المعاندين ، وأن يخالف بين طبائع

(١) ب ، م : « خواطرا » في هذا الموضع وتاليه ، صوابه في ط .

(٢) ب : « وإن كان » ، تحريف .

(٣) ط فقط : « ناقصين » .

(٤) كذا في جميع النسخ . والمراد : ما يطيقون . لا يكلف الله نفسا إلا وسعها .

(٥) العنان : السير أو الحبل الذي تمسك به الدابة . وإطلاق العنان هنا كناية عن اتساع مدى

الأمل . وفي جميع الأصول : « العيان » ، والوجه ما أثبت .

(٦) الآية ١٦٥ من سورة النساء .

(٧) ب ، م : « وحجج رسله » ، صوابه في ط .

(٨) ب : « ولا أخبر » م : « ولا أخضر » ، صوابهما في ط .

(٩) ب ، م : « يطعم » ، وجهه في ط .

(١٠) ب ، م : « يسحر » ، صوابه في ط .

المُخْبِرِينَ ، وَعَلَّلِ النَّاqِلِينَ <sup>(١)</sup> ، لِيَدُلَّ السَّامِعِينَ ، وَمَنْ يَجِيبُ مِنَ النَّاسِ <sup>(٢)</sup> .

على أَنَّ العَدَدَ الكَثِيرَ المَخْتَلِفِ العِللِ ، المتضادِّ الأَسْبَابِ ، المتفاوتِ الهِمَمِ ، لا يَتَّفِقُونَ على تَخْرُصِ الخَبِرِ في المَعْنَى الوَاحِدِ <sup>(٣)</sup> ، وكَمَا لا يَتَّفِقُونَ على الخَبِرِ الوَاحِدِ على غَيْرِ التَّلَاقِ وَالتَّرَاسُلِ إِلَّا وَهُوَ حَقٌّ . فَكَذَلِكَ <sup>(٤)</sup> لا يَمَكُنُ مِثْلَهُمْ في مِثْلِ عِلْمِهِمُ التَّلَاقِ عَلَيْهِ ، وَالتَّرَاسُلُ فِيهِ . وَلَوْ كَانِ تَلَاقِيهِمْ مَمكِنًا ، وَتَرَسَّلُهُمْ جَائِزًا لَظَهَرَ ذَلِكَ وَفشَا ، وَاسْتَفَاضَ وَبَدَا .

وَلَوْ كَانِ ذَلِكَ أَيضًا مَمكِنًا ، وَكَانِ قَوْلًا مَتَوَهَّمًا لِبَطَلَةِ الحُجَّةِ ، وَلِنُقُصَةِ العَادَةِ <sup>(٥)</sup> ، وَلِفَسَادِ العِبْرَةِ ، وَلِعَادَتِ النَّفْسِ بَعْلَةَ الإِخْبَارِ جَاهِلَةً ، وَلِكَانَ لِلنَّاسِ <sup>(٦)</sup> على اللَّهِ أَكْبَرُ الحُجَّةِ . وَقَدْ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ <sup>(٧)</sup> ، إِذْ كَلَّفَهُمْ <sup>(٨)</sup> طَاعَةَ رُسُلِهِ ، وَتَصَدِيقَ أَنبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ وَكُتِبَهُ <sup>(٩)</sup> ، وَالإِيمَانَ بِجَنَّتِهِ وَنَارِهِ ، وَلَمْ يَضَعْ لَهُمْ دَلِيلًا على صِدْقِ الأَخْبَارِ ، وَامْتِنَاعِ العَلَطِ في الآثَارِ ، تَعَالَى اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا .

(١) ب فقط : « وعلى الناقلين » ، تحريف .

(٢) ط فقط : « ومن يجيب » .

(٣) التخرص ، المراد به الخرز والتقدير والفهم . وسيأتي في ٢٤٨ س ١٢ : « لا يتفقون على تخرص الخبر الواحد في المعنى الواحد في الزمن الواحد » .

(٤) ب ، م : « فلذلك » ، صوابه في ط .

(٥) ب ، م : « ولانقضت » ، تحريف .

(٦) ب : « الناس » ، محرفة .

(٧) من الآية ١٦٥ من سورة النساء .

(٨) ط : « إذا كلفهم » .

(٩) ب : « أنبيائه وكتبه » م : « أنبيائه ورسله » ، وأثبت النص كاملاً من ط .

واعلم أن الله تعالى إنما خالف بين طبائع الناس ليوفق بينهم ، ولم يحب أن يوفق بينهم فيما يخالف مصلحتهم ؛ لأنَّ الناس لو لم يكونوا مسخَّرين بالأسباب المختلفة ، وكانوا مجبَّرين<sup>(١)</sup> في الأمور المتَّفقة والمختلفة ، لجاز أن يختاروا بأجمعهم التجارة والصناعة ، ولجاز أن يطلبوا بأجمعهم المُلْكَ والسِّياسة<sup>(٢)</sup> . وفي هذا ذهابُ العيش ، وبُطلان المصلحة ، والبوار والتواء<sup>(٣)</sup> .

ولو لم يكونوا مسخَّرين بالأسباب ، مُرتهنين بالعِلل لرغبوا عن الحِجامة أجمعين ، والبيطرة ، والقِصابة ، والدِّباغة . ولكن لكلِّ صنْفٍ من الناس مُزِينٌ عندهم ما هم فيه ، ومُسَهِّلٌ ذلك عليهم . فالحائك إذا رأى تقصيراً من صاحبه أو سوءَ حِذْقٍ أو خرقاً<sup>(٤)</sup> قال له : يا حَجَّام ! والحجَّام إذا رأى تقصيراً من صاحبه قال له : يا حائك ! ولذلك لم يُجمِعوا على إسلام أبنائهم في غير الحياكة والحِجامة ، والبيطرة والقِصابة .

ولولا أن الله تعالى أراد أن يجعل الاختلاف سبباً للاتِّفاق والائتلاف ، لما جعل واحداً قصيراً والآخر طويلاً ، وواحداً حسناً وآخر قبيحاً ، وواحداً غنياً وآخر فقيراً<sup>(٥)</sup> ، وواحداً عاقلاً وآخر مجنوناً ، وواحداً ذكياً وآخر غيبياً . ولكن خالف بينهم ليختبرهم ، وبالاختبار يُطيعون ، وبالطاعة يسعدون . ففرَّق بينهم ليجمعهم ، وأحبَّ أن يجمعهم على

(١) ب فقط : « مجبَّرين » تحريف .

(٢) ط : « لجاز أن يختاروا بأجمعهم الملك والسياسة » بسقوط ما قبل « بأجمعهم » الثانية .

(٣) التوى ، مقصور : الهلاك ، كما في اللسان والقاموس . وفي ب : « التواء » ، وفي م ، ط : « التواء » ، صوابهما ما أثبت .

(٤) الخرق ، بالضم ، وبالتهريك : ضد الرفق ، وأن لا يحسن الرجل العمل .

(٥) ب ، م : « والآخر فقيراً » .



الطاعة ليجمهم على المثوبة . فسبحانه وتعالى ، ما أحسن ما أبلى وأوتى ، وأحكم ما صنع ، وأتقن ما دبّر ! لأنّ الناس لو رغبوا كلُّهم عن عاز الحياة<sup>(١)</sup> لبقينا عراً . ولو رغبوا بأجمعهم عن كدّ البناء لبقينا بالعراء . ولو رغبوا عن الفلاحة لذهبت الأقوات ، ولبطل أصلُ المعاش . فسخرهم على غير إكراه ، ورغبهم من غير دعاء .

ولولا اختلاف طبائع الناس وعملهم لما اختاروا من الأشياء إلّا أحسنها ، ومن البلاد إلّا أعدها ، ومن الأمصار إلّا أوسطها . ولو كانوا كذلك لتناجزوا على طلب الأواسط<sup>(٢)</sup> ، وتشاجروا على البلاد العليا ، ولما وسعهم بلدٌ ، ولما تمّ بينهم صلح . فقد صار بهم التسخير إلى غاية القناعة .

وكيف لا يكون كذلك وأنت لو حولت ساكني الآجام إلى الفيافي ، وساكني السهل إلى الجبال ، وساكني الجبال إلى البحار ، وساكني الوبر إلى المدر ، لأذاب قلوبهم الهم ، ولأتى عليهم قرطُ النزاع . وقد قيل<sup>(٣)</sup> : « عمّر الله البلدان بحبّ الأوطان » .

وقال عبدُ الله بن الزبير رحمه الله تعالى : « ليس الناس بشيء من أقسامهم أقنعَ منهم بأوطانهم » .

وقال معاويةُ في قومٍ من اليمن رجّعوا إلى بلادهم بعد أن أنزلهم من

(١) ب فقط : « لو غربوا » تحريف . وفي ب ، م : « من عار الحياة » ، صوابه في ط .

(٢) في اللسان : « تناجز القوم : تسافكوا دماغهم ، كأنهم أسرعوا في ذلك » . ب ، ط : « طلب الواسط » ، وأثبت ما في م .

(٣) وكذا في الحيوان ٣ : ٢٢٧ . ونسب القول إلى عمر رضي الله عنه في رسالة الحنين إلى الأوطان . انظر رسائل الجاحظ ٢ : ٣٨٩

الشام منزلاً خِصْباً ، وفَرَضَ لهم في شَرَفِ العطاء <sup>(١)</sup> : « يصلون أوطانهم بقطيعةِ أَنفُسِهِمْ » .

وقال الله جلَّ وعز : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوْ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ <sup>(٢)</sup> ﴾ . فقرن الضنَّ بالأوطان إلى الضنِّ بمهج النفوس <sup>(٣)</sup> .

وليس على ظهرها إنسانٌ إِلَّا وهو مُعْجَبٌ بعقله ، لا يسره أن له بجميع ما له ما لغيره ، ولولا ذلك لماتوا كمدأ ، ولذأبوا حسداً ، ولكن كلُّ إنسان وإن كان يرى أَنَّهُ حاسد في شيء فهو يرى أَنَّهُ محسود في شيء .

ولولا اختلافُ الأسباب لتنازعوا بلدةً واحدةً ، واسماً واحداً ، وكُنْيَةً واحدةً . فقد صاروا كما ترى مع اختيار الأشياء المختلفة <sup>(٤)</sup> إلى الأسماء القبيحة ، والألقاب السَّمِجَة <sup>(٥)</sup> . والأسماء مبدولةً ، والصناعات مُباحة ، والمَتَاجِر مُطلقة ، ووجوه الطُّرُق مُخَلَّاة <sup>(٦)</sup> ، ولكنها مُطلقة في الظاهر ، مقسمة في الباطن ، وإن كانوا لا يشعرون بالذي دبر الحكيم من ذلك ، ولا بالمصلحة فيه .

فسبحانَ من حَبَّبَ إلى واحدٍ أَنْ يسميَ ابنه محمداً ، وحَبَّبَ إلى آخرٍ أَنْ يسميه شيطاناً <sup>(٧)</sup> ، وحَبَّبَ إلى آخرٍ أَنْ يسميه عبدَ الله ، وحَبَّبَ

(١) ب ، م : « في شوف العطاء » ، ط : « في شون العطاء » . والوجه ما أثبت .

(٢) من الآية ٦٦ من سورة النساء .

(٣) ب ، م : « النطن » في الموضعين ، صوابه في ط .

(٤) كلمة « الأشياء » من ط فقط . وفي م : « مع اختبار مختلفة » . وصواب الكلام في ط .

(٥) السمج ، بالفتح ، وككتف : القبيح . ب فقط : « السمحة » تحريف .

(٦) ب : « مخلاة » ، صوابه في م ، ط .

(٧) ب ، م : « شيطان » .

إلى آخر أن يسميه حماراً<sup>(١)</sup> ، لأنَّ الناس لو لم يُخالف بينِ عِلْمِهِمْ في اختيار الأسماءِ والكُنَى ، جاز<sup>(٢)</sup> أن يجتمعوا على شيء واحد ، وكان<sup>(٣)</sup> في ذلك بطلان العلامات ، وفسادُ المعاملات .

وأنت إذا رأيتَ ألوانَهُمْ وشمالَهُمْ واختلافَ صُورِهِمْ ، وسَمِعْتَ لُغَاتِهِمْ وَتَغْمِهِمْ<sup>(٤)</sup> علمتَ أنَّ طبائِعَهُمْ وَعِلْمَهُمْ المحجوبةَ الباطنة ، على حَسَبِ أُمُورِهِم الظاهرة .

وبعضُ الناس وإن كان مسخراً للحياكة<sup>(٥)</sup> فليس بمسخرٍ للفِسق والخيانة<sup>(٦)</sup> ، وللإحكام<sup>(٧)</sup> والصدق والأمانة .

وقد يسخرُ اللهُ الملكَ<sup>(٨)</sup> لقومٍ بأسبابٍ قديمةٍ وأسبابٍ حديثةٍ ، فلا يزال ذلك الملكُ مقصوراً عليهم ، ما دامت تلك الأسبابُ قائمةً ، إذا كانوا للملكِ مسخرين<sup>(٩)</sup> ، وكان النَّاسُ لهم مسخرين ، بالجبرية<sup>(١٠)</sup> والنَّخوة ، والفظاظَةِ والقسوة ، ولطُولِ الاحتجابِ والاستتار ، وسُوءِ اللِّقَاءِ والتضييع .

(١) ب فقط : « حمار » . ومن سمي به « معقر بن حمار البارقي » ، ومن لقب بذلك « مروان الحمار » .

(٢) ط : « وجاز » بزيادة واو .

(٣) ط : « كان » بدون واو .

(٤) م : « وتغمهم » .

(٥) ب : « وإن كانوا مسخرين للحياكة » ط : « وإن كانوا مسخرين للحياكة » . والوجه

ما أثبت من م .

(٦) ب : « للتفسيق والخيانة » .

(٧) ب ، ط : « والأحكام »

(٨) ط : « يسخر الملك » ب ، م : « يسخر الملة الملك » ووجه هذه الأخيرة ما أثبت .

(٩) ب : « فليس إذ كانوا » م ، ط : « فليس إذا كانوا » . والوجه حذف « فليس » .

وفي ب ، م : « المسخرين » .

(١٠) الجبرية : الكبرياء . وانظر لغاتها الثلاث عشرة في القاموس . وفي ب ، م :

« للجبرية » .

وقد يكون الإنسان مسخرًا لأمرٍ ، ومخيرًا في آخر .

ولولا الأمر والنهي لجاز التسخير في دقيق الأمور وجليلها ، وخفيها وظاهرها ؛ لأنَّ بنى الإنسان <sup>(١)</sup> إنما سُخِّرُوا له إرادة العائدة عليهم <sup>(٢)</sup> ، ولم يسُخِّرُوا للمعصية ، كما لم يسُخِّرُوا للمفسدة .

وقد تستوى الأسباب في مواضع ، وتتفاوت في مواضع <sup>(٣)</sup> . كلُّ ذلك ليجمع الله تعالى لهم مصالح الدنيا ، ومرشدَ الدين .

ألا ترى أنَّ أمةً قد اجتمعت على أنَّ عيسى عليه السلام هو الله ، وأمةً قد اجتمعت على أنه ابن الله ، وأمةً اجتمعت على أنَّ الآلة ثلاثة ، عيسى أحدها . ومنهم يتبدد <sup>(٤)</sup> ، ومنهم من يتدهر <sup>(٥)</sup> ، ومنهم من يتحوَّل نِسْطُورِيًّا بعد أن كان يَعْقُوبِيًّا ، ومنهم من أسلم بعد أن كان نصرانيًّا . ولستَ واحدًا <sup>(٦)</sup> هذه الأمة مع اختلاف مذاهبها ، وكثرة تنقلها ، انتقلت مرَّةً واختلفت مرَّةً ، متعمدة أو ناسيةً ، في يومٍ واحد ، فجعلته - وهو الجمعة - يومَ السَّبْتِ ، ولم تَخْطُبْ في يومِ جُمُعَةٍ بخبطةٍ يوم خميس ، ولا غلِطتْ في كانونِ الأوَّلِ فجعلته كانونَ الآخِرِ ، ولا بين الصَّوم والإفطار ؛ لأنَّ الباب الأوَّل في باب الإمكان

(١) ب ، م : « لأنَّ الإنسان » ، تحريف .

(٢) م : « الفائدة عليهم » .

(٣) ب : « وقد يستوى » و « يتفاوت » ، صوابهما في م ، ط .

(٤) يريد : يعبد البد ، بالضم ، وهو الصنم . ب : « يتبدد » م : « يتدبر » ط : « يتذبذب » . وأرى أن الجاحظ قد اشتق هذا الفعل من « البد » ، كما اشتق الفعل التالى من الدهر ، وكلاهما لم تذكره المعاجم .

(٥) يتدهر ، أراد يدين بمذهب الدهرية ، بضم الدال نسبة غير قياسية إلى الدهر بالفتح . وانظر آراءهم المتفرقة في الحيوان ١ : ٢/١٧ ، ٤/١٣٩ ، ٨٥ ، ٥/٤٣٢ ، ٤٠ ، ٦/٣٢٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، بالإضافة إلى مادة ( الدهرية ) في دائرة المعارف الإسلامية ٩ : ٣٣٧/٣٤٠

(٦) م فقط : « واجدة » تحريف .

وتعديل الأسباب والامتحان ، والباب الثاني داخلٌ في باب الامتناع  
وتسخير النفوس وطرح الامتحان .

وقد زعم ناسٌ من الجهَّال ، ونَفَرٌ من الشكَّاك ، ممن يزعم أن الشكَّ  
واجب في كلِّ شيءٍ ، إلَّا في العيان ، أنَّ أهل المنصورة<sup>(١)</sup> وافقوا مُصلاًهم  
يومَ خميسٍ على أنه يومُ الجمعة ، في زمن منصور بن جمهور<sup>(٢)</sup>  
وأنَّ أهلَ البَحْرَيْنِ جَلَسُوا عن مُصلاًهم<sup>(٣)</sup> يومَ الجمعة على أنه يومُ  
خميس ، في زمن أبي جعفرٍ ، فبعثَ إليهم وقومهم .

وهذا لا يجوزُ ولا يمكنُ في أهل الأمصار ، ولا في العدد الكثير من  
أهل القرى ، لأنَّ الناسَ من بين صانعٍ لا يأخذ أجرته ولا راحةً له  
دون الجمعة ، وبين تجَّارٍ قد اعتادوا الدَّعةَ في الجُمع<sup>(٤)</sup> ، والجلوسَ  
عن الأسواق . ومن معلِّمٍ كَتَّابٍ لا يَصْرِفُ غِلْمَانَهُ إلَّا في الجمع . وبين  
معنى<sup>٥</sup> بالجمْع يتلاقى هناك مع المعارف<sup>(٥)</sup> والإخوان والجلساء . وبين  
معنى<sup>٦</sup> بالجمْع حرصاً على الصلاة ، ورغبةً في الثواب . ومن رجلٍ عليه  
موعدٌ ينتظره . ومن صَيَّرَني [ يصرف ذلك اليومَ سفاتجَه<sup>(٦)</sup> ] وكتبَ

(١) المنصورة هذه كانت قبة السند ، واسمها القديم « همناباد » قال المسعودي : سميت :  
المنصور بمنصور بن جمهور عامل بني أمية . وقال هشام : بناها فسميت به ، وكان قد خرج مخالفاً  
لهارون وأقام بالسند . وانظر معجم البلدان .

(٢) ب : « منصورى بن جمهور » ، وفي ط : « منصورى » فقط . والمنصور هذا أخبار  
في تاريخ الطبرى انتهت بهزيمته وموته عطشاً حين وجه إليه أبو العباس السفاح جيشاً إلى الهند  
بقيادة موسى بن كعب . وذلك في سنة ١٣٤ . وكان أول ظهور أمره سنة ١٢٥ .

(٣) أى لم يذهبوا إلى المسجد يوم الجمعة . ب فقط : « على مصلاهم » ، تحريف .

(٤) ب ، م : « المداعاة في الجمع » ، صوابه في ط . وما بعده إلى « الجمع » التالية ساقط

من م .

(٥) ب ، م : « تلقى هناك من المعارف » .

(٦) جمع سفتجة ، بضم السين وفتح التاء ، وهى كما في المصباح : كتاب صاحب المال  
لوكيله أن يدفع مالا قرضاً لآخر فيأمن بذلك على ماله من خطر الطريق . وفي القاموس : أن يعطى  
مالاً لآخر ، وللآخر مال في بلد المعطى فيوفيه إياه ثم ، فيستفيد أمن الطريق . المعطى بضمط =

أصحابه . ومن جنديٌ فهو<sup>(١)</sup> ] يعرف بذلك نوبته<sup>(٢)</sup> . وبعضُ كالسؤال  
والمساكين والقصاص ، الذين يمدُّون أعناقهم للجمعة انتظاراً للصدقة  
والفائدة ، في أمور كثيرة ، وأسباب مشهورة .

ولو جاز ذلك في أهل البحرين والمنصورة لجاز ذلك على أهل  
البصرة والكوفة ، ولو جاز ذلك في الأيام لكان في الشهور أجوز ، ولو  
جاز ذلك في الشهور لكان في السنين أجوز . وفي ذلك فسادُ الحجِّ ،  
والصوم ، والصلاة ، والزكاة ، والأعياد .

ولو كان ذلك جائزاً لجاز أن يتفق الشعراء على قصيدة واحدة ،  
والخطباء على خطبةٍ واحدة ، والكتّابُ على رسالةٍ واحدة ، بل جميعُ  
الناسِ على لفظةٍ واحدة .

وإنما نزلت لك حالات الناس ، وخبرتك عن طبائعهم ، وفسرت  
لك عللهم لتعلم أن العدد الكثير لا يتفقون على تخرُّص الخبر الواحد  
في المعنى الواحد في الزمن الواحد<sup>(٣)</sup> ، على غير الشاعر<sup>(٤)</sup> ، فيكون  
باطلاً . وسأوجدك موضع اختلافهم واتفاقهم<sup>(٥)</sup> ، وأنه لم يخالف  
بينهم في بعض الوجوه إلا إرهاباً لمصلحتهم<sup>(٦)</sup> ، ولتصح أخبارهم .

= اسم الفاعل . وثم ، أى هناك . واللفظ فارسي معرب ، وقد فسرت حديثاً بأنها حوالة صادرة من دائن  
يكلف فيها مدينه دفع مبلغ معين في تاريخ معين لأذن شخص ثالث ، أو لإذن الدائن نفسه ،  
أو لإذن صاحب الحوالة .

(١) هذه التكملة من م ، ط . لكن في م : « يعرف » موضع « يصرف » . مع سقوط كلمة  
« اليوم » وكلمة « أصحابه » .

(٢) ب ، م : « ذلك بنوبته » .

(٣) التخرص ، سبق تفسيره في ٢٤١ .

(٤) الشاعر : تفاعل من قولهم شعر بكذا : أحس به . وانظر العنائية ص ٣ .

(٥) يقال أو وجدته الشيء : جعله يجده ويظفر به ، كما في اللسان والقاموس . وفي ط

« وسأبين لك » .

(٦) الإرهاب : الإرعاب ، والإثبات ، والتأسيس .

ألا ترى أن أحداً لم يبيع قطُّ سلعةً بدرهمٍ إلا وهو يرى أن ذلك الدرهم خيرٌ له من سلعته . ولم يشتري<sup>(١)</sup> أحدٌ قطُّ سلعةً بدرهمٍ إلا وهو يرى أن تلك خيرٌ له من درهمه . ولو كان صاحب السلعة يرى في سلعته ما يرى فيها صاحب الدرهم ، وكان صاحب الدرهم يرى في الدرهم ما يرى فيه<sup>(٢)</sup> صاحب السلعة ما اتفق بينهما شراءً أبداً ، ولا بيعاً أبداً . وفي هذا جميع المفسدة ، وغاية الهلكة .

فسبحان الذي حبَّب إلينا ما في أيدي غيرنا ، وحبَّبَ إلى غيرنا ما في أيدينا ، ليقع التبائع . وإذا وقع التبائع وقع الترابيح ، وإذا وقع الترابيح وقع التعايش .

ويدلُّك أيضاً على اختلاف طبائعهم وأسبابهم : أنك تجد الجماعة وبين أيديهم الفاكهة والرطب ، فلا تجد يدين تلتقيان<sup>(٣)</sup> على رُطبةٍ بعينها ، وكلُّ واحد من الجميع يرى ما حوَّاه الطَّبَق ، غير أن شهوته وقعت على واحدةٍ غير التي آثرها صاحبه<sup>(٤)</sup> . ولربما سبق الرجل إلى الواحدة ، وقد كان صاحبه يريدتها في نفسه ، غير أن ذلك لا يكون إلا في الفَرَط ، ولو كانت<sup>(٥)</sup> شهواتهم ودواعيهم تتفق على واحدةٍ بعينها لكان في ذلك التَّمَانع والتجاذب<sup>(٦)</sup> ، والمبادرة وسوء المخالطة والمؤاكلة . وكذلك هو في شهوة النساء والإماء ، والمراكب والكسبي . وهذا كثير ، والعلم به قليل . وبأقلِّ مما قلنا<sup>(٧)</sup> يعرف العاقل صواب مذهبنا . والله تعالى نسأل التوفيق .

(١) ب : « ولم يشر » ، صوابه في م ، ط .

(٢) فيه ، ساقطة من ب . وفي م : « فيها » ، تعريف .

(٣) ب فقط : « فلا نجد » بالنون . وفي ب ، م : « يلتقيان » ، واليد أنثى .

(٤) ب ، م : « صاحبها » .

(٥) ب فقط : « كان » .

(٦) م فقط : « التحازب » .

(٧) ب : « وبأقل ما قلنا » .

وهو الذى <sup>(١)</sup> خالف بين طبائعهم وأسبابهم ، حتى لا يتفق على  
تخصر خبر واحد <sup>(٢)</sup> ، لأن في اتفاق طبائعهم وأسبابهم في جهة الإخبار  
فساد أمورهم ، وقلة فوائدهم واعتبارهم ، وفي فساد أخبارهم فساد  
متاجرهم والعلم بما غاب عن أبصارهم ، وبطلان المعرفة بأنبيائهم  
ورسلهم عليهم السلام ، ووعدهم ووعيدهم ، وأمرهم ونهيهم وزجرهم ،  
ورغبتهم ، وحلودهم ، وقصاصهم الذى هو حياتهم ، والذى يعدل  
طبائعهم ، ويسوى أخلاقهم ، ويقوى أسبابهم <sup>(٣)</sup> ، والذى به يتعاونون  
من توائب السباع <sup>(٤)</sup> ، وقلة احتراس البهائم ، وإضاعة الأعمار . وبه  
تكثر خواطرهم وتفكيرهم ، وتحسن معرفتهم <sup>(٥)</sup> .

ولم نقل إن العدد الكثير <sup>(٦)</sup> لا يجتمعون على الخبر الباطل ،  
كالتكذيب والتصديق ، ونحن قد نجد اليهود والنصارى ، والمجوس  
والزنادقة ، والذهرية وعباد البدعة <sup>(٧)</sup> يكذبون النبي صلى الله عليه  
وسلم ، وينكرون آياته وأعلامه ، ويقولون : لم يأت بشيء ، ولا بان  
بشيء . وإنما قلنا : إن العدد الكثير <sup>(٨)</sup> لا يتفقون على مثل إخبارهم  
أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، التهامى الأبطحى عليه السلام  
خرج بمكة ، ودعا إلى كذا ، وأمر بكذا ، ونهى عن كذا ، وأباح كذا ،

(١) ب ، م : « والذى » .

(٢) انظر ما سبق في ص ٢٤١ ، ٢٤٨ .

(٣) ب ، م : « ويقوم أسبابهم » .

(٤) ب ، م : « توائب » ، صوابه في ط .

(٥) ب ، ط : « ويحسن معرفتهم » .

(٦) ب ، م : « ولم يقل إن العدد كثير » ، تحريف ما في ط .

(٧) البدعة : جمع بد ، بالصم ، وهو الضم ، معرب بت ، ويجمع أيضاً على أبعاد .

وفي ب ، م : « البدعة » ، وفي ط : « المبدرة » ، صوابها ما أثبت .

(٨) ب ، م : « كثير » ، صوابه في ط .



وجاء بهذا الكتاب الذي نقرؤه ، فوجب العملُ بما فيه ، وأنه تحدَّى  
البلغاء<sup>(١)</sup> والخطباء والشُعراء ، بنظمه وتأليفه ، في المواضع الكثيرة ،  
والمحافل العظيمة . فلم يَرْمُ ذلك أحدٌ ولا تكلفه ، ولا أتى ببعضه  
ولا شبيهه منه ؛ ولا ادَّعى أنه قد فعل ، فيكون ذلك الخبرُ باطلاً .

وليس قولُ جَمْعهم إنه كان كاذباً<sup>(٢)</sup> معارضةً لهذا الخبر ، إلا أن  
يُسْمُوا الإنكار معارضة . وإنما المعارضة مثلُ الموازنة والمُكايَلة ، فمتى  
قابلونا بأخبارٍ في وزن أخبارنا ومخرجها ومجيئها ، فقد عارضونا  
ووازنونا وقابلونا ، وقد تكافينا<sup>(٣)</sup> وتدافعنا . فأمَّا الإنكار فليس بحجة ،  
كما أنَّ الإقرار ليس بحجة ، ولا تصديقنا النبيَّ صلى الله عليه وسلم  
حُجَّةً على غيرنا ، ولا تكذيبُ غيرنا له حُجَّةً علينا ، وإنما الحُجَّةُ في  
المحجى الذي لا يمكن في الباطل مثله .

فإن قلتَ : وأى محجى أثبتَ خبر النَّصارى عن عيسى بنِ مريمَ  
عليه السلام ؟ وذلك أنك لو سألتَ النَّصارى مجتمعين ومتفرقين  
لخبروك عن أسلافهم أن عيسى قد قال : إني إله .

قلنا : قد علمنا أن نصارى عصرنا لم يكذبوا على القرن الذي كان  
قبْلهم ، والذين كانوا يَلُونهم . ولكنَّ الدليل على أن أصلَ خبرهم ليس  
كفرعه ، أن عيسى عليه السلام لو قال : إني إله - لما أعطاه الله تعالى  
إحياء الموتى ، والمشى على الماء . على أن في عيسى عليه السلام<sup>(٤)</sup> دلالةً  
في نفسه ، أنه ليس بإله ، وأنه عبدٌ مدبرٌ ، ومقهورٌ ميسرٌ ، وليس

(١) ب : « تجد » م : « تجد » صوابهما في ط .

(٢) ب : « أنه كذا كان كاذباً » م : « أنه كان كاذبة » ، صوابهما في ط .

(٣) ب : « تكافأنا » بالهمز .

(٤) ب فقط : « على أن عيسى عليه السلام » .

خبرهم هذا إلا كإخبار النصارى عن آبائهم والقرن الذي يليهم أن بولس<sup>(١)</sup> قد كان<sup>(٢)</sup> جاء بالآيات والعلامات. وكإخبار المنانية<sup>(٣)</sup> عن القرن الذي كان يليهم منه<sup>(٤)</sup> أن ماني قد كان جاءهم بالآيات والعلامات. وكإخبار المجوس عن آبائهم الذين كانوا يلونهم أن زرادشت قد جاءهم بالآيات والعلامات. وقد علمنا أن هؤلاء النصارى لم يكذبوا على القرن الذي كان يليهم ، ولا الزنادقة ولا المجوس . ولكن الدليل على أن أصل خبرهم ليس كفره<sup>(٥)</sup> أن<sup>(٦)</sup> الله جلّ وعز لا يعطي العلامات من لا يعرفه ، لأن بولس إن كان عنده أن عيسى عليه السلام إله فهو لا يعرف الله تعالى ، بل لا يعرف الربوبية من العبودية ، والبشرية من الإلهية .

#### ٢٩ - فصل منه

وللنصارى خاصة رياء عجيب<sup>(٧)</sup> ، وظاهر زهد ، والناس أبطأ شئ عن التصفح ، وأسرع شئ إلى تقليد صاحب السنّ والسّمّت ، وظاهر العمل أدعى لهم من العلم .

(١) بولس : أحد الحواريين ، وقد قام نيرون ملك الروم بقتله هو وبطرس بمدينة رومية وصلبهما منكرين ، وذلك بعد وفاة المسيح باثنتين وعشرين سنة ، وذلك بعد ثلاث عشرة سنة من ملكه . ابن الأثير ١ : ٣٢٥ والنتبية والإشراف ١٠٩ - ١١٠ . وفي م فقط : « يونس » تحريف .

(٢) كان ، ساقطة من ب ، م .

(٣) المنانية ، والمانية : أتباع ماني المنتهي الذي زعم أنه الفارقليط الذي بشر به عيسى عليه السلام ، واستخرج مذهبه من المجوسية والنصرانية . وانظر ما كتبت من تحقيق في حواشي الحيوان ٤ : ١ . وفي ط : « المانوية » .

(٤) أي من زمن ماني . وفي ب ، م : « منهم » .

(٥) أن ، ساقطة من ب ، ط .

(٦) ط فقط : « لأن » .

(٧) م : « رثاء » ، وهي لغة قرآنية .

## ٣٠ - فصل منه على ذكرهم

وكلُّ قومٍ بنوا دينهم على حبِّ الأشكال<sup>(١)</sup>، وشبهه الرجال<sup>(٢)</sup>،  
يشنّد وجدّهم به<sup>(٣)</sup> وحبهم له، حتّى ينقلب<sup>(٤)</sup> الحبُّ عشقاً، والوجدُ  
صباةً، للمشاكله التي بين الطوائع، والمناسبة التي بين النفوس.

وعلى قدر ذلك يكون البُغض والحقد، لأنَّ النَّصارى حين جعلوا  
ربهم إنساناً مثلهم بَخَعَتْ نفوسهم بالهَيْبَةِ له<sup>(٥)</sup> لتوهمهم الربوبية،  
وَأَسَمَحَتْ بالموذّة لتوهمهم البشريّة، فلذلك قَدَرُوا من العبادة على ما لم  
يقدر عليه مَنْ سواهم<sup>(٦)</sup>. وبمثل هذا السَّبَبِ صارت المشبهة منّا أَعْبَدَ  
مَنْ يَنْبَغِي التَّشْبِيهِ، حتّى ربّما رأيتَه يَتَنَفَّسُ من الشوق إليه، وَيَشْهَقُ<sup>(٧)</sup>  
عند ذكر الزيارة، ويبكى عند ذكر الرؤية، وَيُعْشَى عليه عند ذكر رَفْعِ  
الحُجُبِ. وما ظنُّكَ بشوقٍ مَنْ طَمَعِ في مجالسة ربّه عزَّ وجلَّ، ومحادثة  
خالقه عزَّ ذكره.

ولقد غالت القومَ غُولٌ، ودعاهم أمرٌ، فانظُرْ ما هو؟ وإن<sup>(٨)</sup> سألتني  
عنه خبرتكَ: إنّما هو نتيجةُ أحدِ أمرين: إمّا تقليدُ الرجال، وإمّا طلبُ  
تعظيمهم. ولذلك السَّبَبِ لم ترض اليهودُ من إنكار حقّه بتكذيبه،  
حتّى طلبتْ قتله وصلبَه، والمثله به، ثم لم ترضْ بذلك حتّى رزعت

(١) ط: «بنوا على حب الأشكال».

(٢) ب، م: «وشيد الرجال» ط: «وشد الرجال»، ولعل وجهه ما أثبت.

(٣) ب: «أشد وجدهم به» م: «اشتد وجدهم به»، وأثبت ما في ط.

(٤) ب: «تقرب» م: «يقرب»، صوابهما في ط.

(٥) بجمت: خضمت وأقرت. وفي ب: «نجمت؟ تحريف. م، ط: «بالهية له»

والإلهية: الربوبية. وأثبت ما في ب.

(٦) ب، م: «من العبادة ما لم يقدر عليه سواهم».

(٧) ب، م: «ويشهد».

(٨) ب: «وإذا».

أنَّهُ لغيرِ رِشْدَةٍ ، فلو كانت دون هذه المنزلة منزلةً لما انتهت اليهودُ دونَ بلوغها ، ولو كانت فوق ما قالت النَّصارى منزلةً لما انتهت دونَ غايتها .  
وبذلك السَّببُ صارت الرافضة أشدَّ صِباةً و تحرقاً ، وأفرطَ غضباً ، وأدومَ حِقْداً . وأحسنَ تِواصلاً من غيرهم أيضاً .

وربَّ خبرٍ قد كان فاشياً<sup>(١)</sup> فدخل عليه من العِللِ ما منَعَه من الشُّهرة ، وربَّ خبرٍ ضعيفِ الأُصلِ ، واهنِ المخرجِ ، قد تهبَّأ له من الأسبابِ ما يُوجب الشُّهرة .

### ٣١ - فصل منه

واعلم أنَّ لأكثرِ الشُّعْرِ طَعْنًا<sup>(٢)</sup> وحظوظاً ، كالبيتِ يحطِّي ويسير ، حتَّى يحطِّي صاحبه بحظِّه ، وغيره من الشُّعْرِ أجودُ منه . وكالمثلِ يحطِّي ويسير ، وغيره من الأمثالِ أجودُ . وما ضاع من كلامِ النَّاسِ وضمِّلَ أكثرُ ممَّا حُفِظَ وحُكِيَ . واعتبر ذلك من نفسك ، وصديقك وجليسك .  
وأمر الأسبابِ عجيب . ومن ذلك قتلُ عليِّ بنِ أبي طالبٍ<sup>(٣)</sup> من السَّادة والقادة والحُماة ، ما عسى لو ذكرته لاستكبرته واستعظمتَه ، فأضرب النَّاسُ عن ذكرهم ، وجَهلَتِ العوامُ مواضعهم ، وأخذوا في ذكر عمرو بنِ عبْدودٍ<sup>(٤)</sup> فرَفَعُوهُ فوق كلِّ فارسٍ مشهور ، وقائدٍ مذكور .

(١) فاشياً : ذائعاً منتشرأ . ب ، م : « ناسياً » صوابه في ط .

(٢) في الأصول : « طعنأ » بالمهملة ، صوابه ما أثبت . والظنن : الارتحال والسير .

(٣) ب ، م : « وليس كل ذلك يعرف قبل علي بن أبي طالب » ، تحريف .

(٤) عمرو بن عبدود : أحد أشراف قريش . وقد ظهر أمره في غزوة بدر الكبرى

قاتل فيها فأثبنته الجراحة ، فلم يشهد يوم أحد ، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مكانه ،

ودعا إلى المبارزة ، فنازله علي بن أبي طالب وجاوله حتى قتله . وانظر السيرة ٤٣٦ ، ٤٣٧ ،

٦٩٩ . وفي ب ، م : « وأخذوا في ذلك » . وود : صنم يقال بفتح الواو وضمها ، وفتحها

أكثر في اللغة وفي القراءات .

وقد قرأتُ على العلماء كتاب الفجار<sup>(١)</sup> الأول ، والثاني ، والثالث .  
وأمر المطيبين<sup>(٢)</sup> والأحلاف<sup>(٣)</sup> ، ومقتل أبي أزيهر<sup>(٤)</sup> ، ومجىء الفيل ، وكلُّ  
يومٍ جُمعٍ كان لقريش ، فما سمعتُ لعمرٍو هذا في شيءٍ من ذلك ذكراً .

فإن قلت : إن نُبُلَ القتال زيادة في نُبُلِ المقتول ، فكلُّ من قتله على  
ابن أبي طالب رضوان الله عليه أنبلُّ منه وأحقُّ بالشهرة ، ولكن أشعار  
ابنِ دأبٍ<sup>(٥)</sup> ، ومناقلة الصبيان في الكتاب هما اللتان أورثتا<sup>(٦)</sup>  
ما تَرَى وتسمع .

(١) أيام الفجار معروفة في أيام العرب أيام الجاهلية . وسُميت فجاراً لأنها كانت في الأشهر  
الحرم ، وكانت قبل مبث النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بست وعشرين سنة . وقال النبي صلى  
الله عليه وسلم : « كنت أنبل على أعمامى يوم الفجار وأنا ابن أربع عشرة سنة » أنبل . : أناولهم  
النبل ، أى السهام . وانظر العتد ٥ : ٢٥١ - ٢٥٧ . ب ، م : « الفجار » ، صوابه في ط .  
(٢) المطيبون : هم أسد ، وزهرة ، وتميم ، عقدت معهم بنو عبد مناف حلفاً مؤكداً على  
ألا يتخاذلوا ، وأن يكونوا يداً واحدة على أخذ ماني يدي عبد الدار من الحجابة والرفادة واللواء  
والسقاية ، فأخرجت بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيباً فوضعوها في المسجد ، ثم غس القوم  
أيديهم فيها جميعاً وتعاقدوا ، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً ، فسموا المطيبين . وكان أبو بكر  
من المطيبين .

(٣) الأحلاف ، هم خس قبائل من قريش : عبد الدار ، وجمح ، وسهم ، ونخزوم ، وعدي  
ابن كعب . تعاقدت معهم بنو عبد الدار حلفاً مؤكداً ألا يتخاذلوا ، فسموا الأحلاف . وكان عمر  
ابن الخطاب من الأحلاف . انظر اللسان (حلف) ، وكذلك المخبر لابن حبيب ١٦٦ - ١٦٧ .  
(٤) في ب ، ط : « ومقتل أبي أزيهر » وفي م : « ومقبل بن أبي أزيهر » ، صوابهما  
ما أثبت . وانظر خبر مقبل أبي أزيهر الدومى في كتاب أسماء المغتالين من نوادير المخطوطات  
٢ : ١٤٩ . والذي قتله هو هشام بن الوليد بن المغيرة .

(٥) اسمه عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب ، كان خطيباً شاعراً ناسباً ، وكان يضع الحديث  
والشعر كأحاديث السمر . وكان يضع الحديث بالمدينة ، وابن شوكر يضع الحديث بالسند ، وفيهما  
يقول خلف الأحمر :

أحاديث ألفها شوكر وأخرى مؤلفه لابن داب

وكان كثير الأدب ، عذب الألفاظ ، صاحب خطوة عند الهادى . روى عنه شهابة بن سوار ،  
ومحمد بن سلام الجمحي . تاريخ بغداد ٥٨٤٥ ولسان الميزان ٤ : ٤٠٨ . ط : « ابن ود » ،  
تحريف .

(٦) ب : « ورثتا » م : « أورثتا » ، وأثبت ماني ط .

## ٣٢ - فصل منه في أمر الأخبار

وإنما ذكرت هذا لتعلم أن الخبر قد يكون أصله ضعيفاً ثم يعود قوياً ، ويكون أصله قوياً فيعود ضعيفاً ، للذي يعتريه من الأسباب ، ويحلُّ به من الأعراض ، من لدن مخرجه وفُصوله ، إلى أن يبلغ مدته (١) ، ومنتهاى أجله ، وغاية التدبير فيه ، والمصلحة عليه .

فلما كان هذا مخوفاً ، وكان غير مأمونٍ على المتقادم منه وضعَّ الله تعالى لنا على رأس كلِّ فترةٍ علامة ، وعلى غاية كلِّ مدَّةٍ أمانة ، ليُعيد قوَّةَ الخبر ، ويجدِّد ما قد همَّ بالدُّروس ، بالأنبياء والمرسلين (٢) عليهم السلام أجمعين . لأنَّ نوحاً عليه السلام هو الذى جدَّد الأخبار التى كانت فى الدهر الذى بينه وبين آدم عليهما السلام ، حتَّى مُنَعها الخلل ، وحماها النقصان بالشواهد الصادقة ، والأمارات القائمة . وليس أن أخبارهم وحججهم قد كانت دَرَسَتْ واختلَّت ، بل حين همَّت بذلك (٣) وكادت . بعثه الله عزَّ وجلَّ بآياته لثلاث تخلصوا الأرض من حُججِهِ ، ولذلك سموا آخر الدهر الفترة . وبين الفترة والقِطعة فرق . فاعرف ذلك .

ثم بعث الله جلَّ وعزَّ إبراهيم عليه السلام على رأس الفترة الثانية التى كانت بينه وبين دهر نوح ، وإنما جعلها (٤) الله تعالى أضول فترةٍ كانت فى الأرض ، لأنَّ نوحاً كان لبث فى قومه يحتجُّ ويُخبر ، ويؤكد ويبيِّن ، ألف سنةٍ لإلأخمين عاماً ، ولأنَّ آخر آياته كانت أعظم الآيات ، وهى الطوفان ، الذى أغرق الله تعالى به (٥) جميعَ أهل الأرض

(١) ب : « تبلغ مدته » .

(٢) ط : « من أنباء المرسلين » .

(٣) كلمة « بل » من ط فقط .

(٤) ب ، م : « جعله » ، صوابه فى ط .

(٥) ب ، م : « التى غرق الله تعالى » فقط ، صوابه فى ط .

غيره وغير شيعته ، وإنما أفار الماء<sup>(١)</sup> من جوف تنور ، ليكون أعجب للآية<sup>(٢)</sup> ، وأشهر للقصة ، وأثبت للحجة .

ثم ما زالت الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ، بعضهم على إثر بعض في الدهر الذي بين إبراهيم ، وبين عيسى عليهما السلام . فلترادف حُجَجهم ، وتظاهر أعلامهم ، وكثرة أخبارهم ، واستفاضة أمورهم ، ولشدة ما تأكد ذلك في القلوب ، ورسخ في النفوس ، وظهر على الألسنة ، لم يدخلها الخطل والنقص<sup>(٣)</sup> والفساد ، في الدهر الذي كان بين النبي عليه السلام وبين عيسى عليه السلام .

فحين همّت بالضعف ، وكادت تنقص عن التمام<sup>(٤)</sup> ، وانتهت قوتها ، بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم ، فجدد أفاصيص آدم ونوح ، وموسى وهارون ، وعيسى ويحيى ، عليهم السلام ، وأموراً بين ذلك ، وهو الصادق ، بالشواهد الصادقة ، وأن الساعة آتية<sup>(٥)</sup> ، وأنه ختم الرسل عليهم السلام به ، فعلمنا عند ذلك أن حجته ستم إلى مدتها ، وبلوغ أمر الله عز وجل فيها .

### ٣٣ - فصل

ثم رجع الكلام إلى القول في الأخبار ، فأقول :  
إنَّ الناس مُوكَّلون بحكاية كلِّ عَجيب ، وميسرون للإخبار عن

(١) يقال فار الشيء : جاش ، وأفرته وفرفته أيضاً بالتمدية فيها . وأنشد ابن الأعرابي :

وكانوا قعوداً حولها يرقبونها      وكانت فتاة الحى من يغيرها

ويروى : « يغيرها » ويروى : « يغيرها » . ط فقط : « فار الماء » .

(٢) ب : « وليكون » بزيادة واو .

(٣) ب : « لم يدخلها النقص » فقط . م : « لم يدخلها الخلل والنقص » ، وأثبت ما في ط .

(٤) ب : « وكانت تنقص عن التمام » ، صوابه في م ، ط .

(٥) ب ، م : « أن الساعة آتية » .

كُلُّ عَظِيمٍ ، وَلَيْسُوا <sup>(١)</sup> لِلْحَسَنِ أَحْكَمِي مِنْهُمْ لِلْقَبِيحِ ، وَلَا لِمَا يَنْفَعُ أَحْكَمِي مِنْهُمْ لِمَا يَضُرُّ ، وَعَلَى قَدَرِ كِبَرِ الشَّيْءِ تَكُونُ حِكَايَتُهُمْ لَهُ وَاسْتَعَاؤُهُمْ <sup>(٢)</sup> .

أَلَا تَرَى أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْخُلَفَاءِ لَوْ ضَرَبَ عُنُقَ رَجُلٍ مِنَ الْعُظَمَاءِ لِمَا أَمْسَى فِي عَسْكَرِهِ وَبَلَدْتَهُ جَاهِلٌ وَلَا عَالِمٌ إِلَّا وَقَدْ اسْتَقَرَّ ذَلِكَ عِنْدَهُ وَثَبَتَ فِي قَلْبِهِ <sup>(٣)</sup> ، لِأَنَّ النَّاسَ بَيْنَ حَاسِدٍ فَهُوَ يَحْكِي ذَلِكَ الَّذِي دَخَلَ عَلَيْهِ مِنَ التُّكُلِّ وَقِدَّةِ الْعُدَدِ ، وَبَيْنَ وَاجِدٍ <sup>(٤)</sup> يَعَجَّبُ النَّاسُ ، وَبَيْنَ وَاعِظٍ مُعْتَبَرٍ ، وَبَيْنَ قَوْمٍ شَأْنُهُمُ الْأَرَاخِيفُ بِالْفَاسِدِ وَالصَّالِحِ . وَلَوْ كَانَ ضَرَبَ عُنُقَهُ فِي يَوْمِ عِيدٍ ، أَوْ حَلْبَةِ <sup>(٥)</sup> ، أَوْ اسْتَمْطَارٍ ، أَوْ مَوْسَمٍ ، لَكَانَ أَشَدَّ لِاسْتِفَاضَتِهِ ، وَأَسْرَعَ لظُهُورِهِ .

وَلَوْ جَازَ أَنْ يَكْتُمَ النَّاسُ هَذَا وَشَبَّهَهُ عَلَى الْإِيثَارِ لِلْكَيْمَانِ ، وَعَلَى جِهَةِ النَّسِيَانِ ، لَكُنَّا لَنَدْرِي : لَعَلَّهُ قَدْ كَانَ فِي زَمَنِ صِنْفَيْنِ وَالْجَجَلِ وَالنَّهْرَوَانِ حَرْبٌ مِثْلَهَا أَوْ أَشَدُّ مِنْهَا ، وَلَكِنَّ النَّاسَ آثَرُوا الْكَيْمَانَ ، وَاتَّفَقُوا عَلَى النَّسِيَانِ .

فَإِذَا كَانَ قَتْلُ الْمَلِكِ الرَّجُلِ مِنَ الْعُظَمَاءِ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ مِنْ قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ ، وَمِنْ قُلُوبِ الْحُكَمَاءِ وَالْعَوَّغَاءِ ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ لَوْ أَبْصَرُوا رَجُلًا قَدْ أَحْيَاهُ بَعْدَ أَنْ ضَرَبَ عُنُقَهُ ، وَأَبَانَ رَأْسَهُ مِنْ جَسَدِهِ ، أَلَيْسَ كَانَ يَكُونُ تَعَجُّبُهُمْ <sup>(٦)</sup> مِنْ إِحْيَائِهِ أَشَدَّ مِنْ تَعَجُّبِهِمْ مِنْ قَتْلِهِ ، وَكَانَ يَكُونُ إِخْبَارَهُمْ مَنْ خَلَّفُوا فِي مَنَازِلِهِمْ وَمَنْ وَرَدَ عَلَيْهِمْ عَنِ الْقَتْلِ لِيَكُونَ سَبَبًا لِلْإِخْبَارِ عَنِ الْإِحْيَاءِ ، إِذْ كَانَ الْأَوَّلُ صَغِيرًا فِي جَنْبِ الثَّانِي .

(١) ب ، م : « وليس هم » .

(٢) ب : « يكون » بالياء . وكلمة « له » من ط فقط .

(٣) ب ، م : « ذلك عنده وقلبيه » تحريف .

(٤) ب ، م : « واحد » ، صوابه في ط .

(٥) يوم الحلبة : يوم سباق الخيل . ب ، م : « خلية » ، صوابه في ط .

(٦) ط فقط : « أليس يكون يكون تعجبهم » .



فهذا يدلُّ على أَنَّ أعلامَ الرُّسل عليهم السلام وآياتهم أَحَقُّ بالظهور والشهرة ، والقهرِ للقلوب والأسماع ، من مخارجهم وشرائعهم . بل قد نعلم أَنَّ موسى عليه السلام لم يُذكر ولم يُشهر إِلَّا لأعاجيبه وآياته . وكذلك عيسى عليه السلام ، ولولا ذلك لما كانا إِلَّا كغيرهما ممن لا يُشعر بموته ولا مولده .

وكيف تتقدم المعرفة بهما المعرفة بأعلامهما<sup>(١)</sup> وأعاجيبهما ، وأنت لم تسمع بذكرهما قطُّ ، دون ما ذكر من أعلامهما .

فإذا كان شأنُ الناسِ الإخبارَ عن كلِّ عَجِيبٍ ، وحكايةَ كلِّ عَظِيمٍ ، والإطرافَ بكلِّ طريفٍ ، وإيرادَ كلِّ غريبٍ من أمورِ دنياهم ، فما لا يمتنع<sup>(٢)</sup> في طبائعهم ، ولا يخرُجُ من قوى الخليفة في البطش والحيلة ، أَحَقُّ بالإخبار والإذاعة ، وبالإظهار والإفاضة ، هذا على أَن يُترك الطَّبَاعُ وما يُولدُ عليه<sup>(٣)</sup> ، والنَّفْسُ وما تُنتج<sup>(٤)</sup> ، والعللُ وما يسخرُ . فكيف إنَّ كان الله عز وجل قد خَصَّ أعلامَ أنبيائه وآياتِ رسله عليهم السلام من تبييضِ الناسِ على الإخبار عنها<sup>(٥)</sup> ، ومن تسخيرِ الأسماع لحفظها ، بخاصَّةٍ لم يجعلها لغيرها<sup>(٦)</sup> .

### ٣٤ - فصل منه

فإن قال قائل : إنَّ الحجَّةَ لا تكون حجَّةَ حتى تعجز الخليفة<sup>(٧)</sup> ،

(١) ب ، م : « وكيف يتقدم » وبعدها في ب فقط : « المعرفة » . وتتمة الكلام من م ، ط .

(٢) ب ، م : « ولا ما يمتنع » ، صوابه في ط .

(٣) الطباع : الطبع ، ويكون أيضاً جمعاً للطبع ، كما قال الأزهري . وفي ط : « وما تولد عليه » ، فلها وجهها .

(٤) ب ، م : « وما ينتج » .

(٥) ب ، م : « عن الإخبار عنها » ، صوابه في ط .

(٦) ب ، م : « خاصة لم يجعلها لغيرها » .

(٧) ب ، م : « حتى يعجز الخليفة » .

وتخرج<sup>(١)</sup> من حدّ الطاقة ، كإحياء الموتى ، والمشي على الماء ، وكفلق البحر ، وكإطعام الثّمار في غير أوان الثّمار ، وكإنطاق السّباع ، وإشباع الكثير من القليل ، وكلّ ما كان جسماً مُخترعاً ، وجرمأ مُبتدعاً .  
وكالذي لا يجوز أن يتولّاه إلّا الخالق ، ولا يقدر عليه إلّا الله عزّ ذكره .

فأمّا الأخبار التي هي أفعال العباد ، وهم تولّوها ، وبهم كانت وبقولهم حدثت ، فلا يجوز أن يكون حجّة ، إذ كان<sup>(٢)</sup> لا حجّة إلّا مالا يقدر عليه الخليفة ، وما لا يتوهم من جميع البريّة .

قلنا : إنّنا لم نزعّم أنّ الأخبار حجّة فيحتجون علينا بها ، وإنّما زعمنا أنّ مجيئها حجّة ، والمجيء ليس هو أمرٌ يتكلّفه الناس ويختارونه على غيره ، ولو كان كذلك لكانوا متى أرادوه فعلوه وتهيّأوا له ، ولفعلوه في الباطل<sup>(٣)</sup> كما يجيء لهم في الحقّ . والمجيء أيضاً ليس هو فعلاً قائماً فيستطيعونه أو يعجزوا عنه<sup>(٤)</sup> ، وإنّما هو الإنسان ، يعلم أنّه إذا لقي البصريين فأخبروه أنّهم قد عابنوا بمكة شيئاً ، ثمّ لقي الكوفيين فأخبروه بمثل ذلك ، أنّهم قد صدقوا<sup>(٥)</sup> . إذ كان<sup>(٦)</sup> مثلهم لا يتواطأ<sup>(٧)</sup> على مثل خبرهم على جهلهم بالغيّب ، وعلى اختلاف طبائعهم وهمهم وأسبابهم .  
فليس بين هذا وبين إحياء الموتى والمشي على الماء فرق ، إذ كان الناس لا يقدرّون عليه ، ولا يطمعون فيه ، والمجيء إنّما هو معنى

(١) ب ، م : « ويخرج » .

(٢) ب فقط : « إذا كان » ، تحريف .

(٣) هذا ما في ط . وفي م : « وتهيّأوا للعله في الباطل » ، وفي ب : « وتهيّأوا ولفعلوا .

في الباطل » .

(٤) ب ، م : « فيستطيعونه أو يعجزون له عنه » .

(٥) في ب : « فأخبروه بمثل ذلك قد صدقوا » . وتتمة الكلام من م ، ط .

(٦) ب فقط : « إذا كان » ، تحريف .

(٧) ب ، م : « يتواطأ » ، تحريف .

معقول ، وشيءٌ موهوم . إذ كان<sup>(١)</sup> كيف يكون ومعلومٌ أنّ الناس لا يمكنهم أن يقدرُوا ، ولا يستطيعون فعله . وإنّما مدارُ أمرِ الحُجَّةِ على عجز الخليفة . فمتى وَجَدْتَ أمراً ووجدت الخليفة عاجزةً عنه<sup>(٢)</sup> فهي حجة . ثم لا عليك جوهرأ كان أو عَرَضاً ، أو موجوداً أو متوهماً معقولاً . ألا ترى أنّ فُلُقَ البحرِ ليس هو من جنس اختراع الثمار ، لأنّ الفلق هو انفراج أجزاء ، والثمار أجرامٌ حادثّة .

وكذلك لو ادعى رجلٌ أنّ الله عزّ وجلّ أرسله وجعل حجّته علينا<sup>(٣)</sup> الإخبار بما أكلنا وادّخرنا وأضمرنا ، لكان قد احتجّ علينا .  
فإن قلم<sup>(٤)</sup> : إنّ المنجمين ربّما أخبروا بالضمير ، وبالأمْر المستور ، و ببعض ما يكون .

قلنا : أمّا واحدة<sup>(٥)</sup> فإنّ خطأ المنجمين كثير ، وصوابهم قليل ، بل هو أقلُّ من القليل . وأنتم لا تقدرون أن تقفونا<sup>(٦)</sup> من أخبار المرسلين عليهم السلام في كثير أخبارهم على خطأ واحد<sup>(٧)</sup> ، والذي سهل قليل المنجمين طرافة ذلك منهم<sup>(٨)</sup> ، لأنهم لو قالوا فأخطئوا أبداً لما كان

(١) م ، ط : « إذا كان » .

(٢) ب : « غيره عجزه » م : « غير عاجزة » ، صوابها في ط .

(٣) ب : « فجعله حجة علينا » تحريف . وفي ط : « فجعل حجته علينا » ، وأثبت

ماني ب .

(٤) ب : « فلم قلم » تحريف . ط : « فإن قلت » ، وأثبت ماني م .

(٥) بدله في ط : « هناك فرق » .

(٦) ط : « أن تقفونا » صوابه في ب ، م .

(٧) ب : « في كثرة أخبارهم » . ب ، ط : « على خطأ واحد » . والجاحظ يميل كثيرأ

إلى استعمال « الخطأ » بمعنى الخطأ ، وهو ماورد هنا في نسخة م . انظر الحيوان ١ : ٢١٣ / ٣ :

٥٥٠ ، والبيان ٤ : ١٦ ، ٦٧ .

(٨) الطرافة من الطريف ، وهو الشيء الغريب المستحدث . وفي جميع النسخ : « ظرافة »

بالظاء المعجمة ، والظرافة : الكيس والحذق ، ولاوجه لها هنا .

عَجَبًا ، لِأَنَّهُ لَيْسَ بَعَجَبٍ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ لَا يَعْلَمُونَ مَا يَكُونُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ ، وَمَنْ أَعْجَبَ الْعَجَبِ أَنْ يُوَافِقَ قَوْلُهُمْ بَعْضَ مَا يَكُونُ .  
 وَقَدْ نَجِدُ الْمُنْجِمِينَ يَخْتَلِفُونَ فِي الْقَضِيَّةِ الْوَاحِدَةِ ، وَيُخْطِئُونَ فِي أَكْثَرِهَا . وَقَدْ نَجَدَ الرَّسُولَ يُخْبِرُهُمْ عَمَّا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيُدْخِرُونَ وَيُضْمِرُونَ ، فِي الْأُمُورِ الْكَثِيرَةِ الْمَعَانِي ، وَالْمَخْتَلِفَةِ فِي الْوَجُوهِ ، حَتَّى لَا يَخْطِئُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ . وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ مِنْجَمٌ ذَكَرَ شَيْئاً<sup>(١)</sup> أَوْ وَافَقَ ضَمِيرًا إِلَّا وَأَنْتَ وَاجِدٌ بَعْضَ مَنْ يَزْجُرُ<sup>(٢)</sup> قَدْ يَجِيءُ بِمِثْلِهِ وَأَكْثَرُ مِنْهُ .

فَإِنْ قُلْتَ : إِنَّ النَّاسَ يَكْذِبُونَ فِي الْإِخْبَارِ عَنِ الْأَعْرَابِ وَالْكُهَّانِ مِنْ كُلِّ جَيْلٍ ؟

قُلْنَا : فَهَمْ فِي إِخْبَارِهِمْ عَنِ الْمُنْجِمِينَ أَكْذَبُ .

وَبَعْدُ ، فَالنَّاسُ غَيْرُ مُسْتَعْظِمِينَ لِكَثْرَةِ كَذِبِ الْمُنْجِمِينَ وَخَطَايَاهُمْ وَخُدْعَهُمْ ، وَالنَّاسُ يَسْتَعْظِمُونَ<sup>(٣)</sup> الْيَسِيرَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . وَكَلَّمَا كَانَ الرَّجُلُ فِي عَيْنِكَ أَعْظَمَ ، وَكَانَ عَنِ الْكُذْبِ أَزْجَرَ ، كَانَ كَذِبُهُ عِنْدَكَ أَعْظَمَ . وَإِنَّمَا الْمُنْجَمُ عِنْدَ الْعَوَامِّ كَالطَّبِيبِ الَّذِي إِنْ قَتَلَ الْمَرِيضَ عَلاجهُ كَانَ عِنْدَهُمْ أَنَّ الْقَضَاءَ هُوَ الَّذِي قَتَلَهُ<sup>(٤)</sup> ، وَإِنْ بَرَأَ كَانَ دَوِ اَبْرَاهُ . عَلَى أَنَّ صَوَابَهُمْ أَكْثَرُ ، وَدَلِيلُهُمْ أَظْهَرُ .

وَقَدْ صَارَ النَّاسُ لَا يَقْتَصِرُونَ لِلْمُنْجِمِينَ عَلَى قَدْرِ مَا يَسْمَعُونَ مِنْهُمْ ، دُونَ أَنْ يَوْلِدُوا لَهُمْ ، وَيَضَعُوا الْأَعْجَابَ عَنْ أَلْسِنَتِهِمْ .

(١) ب ، م : « قَالَ شَيْئاً » .

(٢) الزجر : ضرب من الكهانة . وفي جميع النسخ : « مايزجر » . ووجهه ما أثبت .

(٣) في جميع النسخ : « يستعظمون » ، صوابه ما أثبت .

(٤) ب ، م : « إن قبل المريض » ، و « هو الذي قبله » صوابهما في ط .

وكلُّ ملحدٍ في الأرض للرسول طاعنٍ عليه ، غائبٍ له ، يرى أن يصدق عليه كلُّ كذابٍ يريد ذمّه ، وأن يكذب كلُّ صادقٍ يريد مدحه .  
وبعدُ ، فلو كان خبرُ المنجمين <sup>(١)</sup> في الصوابِ كخبر الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، الذي هو حُجَّةٌ ، لما كان خبرُ المنجمين حجةً .

فإن قلت : ولم ذلك ؟

قلتُ : لأنَّ من كثر صوابه على غير استدلالٍ ومقايَسة ، وعلى <sup>(٢)</sup> غير حسابٍ وتجربة ، أو على نظيرٍ ومُعَاينةٍ لم يكن الأمر من قبل الوحي <sup>(٣)</sup> ؛ لأنَّك لو قلت قصيدةً في نفسك فحدثك بها رجل ، وأنت تعلم أنه ليس بمنجم ، وأنشدكها كلها ، لعلمت أن ذلك لا يكون إلا بوحي .

ومثل ذلك رجلٌ اشتدَّ وجعُ عينه فعالجه طبيبٌ فبرأ <sup>(٤)</sup> ، فلو جعل الطبيبُ ذلك حُجَّةً على نبوته لوجب علينا تكذيبه ، ولو قال رجلٌ من غير أن يمسه أو يدنو إليه : اللهم إن كنت صادقاً عليك فاشفه الساعة ، فبرأ <sup>(٥)</sup> من ساعته لعلمنا أنه صادق .

فإن قالوا : وما علمنا أن محمداً عليه السلام لم يكن منجماً ؟

قلنا : إن علمنا بذلك كعلمنا بأنَّ العباسَ وحمزةَ وعلياً وأبا بكرٍ وعمر ، رضوانُ الله عليهم أجمعين ، لم يكونوا منجمين ، ولا أطباءً متكهنين . وكيف يجوز أن يصير إنسانٌ عالماً بالنجوم من غير أن يختلف

(١) ب فقط : « غير المنجمين » ، تحريف .

(٢) ب ، م : « على » بسقوط الواو .

(٣) ب ، م . : « لم يكن الأمر قبل الوحي » ، وإكالة من ط .

(٤) ط : « فبرئ » ، وهما لغتان : برأ يبرأ ويبرؤ ، وبرئ يبرأ ، أى شفى من مرضه .

(٥) م ، ط : « فبرئ » .

إلى المنجمين ، أو يختلفوا إليه ، أو يكون علمُ النجوم فاشياً في أهل بلاده ، أو يكون في أهله واحدٌ معروف به . ولو بلغ إنسانٌ في علم النجوم ، وليست معه عِلَّةٌ من هذه العلل ، وكان ذلك يخفى ، لكان ذلك كبعض الآياتِ والعلامات .

ومتى رأينا حاذقاً بالكلام ، أو بالطبِّ ، أو بالحساب ، أو بالغناء ، أو بالنجوم ، أو بالعروض ، خَفِيَ على النَّاسِ موضَعُه وسببُه ؟ !

وجميعُ ما ذكرنا ، فعنايةُ الناسِ به <sup>(١)</sup> وعداوتهم ، وشهرته في نفسه ، دون محمد صلى الله عليه وسلم .

وهل نصب أحدٌ قطُّ لأحدٍ إلا بدون ما نَصَبَ له رهطُه <sup>(٢)</sup> ، وأذاني أهله <sup>(٣)</sup> ، ومن معه في بيته وربَّعه .

وما أعرِفُ - يرحمك الله - المعاندَ والمسترشِدَ والمصدِّقَ والمكذِّبَ ، ينكر أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن منجماً ولا طبيبياً . وإذا قال الجاهل : إنَّه قد كان يعلم الخطَّ فخفى له ذلك ، وتعلَّم الأسبابَ والقضاءَ في النجوم فخفى له ذلك ، وتعلَّم البيانَ وقدرَ منه <sup>(٤)</sup> على ما يعجز أمثاله عنه وخفى ذلك ، أليس مع قوله ما يعلمُ خلافه ، يعلم أنه قد سلَّم له أعجوبةٌ كأعجوبةِ إبراءِ الأكمه والأبرص ، والمشى على الماء ، إذ كان ذلك لا يجوز ، ولا يمكنُ في الطبائع والعقل والتَّجربة .

وافهمْ يرحمك الله ما أنا واصفُه لك : هل يجد التَّارِكُ لتصديقه

(١) ب ، م : « عناية الناس به » .

(٢) نصب له : أظهر له العدا . ط : « وهل نسب أحد قطُّ لأحدٍ إلا دون ما نسبه له

رهطه » ، تحريف . وبعد كلمة « رهطه » في كل من ب ، م وردت لفظة « نعمة » مقحمة .

(٣) الأذاني : جمع أذنى ، وهو الأقرب . ب ، م : « وأراني » ، صوابه في ط .

(٤) ب ، م : « وتعلم البيان على قدر منه » ، صوابه في ط .

أنه لا يدري بزعمه ، لعله كان أعلم الخلق بالنجوم ، ناظراً لنفسه ، غير معاندٍ لحجة عقله . وهو لم يجد أحداً قطُّ برعَ في صناعةٍ واحدة ففخى على الناس موضعه بكل ما حكينا وفسرنا .

وَأنت كيف تعلم أنه ليس في إخوانك من ليس بمنجم ، وأن فيهم من ليس بطبيب ، إلا بمثل ما يعرف به رهطُ النبي صلى الله عليه وآله منه .

وكيف لم يشتهر ذلك ، ولم لم يحتج به عليه ؟ ولقد بلغ من إسرافهم في شتمه ، وإفراطهم عليه ، أن نافقوا وأحالوا ، لأنهم كانوا يقولون له : أنت ساحرٌ ، وأنت مجنون ! وإنما يقال للرجل : ساحر ، لخلاسته وحسن بيانه ، ولطف مكايده ، وجودة مداراته وتحييه . ويقال : مجنونٌ ، لصد ذلك كله .

### ٣٥ - فصل منه

وليس ينتفع الناس بالكلام في الأخبار إلا مع التصديق ، ولا تصادق إلا مع كثرة السماع ، والعلم بالأصول ؛ لأن رجلاً لو نازع في الأخبار ، وفي الوعد والوعيد ، والخاص والعام ، والناسخ والمنسوخ ، والفريضة والنافلة ، والسنة والشريعة ، والاجتماع والفرقة ، ثم حسنت نيته ، وناضح عن نفسه<sup>(١)</sup> ، لما عرف حقائق باطل دون أن يكون قد عرف الوجوه ، وسمع الجمل<sup>(٢)</sup> ، وعرف الموازنة ، وما كان في الطبائع ، وما يمتنع فيها . وكيف أيضاً يقول في التأويل من لم يسمع بالتنزيل ؟ وكيف يعرف صدق الخبر من لم يعرف سبب الصدق<sup>(٣)</sup> ؟

(١) في اللسان ( نضح ) : « ويقال هو يناضح عن قومه وينافح عنهم ، أى يذب عنهم » .  
وفي جميع النسخ : « وناصح عن نفسه » ، صوابه ما أثبت .  
(٢) ب : « وسمل الجمل » ، صوابه في م ، ط .  
(٣) م فقط : « سبب الخبر » .

واعلم أنّ من عود قلبه التشكك<sup>(١)</sup> اعتراه الضعف ، والنفس عرُوف<sup>(٢)</sup> ، فما عودتها من شيء جرّت عليه .

والمتحير<sup>(٣)</sup> إلى تقوية قلبه وردّ قوته عليه وإفهامه موضع رأيه ، وتوقيفه<sup>(٤)</sup> على الأمر الذي أثقل صدره<sup>(٥)</sup> ، أحوج منه إلى المنازعة في فرق ما بين المجيء الذي يكذب مثله ، والمجيء الذي لا يكذب مثله . وستكلف من علاج دائه ، وترتيب إفهامه إن أعان على نفسه ، بما لا يُتبيح سبباً للشك ، ولا علة للضعف . والله تعالى المعين على ذلك ، والمحمود عليه .

### ٣٦ - فصل منه

ومتى سمعنا نبيّ الله عليه السلام أتكل على عدالته ، وعلى معرفة قومه بقديم طهارته ، وقلّة كذبه ، دون أن جاءهم بالعلامات والبرهانات؟ ولعمري لو لم نجد<sup>(٦)</sup> الحافظ ينسى ، والصادق يكذب ، والمؤمن يبذل ، لقد كان ما ذهبوا إليه وجهاً .

### ٣٧ - فصل منه في ذكر دلائل

#### النبي عليه الصلاة والسلام

وباب آخر يُعرف به صدقه ، وهو إخباره عما يكون ، وإخباره عن

(١) ب : « التشكك » ، صوابه في م ، ط .

(٢) ب ، ط : « عزوف » ، صوابها في م .

(٣) في جميع النسخ : « والمتحير » بالخاء المعجمة ، وإنما يراد هنا المتحير المتشكك ، فالوجه ما أثبت .

(٤) في جميع النسخ : « وتوقيفه » ، تحريف ما أثبت .

(٥) ب : « انقل صدره » صواب هذه ما أثبت . وفي م ، ط : « أشغل صدره » ،

وهي صحيحة أيضاً . لكن في القاموس : « وأشغله لغة جيدة ، أو قليلة ، أو رديئة » .

(٦) ب ، م : « أن لو نجد » ، صوابه في ط .



ضامتر الناس<sup>(١)</sup> ، وما يأكلون وما يدخرون ، ولدعائه المستجاب الذى لا تأخير فيه ، ولا خُلف له . وذلك أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم حين لقي من قريشٍ والعرب ما لقيَ من شِدَّةِ أَذَاهُمْ له ، وتكذيبِهِمْ إِيَّاهُ ، واستعانتِهِمْ عليه بالأموال والرِّجال ، دعا الله جَلَّ وَعَزَّ أَنْ يُجِدِبَ بلادَهُمْ ، وَأَنْ يُدْخِلَ الْفَقْرَ بيوْتَهُمْ ، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « اللَّهُمَّ سِنِينَ كَسَنِي يَوْسُفَ<sup>(٢)</sup> . اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ » .

فَأَمْسَكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُمْ الْمَطَرَ حَتَّى مَاتَ الشَّجَرُ ، وَذَهَبَ الثَّمَرُ ، وَقَلَّتْ الْمَزَارِعُ ، وَمَاتَتِ الْمَوَاشِي ، وَحَتَّى اشْتَوَا الْقِدَّ وَالْعِلْهَزَّ<sup>(٣)</sup> .

فعند ذلك وَقَدَ حَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ عَلَى كَسْرَى ، يَشْكُو إِلَيْهِ الْجَهْدَ وَالْأَزْلَ<sup>(٤)</sup> وَيَسْتَأْذِنُهُ فِي رَعَى السَّوَادِ<sup>(٥)</sup> ، وَهُوَ حِينَ ضَمِنَهُ عَنْ قَوْمِهِ ، وَأَرْهَنَهُ قَوْسَهُ . فَلَمَّا أَصَابَ مُضَرَ خَاصَّةً الْجَهْدُ ، وَنَهَكَهُمْ الْأَزْلُ ، وَبَلَغَتْ الْحُجَّةُ مَبْلَغَهَا ، وَانْتَهتِ الْمَوْعِظَةُ مِنْتَهَا ، عَادَ بِفَضْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَلَى الَّذِي بَدَأَهُمْ بِهِ ، فَسَأَلَ رَبَّهُ الْخِصْبَ وَإِدْرَارَ الْعَيْثِ ، فَآتَاهُمْ مِنْهُ مَا هَدَمَ بُيُوتَهُمْ ، وَمَنَعَهُمْ حَوَائِجَهُمْ ، فَكَلَّمُوهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ حَوِّالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا » . فَأَمَطَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا حَوْلَهُمْ ، وَأَمْسَكَ عَنْهُمْ . وَكُتِبَ إِلَى كَسْرَى يَدْعُوهُ إِلَى نَجَاتِهِ وَتَخْلِيصِهِ مِنْ كُفْرِهِ ، فَبَدَأَ بِاسْمِهِ عَلَى اسْمِهِ ، فَأَنْزَفَ مِنْ ذَلِكَ كَسْرَى لَشِقْوَتِهِ ، وَأَمَرَ بِتَمْزِيْقِ الْكِتَابِ ،

(١) ب فقط : « ضمير الناس » .

(٢) ب فقط « كسرين يوسف » ، تحريف . وكانت سنو يوسف سبعاً شداداً ذات قحط وغلاء . والحديث من أفراد البخارى . انظر الحديث ٦١٩ من الألف المختارة .

(٣) القد ، بالكسر : سير يقدر من جلد غير مدبوغ . والعلهز ، كزبرج : خليط من الدم وأوبار الإبل ، وقد يخلطون به القردان ، ثم يشوونه بالنار ويأكلونه .

(٤) الأزل ، بالفتح : شدة الزمان ، يقال هم في أزل من العيش وأزل من السنة .

(٥) السواد : جماعة النخل والشجر ، نخضرت واسوداده . وسواد العراق : ما حوالى

فلما بلغه صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم مزقْ مُلْكَه كُلَّ مُمَزَّقٍ » .  
 فمزقَ الله جلَّ وعزَّ ملكه ، وجدَّ أصله ، وقطع دابره ، لأنَّ كلَّ ملكٍ في  
 الأرض ، وإن كان قد أُخْرِجَ من مُعْظَمِ ملكه ، فهو مقيمٌ على بقيته منه ،  
 وذلك أنَّ الإسلام لم يتركْ مَلِكًا بحيث تناله الحوافر والأخفاف  
 والأقدام ، إلاَّ أزاله عنه ، وأخرجه منه إلى عقابٍ يعتصمُ بها<sup>(١)</sup> ،  
 ومعاقلِ يأوى إليها ، أو طردَه إلى خليجٍ منبع ، لا يقطعُه إلاَّ السفنُ<sup>(٢)</sup> ،  
 فهم من بين هاربٍ قد دخل في وِجَارٍ ، أو اختنق<sup>(٣)</sup> في غِيضَةٍ ، أو مقيمٍ  
 على فمِ شِعْبٍ ، ورأسِ مَضِيقٍ ، قد سَخَتْ نفسه عن كلِّ سهل ، وأسلمَ  
 كلَّ مَرَجٍ أو مُلْكٍ لا قرارَ له ، وليس بذى مَدَرٍ فيؤتَى ، وإنما أصحابه  
 أكرادٌ يطلبون النُّجعة ، أو كخوارجِ يَطْلُبون الغرَّة<sup>(٤)</sup> . فأمَّا أن يكون  
 مَلِكٌ يُصْحِرُ لهم<sup>(٥)</sup> ، ويقيمُ بإزائهم ، ويغاديهم الحرب ويُمسيهم ،  
 ويساجلهم الظَّفَرُ ويناهضهم ، كما كانت ملوكُ الطوائف ، وكالذي كان  
 بين فارسَ والرومَ - فلا ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ هو الذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ  
 بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ<sup>(٦)</sup> ﴾ إلى قوله عزَّ ذكره :  
 ﴿ المشركون<sup>(٧)</sup> ﴾ . فلم يرضَ أن أظهرَ دينه حتى جعل أهله الغالبيين  
 بالقُدرة ، والظَّاهرين بالمنعة ، والآخذين بالإتاوة .

(١) العقاب : جمع عقبة ، وهي طريق في الجبل وعر .

(٢) ب : « لا يمنعه » ، صوابه في م ، ط .

(٣) في جميع النسخ : « واخنق » ، والوجه ما أثبت .

(٤) ب فقط : « الغرزة » .

(٥) أصح : برز وظهر . ب ، م : « يصخر » ط : « يصبر » ، صوابها ما أثبت .

(٦) الآية ٣٣ من سورة التوبة و ٢٨ من سورة الفتح و ٩ من سورة الصف . وختام الأولى

والأخيرة : « ولوكره المشركون » ، وختام الوسطى : « وكفى بالله شهيدا » .

(٧) ب ، م : « الكافرون » ، تحريف ، صوابه في ط .

وكتب كِسرَى إلى فيروزَ الديلمي<sup>(١)</sup> ، وهو من بقية أصحاب سيفِ بن ذى يزن : أَنْ احمِلْ إلى هذا العبدَ الذى بدأ باسمه قبل اسمي ، واجترأ علىّ ، ودعاني إلى غير ديني ! فأتاه فيروزُ فقال : إِنَّ ربي أمرني أَنْ احمِلَكَ إليه . فقال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ رَبِّي خَبَّرَنِي أَنَّهُ قد قَتَلَ رَبَّكَ البارحة ، فَأَمْسِكْ على رِيثِمَا يَأْتِيكَ الخبر ، فَإِنْ تَبَيَّنَ لك صدقي ، وَإِلَّا فَانْتَ على أمرِكَ » . فراع ذلك فيروزَ وهالَهُ ، وكره الإقدامَ عليه ، والاسْتخفافَ به ، فإذا الخبر قد أتاه : أَنْ شيرويه قد وثب عليه في تلك الليلة فقتله . فَأَسْلَمَ وَأَخْلَصَ ، ودعا مَنْ معه من بقية الفُرس إلى الله عزَّ ذكره<sup>(٢)</sup> فَأَسْلَمُوا .

### ٣٨ - فصل منه<sup>(٣)</sup> في ذكر النبي صلى الله عليه وآله

ثم إِنَّ الذى تقدّمه صلى الله عليه وآله من اليُشارات في الكتب المتقادمة ، في الأزمان المتباعدة ، والبُلدان الموجودة بكلِّ مكان ، على شدة عداوة أهلها ، وتعصُّب حاملها ، ومع قوَّة حسدهم ، وشدة بغيتهم . وما ذلك ببديعٍ منهم ومن آبائهم ، على أَنَّهُم أَشْبَهُ بِآبَائِهِمْ منهم بأزمانهم . وكلُّ النَّاسِ أَشْبَهُ بِأَزْمَانِهِمْ منهم بِآبَائِهِمْ . وآباؤهم الذين قتلوا أنبياءهم عليهم السلام ، وتعنَّتوا رسلهم صلى الله عليهم ، حتَّى خَلَاهُم اللهُ عزَّ وجل من يده ، وأفقدتهم عصمته وتوقيفه .

(١) فيروز الديلمي ، ويقال « فيروز بن الديلمي » كما في ب ، وهو صحابي يكنى أبا الضحاك ، وأبا عبد الرحمن . وكان من أبناء الأساورة من فارس ، الذين كان كسرى قد بعثهم إلى قتال الحبشة . ووقد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعد إسلامه رجع إلى اليمن وأعان على قتل الأسود العنسي الكذاب ، وأتى برأسه إلى النبي صلى الله عليه وسلم . وقد سكن مصر . ومات في خلافة عثمان ، وقيل في خلافة معاوية ، باليمن سنة ٥٣ . الإصابة ٧٠٠٤ .

(٢) م : « عز وجل » .

(٣) منه ، ساقطة من ب .

ولم استدلَّ على ذكره في التَّوراة والإنجيل والزَّبُور ، وعلى صِفته  
والبشارة به في الكُتُب إِلَّا لِأَنَّكَ<sup>(١)</sup> متى وجدتَ النَّصرانيَّ واليهوديَّ  
يُسلم بأرض الشام وجدته يَعْتَلُّ بِأُمُورٍ ، ويحتجُّ بِأَشْيَاءٍ مثلِ  
الأُمُور التي يحتجُّ بها من أسلم بالعراق . وكذلك من أسلم بالحجاز ،  
ومن أسلم من اليمن ، من غير تلاقٍ ولا تعارف ، ولا تشاعُرٍ<sup>(٢)</sup> . وكيف  
يتلاقون ويتراسلون ، وهم غير متعارفين ولا مُتَشاعرين؟ ولو كانوا كذلك  
لظهر ذلك ولم ينكتيم ، كما حكينا قبلَ هذا . ولو قابلتَ بين أخبارهم  
واحتجاجهم مع كثرة الألفاظ واختلاف المعاني ، لوجدتها متساوية .

### ٣٩ - فصل منه

فإن قال قائل : لم كانت أعلامُ موسى عليه السلام في كثيرتها<sup>(٣)</sup>  
مع غيِّ بني إسرائيل ، ونقصان أحلام القبط ، في وزنِ أعلام محمد  
صلى الله عليه وسلم وفي قدرها ، مع أحلام قريش ، وعقول العرب .  
ومتي أحببتَ أن تعرفَ غيِّ بني إسرائيل ونقصان<sup>(٤)</sup> أحلام  
القبط ، ورجحان عقول العرب<sup>(٥)</sup> ، وأحلام كنانة<sup>(٦)</sup> ، فأت<sup>(٧)</sup>  
بواديتهم ورباعهم . وانظر إلى بنيتهم<sup>(٨)</sup> وبقاياهم ، كما نظرتَ إلى بني  
إسرائيل من اليهود<sup>(٩)</sup> وغيِّ بني من مضي من القبط - تعتبرُ ذلك وتعرف

(١) ب ، م : « بأنك » .

(٢) انظر ما سبق في ص ٢٥٠

(٣) ب ، م : « وكثرتها » .

(٤) ط : « ونقص » .

(٥) رجحان ، ساقطة من ب ، م .

(٦) ب ، م : « وأحكام كنانة » .

(٧) ط : « فانظر » .

(٨) ب : « بينهم » ، صوابه في م ، ط .

(٩) ب ، م : « من اليهود عليهم لعنة الله تعالى وعز و بين من مضي من القبط » .

ما أقول . ثم انظر في أشعار العرب الصَّحيحة <sup>(١)</sup> ، والخُطَب المعروفة ، والأمثال المضروبة ، والألفاظ المشهورة ، والمعاني المذكورة ، ممَّا نقلته الجماعاتُ عن الجماعات ، وكلامِ العربِ ومعانيهم في الجاهليَّة . ثم تفقِّدْ ، وسلِّ أهلَ العلم والخِبرة عن بنى إسرائيل ، فإنَّ وجدتَ لهم مثلاً سائراً كما تسمع للقبطِ والفرس ، فضلاً عن العرب فقد أبطلنا فيما قلنا .

وقد كان الرَّجُلُ من العرب يقفُ المواقفَ ، ويسيرُ عدَّةَ أمثال <sup>(٢)</sup> ، كلُّ واحدٍ منها ركنٌ يُبنى عليه ، وأصلٌ يتفرَّعُ منه <sup>(٣)</sup> .

أو هل تسمع لهم <sup>(٤)</sup> بكلامٍ شريفٍ ، أو معنى يستحسنه أهلُ التَّجربة ، وأصحابُ التَّدبير والسياسة ، أو حُكْم <sup>(٥)</sup> أو حِكْمَة ، أو حِدْقٍ في صناعة ، مع تَرادُفِ المُلكِ فيهم ، وتظاهرِ الرُّسالة في رجالهم . وكيف لا تقضى عليهم بالغى والجهل ، ولم تسمعَ لهم بكلمةٍ فاخرة ، أو معنىً نبيه <sup>(٦)</sup> ، لا يَمُنُّ كان في المبدى ، ولا يَمُنُّ كان في المحضَر <sup>(٧)</sup> ، ولا من قاطنى السَّواد <sup>(٨)</sup> ، ولا من نازلى الشَّام ؟

ثم انظرْ إلى أولادهم مع طول لبثهم فينا ، وكوزنهم معنا ، هل غير

(١) هذا ما في م . وفي ب ، ط : « في الأشعار الصحيحة » .

(٢) ب ، م : « ويسير عدة أميال » ط : « وينشي عدة أمثال » ، وأثبت الصواب من

بينهما .

(٣) ب ، م : « ركن يبنى وأصل لفرع منه » ، صوابه في ط .

(٤) ب ، م : « أم » ، صوابه في ط .

(٥) ب ، م : « أو حكم » .

(٦) النبيه : الجليل المشهور . ب فقط : « بينة » ، تحريف .

(٧) المبدى : مكان خروجهم في البادية ، خلاف المحضَر في الحاضرة . ب : « المبدأ »

م ، ط : « المبدأ » ، صوابهما ما أثبت .

(٨) ب فقط : « قاطن السواد » .

ذلك من أخلاقهم وشمائلهم ، وعقولهم ، وأحلامهم ، وآدابهم ، وفطنهم ؟  
فقد صدح بنا كثيرٌ من أمور النصارى وغيرهم .

وليس النصارى كاليهود ، لأنَّ اليهود كلُّهم من بنى إسرائيل إلا القليل .

وبعد ، فلم يضرب فيهم غيرهم ، لأنَّ مناكحهم مقصورةٌ فيهم ،  
ومحبوسةٌ عليهم ، فصور أولهم مؤداةً إلى آخرهم <sup>(١)</sup> ، وعقول أسلافهم  
مردودةٌ على أخلافهم <sup>(٢)</sup> ، ثم اعتبر بقولهم لنبيهم عليه السلام : ﴿ اجعل  
لنا إلهاً كما لهم آلهة <sup>(٣)</sup> ﴾ حين مروا على قوم يعكفون على أصنام  
لهم يعبدونها . وكقولهم : ﴿ أرنا الله جهرة <sup>(٤)</sup> ﴾ ، وكعكوفهم على عجل  
صنيع من حليهم ، يعبدونه من دون الله ، بعد أن أراهم من الآيات ما أراهم .  
وكقولهم : ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون <sup>(٥)</sup> ﴾ ، فكان  
الذى جاء به موسى عليه السلام ، مع نقص بنى إسرائيل والقيبط ، مثل  
الذى جاء به محمدٌ صلى الله عليه وسلم ، مع رجحان قريش والعرب .

وكذلك وعد محمدٍ عليه السلام بنار الأبد ، كوعيد موسى بنى  
إسرائيل بالقاء الهلاس على زروعهم <sup>(٦)</sup> ، والهيم على أفئدتهم ، وتسليط  
الموتان على ماشيتهم <sup>(٧)</sup> ، وبإخراجهم من ديارهم ، وأن يظفر بهم

(١) في جميع النسخ : « قصوراً ولم مؤداة إلى آخره » ، وأرى الوجه فيما أثبت .

(٢) الأخلاف : جمع خلف ، بالتحريك ، وهو الولد صالحاً كان أو طالحاً . ب ، م

« أخلاقهم » ، صوابه في ط .

(٣) من الآية ١٣٨ من الأعراف .

(٤) من الآية ١٥٣ من النساء .

(٥) من الآية ٢٤ من المائدة .

(٦) الهلاس ، بالضم : شبه السل من الهزال . وفي سفر اللاويين ٢٦ : ١٦ : « أسلط عليكم

رعياً وسلاوحى تفتى العينين ، وتلتف النفس ، وتزرعون باطلارزعمك فياكله أعداؤكم » .

(٧) انظر سفر اللاويين ٢٦ : ٢٢ . والموتان ، بالضم ويفتح : موت يقع في المشية .

عدوهم . فكان تعجيل العذاب الأدنى<sup>(١)</sup> في استدعائهم واستمالتهم ، ورذعهم عما يريد بهم ، وتعديل طبائعهم ، كتأخير العذاب الشديد على غيرهم ، لأنَّ الشديد<sup>(٢)</sup> المؤخَّر لا يزجرُ إلاَّ أصحابَ النَّظر في العواقب ، وأصحابَ العقولِ التي تذهب في المذاهب<sup>(٣)</sup> .

فسبحانَ من خالَفَ بين طبائعهم وشرائعهم ليتفقوا على مصالحهم في دُنْيَاهُمْ ، ومَرَأِئِدِهِمْ في دينهم ، مع أنَّ محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مخصوصٌ بعلامة لها في العقل موقع ، كموقع فلق البحر من العين ، وذلك قوله لقريشٍ خاصَّةً ، وللعرب عامَّةً ، مَعَ ما فيهما من الشُّعراء والخُطباء والبلغاء ، والدُّهاة والحُلماء<sup>(٤)</sup> ، وأصحابِ الرَّأْيِ والمكيدة ، والتَّجارب والنَّظر في العاقبة : إنَّ عارضتموني بسورةٍ واحدةٍ فقد كذبتُ في دعوايَ ، وصدَّقتم في تكذبي .

ولا يجوز أن يكون مثلُ العربِ في كثرة عددهم واختلافِ علمهم ، والكلامُ كلامهم ، وهو سيِّدُ عملهم ، فقد فاض بيانهم ، وجاشت به صدورهم ، وغلبتهم قُوَّتُهُمْ عليه عند أنفسهم ، حتَّى قالوا في الحيَّات والعقارب ، والذُّباب والكِلاب ، والخنَافس والجِعلان ، والحمير والحمام ، وكلُّ ما دبَّ ودرَج ، ولاح لعينٍ ، وخطر على قلب . ولهم بعدُ أصنافُ النَّظْمِ ، وضروبُ التَّأليفِ ، كالقصيدِ<sup>(٥)</sup> ، والرَّجَزِ ، والمزدوجِ ، والمُجانَسِ<sup>(٦)</sup> ، والأسجاعِ<sup>(٧)</sup> والمنثور .

(١) ب ، م : « الدون » .

(٢) ب فقط : « لأنَّ العذاب » .

(٣) ب فقط : « بالمذاهب » .

(٤) العلماء : ذور الألباب والعقول . م فقط : « والحكماء » .

(٥) ب فقط : « كالقصة » .

(٦) هو ما عرف بعد بالجناس في اصطلاح البلاغيين .

(٧) ب ، م : « الأسجاع » ، ط : « الأسماع » ، صوابها ما أثبت .

وبعد ، فقد هَجَّوهُ من كلِّ جانب ، وهاجَى أصحابُه شعراءَهم <sup>(١)</sup> ،  
ونازعوا خُطباءَهم ، وحاجَّوهُ في المواقف ، وخاصَّمُوهُ في المواسم ، وبادَّوهُ  
العداوة <sup>(٢)</sup> ، وناصَبُوهُ الحرب ، فقتلَ منهم ، وقتلوا منه ، وهم أثبتُ  
النَّاسِ حِقْداً ، وأبعدهم مطلباً ، وأذكرهم لخير أو لشر ، وأنفاهم له ،  
وأهجاهم بالعجز ، وأمدحهم بالقوَّة ، ثمَّ لا يُعارضه معارضٌ ، ولم  
يتكلَّف ذلك خطيبٌ ولا شاعر .

ومحالٌ في التعارف ، ومستنكرٌ في التصادق ، أن يكون الكلامُ  
أخَصَرَ عندهم <sup>(٣)</sup> ، وأيسَرَ مَثُونَةً عليهم ، وهو أبلغ في تكذيبهم  
وأنقضُ <sup>(٤)</sup> لقوله ، وأجدر أن يعرف ذلك أصحابُه <sup>(٥)</sup> فيجتمعوا على  
ترك استعماله ، والاستغناء به ، وهم يبذلون مُهَجِّمَهُم <sup>(٦)</sup> وأموالهم ،  
ويخرجون من ديارهم في إطفاء أمره ، وفي توهين ما جاء به ، ولا  
يقولون ، بل لا يقول واحدٌ من جماعتهم : لِمَ تقتلون أنفسكم <sup>(٧)</sup> ،  
وتستهلكون أموالكم ، وتخرجون من دياركم ، والحيلةُ في أمره يسيرة ،  
والمأخذ في أمره قريب ؟ ! ليؤلَّف واحدٌ من شعرائكم وخطبائكم كلاماً  
في نظم كلامه ، كاقصر سورة يُخذلكم بها ، وكأصغر آيةٍ دعاكم إلى  
معارضتها . بل لو نسوا ، ما تركهم حتَّى يذكُرهم ، ولو تغافلوا ما ترك  
أن ينبههم ، بل لم يرض بالتنبيه دون التوقيف .

(١) ب : « وهجى أصحابه شعراؤهم » .

(٢) يقال باداه بالعداوة : جاهره بها . وبادره إلى الشيء : عاجله وسابقه . ووردت

« العداوة » هنا متدياً إليها الفعل بغير الحرف . وفي ط : « وبادروه العداوة » .

(٣) من الاختصار . وفي اللسان : « الاختصار في الكلام أن تدع الفضول وتستوجز

الذي يأتي على المعنى » .

(٤) ب ، م : « وأنقص » بالصاد المهملة .

(٥) ذلك ، من ط فقط .

(٦) ب ، م : « ويبذلون » ب فقط : « مهجمهم » ، صوابه في م ، ط .

(٧) ب ، م : « ولم تقتلون أنفسكم » .



فدلَّ ذلك العاقلَ على أَنَّ أمرهم في ذلك لا يخلو من أحد أمرين :  
 إما أن يكونوا عَرَفُوا عجزهم ، وأنَّ مثلَ ذلك لا يتهيأُ لهم ، فرأوا  
 أن الإضرابَ عن ذكره ، والتغافلَ عنه في هذا الباب وإن قرَّعهم به ،  
 أمثل لهم في التدبير ، وأجدر <sup>(١)</sup> أن لا يتكشَّف أمرهم للجاهل والضعيف ،  
 وأجدر أن يجِدُوا إلى الدعوى سبيلاً ، وإلى اختداع الأنبياء سبباً ، فقد  
 ادَّعوا القُدرة بعد المعرفة بعجزهم عنه ، وهو قوله عزَّ ذكره : ﴿ وإِذَا  
 تَتَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا <sup>(٢)</sup> ﴾ .

وهل يُدعِنُ الأعرابُ وأصحابُ الجاهليَّة للتفريع بالمعجز <sup>(٣)</sup> ،  
 والتوقيف على النقص ، ثم لا يبذلون مجهودهم ، ولا يخرجون مكنونهم <sup>(٤)</sup>  
 وهم <sup>(٥)</sup> أشدُّ خلق الله عز وجل أنفةً ، وأفرط حميةً ، وأطلبه بطائلةً ،  
 وقد سمعوه <sup>(٦)</sup> في كل منهلٍ وموقفٍ . والنَّاسُ مُوكَّلون بالخطَّابات ،  
 مُولَّعون بالبلاغات . فمن كان شاهداً فقد سمعه ، ومن كان غائباً فقد  
 آتاه به من لم يُزوده <sup>(٧)</sup> .

وإمَّا أن يكونَ غيرُ ذلك .

ولا يجوز أن يُطبِّقوا <sup>(٨)</sup> على ترك المعارضة وهم يقدرُون عليها ،

(١) ب ، م : « وأحذر » ، تحريف مافي ط .

(٢) الآية ٣١ من سورة الأنفال .

(٣) ب ، م : « والأعراب وأصحاب الجاهلية التفريع بالمعجز » . وصواب النص وتامه

في ط .

(٤) ب ، م : « ثم لا يبذل مجهودها ويخرج مكنونها » ، صوابه في ط .

(٥) ب ، م : « وهو » .

(٦) ب ، م : « وقد سمعته » .

(٧) نظر إلى قول طرفه في معلقته :

ستبدى لك الأيام ماكنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

ب ، م : « يروده » ، صوابه في ط .

(٨) ب ، م : « أن يطبقوا » ، تحريف مافي ط .

لأنه لا يجوز على العدد الكثير من العقلاء والدهاة والحلماء<sup>(١)</sup> ، مع اختلاف عليهم ، وبعدهم همهم ، وشدة عداوتهم الإطباق على بذل الكثير ، وصون اليسير .

وهذا من ظاهر التدبير ، ومن جليل الأمور التي لا تخفى على الجهال فكيف على العقلاء ، وأهل المعارف<sup>(٢)</sup> فكيف على الأعداء ، لأنَّ تحبير الكلام أهون من القتال ، ومن إخراج المال .

ولم يقل<sup>(٣)</sup> : إنَّ القوم قد تركوا مساءلته<sup>(٤)</sup> في القرآن والظعن فيه ، بعد أن كثرت خصومتهم في غيره .

ويدلُّك على ذلك قوله عزَّ وجلَّ<sup>(٥)</sup> : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾<sup>(٦)</sup> وقوله عز ذكره : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّمَا يَنْزِلُ بِرُسُلِهِمْ فَأَنْزَلْنَاهُ رِجَالًا يَلْقَاكَ فِي السَّبِيلِ ﴾<sup>(٧)</sup> ، وقوله تعالى جل ذكره : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ﴾<sup>(٨)</sup> .

ويدلُّك كثرة هذه المراجعة ، وطول هذه المناقلة ، على أنَّ التفریع<sup>(٩)</sup> لهم بالعجز كان فاشياً ، وأنَّ عجزهم كان ظاهراً .

(١) ط فقط : « والحكاه » بالكاف . وانظر ما سبق في ٢٧٥ .

(٢) ب ، م : « وعلى المعارف » ، تحريف ماقى ط .

(٣) م ، ب : « ولم تقل » ، وأثبت ماقى ط .

(٤) م : « مسألته » ، وهي لغة جائزة فيها .

(٥) ذلك ، ساقطة من ب . وفي ب ، م : « عز ذكره » .

(٦) الآية ٣٢ من الفرقان . وفي م : « أنزل عليه » تحريف .

(٧) الآية ١٥ من يونس .

(٨) الآية ٤ من الفرقان .

(٩) م ، ط : « التفریع » ، صوابه في ب .

ولو لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم تحدّاهم بالنظر والتأليف<sup>(١)</sup> ، ولم يكن أيضاً أزاح علتهم ، حتى قال تعالى : ﴿ قُلْ فَاتُوا بَعَشْرَ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ ﴾<sup>(٢)</sup> وعارضوني بالكذب ، لقد كان في تفصيله له وتركيبه ، وتقديمه له واحتجاجه ، ما يدعو إلى معارضته ومغالته وطلب مساويه .

ولو لم يكن تحدّاهم من كل ما قلنا ، وقرّعهم بالعجز عمّا وصفنا - وهل هذا<sup>(٣)</sup> إلا بمديحه له ، وإكثاره فيه - لكان ذلك سبباً موجباً لمعارضته ومغالته وطلب تكذيبه ، إذ كان كلامهم هو سيد عملهم ، والمثبوتة فيه أحقّ عليهم ، وقد بدّلوا النفوس والأموال . وكيف ضاع منهم ، وسقط على جماعتهم نيّفاً وعشرين سنة ، مع كثرة عددهم ، وشدة عقولهم ، واجتماع كلمتهم؟! وهذا أمرٌ جليلُ الرأى ، ظاهرُ التدبير<sup>(٤)</sup> .

#### ٤٠ - فصل منه في ذكر امتناعهم من معارضة القرآن

لعلمهم بمعجزهم عنها<sup>(٥)</sup>

والذي منعهم من ذلك هو الذي منع ابن أبي العوّاء<sup>(٦)</sup> ، وإسحاق بن

(١) ب ، م : « والتأليف » .

(٢) الآية ١٣ من سورة هود . وبدلها ها في ب ، م : « فهاوا مفتريات » ، ويصح هذا الكلام لو لم يكن مسبوفاً بكلمة « تعالى » .

(٣) ب ، م : « قل هذا » .

(٤) بعده في ب : « لا يحمل من ابتداء القول فيه وساربه » ، وفي م : « لحمل من ابتداء القول فيه وساربه » ، وهاتان العبارتان لم تردا في ط .

(٥) ط : « في كراهة امتناعهم عن معارضة القرآن لمعجزهم عنها » ، صوابه في ب ، م

(٦) هو عبد الكريم بن أبي العوّاء ، من بني عمرو بن ثعلبة بن عامر بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة ، وكان أحد الزنادقة ، صلبه محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بالبصرة . جهمرة ابن حزم ٣١٦ . وكان خال معن بن زائدة ، وجمع بين أربعة أنواع من الضلالة : كان يرى في السردين المانوية من الثنوية ، وكان يقول بالتناسخ ، وكان يميل إلى رأى الرافضة في الإمامة ، والرابع قوله بالقدر في أبواب التعديل والتجوير . الفرق بين الفرق ٢٥٥ - ٢٥٦ .

طلوت<sup>(١)</sup>، والنعمان بن المنذر، وأشباههم من الأرجاس، الذين استبدلوا بالعزَّ ذُلًّا، وبالإيمان كُفْرًا، والسعادة شِقْوَةً<sup>(٢)</sup>، وبالحجة شُبْهَةً.

بل لا شُبْهة في الزندقة خاصَّة. فقد كانوا يصنعون الآثار، ويولدون الأخبار، ويبثونها في الأمصار، ويطعنون في القرآن، ويسألون عن مُتشابهه، وعن خاصِّه وعامه<sup>(٣)</sup>، ويضعون الكتب على أهله. وليس شيءٌ مما ذكرنا يستطيع دفعه جاهلٌ غبي<sup>(٤)</sup>، ولا معاندٌ ذكيٌّ.

### ٤١ - فصل منه

ولمَّا كان أعجبُ الأمورِ عند قومِ فرعونَ السَّحَرِ، ولم يكن أصحابُه قطُّ في زمانٍ أشدَّ استحكاماً فيه منهم في زمانه، بعث الله موسى عليه السلام على إبطاله وتوهينه، وكشف ضَعْفه وإظهاره، ونقص أصله<sup>(٥)</sup> لردع الأغبياء من القوم<sup>(٦)</sup>، ولئن نشأ على ذلك من السفلة والطغام. لأنَّه لو كان أتاهم بكلِّ شيءٍ، ولم يأتهم بمعارضة السَّحَرِ حتَّى يفصل بين الحجَّة والحيلة، لكانت نفوسهم إلى ذلك متطلِّعة، ولأعتلَّ به أصحاب الأشغاب<sup>(٧)</sup>، ولشغلوا به بال الضَّعيف<sup>(٨)</sup>، ولكن الله تعالى جدُّه، أراد حَسْمَ الداءِ، وقَطَعَ المادة، وأن لا يجدَ المُبطلون متعلِّقا،

(١) يبدو أنه أحد الزنادقة، ولم أجد له خيراً.

(٢) ب، م: «شقاوة»، وهما بمعنى ما يقابل السعادة. وفي التنزيل العزيز: «ربنا غلبت علينا شقوتنا»، وقرأ ابن مسعود: «شقاوتنا».

(٣) ب: «وعن خاصة وعامة»، صوابه في م، ط.

(٤) ب: «عي» م: «غى»، صوابهما في ط.

(٥) ب فقط: «ونقص أصله»، تحريف.

(٦) بدل هذا كله في ب: «لأغبياء القوم» وفي م: «الأغبياء القوم».

(٧) الأشغاب: جمع شغب، بالتحريك، وهي لفة ضعيفة في الشغب، بالفتح، وهو تبيح الشر. وفي ب: «الأشغاب» وفي ط: «الأشغال»، وأثبت ما في م.

(٨) ب فقط: «باب الضعيف».

ولا إلى اختداع الضعفاء سبيلاً<sup>(١)</sup> ، مع ما أعطى الله موسى عليه السلام من سائر البرهانات ، وضروب العلامات .

وكذلك زمنُ عيسى عليه السلام كان الأغلبُ على أهله ، وعلى خاصة علمائه الطُّبِّ ، وكانت عوامهم تعظم على ذلك خواصهم ، فأرسله الله عزَّ وجلَّ بإحياء الموتى ، إذ كانت<sup>(٢)</sup> غايتهم علاج المرضى . وأبرأ لهم الأكمه<sup>(٣)</sup> إذ كانت غايتهم علاج الرَّمَدِ<sup>(٤)</sup> ، مع ما أعطاه الله عزَّ وجلَّ من سائر العلامات ، وضروب الآيات ؛ لأنَّ الخاصَّة إذا بَخَعَت بالطَّاعة<sup>(٥)</sup> ، وقهرتها الحجَّة ، وعَرَفَت موضع العجز والقوَّة ، وقَصَلَ ما بين الآيَةِ والحيلة ، كان أنجع للعامة ، وأجدر<sup>(٦)</sup> أن لا يبقى في أنفسهم بقية .

وكذلك دهرُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، كان أغلبُ الأمور عليهم ، وأحسنها عندهم ، وأجلُّها في صدورهم ، حُسْنُ البيان ، ونَظْمُ ضروب الكلام ، مع علمهم له ، وانفرادهم به . فحين استحكمت لفهمهم<sup>(٧)</sup> وشاعت البلاغة فيهم ، وكثُر شعراؤهم ، وفاق النَّاسَ خطباؤهم ، بعثه الله عزَّ وجلَّ ، فتحدَّاهم بما كانوا لا يشكُّون أنَّهم يقدرُون على أكثر منه .

(١) ب ، م : « للضعفا سبيلا » .

(٢) ب فقط : « إذا كانت »

(٣) ب : « وإبرأهم الأكمه » تحريف . وفي ط : « وإبراء الأكمه » ، وأثبت ما في م .

والأكمه : الذي يولد أعمى .

(٤) الرمد : وجع العين وانتفاخها ، وهو أرمد ورمد ، والأثني رمداء . ب ، م :

« الرمدى » ، صوابه في ط .

(٥) بَخَعَت : خضعت وأقرت . وفي ط فقط : « نجعت » تحريف وانظر ما مضى في ص

(٦) ب فقط : « واحدر » ، تحريف .

(٧) لفهمهم ، ساقطة من ب .

فلم يزل يقرّعهم بعجزهم ، وينتقصهم على نقصهم<sup>(١)</sup> ، حتى تبين ذلك لضعفائهم وعوامهم ، كما تبين لأقويائهم وخواصهم . وكان ذلك من أعجب ما آتاه الله نبياً قط<sup>(٢)</sup> ، مع سائر ما جاء به من الآيات ، ومن ضروب البرهانات .

ولكلّ شيء بابٌ ومآتى ، واختصارٌ وتقريب . فمن أحكم الحكمة إرسال كلّ نبي بما يفهم أعجب الأمور عندهم<sup>(٣)</sup> ، ويبتذل أقوى الأشياء في ظنهم .

#### ٤٢ - فصل في ذكر أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

وآيةٌ أخرى لا يعرفها إلا الخاصة ، ومتى ذكرتُ الخاصة فالعامة في ذلك مثلُ الخاصة . وهى الأخلاق والأفعال التى لم تجتمع لبشرٍ قط قبله<sup>(٤)</sup> ، ولا تجتمع لبشرٍ بعده .

وذلك أننا لم نرَ ولم نسمع لأحدٍ قط كصبره ، ولا كعلمه ، ولا كوفائه ، ولا كزُهده ، ولا كجُوده ، ولا كنجدته ، ولا كصدقٍ لهجته ، ولا ككرمٍ عشرته<sup>(٥)</sup> ، ولا كتواضعه ، ولا كعلمه ، ولا كحفظه ، ولا كصمته إذا صمت ، ولا كقوله إذا قال ، ولا كعجيب منشئه<sup>(٦)</sup> ، ولا كقلّة

(١) انتقصه واستقصه : نسب إليه النقصان . ب ، م : « يتقهم » ، ط : « يتقصم » ، والوجه ما أثبت .

(٢) لفظ الجلالة ثابت في ط فقط .

(٣) أصل الإنعام الإسكات عن الجواب ، والمراد الفوق والغلبة . ب ، م : « يفهم » صوابه في ط .

(٤) ب ، م : « لبشرى » في هذا الموضع وتاليه . وأثبت ما في ط . والبشر : الإنسان ، يطلق على الواحد والثنى والجمع والمذكر والمؤنث . وقد يجمع على آبشار ، ويثنى كما في قوله تعالى : « أنؤمن لبشرين مثلنا » .

(٥) العشرة : الخالطة والمصاحبة . وفي جميع النسخ : « عشيرته » ، صوابه ما أثبت . وأما عشيرة الرجل فهم بنو أبيه الأقرابون وقبيلته .

(٦) ب ، م : « منشاء » .

تَلُونَهُ ، وَلَا كَعْفُوهُ ، وَلَا كِدْوَامَ طَرِيقَتِهِ ، وَقَلَّةَ امْتِنَانِهِ .

وَلَمْ نَجِدْ (١) شَجَاعاً قَطُّ إِلَّا وَقَدْ جَالَ جَوْلَةً ، وَفَرَّ فَرَّةً ، وَانْحَازَ مَرَّةً ،  
مِنْ مَعْدُوْدِي شُجْعَانَ الْإِسْلَامِ ، وَمَشْهُورِي فُرْسَانَ الْجَاهِلِيَّةِ ؛ كَفُلَانِ  
وَفُلَانِ .

وَبَعْدُ ، فَقَدْ نَصَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَاجَرَ مَعَهُ قَوْمٌ ، وَلَمْ نَرِ  
كَنَجِدْتَهُمْ نَجْدَةً ، وَلَا كَصَبْرَهُمْ صَبْرًا . وَقَدْ كَانَتْ لَهُمُ الْجَوْلَةُ وَالْفَرَّةُ (٢) ،  
كَمَا قَدْ بَلَغَكَ عَنْ يَوْمِ أَحَدٍ ، وَعَنْ يَوْمِ حُنَيْنٍ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْوَقَائِعِ  
وَالْأَيَّامِ .

فَلَا يَسْتَطِيعُ مَنَافِقُ وَلَا زِنْدِيقٌ وَلَا دُهْرِيُّ ، أَنْ يَحْدُثَ أَنَّ  
مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ جَالَ جَوْلَةً قَطُّ (٣) ، وَلَا فَرَّ فَرَّةً قَطُّ ، وَلَا خَامَ  
عَنْ غَزْوَةٍ ، وَلَا هَابَ (٤) حَرْبَ مَنْ كَاثَرَهُ .

(١) ب ، م : « ولم نجد » بالتاء .

(٢) ب ، م : « والغزة » ، وليست مرادة هنا .

(٣) ب ، م : « فقط » في هذا الموضع وتاليه ، والصواب في ط .

(٤) ب ، م : « وهاب » .





من كتابه في

خَلْقِ الْقُرْآنِ



١ - فصل من صدر كتابه في خلق القرآن<sup>(١)</sup>

ثَبَّتَكَ اللهُ بِالْحِجَّةِ ، وَحَصَّنَ دِينَكَ مِنْ كُلِّ شُبْهَةٍ ، وَتَوَفَّاكَ مُسْلِمًا ،  
وجعلك من الشاكرين .

وقد أعجبنى<sup>(٢)</sup> ، حَفِظَكَ اللهُ ، اسْتَهْدَأُوكَ الْعِلْمَ وَفَهَمَكَ لَهُ ،  
وَشَغَفَكَ بِالْإِنْصَافِ وَمِيلُكَ إِلَيْهِ ، وَتَعْظِيمُكَ الْحَقَّ وَمُؤَالَاتِكَ فِيهِ ،  
وَرَغْبَتُكَ عَنِ التَّقْلِيدِ وَزِرَائِبَتِكَ عَلَيْهِ<sup>(٣)</sup> ، وَمُؤَاتِرَةُ كُتُبِكَ عَلَى بُعْدِ  
دَارِكَ ، وَتَقَطُّعِ أَسْبَابِكَ ، وَصَبْرُكَ إِلَى أَوَانِ الْإِمْكَانِ ، وَاتِّسَاعُكَ عِنْدَ  
تَضَايِقِ الْعُذْرِ .

وفهمتُ ، حَفِظَكَ اللهُ ، كِتَابَكَ الْأَوَّلَ ، وَمَا حَثَّتَ عَلَيْهِ مِنْ تَبَادُلِ  
الْعِلْمِ<sup>(٤)</sup> ، وَالتَّعَاوُنِ عَلَى الْبَحْثِ ، وَالتَّحَابِّ فِي الدِّينِ ، وَالنَّصِيحَةِ لِجَمِيعِ  
المُسْلِمِينَ .

وقلتَ : اَكْتُبْ إِلَى كِتَابًا تَقْصِدُ فِيهِ إِلَى حَاجَاتِ النُّفُوسِ ، وَإِلَى  
صَلَاحِ الْقُلُوبِ ، وَإِلَى مُعْتَلِجَاتِ الشُّكُوكِ ، وَخَوَاطِرِ الشُّبْهَاتِ ، دُونَ الَّذِي  
عَلَيْهِ أَكْثَرُ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنَ التَّطْوِيلِ ، وَمِنَ التَّعَمُّقِ وَالتَّعْقِيدِ ، وَمِنَ تَكْلُفِ  
مَا لَا يَجِبُ ، وَإِضَاعَةِ مَا يَجِبُ .

وقلتَ : كُنْ كَالْمُعَلِّمِ الرَّفِيقِ ، وَالمُعَالِجِ الشَّفِيقِ ، الَّذِي يَعْرِفُ الدَّاءَ  
وَسَبَبَهُ ، وَالدَّوَاءَ وَمَوْقِعَهُ ، وَيَصْبِرُ عَلَى طُولِ الْعِلَاجِ ، وَلَا يَسْأَمُ كَثْرَةَ  
التَّرْدَادِ .

(١) هذا العنوان ساقط من ط ، والكلام فيها متصل بما سبق . ومثل ذلك فيما نشره  
السندوبي في رسائل الجاحظ ١٤٧ وهو مظنة النقل من ط .  
(٢) ط : « قد أعجبنى » يطرح الواو .  
(٣) ط فقط : « ودرائتك عليه » .  
(٤) ب ، م : « وما حثيت عليه من تبادل العلم » .

وقلت : اجعل تجارتك التي إياها تؤمل ، وصناعتك التي إياها تعتمد - إصلاح الفاسد ، وردّ الشارد .

وقلت : ولا بدّ من استجماع الأصول ، ومن استيفاء الفروع ، ومن حَسْمِ كُلِّ خَاطِرٍ ، وقَمْعِ كُلِّ نَاجِمٍ ، وصَرْفِ كُلِّ هَاجِسٍ ، ودَفْعِ كُلِّ شَاغِلٍ ، حتى تتمكّن من الحجّة <sup>(١)</sup> ، وتتهنأ بالنعمة <sup>(٢)</sup> ، وتجد رائحة الكفاية ، وتتلج ببرد اليقين ، وتفضي إلى حقيقة الأمر . إن كان لا بدّ من عوارض العجز ، ولواحق التّقصير ، فالبرّ لها أجمل <sup>(٣)</sup> ، والضرر علينا في ذلك أيسر .

وقلت : ابدأ بالأقرب فالأقرب <sup>(٤)</sup> ، وبكلّ ما كان آنق في السَّمْعِ ، وأحلى في الصّدر ، وبالباب الذي منه يُؤتى الرّیض التّكلّف <sup>(٥)</sup> ، والجسور المتعجرف ، وبكلّ ما كان أكثر علماً ، وأنفذ كيداً .

وسألني بتقبيح الاستبداد <sup>(٦)</sup> ، والعجلة إلى الاعتقاد ، وصِفَة الأناة ومقدارها ، ومقدّمات العلوم ومنتهاها . وزعمت أنّ من اللفظ ما لا يُفهم معناه دون الإشارة ، ودون معرفة السّبب والهيئة ، ودون إعادته وكرّه <sup>(٧)</sup> وتحريره واختياره <sup>(٨)</sup> .

(١) ب ، م : « حتى يتمكن من الحجّة »

(٢) ب : « ويهنأ بالنعمة » ، م : « ويهنأ بالنعمة » ، صوابها في ط .

(٣) ب ، م : « فالفروع لها أجل » ، صوابه في ط .

(٤) في الأصول : « بالأخوف فالأخوف » ، صوابه ما أثبت . وانظر ما سيأتي في

٢٩٣ س ١٠ .

(٥) أصله من الریض من الدواب ، وهو الذي لم يقبل الرياضة ولم يمهر المشية ولم يذل لراكبه ، فالمراد الذي يعسر التفاهم معه . ب ، ط : « المريض » م : « الریض » بالباء ، صوابها ما أثبت .

(٦) ب ، م : « بتفتيح الاستناد » ، ط : « بتفتيح الاستداد » ، والوجه ما أثبت .

(٧) ب ، م : « دون إعارته وكسوه » ط : « دون إعارته وركته » وبسقوط الواو منهما ،

صوابها ما أثبت . والكر : الإعادة ، يقال كر عليه الحديث : أعاده .

(٨) في جميع النسخ : « وتحديده واحتيازه » ، تحريف ما أثبت .

وقلت : فإن أنت لم تصوّر ذلك كله صورة تُغنى عن المشاهدة ، وتكتفى بظاهاها عن المراسلة <sup>(١)</sup> - أحوجتنا إلى لقائك ، على بُعد دارك <sup>(٢)</sup> ، وكثرة أشغالك ، وعلى ما تخاف من الضيعة وفساد المعيشة .

فكتبت لك كتاباً ، أجهدت فيه نفسي <sup>(٣)</sup> ، وبلغت منه أقصى ما يمكن مثل في الاحتجاج للقرآن ، والرّد على كل طعان . فلم أدع فيه مسألة لرافضي ، ولا لحديثي ، ولا لحشوي ، ولا لكافر مبيد ، ولا لمنافق مقموع ، ولا لأصحاب النّظام ، ولمن نجّم بعد النّظام ، ممن يزعم أنّ القرآن خلق <sup>(٤)</sup> ، وليس تأليفه بحجّة ، وأنّه تنزيل وليس ببرهان ولا دلالة .

فلما ظننت <sup>(٥)</sup> أنّي قد بلغت أقصى محبتك ، وأتيت على معنى صفتك ، أتاني كتابك تذكر أنّك لم تُرد الاحتجاج لنظم القرآن ، وإنما أردت الاحتجاج لخلق القرآن . وكانت مسألتك مبهمّة ، ولم أك أنّ أحدث لك فيها تأليفاً <sup>(٦)</sup> ، فكتبت لك أشقّ الكتابين وأثقلهما ، وأغمضهما معنى وأطولهما .

ولولا ما اعتللت به من اعتراض الرافضة ، واحتجاج القوم علينا بمذهب معمر <sup>(٧)</sup> ، وأبي كلدّة <sup>(٨)</sup> ، وعبد الحميد ، وثمامة <sup>(٩)</sup> ، وكلّ من

(١) ط فقط : « المراسلة » .

(٢) م فقط : « بد دارك » ، تحريف .

(٣) ب ، م : « أجهدت فيه نفسي » ، صوابه في ط .

(٤) خلق ، أي مخلوق . وفي جميع النسخ : « حق » .

(٥) ب فقط : « فما ظننت » .

(٦) في جميع النسخ : « تأليفه » ، والوجه ما أثبت .

(٧) معمر بن عباد السلمي ، صاحب فرقة المعمرية من المعتزلة . الملل ١ : ٨٣ / ٢ : ١٦

والمواقف ٦٢٣ والفرق بين الفرق ١٣٦ . وهو بتشديد الميم كما في لسان الميزان ٦ : ٧١ .

(٨) أبو كلدّة : ذكر الجاحظ بعض آرائه في الحيوان ١ : ٢٣٤ / ٣ : ٣٩٥ / ٤ : ٣٣٢ .

(٩) ثمامة بن أثرس : أحد المعتزلة البصريين . ورد بغداد واتصل بهارون وغيره من

الخلقاء . وله أخبار ونوادير يحكيها عنه أبو عثمان الجاحظ وغير واحد . تاريخ بغداد ٧ : ١٤٥ =

زعم أن أفعال الطبيعة مخلوقة على المجاز دون الحقيقة ، وأن متكلمي الحشوية<sup>(١)</sup> والناطقة قد صار لهم مناظرة أصحابنا ، وبقراءة كتبنا بعض الفطنة - لما كتبت لك ، رغبة بك عن أقدارهم ، وضناً<sup>(٢)</sup> بالحكمة عن إعتارهم<sup>(٣)</sup> ، وإنما يكتب على الخصوم والأكفاء<sup>(٤)</sup> ، وللأولياء على الأعداء ، ولمن يرى<sup>(٥)</sup> للنظر حقاً ، وللعلم قدراً ، وله في الإنصاف مذهب ، وإلى المعرفة سبب .

وزعمت أنك لم تر في كتب أصحابنا إلا كتاباً لا تفهمه ، أو كتاباً وجدت الحجة على واضع الكتاب فيه أثبت .  
وقلت : وإيّاك أن تتكل على مقدار ما عندهم ، دون أن تعتصر<sup>(٦)</sup> قوى باطلهم ، وتوقيهم جميع حقوقهم ، وإذا تقلدت الإخبار عن خصمك فحطه كحياطتك لنفسك ، فإن ذلك أبلغ في التعليم ، وآيس<sup>(٧)</sup> للخصوم .

= وانظر البيان : ١٠٥ و عيون الأخبار : ٣ : ٣٧ وتأويل مختلف الحديث ٦٠ والفرق ١٥٩ ولسان الميزان ٢ : ٨٤ .

(١) الحشوية : بفتح الشين وسكونها ، فبالسكون نسبة إلى الحشو ، وبالفتح نسبة إلى الحشا ، لأن الحسن البصرى أمر بردهم إلى حشا الحلقة ، أى جانبها ، وهم طائفة اختلف العلماء في تعريفها . فابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ يذكر في تأويل مختلف الحديث ص ٩٦ أنها من الألقاب التى كان أهل الحديث يلقبون بها . قال : « وقد لقبوهم بالحشوية والناطقة والمهيبة » . وقال النوبختى فى كتاب فرق الشيعة ص ٧ : « والبترية أصحاب الحديث منهم سفيان بن سعيد الثورى ، وشريك بن عبد الله ، وابن أبى ليلى ، ومحمد بن إدريس الشافعى ، ومالك بن أنس ، ونظراؤهم من أهل الحشو والجمهور العظيم . وقد سماوا الحشوية . ويطلقون هذا اللفظ أيضاً على « المشبهة » الذين يشبهون الله بخلقهم وكذا على الجبسة . انظر شفاء الغليل ٧١ . وفى ب ، م : « الحشوة » ، صوابه فى ط .

(٢) ب ، م : « وطننا » ، صوابه فى ط .

(٣) أعتره على الأمر : أطلمه عليه . وفى التنزيل العزيز : « وكذلك أعرنا عليهم » ، أى أطلمنا .

(٤) ب فقط : « عن الخصوم والأكفاء » .

(٥) ب ، م : « لمن يرى » بسقوط الواو .

(٦) ب ، م : « تقتصر » ، صوابه فى ط .

(٧) ب ، م : « وآيس » .

وقلتَ : وزعموا أَنَّهُ يلزُمك أَن تزعم أَنَّ القرآنَ ليس بمخلوقٍ إِلَّا على المجاز ، كما أُلزم ذلكَ نَفْسَهُ (١) معمرٌ وأبو كَلْدَةَ وعبدُ الحميد وثُمَامَةَ ، وكلُّ مَنْ ذَهَبَ مذهبَهُم ، وقاسَ قياسَهُم .

فتفهَّمْ - فهَمَك اللهُ - ما أَنَا واصفُهُ لك ، ومورِدُهُ عليك (٢) :

اعلم أَنَّ القومَ يلزمهم ما أُلزموه أَنفُسَهُم ، وليس ذلكَ إِلَّا لعجزهم عن التخلُّص بحقَّتْهم ، وإِلَّا لذهابهم عن قواعد قولهم (٣) ، وفروع أصولهم ، فليس لك أَن تضيف العجز الذي كان منهم إلى أصلِ مقاتلتهم ، وتحمل ذلكَ الخطأ على غيرهم (٤) . فلرُبَّ قولٍ شريفٍ الحسب ، جيِّد المُركَّب ، وافِرِ العِرْض ، برى من العيوب ، سليمٍ من الآفَنِ ، قد ضيَّعه أهلُهُ ، وهجَّنه المفترون عليه ، فألزموه مالا يلزمه ، وأضافوا إليه مالا يجوز عليه .

ولو زعم القومُ على أصلِ مقاتلتهم أَنَّ القرآنَ هو الجسمُ دون الصَّوتِ والتقطيع ، والنَّظْمِ والتَّأليفِ ، وأَنَّهُ ليس بصوتٍ ولا تقطيع ولا تأليف ، إذ كان الصوتُ عندهم لا يُخترَع كاختراع الأَجسام المصوِّرة (٥) ، ولا يحتملُ التَّقْطِيعُ كاحتمالِ الأَجرامِ المتجسِّدة ، والصَّوتُ عَرَضٌ ، لا يحدثُ من جوهرٍ إِلَّا بدخولِ جوهرٍ آخَرَ عليه ، ومحالٌ أَن يَحْدُثَ إِلَّا وهناكَ جسمانٍ قد صلَّ أحدهما صاحبه ، ولا بدُّ من مكانين : مكانٍ زال عنه ، ومكانٍ آل إليه . ولا بدُّ من هواءٍ بين المُصْطَكِّين . والجسمُ قد يحدثُ وحدهُ ولا شيءَ غيره ، والصَّوتُ على خلافِ ذلك .

(١) ط فقط : « لنفسه » .

(٢) ط فقط : « ومورد عليك » .

(٣) ب ، م : « عواقب قولهم » .

(٤) ب ، م : « ولحمل » تحريف . وفي م أيضاً : « الحظا » تحريف .

(٥) ب ، م : « المصوِّبة » ، صوابه في ط .

والعرض لا يَقُوم بنفسه ، ولا بدَّ من أن يقومَ بغيره ، والأعراض من أعمال الأجسام ، لا تكون إلا منها ، ولا توجد إلا بها وفيها<sup>(١)</sup> .  
والجسم<sup>(٢)</sup> لا يكون إلا من جسم ، ولا يكون إلا من مخترع الأجسام .  
وليست لكون الجسم من الله علةً توجهه ، ولا يحدث إذا حدث إلا اختياراً ، وإلا ابتداءً واختراعاً . والصوت لا يكون إلا عن علةٍ موجبة ، ولا يكون إلا تولدًا ونتيجةً ، ولا يحدث إلا من جرّمين ، كاصطكاك الحجرين ، وكقرع اللسان باطن الأسنان ، وإلا من هواء يتضاغط<sup>(٣)</sup> ، وريح تختنق<sup>(٤)</sup> ، ونار تلتهب . والريح عندهم هواء تحرك ، والنار عندهم ريح حارة . هكذا الأمر عندهم .

فلو قالوا : لا يكون الشيء مخلوقاً في الحقيقة ، دون المجازِ وعلى مجازي اللغة ، إلا وقد بان الله عز وجل باختراعه ، وتولاه بابتداعه ، وكان منه على اختيار ، والابتداع<sup>(٥)</sup> : الذي يمكن تركه وإنشاء عقيبه بدلاً منه ، على ما كان يوكدّه<sup>(٦)</sup> ، ونتيجته من أجسام يستحيل أن يُخلق من أفعالها ، ويَجلبها الله تعالى منها<sup>(٧)</sup> .

والقرآن على غير ذلك ، جسمٌ وصوت ، وذو تأليفٍ وذو نظم ، وتوقيعٍ وتقطيع ، وخلق قائمٌ بنفسه ، مستغنٍ عن غيره ، ومسموع في الهواء<sup>(٨)</sup> ، ومرئى في الورق ، ومفصلٌ وموصل ، واجتماعٌ وافتراق ،

(١) ب ، م : « لا يكون » و « ولا يوجد » بالياء فيهما ، والصواب من ط .

(٢) ب فقط ؛ « من الجسم » ولا وجه له .

(٣) ب ، م : « والأمر هواء يتضاغط » ، تحريف .

(٤) ب : « تحيق » ، م « تحنق » محرف .

(٥) ب : « والابتداء » ، صوابه في م ، ط .

(٦) ب : « بولده » م : « تولده » ، وأثبت ما في ط .

(٧) م : « ويجعلها » ط : « ويجعلها » ، وأثبت ما في ب .

(٨) ب ، ط : « في الهوى » ، صوابه في م .



ويحتمل الزيادة والنقصان ، والفنَاء والبَقَاء ، وكلُّ ما احتملته الأجسام ، ووُصِفَتْ به الأجرام . وكلُّ ما كان<sup>(١)</sup> كذلك فمخلوقٌ في الحقيقة دون المجاز وتوسُّعِ أهلِ اللغة .

فلو كانوا قالوا ذلك لكانوا أصابوا في القياس ، ووافقوا أهلَ الحقِّ ، وكانوا مع الجماعة ، ولم يُضَاهُوا أهلَ الخِلاف والفرقة ، ولم يَصِمُوا أَنفُسَهُمْ<sup>(٢)</sup> بقول المشبهة ، إذ كان ظاهر قولهم على التشبيه أدلَّ ، وبه أشبه .

ولا يجوز أن أذكر موافقتي لهم ، ومخالفتي عليهم في صدرِ هذا الكتاب ، لأنَّ التدبير في وضع الكتاب ، والسياسة في تعليم الجهال أن يُبدَأَ بالأوضح فالأوضح ، والأقرب فالأقرب ، وبالأصول قبل الفروع ، حتَّى يكون آخر الكتاب لآخر القياس .

وآخر الكلام لا يفهم - أرشدك الله - ولا يُتوهم إلا على ترتيب الأمور ، وتقديم الأصول . فإذا ربَّنا الأمور ، وقدمنا الأصول صارت أواخر المعاني في الفهم كأوائلها ، ودقيقها كجليلها<sup>(٣)</sup> .

## ٢ - فصل منه

وقد علمنا أن بعض ما فيه الاختلاف بين من ينتحل الإسلام أعظمُ فريئة<sup>(٤)</sup> ، وأشدُّ بليئةً ، وأشنعُ كُفراً ، وأكبرُ إثماً من كثيرٍ مما أجمعوا على أنه كفر .

(١) ب ، م : « وكلما كان » خطأ كتابي . وفي ط : « كل ما » بدون واو .

(٢) في جميع النسخ : « ولم يفهموا أنفسهم » .

(٣) ط فقط : « ورقيقها كجليلها » ، تحريف .

(٤) الفرية ، بكسر الفاء : الاسم من الافتراء ، وهو الاختلاق والكذب . ب فقط :

« فرية » محرف .

وبعد ، فنحن لم نكفر إلا من أوسعناه حجة ، ولم نمتحن إلا أهل التهمة ، وليس كشف المتهم من التجسس<sup>(١)</sup> ، ولا امتحان الظنين من هتك الأستار . ولو كان كل كشف هتكاً ، وكل امتحان تجسساً<sup>(٢)</sup> ، لكان القاضي أهتك الناس لستر ، وأشد الناس كشفاً لعورة .

والذين خالفوا في العرش إنما أرادوا نفى التشبيه فغلطوا ، والذين أنكروا أمر الميزان<sup>(٣)</sup> إنما كرهوا أن تكون الأعمال أجساماً وأجراماً غلاظاً . فإن كانوا قد أصابوا فلا سبيل عليهم ، وإن كان قد أخطأوا فإن خطأهم لا يتجاوزهم إلى الكفر . وقولهم وخلافهم بعد ظهور الحجة تشبيه للخالق بالخلق<sup>(٤)</sup> ، فبين المذهبين أبين الفرق<sup>(٥)</sup> .

وقد قال صاحبكم للخليفة المعتصم ، يوم جمع الفقهاء والمتكلمين والقضاة والمخلصين ، إعداراً وإنذاراً : امتحنتني وأنت تعرف ما في المحنة ، وما فيها من الفتنة ، ثم امتحنتني من بين جميع هذه الأمة ! قال المعتصم : أخطأت ، بل كذبت ، وجدت الخليفة قبل قد حبسك وقيدك ، ولو لم يكن حبسك على تهمة لأمضى الحكم فيك ، ولو لم يخفك على الإسلام ما عرض لك ، فسؤالي إليك عن نفسك ليس من المحنة ، ولا من طريق الاعتساف<sup>(٦)</sup> ، ولا من طريق كشف العورة ، إذ كانت حالك هذه الحال ، وسبيلك هذه السبيل .

وقيل للمعتصم في ذلك المجلس : ألا تبعث إلى أصحابه حتى يشهدوا إقراره ، ويُعاینوا انقطاعه ، فينقض ذلك استبصارهم ، فلا يمكنه

(١) م : « من التحسس » ، وهما بمعنى ، وبه فسر قوله تعالى : « ولا تجسسوا » .

(٢) م : « تحسسا » . وانظر الحاشية السابقة .

(٣) ب ، م : « والذين أنكروا معناكم في الميزان » ، والوجه ما أثبت من ط .

(٤) ب ، م : « للخلق بالخلق » ، والصواب من ط .

(٥) ب : « المفرق » ، تحريف ما أثبت من م ، ط .

(٦) ولا من طريق الاعتساف ، ساقط من م .

جَحَدُ مَا أَقْرَبَ بِهِ عِنْدَهُمْ<sup>(١)</sup>؟ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ ذَلِكَ ، وَأَنْكَرَهُ عَلَيْهِمْ ، وَقَالَ : لَا أُرِيدُ أَنْ أُوتَى بِقَوْمٍ إِنْ اتَّهَمْتَهُمْ مُيِّزَتْ فِيهِمْ بِسِيرَتِي فِيهِمْ<sup>(٢)</sup> ، وَإِنْ بَانَ لِي أَمْرُهُمْ أَنْفَذْتُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ ، وَهَمَّ مَا لَمْ أُوتَ بِهِمْ<sup>(٣)</sup> كَسَائِرِ الرَّعِيَّةِ ، وَكَغَيْرِهِمْ مِنْ عَوَامِ الْأُمَّةِ ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ<sup>(٤)</sup> أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ السِّرِّ ، وَلَا شَيْءٍ أَوْلَى بِي مِنَ الْأَنَاةِ وَالرَّفْقِ .

وما زال به رقيقاً ، وعليه رقيقاً ، ويقول : لِأَنَّ اسْتِحْبَابَكَ بِحَقِّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتَلَكَ بِحَقِّ ! حَتَّى رَأَاهُ يُعَانِدُ الْحِجَّةَ ، وَيَكْذِبُ صُرَاحاً عِنْدَ الْجَوَابِ . وَكَانَ آخِرَ مَا عَانَدَ فِيهِ ، وَأَنْكَرَ الْحَقَّ وَهُوَ يَرَاهُ ، أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دُوَادٍ<sup>(٥)</sup> قَالَ لَهُ : أَلَيْسَ لَا شَيْءَ إِلَّا قَدِيمٌ أَوْ حَدِيثٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : أَوَلَيْسَ الْقُرْآنُ شَيْئاً ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : أَوَلَيْسَ لَا قَدِيمَ<sup>(٦)</sup> إِلَّا اللَّهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَالْقُرْآنُ إِذَا حَدِيثٌ ؟ قَالَ : لَيْسَ أَنَا مُتَكَلِّمٌ<sup>(٧)</sup> .

وكذلك كان يصنع في جميع مسائله ، حتى كان يجيبه في كلِّ ما سأل عنه ، حتى إذا بلغ المُخْتَقَّ<sup>(٨)</sup> ، والموضع الذي إن قال فيه كلمة واحدة برى منه أصحابه قال : ليس أنا متكلِّم !

(١) ب ، م : « جحدها أقرب به عندهم » ، صوابه في ط .

(٢) ب ، م : « فيه » .

(٣) ب ، م : « ما لم أوتى بهم » ، صوابه في ط .

(٤) م ، ط : « وما شيء » .

(٥) في جميع النسخ : « أبي داود » ، تحريف .

(٦) ب : « أوليس ألا قديم » .

(٧) كذا في جميع الأصول ، في هذا الموضع وتاليه في آخر هذه الصفحة .

(٨) في اللسان : « يقال بلغ منه المختق ، وأخذت بمخنته ، أي موضع الخناق . وأنشد ابن بَرِي

لأبي النجم :

• والنفس قد طارت إلى المختق • .

وفي م ، ط : « المختق » ، تحريف .

فلا هو قال في أول الأمر : لا علم لي بالكلام ، ولا هو حين تكلم فبلغ موضع ظهور الحجّة<sup>(١)</sup> ، خضع للحق . فمقتة الخليفة ، وقال عند ذلك : أف لهذا الجاهل مرّة ، والمُعانِد مرّة .

وأما الموضع الذي واجه فيه الخليفة بالكذب ، والجماعة بالتحية<sup>(٢)</sup> ، وقلة الاكثرات وشدّة التّصميم ، فهو حين قال له أحمد بن أبي دُوَاد<sup>(٣)</sup> : تزعم أنّ الله ربُّ القرآن ؟ قال : لو سمعتُ أحداً يقول ذلك لقلت . قال : أفما سمعتَ ذلك قطُّ من حالفٍ<sup>(٤)</sup> ولا سائل ، ولا من قاصٍّ ، ولا في شعرٍ ، ولا في حديثٍ ؟ !

قال : فعرف الخليفة كذبه عند المسألة ، كما عرف عُنُودَه<sup>(٥)</sup> عند الحجّة .

وأحمد بن أبي دُوَاد<sup>(٦)</sup> - حفظك الله - أعلم بهذا الكلام ، وبغيره من أجناس العلم ، من أن يجعل هذا الاستفهام مسألة ، ويعتمد عليها في مثل تلك الجماعة . ولكنّه أراد أن يكشف لهم جرّأته<sup>(٧)</sup> على الكذب ، كما كشف لهم جرّأته<sup>(٨)</sup> في المعاندة . فعند ذلك ضربته الخليفة .

وأية حجّة لكم في امتحاننا إياكم ، وفي إكفارنا لكم .

وزعم يومئذٍ أنّ حكم كلام الله كحكم علمه ، فكما لا يجوز أن

(١) ب ، م : « ظهور الحجّة والحجة » .

(٢) القحة : الوقاحة . ب فقط : « بالخلقة » ، تحريف .

(٣) في جميع النسخ : « داود » ، تحريف .

(٤) ط ، م : « خالف » بالخاء المعجمة .

(٥) العنود والعناد : الميل عن الحق . ط فقط : « عناده » .

(٦) في جميع النسخ : « داود » .

(٧) ب : « جراته » ، وأثبت ما في م ، ط .

(٨) ب ، م : « جراته » ، وأثبت ما في ط .

يكون علمه مُحدثاً ومخلوقاً ، فكذلك لا يجوز أن يكون كلامه مخلوقاً مُحدثاً . فقال له : أليس قد كان الله يقدر أن يبدل آيةً مكان آية ، وينسخ آيةً بآية ، وأن يذهب بهذا القرآن ، ويأتى بغيره ، وكلُّ ذلك فى الكتاب مسطور ؟ قال : نعم . قال : فهل كان يجوز هذا فى العلم ، وهل كان جائزاً أن يبدل الله علمه ، ويذهب به ، ويأتى بغيره ؟ قال : ليس (١) .

وقال له : رَوَيْنَا فى تثبیت ما نقول (٢) الآثَارَ ، وَتَلَوْنَا عَلَيْكَ الْآيَةَ من الكتاب ، وَأرَيْنَاكَ الشَّاهِدَ مِنَ النُّقُولِ (٣) الَّتِي بها لَزِمَ النَّاسَ الْفَرَاثُصُ ، وَبِهَا يَفْصَلُونَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، فَعَارَضْنَا أَنْتَ الْآنَ بِوَاحِدَةٍ مِنَ الثَّلَاثِ . فلم يكن ذلك عنده ، ولا استخزى من الكذب عليه فى غير هذا المجلس (٤) ، لِأَنَّ عِدَّةَ مَنْ حضره أَكْثَرُ من أَنْ يُطْمَعَ أَحَدًا أَنْ يَكُونَ الْكُذْبُ يَجُوزُ عَلَيْهِ . وقد كان صاحبكم هذا يقول : لا تَقِيَّةَ إِلَّا فى دارِ الشُّرْكِ . فلو كان ما أَقْرَبَهُ من خَلْقِ الْقُرْآنِ كان منه على وجه التَّقِيَّةِ فَقَدْ أَجْمَلَ التَّقِيَّةَ (٥) فى دارِ الْإِسْلَامِ ، وقد أَكْذَبَ نَفْسَهُ . وَإِنْ كان ما أَقْرَبَهُ على الصِّحَّةِ وَالْحَقِيقَةِ فَلَسْتَمَ مِنْهُ ، وليس منكم . على أَنَّهُ لم ير سيفاً مشهوراً ، ولا ضُرِبَ ضَرْباً كَثِيراً ، ولا ضُرِبَ إِلَّا ثَلَاثِينَ سَوْطاً مَقْطُوعَةَ الثَّمَارِ (٦) ، مَشْتَعَةً الْأَطْرَافِ (٧) ، حَتَّى أَفْصَحَ بِالْإِقْرَارِ مَراراً . ولا كان فى مجلسٍ

(١) ط : « قال : لا » .

(٢) ط فقط : « تقول » بالناء ، محرف .

(٣) فى جميع النسخ : « العقول » .

(٤) ب ، م : « ولا استخرنا الكذب عليه » ، صوابه فى ط . وفى ط : « فى هذا المجلس » ،

صوابه فى ب ، م .

(٥) ط فقط : « فقد أعملها » .

(٦) ثمرة السوط : عقدة طرفه . وفى حديث الخد : « فأتى بسوط لم تقطع ثمرة » .

(٧) ط : « مشعبة الأطراف » . وتشعيت الشيء : تفريقه .

ضيق ، ولا كانت حاله حال مؤيسة ، ولا كان مثقلاً بالحديد ، ولا خلج قلبه بشدة الوعيد . ولقد كان يُنازعُ بالآيين الكلام ، ويُجيب بأغظ الجواب ، ويرزنون ويخف ، ويحلّمون ويطيّش <sup>(١)</sup> .

وعبتم علينا إكفارنا إياكم ، واحتجاجنا عليكم بالقرآن والحديث . وقلتم : تُكفروننا على إنكار شيءٍ يحتمله التأويل <sup>(٢)</sup> ، ويثبت بالأحاديث ، فقد ينبغي لكم أن لا تحتجوا في شيءٍ من القدر والتوحيد بشيءٍ من القرآن ، وأن لا تُكفروا أحداً خالفكم في شيءٍ وأنتم أسرعُ الناسِ إلى إكفارنا ، وإلى <sup>(٣)</sup> عداوتنا والنصب لنا .

### ٣ - فصل منه

وأصحابنا - حفِظك الله - إذا قاسوا خطأهم ، ومروا على غلطهم فإنما ينقضون به شيئاً من العَرَض والجوهر ، وشيئاً من قولهم في المعلوم والمجهول فقط . وهم قومٌ يكفيهم من التنبيه <sup>(٤)</sup> أقله ، ومن القول أيسره . وخطأُ النَّابِئَة وقولُ الرَّافِضَة تشبيهُ مصرحٍ ، وكُفْرُ مُجَلِّحٍ <sup>(٥)</sup> ، فليس هذا الجنسُ من ذلك الجنس . والحمد لله .

وأما إخبارهم عن عيبنا إياهم حين لم يقولوا : إنَّ الله تعالى ربُّ القرآن ، وفينا من يقول : إنَّ الله تبارك وتعالى ربُّ الكفرِ والإيمان ،

(١) ب فقط : « ويحلّمون » ، صوابه في م ، ط .

(٢) ط : « يحتمل التأويل » .

(٣) ب فقط : « أو إلى » .

(٤) في جميع النسخ : « التنبيه » ، والوجه ما أثبت .

(٥) يقال صرح الشيء ، إذا كشف عنه وأظهره ، وصرح هو إذا انكشف ، ومنه قول

شبل بن شيبان في الحماسة ٣٤ :

فلما صرح الشر فأمسى وهو عسريان

والمجلح ، بالبناء للفاعل أيضاً : الجريء ، وهو من التجليح ، وهو الإقدام على الشر وتكشيف العداوة وتصريحها ، كما في أساس البلاغة .

فإِنَّا لَمْ نَسْأَلْهُمْ<sup>(١)</sup> عَنْ ذَلِكَ مِنْ جِهَةٍ مَا يَتَوَهَّمُونَ ، وَإِنَّمَا سَأَلْنَاهُمْ عَنْهُ بِجَحْدِهِمْ مَا يَرَوْنَ بِأَبْصَارِهِمْ ، وَيَسْمَعُونَ بِأَذَانِهِمْ ، فِي الْأَشْعَارِ الْمَعْرُوفَةِ ، وَفِي الْخُطْبِ الْمَشْهُورَةِ ، وَفِي الْإِبْتِهَالِ<sup>(٢)</sup> عِنْدَ الدُّعَاءِ ، وَعَلَى أَلْسِنَةِ الْعَوَامِّ وَالِدَهْمَاءِ<sup>(٣)</sup> ، وَعِنْدَ الْعُهُودِ وَالْأَيْمَانِ ، وَعِنْدَ تَعْظِيمِ الْقُرْآنِ ، وَبِمَا يَسْمَعُونَ مِنَ السُّؤَالِ فِي الطَّرِيقَاتِ ، وَمِنَ الْقِصَاصِ فِي الْمَسَاجِدِ ، لَا يَرَوْنَ غَائِبًا<sup>(٤)</sup> ، وَلَا يَسْمَعُونَ زَارِيًا<sup>(٥)</sup> . وَلَيْسَ أَنَا جَعَلْنَا هَذَا مَسْأَلَةً عَلَى مَنْ أَنْكَرَ خَلْقَ الْقُرْآنِ ، وَلَكِنَّا أَرَدْنَا أَنْ نَبَيِّنَ لِلضُّعْفَاءِ مَعَانِدَتَهُمْ ، وَفِرَارَهُمْ مِنَ الْبَهْتِ ، وَمَكَابِرَتِهِمْ إِذَا سَمِعُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا النَّاسَ يَقُولُونَ : وَرَبُّ الْقُرْآنِ ، وَرَبُّ يَاسِينَ ، وَرَبُّ طَهَ ، وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ .

ولعمري أَن لو سمعوا النَّاسَ يَقُولُونَ عِنْدَ أَيْمَانِهِمْ وَابْتِهَالِهِمْ إِلَى رَبِّهِمْ ، عَلَى غَيْرِ قَصْدٍ إِلَى خِلَافٍ وَلَا وِفَاقٍ : وَرَبُّ الزُّنَى وَالسَّرِقِ<sup>(٦)</sup> ، وَرَبُّ الْكُفْرِ وَالْكَذْبِ ، كَمَا سَمِعُوهُمْ يَقُولُونَ<sup>(٧)</sup> : وَرَبُّ الْقُرْآنِ ، وَرَبُّ يَسَ ، وَرَبُّ طَهَ ! ثُمَّ أَلْزَمْنَاهُمْ خَلْقَ الْقُرْآنِ بِمِثْلِ مَا لَمْ عَلَيْنَا فِي خَلْقِ الزُّنَى - لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ مَعَارِضَةً صَحِيحَةً<sup>(٨)</sup> ، وَمَوَازِنَةً مَعْرُوفَةً .

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ : إِنَّ مَعْنَى الْعَامَّةِ ، وَالْعِبَادَ ، وَالْفُقَهَاءَ ، وَأَصْحَابَ الْحَدِيثِ ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ إِلَّا أَصْحَابُ الْأَهْوَاءِ ، وَمَنْ يَأْخُذُ دِينَهُ مِنْ أَوَّلِ

(١) ب : « نسألهم » ، صوابه في ب ، ط .

(٢) ب ، م : « وفي ابتهال » .

(٣) والدهماء ، ساقطة من ط .

(٤) م ، ط : « غائباً » بالفتحة المعجمة ، صوابه في ب .

(٥) زرى عليه وأزرى : عاب . وفي ب : « زاوياً » صوابه في م ، ط .

(٦) السرقة ، بالتحريك ، وككتف : السرقة . وفي ط : « والسرقة » وفي ب :

« ورب السرقة » .

(٧) ب ، م : « كما سمعوا وهم يقولون » ، وأثبت ما في ط .

(٨) ب : « معارضة صحيحة » .

الرجال<sup>(١)</sup> ، فأى صاحبٍ هو - يرحمك الله - أبعد من الجماعة من الرافضة ، وهم في هذا المعنى أشقاؤهم<sup>(٢)</sup> وأولياؤهم ، لأن ما خالفوهم فيه صغيرٌ في جنب ما وافقوهم عليه ، والذين سمّوهم أصحاب أهواءهم المتكلمون ، والمصلحون والمستصلحون ، والمميزون<sup>(٣)</sup> . وأصحاب الحديث والعوام هم الذين يقلّدون ولا يحصلون ، ولا يتخيرون ، والتقليد مرغوب عنه<sup>(٤)</sup> في حجة العقل ، منهى عنه في القرآن<sup>(٥)</sup> ، قد عكسوا الأمور كما ترى ، ونقضوا العادات . وذلك أننا لا نشك أن من نظر وبحث ، وقابل ووازن<sup>(٦)</sup> ، أحق بالتبين ، وأولى بالحجة .

وأما قولهم : منّا النساك والعباد ، فعباد الخوارج وحدهم أكثر عدداً من عبادهم ، على قلة عدد الخوارج في جنب عددهم ، على أنهم أصحاب نية<sup>(٧)</sup> ، وأطيب طعمة<sup>(٨)</sup> ، وأبعد من التكبُّب ، وأصدق ورعاً ، وأقل رياءً<sup>(٩)</sup> ، وأدوم طريقة ، وأبذل للمهجة ، وأقل جمعاً ومنعاً ، وأظهر زهداً وجهداً . ولعلّ عبادة عمرو بن عبّيد تفي بعبادة عامة عبادهم .  
وأما قولهم : إنّ للقرآن قلباً وسناماً ولساناً وشفتين ، وأنه يقدّس ويشفع ويمحّل<sup>(١٠)</sup> ، فإنّ هذا كله قد يجوز أن يكون مثلاً ، ويجوز أن

(١) ب ، م : « من أدل الرجال » .

(٢) في جميع الأصول : « أشقياؤهم » ، والوجه ما أثبت .

(٣) والمميزون ، ساقط من ط .

(٤) ب ، م : « عليه » ، صوابه في ط .

(٥) ط فقط : « في القراب » ، تحريف .

(٦) ط : « ووزن » ، تحريف .

(٧) ب : « بنة » ، تحريف .

(٨) الطعمة ، بالضم : وجه المكتسب . وبالكسر : السيرة في الأكل .

(٩) هذا ما في ب . وفي م : « رأياً » ، وفي ط : « زياً » .

(١٠) التقديس : التطهير والتبريك . ومنه الأرض المقدسة . ويمحل ، أى يحل بصاحبه ، إذا لم يتبع ما فيه وإذا هو ضيعه ، أى يعرضه للهلكة . وفي الحديث عن ابن مسعود : « إن هذا القرآن شافع مشفع ، وماحل مصدق » . وانظر اللسان (محل ١٤١) .



يجعله الله كذلك إذا كان جنماً ، والله على ذلك قادر ، وهو له غير مُعْجِز ، ومنه غير مستحيل . وكلُّ فعل لا يكون عيباً ، ولا ظلماً ولا بخلاً ولا كذباً ، ولا خطأً<sup>(١)</sup> في التدبير ، فهو جائز ، والتعجب منه غير جائز .

#### ٤ - فصل منه

وما أَكْثَرَ من يُجِيب في المسائل ، ويؤلّف الكتب على قَدْر ما يَسْنَح له في وهمه ، وعلى قدر ما يتصوّر له في حاله تلك ، لا يعمل على أصل<sup>(٢)</sup> ، أو لا يشعر<sup>(٣)</sup> بالذي انبنى عليه ذلك الأصل<sup>(٤)</sup> ، وإن كان ممن يعمل على أصل .

وإنما صار علماؤنا إلى ما صاروا إليه لأنهم لا يقفون من القول في خلق القرآن على جواب مهذب ، ومذهب مصفى ، وعلى قول مفروغ منه ، وعلى جوابات بأعيانها . فقد ردّدوا فيها النظر ، وامتحنوها بأغلظ المِحْن ، وقلّبوا أكثر التقلّيب<sup>(٥)</sup> ، وتبطّنوا معانيها بأبلغ التّفكير ، وتعرفوا كلّ ما فيها ، واعتصروا جميع قواها ، وسهّلوا سبلها ، وذلّلوا العبارة عنها<sup>(٦)</sup> ، احتقاراً منهم لمن خالفهم ، واتكّالاً على طول السّلامة منهم ، وثقةً بطول الظّفَر بهم .

ومن تمام أمر صاحب الحقّ أن لا يتكل على عجز الخصم ، وأن لا يُعجَبَ بظهوره<sup>(٧)</sup> على مَنْ لاحظ له في العلم .

(١) الخطاء ، كسحاب : الخطأ . ط فقط : « خطأ » .

(٢) ط : « على أصله » .

(٣) في الأصول : « ولا يشعر » ، وجهه ما أثبت .

(٤) ب ، م : « في الذي عليه ذلك الأصل » ، صوابه في ط .

(٥) ط : « وقلّبوا » فقط .

(٦) ط : « وذبوا المناد عنها » ب : « وذلّلوا العبادة عنها » ، صوابه في م .

(٧) ظهر عليه : غلبه . ب ، م : « بظهور » ، وأثبت ما في ط .

وعلى العلماء أَنْ يخافوا دَوْلَ الْعِلْمِ (١) ، كما يخافُ الملوك دول المُلْك . وقد رأيت البَكْرِيَّةَ (٢) ، والجَيرِيَّةَ ، والفضليَّةَ (٣) ، والشَّمْرِيَّةَ (٤) ولأنَّهم لَأَحْقَرُ عند المعتزلة من جُعِلَ (٥) مما زالوا يستقون (٦) من علمائهم ، ويستمدون من كبرائهم ، ويدرسون كتبهم ، ويأخذون ألفاظهم في جميع أمورهم ، حتى رأيت شَبِيبَتَهُم ونابَتَهُم (٧) ، يدعون أَنَّهُم أكفأ ، ويجمع بينهم في البَلَاء . والنَّابِئَة اليوم في التشبيه (٨) مع الرأفة ، وهم دائبون (٩) في التأمُّن من المعتزلة . غدرهم كثير (١٠) ، ونصبتهم شديد ، والعوامُ معهم ، والحشرُ يُطيعهم (١١) .

الآن (١٢) معك أمران : السلطان وميلهم إليه ، وخوفهم منه .  
والعاقبة للمتقين .

- 
- (١) الدول : جمع دولة ، وهى الانتقال من حال إلى حال .  
(٢) البكرية : أتباع بكر بن أخت عبد الواحد بن زيد . وقد ذكرهم البغدادي في الفرق في فصل مع الجهمية والضرارية . الفرق ١٩٩ والفصل ٤ : ١٩١  
(٣) الفضلية الذين يعنهم الجاحظ ، هم أتباع الفضل بن عيسى الرقاشي البصرى . وهم طائفة من المعتزلة . وهناك فضلية الخوارج ، ينتسبون إلى الفضل بن عبد الله . انظر مفاتيح العلوم ١٩ والبيان ١ : ٣٠٦ .  
(٤) الشمرية ، بالشين المعجمة المكسورة والميم المشددة المفتوحة ، كما في السماني ٣٣٨ . قال : « والمشهور بهذه النسبة عمرو بن أبي عثمان الشمري ، رأس المعتزلة » .  
(٥) الجعل : دوية شبيهة بالخنفساء ، يضرب بها المثل في الحقارة والهوان ، وفي اللصوق بالإنسان يتبعه إلى الغائط ، إذ قالوا : « ألصق من جعل » . حياة الحيوان للدميري . و« من جعل » من ط فقط .  
(٦) ب ، م : « يسبقون » ، صوابه في ط .  
(٧) ب : « شيبهم ونابيتهم » م : « شيبهم ونابيتهم » ط : « شيبهم ونابيتهم » ، والوجه ما أثبت .  
(٨) في جميع النسخ : « في التشبيه به » ، وكلمة « به » مقحمة .  
(٩) ب : « داينون » ، صوابه في م ، ط .  
(١٠) ط : « عددهم كثير » .  
(١١) ب ، م : « يطيعهم » .  
(١٢) ب ، م : « إلا أن » .

١٠

من كتابه في  
الرد على النصارى



## ١ - فصل من صدر كتابه في الرد على النصارى<sup>(١)</sup>

الحمد لله الذى مَنَّ علينا بتوحيده ، وجعلنا ممن ينفى شبهة خلقه<sup>(٢)</sup> وسياسة عباده<sup>(٣)</sup> ، وجعلنا لا نفرق بين أحد من رسله ، ولا نجحد كتاباً أو جَبَّ علينا الإقرار به ، ولا نُضيف إليه ما ليس منه ، إِنَّه حميدٌ مجيدٌ ، فعَلُّ لما يريد .

أما بعدُ فقد قرأتُ كتابكم ، وفهمت ما ذكرتم فيه<sup>(٤)</sup> من مسائل النصارى قبلكم ، وما دخلَ على قلوب أحدائكم وُضعفائكم من اللبس ، والذى خِفتموه على جواباتهم من العجز ، وما سألتُم من إقرارهم بالمسائل ، ومن حُسن معونتهم بالجواب .

وذكرتم أنهم قالوا : إِنَّ الدليل على أَنَّ كتابنا باطلٌ ، وأمرنا فاسدٌ ، أننا ندعى عليهم ما لا يعرفونه فيما بينهم ، ولا يعرفونه من أسلافهم ، لأننا نزعُم أَنَّ الله جلَّ وعزَّ قال فى كتابه على لسانِ نبيِّه محمدٍ صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ<sup>(٥)</sup> ﴾ ، وأنَّهم زعموا أنَّهم لم يدينوا قطُّ بأنَّ

(١) نشر هذا الاختبار من قبل ، بعد ظهوره على هامش الكامل ، فى مجموعة يوشع فنكل ، وعنوانها ( ثلاث رسائل لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ) وطبعت فى المطبعة السلطانية سنة ١٣٤٤ . وجعلت هذه المجموعة هدية من مجلة الزهراء التى كان يصدرها الأستاذ محب الدين الخطيب ، إلى قرائها فى السنة الثانية . والرسالة التى تليها هى ( ذم أخلاق الكتاب ) ، ثم ( رسالة القيان ) . وقد قت بنشرها بين الأخيرتين فى الجزء الثانى من الرسائل فى الصفحات ١٣٩ - ٢٠٩ .

(٢) يعنى كونه مخلوقاً .

(٣) إشارة إلى ما يرى المعتزلة من أنه غير خالق لأفعال العباد ، فهم يخلقون أفعالهم ويريدونها ، فيحاسبون على ما فعلوا .

(٤) ب : « من ما ذكرتم » .

(٥) الآية ١١٦ من سورة المائدة .

مريم إله في سِرِّهم ، ولا ادَّعَوْا ذلك قطُّ في علانيَتِهِم . وأنَّهم زعموا أنَّنا ادَّعينا عليهم ما لا يعرفون ، كما ادَّعينا على اليهود ما لا يعرفون ، حين نَطَقَ كتابُنا ، وشهدَ نبينا : أنَّ اليهود قالوا : إنَّ عزيراً ابن الله <sup>(١)</sup> ، وإنَّ يدَ الله مغلولة <sup>(٢)</sup> ، وإنَّ الله فقيرٌ وهم أغنياء <sup>(٣)</sup> . وهذا ما لا يتكلَّم به إنسان ، ولا يُعرَف في شيءٍ من الأديان .

ولو كانوا يقولون في عزير <sup>(٤)</sup> ما نَحَلْتُمون وادَّعيتُموه ، لَمَا جَحَدوه من دينهم ، ولَمَا أَنْكروا أنَّ يكونَ من قولهم ، ولما كانوا بإنكار بُنوةِ عزيرٍ أحتَى منَّا بإنكار بُنوةِ المسيح ، ولَمَا كان علينا منكم بأسٌ بعد عَقْدِ الذِّمَّةِ ، وأَخَذِ الجزية .

وذكرتم أنَّهم قالوا : ومَّا يدلُّ على غَلَطِكُم في الأخبار ، وأخذكم العلم عن غير الثقات <sup>(٥)</sup> ، أنَّ كتابكم ينطق : أنَّ فرعون قال لهامان : ﴿ ابنِ لي صرحاً <sup>(٦)</sup> ﴾ . وهامان لم يكن إلَّا في زمنِ الفُرسِ ، وبعد زمنِ فرعونٍ بدهرٍ طويل ، وإنَّ ذلك معروفٌ عند أصحابِ الكُتُبِ ، مشهورٌ عند أهل العلم . وإنَّما اتَّخذ صرحاً ليكون إذا علاه أشرَفَ على الله . وفرعونٌ لا يخلو من أنَّ يكون جاحداً لله تعالى ، أو مقرراً به . فإن كان دينه عند نفسه وأهل مملكته نفى الله وجحدَه ، فما وجهُ اتِّخاذِ الصَّرحِ وطَلَبِ الإِشرافِ ، وليس هناك شيءٌ ولا إله ؟

(١) ب : « عزير ابن الله » .

(٢) إشارة إلى الآية ٦٤ من المائدة .

(٣) إشارة إلى الآية ١٨١ من آل عمران .

(٤) ب فقط : « يقولون في شيءٍ في عزير » .

(٥) في جميع النسخ : « الثقات » ، وهو خطأ فادح في الرسم الذي يوجب رسم تاء جمع المؤنث السالم مبسوطة .

(٦) من الآية ٣٦ في غافر .

(٧) م فقط : « لم يكن في زمن الفرس » ، تحريف .

وإن كان مُقَرَّباً بالله عارفاً به ، فلا يخلو من أن يكون مشبهاً أو نافياً  
للتشبيه . فإن كان ممن يَنْفِي الطُّول والعَرْض والعُمق والحُدود والجهاتِ ،  
فما وَجَّه طلبه له في مكانٍ بعينه ، وهو عنده بكلِّ مكان ؟ وإن كان  
مشبهاً فقد عَلِمَ أَنَّهُ ليس في طاقَةِ بنى آدم أن يبنوا بُنياناً ، أو يرفعوا  
صِرْحاً يخرقُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ بِأَعْمَاقِهِنَّ ، والأجزاء التي بينهنَّ ، حتَّى يحاذى<sup>(١)</sup>  
العرشَ ثم يعلُّوه .

وفرعونُ وإن كان كافراً فلم يكن مجنوناً ، ولا كان إلى نقصِ  
العقلِ من بين الملوكِ منسوباً . على أن الحُكْمَ قد يقوم<sup>(٢)</sup> بعقولِ الملوكِ  
بالفضيلة على عُقولِ الرعية .

وذكرتم أَنَّهُم قالوا : تَزْعُمُونَ أَنَّ اللهَ تعالى ذَكَرَ يحيى بنَ زكريا  
يُخْبِرُ أَنَّهُ ﴿ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾<sup>(٣)</sup> ، وَأَنَّهُم يجدون في كتبهم  
وفيها لا يختلف فيه خاصَّتُهُم وعامَّتُهُم أَنَّهُ كان من قبل يحيى بن زكريا  
غيرٌ واحدٍ يقال له يحيى ، منهم : يُوحَنَّا بن فرح<sup>(٤)</sup> .

وزعمتم أَنَّهُم قالوا لكم<sup>(٥)</sup> : إِنَّكُمْ ذَكَرْتُمْ أَنَّ اللهَ قال في كتابه  
لنبيِّكم : ﴿ وما أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ ﴾<sup>(٦)</sup> ، فاسأَلُوا أَهْلَ  
الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ<sup>(٧)</sup> ، وَإِنَّمَا عَنِي بِقَوْلِهِ : ﴿ أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ :

(١) ب : « يحازى » ، تحريف .

(٢) ب : « قد يقدم » . (٣) من الآية ٧ في سورة مريم .

(٤) لم أجد له ذكراً في كتب الجاحظ ، كما لم أجد له خبراً إلا في سفر إرميا ٤٠ : ٨ :  
٤١ : ٤٣ و ١١ : ٤٣ و ٦ . واسمه في هذا السفر : يوحانان بن قاريخ .

(٥) ب فقط : « لك » صوابه في م ، ط .

(٦) كذا القراءة في الآية ٤٣ من سورة النحل . أما في الآية ٧ من سورة الأنبياء فقراءة  
الجمهور فيها : « يوحى إليهم » ، كما ورد في نسخة ب . وقرأها حفص فقط : « نوحى إليهم »  
انظر إتحاف فضلاء البشر ٣٠٩ .

(٧) هي الآية ٤٣ من سورة النحل ، ونصها هو نص الآية ٧ من سورة الأنبياء .

أهل التوراة ، وأصحاب الكتب يقولون : إنَّ الله قد بعثَ من النساء نبياتٍ ، منهم مريم بنت عمران <sup>(١)</sup> ، وبعثَ منهنَّ حنَّةَ <sup>(٢)</sup> ، وسارَى <sup>(٣)</sup> ، ورفقَى <sup>(٤)</sup> .

وذكرتم أنَّهم قالوا : زعمتمُ أنَّ عيسى تكلمَ في المهْد ، ونحن على تقديمنا له ، وتقريبنا لأمره ، وإفراطنا بزعمكم فيه ، على كثرة عددنا ، وتفاوت بلادنا ، واختلافنا فيما بيننا ، لا نعرف ذلك ولا ندعيه <sup>(٥)</sup> ، وكيف ندعيه ولم نسمعه عن سلفٍ ، ولا ادَّعاه منا مدَّعٍ .

ثم هذه اليهودُ لا تعرف ذلك ، وتزعمُ أنَّها لم تسمع به إلا منكم ، ولا تعرفه المجوسُ ، ولا الصابئون ، ولا عبَّاد البُدَّة <sup>(٦)</sup> من الهند وغيرهم ،

(١) انظر بقية نسبة في الطبري ١ : ٥٨٦ .

(٢) هي حنة بنت فنوتيل ، من سبط أشير . إنجيل لوقا ٢ : ٣٦ .

(٣) سميت في العهد القديم « ساراي » تكوين ١١ : ٢٩ ، ٣٠ / ١٢ : ٥ ، ١١ ، ١٧ / بعد إبرام ، بل يكون اسمك إبراهيم » وفي الفقرة الخامسة عشرة منه : « وقال الله لإبراهيم : ساراي امرأتك لاتدعو اسمها ساراي ، بل اسمها سارا » . وفي حواشي سفر التكوين أن « سارة » بمعنى رئيسة . وسارة هذه هي بنت هاران الأكبر عم إبراهيم ، كما في الطبري ١ : ٢٤٤ ، وفيها الآية الكريمة : « وامرأته قائمة فضحكت فيشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب » . وسارة تضبط بتخفيف الراء ، ويخطئ من يشدها ، وإن كانت قد ضبطت بذلك في اللسان (هجر ١١٨ ورقم ١٨٠) وشرح القسطلاني ٤ : ١٠٢ . وما يعين ضبطها بتخفيف الراء قول جرير في ديوانه ٥٤٣ :

فيجمعنا والزمز أولاد سارة أب لايبالي بعده من تعذرا

(٤) وسمت في الطبري : « رفقا » ، وهو الوجه ، لأن جميع المنتهى بالألف اللينة من الأسماء الأعجمية حقه أن يكتب بالألف ، ماعدا الأسماء الخمسة : موسى ، عيسى ، كسرى ، بخارى ، متى . وهي رفقا ابنة بتوبيل بن ناحور بن تارخ ، وهي امرأة إسحاق ، كما في الطبري ٣١٣ : ١ . وتسمى أيضاً « رفقة » في التكوين ٢٤ : ١٥ ، ٢٩ / ٢٥ : ٢٠ .

(٥) ب ، م : « لا يعرف ذلك ولا يدعيه » ، صوابه في ط .

(٦) البد ، بالضم : الصم الذي يعبد ، وهو إعراب بت ، بالفارسية بضم الباء أيضاً . والجمع البُدَّة . ب : « البُدَّة » ط : « المدرة » ، صوابهما في م . وانظر ما سبق في حواشي



ولا التُّرك والخزر<sup>(١)</sup> ، ولا بلغنا ذلك عن أحدٍ من الأمم السالفة ، والقرونِ الماضية ، ولا في الإنجيل ، ولا في ذِكر صفاتِ المسيح في الكُتب والبشاراتِ به على ألسنة الرُّسل .

ومثلُ هذا لا يجوز أن يجهله الوثىُّ والعدوُّ ، وغيرُ الوثىِّ وغيرُ العدوِّ ، ولا يُضربَ به مثل ، ولا يروِّحَ به النَّاسُ ، ثم يُجمع النِّصارى على رده ، مع حُبِّهم لتقوية أمره . ولم يكونوا ليضادُّوكم<sup>(٢)</sup> فيما يرجع عليهم نفعه . وكيف لم يكذبوكم في إحيائه الموتى ، ومُشيه على الماء ، وإبراء الأكمه والأبرص ؟! بل لم يكونوا ليتفقوا على إظهار خلاف دينهم ، وإنكار أعظم حجةٍ كانت لصاحبهم ، ومثل هذا لا ينكتم ولا ينفكُّ من يخالف وينم<sup>(٣)</sup> .

والكلام في المهد أعجبُ من كلِّ عجبٍ ، وأغربُ من كلِّ غريبٍ ، وأبدعُ من كلِّ بديعٍ ؛ لأنَّ إحياءَ الموتى والمشيَّ على الماء ، وإقامة المُقعد ، وإبراء الأعمى ، وإبراء الأكمه<sup>(٤)</sup> قد أتت به الأنبياءُ ، وعرفه الرُّسل ، ودار في أسماعهم . ولم يتكلمُ صبيُّ قطُّ ، ولا مولودٌ في المهد .

وكيف ضاعت هذه الآية ، وسقطت حجةُ هذه العلامة من بين كلِّ

علامة ؟ !

وبعدُ ، فكلُُّ أعجوبةٍ يأتى بها الرجالُ<sup>(٥)</sup> ، والمعروفون بالبيان ،

(١) م : « والخزر » ، تحريف . والخزر : جيل من التُّرك كان مقر حكمهم في سهوب القوقاز الشبالية . وانظر مادق ( بلغار ) و ( الخزر ) في دائرة المعارف الإسلامية .

(٢) ب ، م : « ولم يكن ليضادوهم » .

(٣) ب فقط : « ويتم » بالتاء .

(٤) الأكمه : الذى يولد أعمى ، ومصدره الكمه ، بالتحريك . وربما جاء الكمه في

الشعر للعمى العارض ، كما جاء في قول سويد بن أبى كاهل اليشكرى في المفضليات ٢٠٠ :

كهمت عيناه لما ابيضتا فهو يلحى نفسه لما نزع

(٥) ب ، م : « الرجل » ، وأثبت ما في ط .

والمنسوبون إلى صوابِ الرأي ، تكون<sup>(١)</sup> الحيلة في الظَّنِّ إليها أقرب ،  
وخوفُ الخُدعةِ عليها أغلب . والصبيُّ المولودُ عاجزٌ في الفطرة ، ممتنعٌ من  
كلِّ حيلة ، لا يُحتاج فيه إلى نظر ، ولا يشبَّهه من شاهده بدخَل<sup>(٢)</sup> .

## ٢ - فصل منه

وسنقول في جميع ما وردَ علينا من مسائلكم ، وفيما لا يقع إليكم من  
مسائلهم ، بالشواهد الظاهرة ، والحُجج القويَّة ، والأدلة الاضطرارية ،  
ثم نسألهم بعد جوابنا إِيَّاهم عن وجودِ يعرفون بها انتقاصَ قولهم ، وانتشارَ  
مذهبهم<sup>(٣)</sup> ، وتهافَّت دينهم .

ونحن نعوذ بالله من التكلُّف وانتحالِ مالا نُحسين ، ونسأله القصدَ  
في القول والعمل ، وأن يكون ذلك لوجهه ، ولنصرة دينه ، إنَّه قريبٌ  
مجيَّب .

فأنا مبتدئٌ في ذكر الأسبابِ التي لها<sup>(٤)</sup> صارت النَّصارى أحبَّ  
إلى العوامِّ من المجوس ، وأسلمَ صُدوراً عندهم من اليهودِ ، وأقربَ  
موَدَّةً ، وأقلَّ غائلةً ، وأصغرَ كُفراً ، وأهونَ عذاباً .

ولذلك أسبابٌ كثيرةٌ ، ووجودٌ واضحةٌ ، يعرفها من نظر ، ويجعلها  
من لم ينظر .

(١) ب ، م : « فكون » ، صوابه في ط .

(٢) ط فقط : « ولا يشبهه » . والدخل ، بالتحريك وبالفتح أيضاً : الرية والنش .

قال الله تعالى : « تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم » . وفي كلام ابنة الحس :

ترى الفتيانَ كالنخل وما يدريك ما الدخل

(٣) انتشار مذهبهم : تفرقه وعدم ترابطه . ويقولون : ضم الله شرك ، بالتحريك ، أي

لم شعثك .

(٤) ب : « التي بها » .

أَوَّلُ ذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا جِيرَانَ الْمُسْلِمِينَ بِيَثْرَبَ وَغَيْرِهَا ، وَعَدَاوَةٌ الْجِيرَانِ شَبِيهَةٌ بَعْدَاوَةِ الْأَقْرَابِ فِي شِدَّةِ التَّمَكُّنِ وَثَبَاتِ الْحَقْدِ ، وَإِنَّمَا يُعَادِي الْإِنْسَانَ مَنْ يَعْرِفُ ، وَيَعِيلُ عَلَى مَنْ يَرَى ، وَيُنَاقِضُ مَنْ يُشَاكِلُ ، وَيَبْدُو لَهُ عَيْوَبٌ مِنْ يُخَالِطُ . وَعَلَى قَدْرِ الْحَبِّ وَالْقُرْبِ يَكُونُ الْبُغْضُ وَالْبُعْدُ ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ حُرُوبُ الْجِيرَانِ وَبَنِي الْأَعْمَامِ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ وَسَائِرِ الْعَرَبِ أَطْوَلَ ، وَعَدَاوَتُهُمْ أَشَدَّ .

فَلَمَّا صَارَ الْمُهَاجِرُونَ لِلْيَهُودِ جِيرَانًا ، وَقَدْ كَانَتْ الْأَنْصَارُ مُتَقَدِّمَةً الْجَوَارِ ، مَشَارِكَةً فِي الدَّارِ ، حَسَدَتْهُمْ الْيَهُودُ عَلَى النَّعْمَةِ <sup>(١)</sup> فِي الدِّينِ ، وَالْاجْتِمَاعِ بَعْدَ الْإِفْتِرَاقِ ، وَالتَّوَاصُلِ بَعْدَ التَّقَاطُعِ ، وَشَبَّهُوا عَلَى الْعَوَامِّ <sup>(٢)</sup> ، وَاسْتَأَلُوا الضَّعْفَةَ ، وَمَالَتْهَا <sup>(٣)</sup> الْأَعْدَاءُ وَالْحَسَدَةَ ، ثُمَّ جَاوَزُوا الطَّعْنَ وَإِدْخَالَ الشُّبْهَةِ ، إِلَى الْمَنَاجِزَةِ وَالْمُنَابَذَةِ بِالْعَدَاوَةِ ، فَجَمَعُوا كَيْدَهُمْ ، وَبَدَلُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فِي قِتَالِهِمْ ، وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ دِيَارِهِمْ ، وَطَالَ ذَلِكَ وَاسْتَفَاضَ فِيهِمْ <sup>(٤)</sup> وَظَهَرَ ، وَتَرَادَفَ لِذَلِكَ الْغَيْظُ ، وَتَضَاعَفَ الْبُغْضُ ، وَتَمَكَّنَ الْحَقْدُ .

وَكَانَتْ النَّصَارَى لِبَعْدِ دِيَارِهِمْ <sup>(٥)</sup> ، مِنْ مَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُهَاجِرِهِ ، لَا يَتَكَلَّفُونَ طَعْنًا <sup>(٦)</sup> ، وَلَا يُثِيرُونَ كَيْدًا <sup>(٧)</sup> ،

(١) ب ، م : « حسدتهم اليهود النعمة » ، وهي صحيحة أيضاً ، يقال حسده على الشيء ، وحسده إياه ، كما في قول شمر بن الحارث الضبي :

فقلت إلى الطعام فقال منهم زعيم نحسد الإنس الطعاما

(٢) ط فقط : « القوام » ، تحريف .

(٣) ب ، م : « مالأوا » ، صوابه في ط . والمالأة : المساعدة ، والمشايعة .

(٤) ب ، م : « واستقاص فيهم » ، صوابه في ط .

(٥) ب ، م : « ديارها » .

(٦) ب ، م : « لا يتكلف ظمناً » ، صوابه في ط .

(٧) ب ، م : « ولا يستر كيداً » ، والوجه في ط .

ولا يجمعون على حرب<sup>(١)</sup> . فكان هذا أول أسباب ما غلظت القلوب على اليهود، ولينها على النصارى .

ثم كان من أمر المهاجرين إلى الحبشة ، واعتمادهم على تلك الجنبية<sup>(٢)</sup> ما حبيبهم<sup>(٣)</sup> إلى عوام المسلمين . وكلما لانت القلوب لقوم غلظت على أعدائهم ، وبقدّر ما نقص من بغض النصارى زاد في بغض اليهود . ومن شأن الناس حب من اصطنع إليهم خيراً أو جرى على يديه<sup>(٤)</sup> ، أراد الله بذلك أو لم يرده ، وبقصد<sup>(٥)</sup> كان أم باتفاق .

وأمر آخر ، وهو من أمتن أسبابهم وأقوى أمورهم ، وهو تأويل آية غلظت فيها العامة حتى نازعت الخاصة ، وحفظتها النصارى واحتجبت ، واستالت قلوب الرعاع والسفلة ، وهو قول الله تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ﴾<sup>(٦)</sup> . إلى قوله : ﴿ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾<sup>(٧)</sup> . وفي نفس الآية أعظم الدليل على أن الله تعالى لم يعن هؤلاء النصارى ولا أشباههم : الملكانية<sup>(٨)</sup> واليعقوبية<sup>(٩)</sup> ، وإنما عنى

(١) ب ، م : « ولا يجمع على حرب » ، تعريف .

(٢) الجنبية : الجانب . وفي ط فقط : « الجهة » .

(٣) ب فقط : « ما حبيبهم » ، صوابه في م ، ط .

(٤) الكلام بعده إلى كلمة « باتفاق » ساقط من ط .

(٥) في الأصل ، وهو هنا ب ، م : « وبعد » ، والوجه ما أثبت .

(٦) الآية ٨٢ من سورة المائدة .

(٧) يعنى الآيات ٨٢ - ٨٥ من سورة المائدة .

(٨) ب فقط : « الملكانية » ، صوابه في م ، ط . ويقال ملكانية وملكائية أيضاً بالهمز ،

كما في مفاتيح العلوم ٢٣ . ويقال أيضاً الملكية ، كما في التنبيه والإشراف للمسعودي ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣١ . وجاء في مفاتيح العلوم ٢٣ : « وهم منسوبون إلى ملكاء ، وهم أقدمهم » ، أى أقدم النصارى . وفي الملل والنحل ٢ : ٦٢ : « الملكانية أصحاب ملكا الذى ظهر بالروم واستولى عليها » . والحق أن الملكانيين منسوبون إلى « ملكا » ومعناه الملك بالسريرية . والمراد بهم أتباع مذهب قياصرة الروم الذى يسمى أيضاً المذهب الخلقيدونى ، الذى أقره الجمع المقنود فى خلقيدونية سنة ٤٥١ م . وفى مفاتيح العلوم : « وأهل الروم كلهم ملكائية » . وانظر تاريخ الأمة القبطية ( الحلقة الثانية ص ٩١ - ٩٣ ) .

(٩) اليعقوبية ، أو اليعاقبة : نالته فرق قداماء النصارى ، وهم الملكانية ، والنسطورية ، =

ضَرَبَ بَحِيرًا<sup>(١)</sup> ، وَضَرَبَ الرَّهْبَانَ الَّذِينَ كَانَ يَخْدُمُهُمْ سَلْمَانُ<sup>(٢)</sup> .  
 وَبَيْنَ حَمَلٍ قَوْلُهُ<sup>(٣)</sup> : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ﴾ عَلَى الْغَلَطِ مِنْهُمْ  
 فِي الْأَسْمَاءِ ، وَبَيْنَ أَنْ نَجْزِمَ عَلَيْهِمْ<sup>(٤)</sup> لِأَنَّهُمْ نَصَارَى - فَرَقٌ .

كما ذكر اليهودُ أَنَّهُ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَلُوكُ الْعَرَبِ رِجَالَانِ : غَسَّانِيٌّ  
 وَلُخْمِيٌّ ، وَهُمَا نَصْرَانِيَّانِ ، وَقَدْ كَانَتِ الْعَرَبُ تَدِينُ لهُمَا ، وَتُؤَدِّي  
 الْإِتَاوَةَ إِلَيْهِمَا ، فَكَانَ تَعْظِيمُ قُلُوبِهِمْ لهُمَا رَاجِعاً<sup>(٥)</sup> إِلَى تَعْظِيمِ دِينِهِمَا .  
 وَكَانَتِ تِيهَامَةٌ ، وَإِنْ كَانَتِ لِقَاحاً<sup>(٦)</sup> لَا تَدِينُ الدِّينَ<sup>(٧)</sup> ، وَلَا تُؤَدِّي

= واليعقوبية . وهم ينسبون إلى مار يعقوب . قال الخوارزمي في مفاتيح العلوم : « وهم قليل » .  
 وفي الفصل لابن حزم ١ : ٤٩ : « ينسبون إلى يعقوب البرذعاني ، وكان راهباً بالقسطنطينية » .  
 وانظر الملل والنحل ٢ : ٦٦ .

(١) بحيرا الراهب ، بفتح الباء ، كما في القاموس ، وقد رسم بالياء في آخره في القاموس  
 وشرحه ، والوجه كتابته بالألف كما في الإصابة ٥٩٥ . وهو الذي لقي الرسول صلى الله عليه وسلم  
 قبل البعثة في ركب قريش حين نزلوا بصرى من أرض الشام ، فاستضافهم جميعاً ، وعرف رسول  
 الله بما كان يعرف من صفته من قبل . السيرة ١١٥ - ١١٧ .

(٢) سلمان الفارسي : صحابي جليل ، أصله من رام هرمز ، وقيل من أصبهان ، وكان قد  
 سمع بأن النبي صلى الله عليه وسلم سيبعث ، فخرج في طلب ذلك ، وأسلم ، وشهد بدرأ ،  
 وأخى النبي بينه وبين أبي الدرداء . الإصابة ٣٣٥٠ والسيرة ١٣٦ ، ٣٤٥ ، ٦٦٣ ، ٦٧٧ .  
 ب : « نجد منهم سلمان » م : « يجذبهم سلمان » وفي ط : « يجذبهم سلمان » ، والصواب ما أثبت .  
 وقد وجدت نصاً صريحاً في سيرة ابن هشام ١٣٨ يقول فيه سلمان لأسقف الكنيسة في الشام قبل  
 إسلامه : « إني قد رغبت في هذا الدين فأحببت أن أكون مملوكاً وأخدمك في كنيسةك » . ثم تروى  
 السيرة تنقله في كنائس الموصل ، ونصيبين ، وعمورية ، ومن عمورية انتقل إلى أرض العرب  
 حتى كان بالمدينة ولقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل في الإسلام .

(٣) ب ، م : « وبين قوله » بسقوط كلمة « حمل » .

(٤) ب : « نجرم » ط : « نجري » . وأثبت ما في م .

(٥) ب ، م : « راجعة » ط : « راجع » ، صوابها ما أثبت .

(٦) يقال حى لقاح ، كسحاب : لم يدينوا للملوك ولم يملكوا ولم يصبهم سبأه في  
 الجاهلية . قال ثعلب : مشتق من لقاح الناقة ، لأن الناقة إذا لقحت لم تطاوع الفحل .

(٧) كلمة « الدين » ساقطة من ط . وفي ب ، م : « لا يدين » . صوابها في ط .

الإتاوة ، ولا تدين للملوك ، فإنها<sup>(١)</sup> كانت لا تمتنع من تعظيم ما عظم الناس ، وتصغير ما صغروا .

ونصرانية النعمان وملوك غسان مشهورة في العرب ، معروفة عند أهل النسب ، ولولا ذلك لدلت عليها<sup>(٢)</sup> بالأشعار المعروفة ، والأخبار الصحيحة .

وقد كانت تتجر إلى الشام ، وينفذ<sup>(٣)</sup> رجالها إلى ملوك الروم ، ولها رحلة في الشتاء والصيف ، في تجارة مرة إلى الحبشة ، ومرة قبل الشام ، ومرة بيثرب<sup>(٤)</sup> ، ومصيفها بالطائف ، ومرة منيحين مستأنفاً بحمده<sup>(٥)</sup> ، فكانوا أصحاب نعمة ، وذلك مشهور مذكور في القرآن ، وعند أهل المعرفة .

وقد كانت تهاجر إلى الحبشة<sup>(٦)</sup> ، وتأتي باب النجاشي وافدة ، فيحبوهم بالجزيل<sup>(٧)</sup> ، ويعرف لهم الأقدار ، ولم تكن تعرف كسرى<sup>(٨)</sup> ، ولا تأنس بهم . وقيصرو النجاشي نصرانيان ، فكان ذلك أيضاً للنصارى ، دون اليهود .

والآخر من الناس تبع للأول في تعظيم من عظم ، وتصغير من صغر .

(١) ب ، م : « وبأنها » ط : « لأنها » ، والوجه ما أثبت

(٢) ب فقط : « عليه » تحريف . (٣) ط فقط : « وتنفذ » .

(٤) ومرة بيثرب ، ساقطة من ط .

(٥) كذا وردت هذه العبارة في ب . م مع سقوطها من ط . لكن في م : « بجده » . ولعلها

« ومرة ميمينين » من أيمن ويمين تيميناً ، إذا أتى اليمين .

(٦) ب ، م : « تهاجر الحبشة » ، صوابها في ط .

(٧) يحبوهم ، من الحباء ، وهو العطاء بلا من ولا جزاء . ب ، م : « فيحيوهم » ط :

« فيحييهم » ، صوابهما ما أثبت .

(٨) ط : « ولم يكن يعرف ذلك كسرى » .

وأخرى<sup>(١)</sup> : أَنَّ العرب كانت النصرانية فيها فاشية ، وعليها غالبية ،  
إِلَّا مُضَر ، فلم تغلب عليها يهودية ولا مجوسية ، ولم تَفْشُ فيها النصرانية ،  
إِلَّا مَا<sup>(٢)</sup> كان من قوم منهم نزلوا الحيرة<sup>(٣)</sup> يسمون : العباد ، فإنهم  
كانوا نصرارى ، وهم مغمورون مع نَبْدٍ يسير<sup>(٤)</sup> في بعض القبائل .  
ولم تعرف مُضَرُ إِلَّا دينَ العرب ، ثم الإسلام .

وغلبت النصرانية على ملوك العرب وقبائلها : على لخم ، وغسان ،  
والحارث بن كعب بنجران ، وقضاة ، وطى ، في قبائل كثيرة ،  
وأحياء معروفة . ثم ظهرت في ربيعة فغلبت على تغلب وعبد القيس  
وأفناء بكر<sup>(٥)</sup> ، ثم في آل ذى الجدين خاصة .

وجاء الإسلام وليست اليهودية<sup>(٦)</sup> بغالبة على قبيلة ، إلا ما كان  
من ناسٍ من البمانية ، ونَبْدٍ يسير<sup>(٧)</sup> من جميع إيادٍ وربيعة . ومعظم  
اليهودية إنما كانت بيثرب وحمير وتيما ووادى القرى ، في ولد هارون ،  
دون العرب .

فعطف قلوبَ دَهما العرب على النصرارى المُلْكُ الذى كان فيهم ،  
والقراية التى كانت لهم . ثم رأت عوامنا أَنَّ فيها مُلكاً قائماً ، وأنَّ  
فيهم عرباً كثيرة<sup>(٨)</sup> ، وأنَّ بناتِ الرومِ وكَدَنَ الملوك الإسلام ، وأنَّ في

(١) ط : « وأخرى ، وهى » .

(٢) فى الأصول : « إلا من كان » ، ووجه ما أثبت .

(٣) نزلوا الحيرة ، ساقط من ب .

(٤) النبد ، بالفتح : الشيء القليل . ب فقط : « معمورون مع نبد يسيرة » ،

صوابه فى ط .

(٥) الأفتاء : الأخلاط النزاع من هاهنا وهاهنا ، الواحد فتو ، بالكسر .

(٦) ب ، م : « لليهودية » ، صوابه فى ط .

(٧) ب : « ونبد يسيرة » تحريف . وانظر ما مضى قريباً .

(٨) ب ، م : « غرباً كثيرة » صوابه بالعين المهملة كما فى ط .

النصارى متكلمين وأطبَاءَ ومنجِّمين ، فصاروا بذلك عندهم عُقلاء وفلاسفةً حكماءَ ، ولم يروا ذلك في اليهود .

وإنما اختلفت <sup>(١)</sup> أحوال اليهود والنصارى في ذلك لأنَّ اليهود ترى أنَّ النظر في الفلسفة <sup>(٢)</sup> كفر ، والكلام في الدين بدعة ، وأنَّه مَجَلِبَةٌ لكلِّ شُبْهة ، وأنَّه لا علم إلَّا ما كان في التَّوراة وكُتِبَ الأنبياءَ ، وأنَّ الإيمانَ بالطَّبِّ ، وتصديقَ المنجِّمين من أسباب الزندقة والخروج إلى الدُّهرية ، والخلافِ على الأسلافِ وأهلِ القُدوة ، حتَّى إنَّهم لَيُبهرجون المشهورَ بذلك ، ويحرِّمون كلامَ من سَلَكَ <sup>(٣)</sup> سبيلَ أولئك .

ولو علمتِ العوامُ أنَّ النصارى والرومَ ليست لهم حكمةٌ ولا بيان ، ولا بُعْدُ رويَّةٍ <sup>(٤)</sup> ، إلَّا حكمة الكفِّ ، من الخَرَطِ والنَّجْرِ والتصوير ، وحياسة البزيون <sup>(٥)</sup> لأخْرَجَتْهم من حُدود الأدياء ، ولمَحْتَهُم من ديوان الفلاسفة والحكماء ؛ لأنَّ كتابَ المنطقِ والكُونِ والفساد ، وكتابِ العلويِّ <sup>(٦)</sup> ، وغير ذلك ، لأرسطاطاليس <sup>(٧)</sup> ، وليس برومي ولا نصراني .

وكتابَ المِجْسَطيِّ لبطليموس <sup>(٨)</sup> ، وليس برومي ولا نصراني .

وكتابَ إقليدسَ لإقليدس ، وليس برومي ولا نصراني .

(١) ب ، م : « اختلف » .

(٢) ب فقط : « في الفلسفة » .

(٣) ط : « كلام سالك » .

(٤) ب ، م : « رويَّة » .

(٥) البزيون : السندس . قال ابن برى : هو رقيق الديباج . وضبطه صاحب القاموس كجردحل وعصفور ، وصاحب اللسان بالضم فقط . ط : « البيرون » تحريف . وانظر اللسان والقاموس (بزن) .

(٦) ذكره في الحيوان ٦ : ٢٨٠ باسم « الآثار العلوية » . ط فقط : « العدوي » تحريف .

(٧) ب ، م : « لأرسطوطيلس » ، وأثبت ما في ط والحيوان .

(٨) انظر حواشي الحيوان ١ : ٨٠ .



وكتاب الطب لجالينوس ، ولم يكن رومياً ولا نصرانياً .

وكذلك كتب ديمقراط وبُقراط وأفلاطون ، وفلان وفلان .

وهؤلاء ناس<sup>(١)</sup> من أمة قد بادوا وبقيت آثار عقولهم ، وهم اليونانيون ، ودينهم غير دينهم ، وأديبهم غير أديبهم ، أولئك علماء ، وهؤلاء صنّاع أخذوا كتبهم<sup>(٢)</sup> لقرب الجوار ، وتداني الدار ، فمنها ما أضافوه إلى أنفسهم ، ومنها ما حولوه إلى ولّتهم . إلا ما كان من مشهور كتبهم ، ومعروف حكّمهم ، فإنهم حين لم يقدروا على تغيير أسمائها زعموا أنّ اليونانيين قبيل من قبائل الروم ، ففجروا<sup>(٣)</sup> بأديانهم على اليهود ، واستطالوا بها على العرب ، وبذخوها على الهند<sup>(٤)</sup> ، حتى زعموا أنّ حكماءنا أتباع حكمائهم ، وأنّ فلاسفتنا اقتدوا على مثالمهم<sup>(٥)</sup> ، فهذا هذا .

ودينهم<sup>(٦)</sup> يرحمك الله - يضاهي الزندقة ، ويناسب في بعض وجوهه قول الدهرية ، وهم من أسباب كلّ حيرة وشبهة .

والدليل على ذلك أنّنا لم نر أهل ملّة<sup>(٧)</sup> قطّ أكثر زندقة من النصارى ، ولا أكثر متحيراً أو مترنحاً منهم<sup>(٨)</sup> .

وكذلك شأن كلّ من نظر في الأمور الغامضة بالعقول الضعيفة : ألا ترى أنّ أكثر من قُتِل في الزندقة ممن كان ينتحل الإسلام ويُظهره ،

(١) ط فقط : « أناس » .

(٢) ب : « أخذ وكتبهم » ، وهو تحريف كتابي .

(٣) ب ، م : « فججروا » ، صوابه في ط

(٤) البذخ والبذوخ : تطاول الرجل بكلامه وافتخاره ، وفعله كفرح يفرح ، وقعد يقعد .

(٥) ب : « اقتدروا » ، تحريف . ط : « احتنوا » ، وأثبت ما في م .

(٦) ط : « فهذا هو دينهم » ، وإخاله تصرفاً من الناشر . وما أثبت من ب ، م هو

لغة الجاحظ .

(٧) ط : « أهل مكة » ، صوابه في ب ، م .

(٨) الترنح : التمايل والاضطراب . وفي جميع الأصول : « متحيزاً » بالزاي ، صوابه

ما أثبت .

هم<sup>(١)</sup> الذين آباؤهم وأمهاتهم نصارى .

على أنك لو عددت اليوم أهل الظنة ومواضع التهمة لم تجد أكثرهم إلا كذلك .

ومما عظمهم في قلوب العوام ، وحببهم إلى الطغام ، أن منهم كُتَّابَ السلاطين ، وفرأشي الملوك<sup>(٢)</sup> ، وأطبَاء الأشراف ، والعطارين والصيارفة . ولا تجد اليهودي إلا صبغاً ، أو دباغاً ، أو حجاماً ، أو قصاباً ، أو شعاباً .

فلما رأت العوام اليهود والنصارى توهمت أن دين اليهود في الأديان كصناعتهم في الصناعات ، وأن كُفْرهم أقدَرُ الكُفْر، إذ كانوا هم أقدَر الأُمم . وإنما صارت النصارى أقل مسأخة من اليهود<sup>(٣)</sup> ، على شدة مسأخة النصارى ، لأن الإسرائيلى لا يزوج إلا الإسرائيلى، وكل مناكحهم مردودة فيهم<sup>(٤)</sup> ، ومقصورة عليهم ، وكانت الغرائب لا تشوبهم ، وفحولة الأجناس لا تضرب ولا تضرب فيهم ، لم يُنجبوا في عقل ولا أسر ولا ملح<sup>(٥)</sup> . وإنك لتعرف ذلك في الخيل والإبل ، والحمير والحمائم .

ونحن - رحمك الله - لم نخالف العوام في كثرة أموال النصارى ، وأن فيهم ملكاً قائماً ، وأن ثيابهم أنظف<sup>(٦)</sup> ، وأن صناعتهم أحسن .

(١) ب : « وهم » ، والواو مقحمة .

(٢) يراد بالفراش من يتعهد فراش البيت وأثاثه . وانظر ما كتبت في ذلك في ( حول ديوان البحترى ) ٣٩ - ٤٠ والحيوان ٣ : ٤٣٥ .

(٣) المسيح من الناس : الذى الذى لا ملاحه له . وقد مسخ مسأخة .

(٤) ب : « وكل مناكحتهم مردون فيهم » ط ، م : « وكل مناكحهم مردودة فيهم » ، صوابهما ما أثبت .

(٥) الأسر : شدة الخلق . وفي التنزيل العزيز : « نحن خلقناهم وشددنا أسرهم » . والملح ، بالكسر : الرضاع واللبن .

(٦) ب : « وأن ما بهم » م : « ما بهم » ط : « ما هم » ، والوجه ما أثبت . وانظر ما سياتى في ٣٢٥ من قوله : « والنصراني وإن كان أنظف ثوباً » .

وإنما خالفنا في فرق ما بين الكُفْرَيْنِ والفِرْقَتَيْنِ ، في شدة المعاندة واللَّحَاجَةِ ، والإِرْصَادِ لِأَهْلِ الإِسْلَامِ بِكُلِّ مَكِيدَةٍ ، مع لُؤْمِ الأَصُولِ ، وَخُبْثِ الأَعْرَاقِ .

فَأَمَّا المُلْكُ والصُّنَاعَةُ والمِهْيَةُ ، فقد علمنا أَنَّهُم اتَّخَذُوا البراذين الشُّهْرِيَّةَ <sup>(١)</sup> ، وَالخَيْلَ العِتَاقَ ، وَاتَّخَذُوا الجَوَقَاتِ <sup>(٢)</sup> ، وَضَرَبُوا بالصَّوَالِجَةَ ، وَتَحَدَّفُوا المَدِينِيَّ <sup>(٣)</sup> ، وَلِيسُوا المُلْحَمَ والمَطْبَقَةَ <sup>(٤)</sup> ، وَاتَّخَذُوا الشَّاكِرِيَّةَ <sup>(٥)</sup> ، وَتَسَمَّوْا بِالْحَسَنِ والحُسَيْنِ ، وَالعَبَّاسَ وَالفَضْلَ وَعَلِيَّ ، وَاتَّكَنُوا بِذَلِكَ أَجْمَعِ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يَتَسَمَّوْا بِمُحَمَّدٍ ، وَيَكْتَنُوا بِأَبِي القَاسِمِ . فَرِغَ إِلَيْهِمُ المَسْلُومُونَ ، وَتَرَكَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَقْدَ الزَّنَانِيرِ ، وَعَقْدَهَا آخَرُونَ <sup>(٦)</sup> دُونَ ثِيَابِهِمْ ، وَامْتَنَعَ كَثِيرٌ مِنْ كُبْرَائِهِمْ مِنْ إعْطَاءِ الجَزِيَّةِ ، وَأَنَفُوا مَعَ أَقْدَارِهِمْ مِنْ دَفْعِهَا <sup>(٧)</sup> وَسَبُّوا مَنْ سَبَّهُمْ ، وَضَرَبُوا مَنْ ضَرَبَهُمْ .

(١) الشهريّة ، سبق تفسيرها في ١٢٨ . وكلمة « اتخذوا » ساقطة من ب ، م .  
 (٢) الجوقة : جماعة من الناس ، معربة كما في شفاء الغليل . والمراد فرق الفروسية ونحوها .  
 (٣) تحذيف الشعر : تطريه وتسويته . وفي اللسان : « قال النصر : التحذيف في الطرة أن تجعل سكنية كما تفعل النصارى » . فقد وضع التحذف هنا موضع التحذيف . وفي الأصول هنا : « وتحذقوا » ، ولا وجه له .

(٤) في اللسان : « الملحم : جنس من الثياب » . وفي القاموس : « وككرم : جنس من الثياب » . وألحم الناسج الثوب . وفي المثل : « ألحم ما أسديت » أي تمم ما ابتدأته من الإحسان . والحمة ، بالضم : خيوط النسج العرضية يلحم بها السدى ، كما في المعجم الوسيط . وفيه أيضاً : « الملحم جنس من الثياب يختلف نوع سدها ونوع لحمته ، كالصوف والفتن ، أو الحرير والفتن » ، أي لا يكونان من نوع واحد . أما المطبقة ، فهي من قولهم : طابق بين قيصين : لبس أحدهما على الآخر . فالمراد الثياب المزدوجة المتطابقة .

(٥) الشاكرية ، يراد بهم الجند المستأجرون ؛ لأن الشاكرى معناه كما في القاموس : الأجير المستخدم ، معرب جاكركر . وانظر حواشي الحيوان ٢ : ١٣٠ ورسائل الجاحظ ١ : ٣٠ .

(٦) ب ، م : « وعقدوها آخرون » ، وأثبت ما في ط .

(٧) ب ، م : « وأنف مع أقدارهم من دفع » ، صوابه في ط .

وما لهم لا يفعلون ذلك وأكثر منه ، وقضاتنا أو عامتهم<sup>(١)</sup> يرون أن دم الجاثليق<sup>(٢)</sup> والمطران والأسقف وفاء بدم جعفر وعلى والعباس وحمزة .

ويرون أن النصراني إذا قذف أم النبي صلى الله عليه وسلم بالغواية<sup>(٣)</sup> أنه ليس عليه إلا التعزير والتأديب<sup>(٤)</sup> ، ثم يحتجون أنهم إنما قالوا ذلك لأن أم النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن مسلمة . فسبحان الله العظيم ! ما أعجب هذا القول<sup>(٥)</sup> وأبين انتشاره<sup>(٦)</sup> !

ومن حُكم النبي صلى الله عليه وسلم : أن لا يسأؤونا في المجلس ، ومن قوله : « وإن سبوكم فاضربوهم ، وإن ضربوكم فاقتلوهم » .

وهم إذا قذفوا أم النبي عليه السلام بالفاحشة لم يكن له عند أمته إلا التعزير والتأديب . وزعموا أن افتراءهم على النبي ليس بنكث للعهد ، ولا بنقض للعقد .

وقد أمر النبي عليه السلام أن يُعطونا الضريبة عن يد منَّا عالية<sup>(٧)</sup> في قبولنا منهم<sup>(٨)</sup> ، وعقدنا لذمتهم ، دون إراقة دمهم<sup>(٩)</sup> . وقد حكم الله تعالى عليهم<sup>(١٠)</sup> بالذلة والمسكنة .

(١) ط فقط : « وعامتهم » .

(٢) الجاثليق ، بفتح الثاء : رئيس من رؤساء النصارى ، يكون تحته المطران ، ثم الأسقف

ثم القسيس ، ثم الشماس .

(٣) الغواية ، بالفتح : الضلال . ب ، م : « بالغواية » ، صوابه في ط .

(٤) التعزير : التأديب والعقاب .

(٥) ب ، م : « القوم » ، تحريف مافي ط .

(٦) انتشار الأمر : عدم إحكامه . ط فقط : « انتشاره » .

(٧) ب ، م : « عليه » ، وتصح إذا قرئت « عليه » .

(٨) ب ، م : « منه » .

(٩) ب ، م : « وعقدنا له ذمته دون إراقة دمه » .

(١٠) ب ، م : « عليه » .

أَوْ مَا يَنْبَغِي<sup>(١)</sup> لِلْجَاهِلِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الْأَثْمَةَ الرَّاشِدِينَ، وَالسَّلْفَ الْمُتَقَدِّمِينَ لَمْ يَشْرَطُوا عِنْدَ أَخْذِ الْجِزْيَةِ، وَعَقْدِ الذِّمَّةِ عَدَمَ الْاِفْتِرَاءِ<sup>(٢)</sup> عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّتِهِ، إِلَّا<sup>(٣)</sup> لِأَنَّ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ أَعْظَمُ فِي الْعْيُونِ، وَأَجَلٌ فِي الصُّدُورِ مِنْ أَنْ يَحْتَاجُوا إِلَى تَخْلِيدِهِ فِي الْكُتُبِ، وَإِلَى إِظْهَارِ ذِكْرِهِ بِالشَّرْطِ، وَإِلَى تَثْبِيتهِ بِالْبَيِّنَاتِ<sup>(٤)</sup>، بَلْ لَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ لَكَانَ فِيهِ الْوَهْنُ عَلَيْهِمْ، وَالْمَطْمَعَةُ فِيهِمْ، وَلِظُنُّوهُ أَنَّ فِي الْقَدْرِ الَّذِي يُحْتَاجُ فِيهِ<sup>(٥)</sup> إِلَى هَذَا وَشَبِيهِهِ .

وإِنَّمَا يَتَوَاتَقُ النَّاسُ فِي شُرُوطِهِمْ، وَيُفَسِّرُونَ فِي عُهُودِهِمْ مَا يُمَكِّنُ فِيهِ الشُّبْهَةَ، أَوْ يَقَعُ فِيهِ الْغَلَطُ، أَوْ يَغْبَى عَنْهُ الْحَاكِمُ<sup>(٦)</sup>، وَيَنْسَاهُ الشَّاهِدُ، وَيَتَعَلَّقُ بِهِ الْعِصْمُ، فَأَمَّا الْوَاضِحُ الْجَلِيُّ<sup>(٧)</sup>، وَالظَّاهِرُ الَّذِي لَا يُخِيلُ<sup>(٨)</sup> فَمَا وَجِهَ اشْتِرَاطَهُ، وَالتَّشَاغُلَ بِذِكْرِهِ .

وَأَمَّا مَا احْتَاجُوا إِلَى ذِكْرِهِ فِي الشَّرْطِ، وَكَانَ مِمَّا يَجُوزُ أَنْ يَظْهَرَ فِي الْعَهْدِ فَقَدْ فَعَلُوهُ، وَهُوَ كَالذَّلَّةِ وَالصَّغَارَةِ<sup>(٩)</sup>، وَإِعْطَاءِ الْجِزْيَةِ، وَمُقَاسَمَةِ الْكِنَائِسِ، وَأَنْ لَا يُعِينُوا بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى بَعْضٍ، وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ. فَأَمَّا

(١) ط فقط : « وما ينبغي » .

(٢) كلمة « عدم » من ط .

(٣) إلا ، ساقطة من ب .

(٤) ط : « وتثبيته بالبيِّنات » .

(٥) ب ، م : « فيهم » .

(٦) غيى عنه غيابه وغيابوه : لم يفعلن له . ب ، م : « يغى » بالنون . ط : « يعيا » ،

صوابهما ما أثبت .

(٧) الجلى : الظاهر . ب ، م : « الجليل » .

(٨) لا يخيل على أحد : لا يشكل . ط : « لا يخيل غيره » ، تحريف .

(٩) الصغارة ، كسحابة : صغر القدر . وفي اللسان : « ابن سيده : الصغر والصغارة :

خلاف العظم . وقيل الصغر في الجرم والصغارة في القدر » . ب ، م : « والصغيرة » ط :

« الصغارة » بالفاء ، ووجهها ما أثبت .

أن يقولوا لمن هو أذلُّ من الذَّلِيلِ ، وأقلُّ من القليلِ ، وهو الطالبُ الراغبُ في أخذِ فديته ، والإنعامِ عليه بقَبْضِ جزيته وحقنِ دمه : نَعاهدك على أن لا تفتري<sup>(١)</sup> على أمة<sup>(٢)</sup> رسول ربِّ العالمين ، وخاتمِ النبيين ، وسيِّدِ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ<sup>(٣)</sup> فهذا ما لا يجوز<sup>(٤)</sup> في تدبيرِ أوساطِ الناسِ ، فكيف بالجلَّةِ والعِليَّةِ ، وأئمةِ الخليقةِ ، ومصابيحِ الدُّجى ، ومَنارِ الهُدَى ، مع أنفةِ العربِ ، وبأوِ السُلطانِ<sup>(٥)</sup> ، وغلبةِ الدولةِ ، وعزِّ الإسلامِ ، وظهورِ الحجَّةِ ، والوعدِ بالنُّصرةِ .

على أن هذه الأمة لم تُبتَلْ باليهودِ ، ولا المجوسِ ، ولا الصابئين كما ابتليتْ بالنصارى<sup>(٦)</sup> . وذلك أنَّهم يتبعون المتناقض من أحاديثنا ، والضعيف بالأسناد من روايتنا ، والمتشابه من آيِ كتابنا ، ثم يخلون بضعفائنا ، ويسألون عنها عوامنا ، مع ما قد يعلمون من مسائلِ المُلجدين ، والزنادقةِ الملاعين ، وحتى مع ذلك ربَّما تبرَّءوا<sup>(٧)</sup> إلى علمائنا ، وأهلِ الأقدارِ مِنَّا ، ويشغَبون على القويِّ<sup>(٨)</sup> ، ويُلْبسون على الضَّعيفِ .

ومن البلاء أن كلَّ إنسانٍ من المسلمين يرى أنَّه متكلم ، وأنَّه ليس أحدٌ أحقَّ بمحاجةِ الملحدِّين من أحدٍ .

وبعدُ ، فلولا متكلمو النَّصارى وأطبائُهُم ومنجموهم ما صار إلى

(١) ب ، م : « يعاهدك أن لا يفتري » ، ومع سقوط « على » ، وصوابه في ط .

(٢) ب ، م : « على أم » .

(٣) ب ، م : « وخير سيد الأوَّلِينَ والآخِرِينَ » ، تحريف .

(٤) ب ، م : « فهذا ما يجوز » ، تحريف .

(٥) البأو : الكبر والفخر والمظنة . ب : « وبأوو » ط : « وشأو » ، صوابهما في ب .

(٦) ط : « كما ابتلت بالنصارى » ، صوابه في ب ، م .

(٧) ب : « تبرَّءوا » .

(٨) ب ، م : « على القوم » ، صوابه في ط .

أغبيائنا<sup>(١)</sup> وظرفائنا ، ومُجَاننا وأُحْدَاننا<sup>(٢)</sup> شئٌ من كتب المنانيّة<sup>(٣)</sup> ،  
والديّصانيّة<sup>(٤)</sup> ، والمرقونيّة<sup>(٥)</sup> ، والفُلانيّة<sup>(٦)</sup> ، ولما عرفوا غير كتاب  
الله تعالى ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ولكانت تلك الكتب مستورة  
عند<sup>(٧)</sup> أهلها ، ومُخَلّة<sup>(٨)</sup> في أيدي ورثتها . فكلُّ سُخْنَةٍ عَيْنٍ<sup>(٩)</sup>  
رأيناها في أُحْدَاننا وأغبيائنا فَمِنْ قِبَلهم كان أولها .

وأنت إذا سمعتَ كلامهم في العفو والصّفح ، وذَكَرهم للسياحة ،  
وزرايتهم على كلِّ من أكل اللّحمان<sup>(١٠)</sup> ، ورَغِبَتهم في أكل الحبوب ،  
وترك الحيوان ، وتزهيدهم في النّكاح ، وتركهم لطلب الولد ، ومديحهم  
للجائليق والمُطْران والأسقف والرهبان ، بترك النّكاح وطلب النّسل ،  
وتعظيمهم الرّؤساء - علمتَ أنّ بين دينهم وبين الرّندقة نسباً ، وأنهم  
يحنّون إلى ذلك المذهب .

- 
- (١) م : « أغنائنا » ب ، ط : « أغبيائنا » ، صوابها ما أثبت . وانظر ما سيأتى في  
في السطر الخامس .
- (٢) الهجان : جمع ماجن . ب ، م « وتجانبا » ، صوابه في ط . والأحداث : جمع حدث .  
وفي ب ، م : « وأُحْدَاننا » ط : « وأُحْدَاننا » ، صوابها ما أثبت .
- (٣) المنانيّة : أتباع ماني . وانظر ما سبق في ٢٥٤ .
- (٤) الديصانيّة : فرقة من المجوس . قال ابن النديم : « إنما سمى صاحبهم بديصان باسم  
نهر ولد عليه . هو قبل ماني . والمذهبان قريب بعضهما من بعض ، وإنما بينهما خلف في  
اختلاط النور بالظلمة » . وانظر الملل ٢ : ٨٨ والفهرست ٤٧٤ والحيوان ٥ : ٤٦ .
- (٥) المرقونيّة : فرقة من المجوس ، أتباع مرقون . أثبت قديمين أصليين متضادين أحدهما  
النور والآخر الظلمة ، وأثبتوا أصلاً ثالثاً هو المعدل الجامع . وفي مفاتيح العلوم ٢٥ :  
« المرقونيّة » . وهي في جميع الأصول : « المرقوبية » ، تحريف . وانظر الملل والنحل ٢ : ٨٩  
ومعجم استينجاس . ١٢١٨ .
- (٦) لعله كناية عن أي فرقة كانت .
- (٧) ب فقط : « مسطورة » .
- (٨) مخلاة : متروكة . وفي جميع الأصول : « مخلاة » بالخاء المهملة .
- (٩) سُخْنَةُ العين : نقيض قرنتها ، وذلك من حرارة الحزن . وفي ب فقط : « صحنه »  
بالمهملة ، تحريف .

(١٠) الزراية : العيب والإنكار . ب : « وذرياتهم » ، صوابه في م ، ط  
( ٢١ - رسائل الجاحظ )

والعجبُ أَنَّ كلَّ جائليقٍ لا ينكح ، ولا يَطْلُبُ الولد . وكذلك كلُّ مطرانٍ <sup>(١)</sup> ، وكلُّ أسقفٍ . وكذلك كلُّ أصحاب الصوامع من اليعقوبية ، والمقيمين في الديارات <sup>(٢)</sup> والبيوت من النسطورية . وكلُّ راهبٍ في الأرض وراهبةٍ ، مع كثرة الرهبان والرواهب ، ومع تشبه أكثر القسيسين بهم في ذلك <sup>(٣)</sup> ، ومع ما فيهم <sup>(٤)</sup> من كثرة الغزاة ، وما يكون فيهم مما يكون في الناس ، من المرأة العاقر ، والرجل العقيم .

على أَنَّ من تزوج منهم امرأة لم يقدر على الاستبدال بها ، ولا على أن يتزوج أخرى معها <sup>(٥)</sup> ، ولا على التسرى عليها . وهم مع هذا قد طبّقوا الأرض ، وملثوا الآفاق ، وغلبوا الأمم بالعدد ، وبكثرة الولد . وذلك مما زاد في مصائبنا ، وعظمت به محتنتنا .

ومما زاد فيهم ، وأنى عددهم ، أنهم يأخذون من سائر الأمم ، ولا يعطونهم ، لأن كل دين جاء بعد دين ، أخذ منه الكثير ، وأعطاه القليل .

### ٣ - فصل منه

ومما يدلُّ على قلة رحمتهم ، وفساد قلوبهم أنهم أصحاب الخِصاء من بين جميع الأمم ، والخِصاء أشدُّ المثلة ، وأعظم ما ركب به إنسان <sup>(٦)</sup> ثم يفعلون ذلك بأطفالٍ لا ذنب لهم ، ولا دَفَعٌ عندهم .

(١) المطران ، يفتح الميم وكسرهما ، كما في القاموس .

(٢) ط : « الديورات » تحريف . ويراد بالديارات أديار النصارى . والديارات معروفة في جموع الدار إذ هو جمع جمع لها ، فهي جمع للديار . وانظر مقدمة كتاب « الديارات » للشبستى . وأما الجمع المعروف للدير ، بالفتح ، فهو الأديار والأديرة .

(٣) ب ، م : « في زلل » ، صوابه في ط .

(٤) ب ، م : « وقع مع ما فيهم » ، صوابه في ط .

(٥) على ، ساقطة من ب . وفي ب ، م : « يزوج » .

(٦) ط . فقط : « ركه إنسان » .



ولا نَعْرِفُ قوماً يُعْرِفُونَ بِخِصَاءِ النَّاسِ حَيْثُ مَا كَانُوا إِلَّا بِبِلَادِ  
الرُّومِ وَالْحَبَشَةِ ، وَهَمُ فِي غَيْرِهِمَا قَلِيلٌ ، وَأَقْلُ قَلِيلٌ <sup>(١)</sup> .

على أَنَّهُمْ لَمْ يَتَعَلَّمُوا إِلَّا مِنْهُمْ ، وَلَا كَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ غَيْرَهُمْ ،  
ثُمَّ خَصَّوْا أَبْنَاءَهُمْ وَأَسْلَمُوهُمْ فِي بَيْعِهِمْ . وَلَيْسَ الْخِصَاءُ إِلَّا فِي دِينِ  
الصَّابِئِينَ ، فَإِنَّ الْعَابِدَ رَبِّمَا خَصَّى نَفْسَهُ <sup>(٢)</sup> ، وَلَا يَسْتَحِلُّ خِصَاءَ  
ابْنِهِ <sup>(٣)</sup> . فَلَوْ تَمَّتْ إِرَادَتُهُمْ فِي خِصَاءِ أَوْلَادِهِمْ فِي تَرْكِ النِّكَاحِ وَطَلَبِ  
النَّسْلِ كَمَا حَكَيْتُ لَكَ قَبْلَ هَذَا - لِانْقِطَاعِ النَّسْلِ ، وَذَهَبِ الدِّينِ ،  
وَفُتِنِ الْخَلْقِ .

وَالنَّصْرَانِيُّ وَإِنْ كَانَ أَنْظَفَ ثوباً ، وَأَحْسَنَ صِنَاعَةً ، وَأَقْلَّ مَسَاخَةً <sup>(٤)</sup> ،  
فَإِنَّ بَاطِنَهُ أَلْأَمُّ وَأَقْدَرُ وَأَسْمَجُ ، لِأَنَّهُ أَقْلَفٌ ، وَلَا يَغْتَسِلُ مِنَ الْجَنَابَةِ ،  
وَيَأْكُلُ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ ، وَامْرَأَتُهُ جُنْبٌ لَا تَطْهَرُ مِنَ الْحَيْضِ ، وَلَا مِنَ  
النَّفَاسِ ، وَيَعْشَاهَا فِي الطَّمْثِ ، وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ غَيْرُ مَخْتُونَةٍ .

وَهُمْ مَعَ شَرَارَةِ طَبَائِعِهِمْ <sup>(٥)</sup> ، وَغَلَبَةِ شَهْوَاتِهِمْ لَيْسَ فِي دِينِهِمْ مَزَاجِرٌ  
كَنَارِ الْأَبَدِ فِي الْآخِرَةِ ، وَكَالْحُدُودِ وَالْقَوَدِ وَالْقِصَاصِ فِي الدُّنْيَا ، فَكَيْفَ  
يُجَانِبُ مَا يَفْسُدُهُ ، وَيُؤَثِّرُ مَا يَصْلِحُهُ مِنْ كَانَتْ حَالُهُ كَذَلِكَ . وَهَلْ  
يُصْلِحُ الدُّنْيَا مَنْ هُوَ كَمَا قَلْنَا <sup>(٦)</sup> ؟ وَهَلْ يَهَيِّجُ عَلَى الْفَسَادِ إِلَّا مَنْ وَصَفْنَا <sup>(٧)</sup> ؟

(١) انظر الحيوان ١ : ١١٩ ، ١٢٤ .

(٢) انظر الحيوان ١ : ١٢٥ .

(٣) ب ، م : « خِصَاءُ نَفْسِهِ » ، صوابه في ط .

(٤) انظر ما مضى في ص ٣١٨

(٥) يقال : شر يشر ويشر شراً ، وشرارة ، فهو شرير كأمير ، وشرير كسكيت .  
وفي جميع الأصول : « شرار » ، والوجه ما أثبت . وانظر الحيوان ٤ : ٦/٢٩٧ : ٤٦٠ .  
وأما الشرار ، بالكسر وكجبل ، فهو ما يتطاير من النار ، واحدهما بهاء .

(٦) ب ، م : « يجانب ما يفسده » ، صوابه في ط .

(٧) ب ، م : « وهل يصلح الدنيا كبا قالوا » ، صوابه في ط .

(٨) ب ، م : « وهل يهيج على الفساد إلا كما وصفوا » ، صوابه في ط .

ولو جَهَدتَ بكلِّ جَهْدِكَ ، وجمعتَ كلَّ عقْلِكَ أَنْ تفهم قولهم في المسيح ، لما قدرتَ عليه ، حتَّى تعرف به حدَّ النصرانية ، وخاصةً قولهم في الإلهية .

وكيف تقدر<sup>(١)</sup> على ذلك وأنت لو خلوتَ ونصرانيٌّ نِسْطوريٌّ فسألته عن قولهم في المسيح لقال قولاً ، ثم إن خلوتَ بأخيه لأمه وأبيه وهو نِسْطوريٌّ مثله فسألته عن قولهم في المسيح لأنك بخلاف أخيه وصنوه . وكذلك جميع الملكانية واليعقوبية<sup>(٢)</sup> . ولذلك صرنا لا نعقل حقيقة النصرانية ، كما نعرف<sup>(٣)</sup> جميع الأديان .

على أنَّهم يزعمون أنَّ الدين لا يخرج في القياس ، ولا يقوم على المسائل<sup>(٤)</sup> ، ولا يثبت في الامتحان ، وإنما هو بالتسليم لما في الكتب ، والتقليد للأسلاف . ولعمري ، إنَّ<sup>(٥)</sup> من كان دينه دينهم ليحب عليه أن يعتذر بمثل عُذرهم .

وزعموا أنَّ كلَّ من اعتقد خلاف النصرانية من المجوس والصابئين والزنادقة فهو معذور ، ما لم يتعمد الباطل ، ويُعاند الحقَّ . فإذا صاروا إلى اليهود قَصُوا عليهم بالمعاندة ، وأخرجوهم من طريق الغلط والشبهة .

#### ٤ - فصل منه

فأمَّا مسألتهم في كلام عيسى في المهد : أنَّ النصراني مع حبههم لتقوية أمره لا يُثبتونه ، وقولهم : إننا تقولناه وروينا عن غير الثقات<sup>(٦)</sup> ،

(١) ب ، م : « يقدر » .

(٢) انظر مامنى في ص ٣١٢ .

(٣) م فقط : « يعرف » .

(٤) في جميع الأصول : « المسائل » ، والوجه ما أثبت .

(٥) إن ، ساقطة من ط .

(٦) في جميع النسخ : « الثقات » ، وهو خطأ في الرسم ، لأنه جمع ثقة .

وَأَنَّ الدليل على أَنَّ عيسى لم يتكلم في المهد أَنَّ اليهودَ لا يعرفونه ، وكذلك المجوس ، وكذلك الهند والخزر والديلم . فنقول في جواب مسألتهم عند إنكارهم كلامَ المسيح في المهد مولوداً .

يقال لهم : إِنَّكُمْ حين سويتم المسألة وموهتموها ، ونظمت ألفاظها ، ظننتم أَنَّكُمْ قد أَنْجَحْتُمْ <sup>(١)</sup> ، وبلغتم غايتكم . ولعمري لئن حَسَنَ ظاهرها ، وراعَ الأسماعَ مَخرجها <sup>(٢)</sup> ، إِنَّهَا لقبیحةُ المفتش ، سيئةُ المعرى .

ولعمري أَنَّ لو كانت اليهود تقرأ لكم بإحياء الأربعة الذين تزعمون <sup>(٣)</sup> ، وإقامة المُقعد الذى تدعون ، وإطعامِ الجَمع الكثير من الأَرغفة اليسيرة ، وتصييرِ الماءِ جَمداً <sup>(٤)</sup> ، والمشى على الماء ، ثم أنكرتِ الكلامَ في المهد من بين جميع آياته وبراهينه <sup>(٥)</sup> لكان لكم في ذلك مقال ، وإلى الطعن سبيل . فأما وهم يَجحدون ذلك أجمع ، فمرةً يضحكون ، ومرةً يغتاظون ويقولون : إِنَّه صاحبُ رُقَى ونيرجات <sup>(٦)</sup> ، ومُداوى <sup>(١)</sup> أنجح : صار ذا نَجح وظفر . ويقال أيضاً نَجح ، إذا أصاب طلبته . ط فقط : « نَجحتم »

وأثبت ما في ب ، م .

(٢) ب فقط : « لخرجها » ، تحريف .

(٣) ب ، م : « يزعمون » . وهؤلاء الأربعة فيما يذكر المفسرون هم : « عازر » ، وكان صديقاً له ، أحياء بعد ثلاثة أيام فقام من قبره يقطر دمه ويقي إلى أن ولد له . والثاني : ابن العجوز أحياء وهو على سرير الموت ، فنزل عن أعناق الرجال وحمل سريره ، ويقي إلى أن ولد له . والثالث : بنت العشار ، وقد تمتعت بولدها بعد ما حييت . والرابع : سام بن نوح عليه السلام . سألوه أن يحييه ليخبرهم عن حال السفينة . فخرج من قبره . هذا ما ذكره أبو حيان في تفسيره ٢ : ٤٦٧ .

(٤) الجمد ، بالتحريك ، وكذا بالفتح : الماء الجامد . وقيل : هو بالتحريك يكون جمعاً لجامد ، مثل خادم وخدم . ب فقط : « جامداً » .

(٥) ب ، م : « وبرهانه » ، صوابه في ط .

(٦) كذا في ب والحيوان ٤ : ٣٧٠ . في م ، ط : « نيرنجات » ، وهما لغتان في التعريب قال صاحب القاموس : « والنيرنج ، بالكسر : أخذ كالسحر وليس به . وعقب عليه الزبدي بقوله : « هكذا في سائر النسخ . والمنقول عن نص كلام الأبيث : النيرج ، بإسقاط النون الثانية . وجاء في كتاب المعارف لابن قتيبة ١٧٨ : « وكان صاحب نيرنجات » . وأقول : هو بالفارسية « نيرنك » .

مجانيين ، ومتطبِّبٌ ، وصاحب حَيْلٍ وترْبُصٍ خُدَعٍ<sup>(١)</sup> ، وقراءة كتب ، وكان لسناً مسكيناً<sup>(٢)</sup> ، ومقتولاً مرحوماً ، ولقد كان قبل ذلك صيَّادَ سمكٍ ، وصاحبَ شبكٍ ، وكذلك أصحابه . وأَنَّهُ خرجَ على مواطاةٍ منهم له ، وأَنَّهُ لم يكن لِرِشْدَةٍ<sup>(٣)</sup> .

وأحسنهم قولاً ، وألينهم مذهباً مَن زعم أَنَّهُ ابنُ يوسَفَ النَّجَّارِ<sup>(٤)</sup> .

وأَنَّهُ قد كان واطاً ذلك المُقَعَدَ قَبْلَ إِقامته بِسِنينَ ، حتَّى إِذَا شَهِرَه بِالقِئْدَةِ<sup>(٥)</sup> ، وعَرَفَ موضِعُه في الزَّمَنِ ، مرَّ به في جمعٍ من الناسِ كَأَنَّهُ لا يريدُه ، فشكا إِليه الزَّمانَةَ وقِلَّةَ الحيلة ، وشِدَّةَ الحاجة ، فقال : ناوِئني يدك . فناوله يَدُه ، فاجتذَبَه فاقامه ، فكان تجمَعُ<sup>(٦)</sup> لطول القعود ، حتَّى استمرَّ بعد ذلك .

وأَنَّهُ لم يُحَيِّ<sup>(٧)</sup> ميئاً قطُّ ، وإِنَّمَا كان داوِي رجلاً يقال له « لا عازر<sup>(٨)</sup> » إِذْ<sup>(٩)</sup> أُغْمِيَ عليه يوماً وليلة ، وكانت أمُه<sup>(١٠)</sup> ضعيفةَ العقل ، قليلةَ المعرفة ، فمرَّ بها<sup>(١١)</sup> ، فإِذَا هِيَ تصرُّخُ وتبكي ، فدخل إِليها

(١) التربص : المكث والانتظار . ب ، م : « و ترمض » . وفي ط : « وصاحب » وأرى الوجه فيما أثبت .

(٢) ب ، م : « سكتنا » ، وأثبت ما في ط .

(٣) يقال هو لرشدة بالكسر وقد يفتح : نقيض قولم : لزنية أو لغير رشدة . والرشدة :

النكاح الصحيح . ط : « لم يكن له شدة » ، تحريف .

(٤) ط : « وأخسبهم قولاً والأهمهم مذهباً » ، تحريف .

(٥) القعدة ، بالكسر : ضرب من القعود .

(٦) ط فقط : « تجمد » .

(٧) ب ، م : « لم يحيي » ، تحريف .

(٨) في جميع الأصول : « لاعاز » ، وإنما هو « لعازر » المذكور في إنجيل يوحنا ١١ : ٤٣ :

(٩) ب فقط : « إِذا » .

(١٠) في إنجيل يوحنا ١١ : ٥ أنها أخته وأسمها « مرثا » . وفيه أيضاً أن يسوع كان يجب

مرثا وأختها ولعازر . ويفهم من هذا أيضاً أن له أختين .

(١١) ط فقط : « بهما » .

لِيُسْكِنَهَا وَيُعْرِضَهَا ، وَجَسَّ عِرْقَهُ فَرَأَى فِيهِ عِلَامَةَ الْحَيَاةِ ، فِدَاوَاهُ حَتَّى أَقَامَهُ ، فَكَانَتْ لِقَلَّةٍ مَعْرِفَتِهَا<sup>(١)</sup> لَا تَشْكُ أَنَّهُ قَدِمَات ، وَلَفْرَحِهَا بِحَيَاتِهِ تُشْنِي عَلَيْهِ بِذَلِكَ ، وَتَتَحَدَّثُ بِهِ .

فَكَيْفَ تَسْتَشْهَدُونَ قَوْمًا هَذَا قَوْلُهُمْ فِي صَاحِبِكُمْ ، حِينَ قَالُوا : كَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَتَكَلَّمَ صَبِيٌّ فِي الْمَهْدِ مَوْلُودًا<sup>(٢)</sup> ، فَيَجْعَلُهُ<sup>(٣)</sup> الْأَوْلِيَاءُ وَالْأَعْدَاءُ .  
وَلَوْ كَانَتْ الْمَجُوسُ تَقْرَأُ لِعِيسَى بِعِلَامَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَبِأَدْنَى أُعْجُوبَةٍ ، لَكَانَ لَكُمْ أَنْ تَنْكِرُوا عَلَيْنَا بِهِمْ<sup>(٤)</sup> ، وَتَسْتَعِينُوا بِإِنْكَارِهِمْ . فَأَمَّا وَحَالُ عِيسَى فِي جَمِيعِ أَمْرِهِ عِنْدَ الْمَجُوسِ كَحَالِ زَرَادُشْتَ فِي جَمِيعِ أَمْرِهِ عِنْدَ النَّصَارَى فَمَا اعْتَلَّ لَهُمْ بِهِمْ ، وَتَعَلَّقُوا فِي إِنْكَارِهِمْ ؟

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ : وَكَيْفَ لَمْ تَعْرِفِ الْهُنْدُ وَالْخَزَرُ وَالتُّرْكُ ذَلِكَ ؟ فَمَتَى أَقْرَتِ الْهُنْدُ لِمُوسَى بِأَعْجُوبَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَضْلًا عَنْ عِيسَى ؟ وَمَتَى أَقْرَتِ لِنَبِيِّ بَابِيَّةٍ ، أَوْ رَوَتْ لَهُ سِيرَةَ ، حَتَّى تَسْتَشْهَدُوا<sup>(٥)</sup> الْهُنْدَ عَلَى كَلَامِ عِيسَى فِي الْمَهْدِ ؟

وَمَتَى كَانَتْ التُّرْكُ وَالدَّيْلِمُ وَالْخَزَرُ وَالبَّبَرُ<sup>(٦)</sup> وَالتَّطِيلِسَانَ<sup>(٧)</sup> مَذْكُورَةً فِي شَيْءٍ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ ، مُحْتَجًّا بِهَا عَلَى هَذَا الضَّرْبِ ؟

(١) ب ، م : « بقلة معرفتها » .

(٢) ب ، م : « مولود » .

(٣) ب فقط : « فيجعله » .

(٤) ب ، م : « تتكبروا علينا بهم » .

(٥) ب ، م : « حتى يستشهدوا » .

(٦) الببر ، بياوين : أمة قديمة يبدو أنها من أم الترك ، وتقرن بالطيلسان ، كما في البيان ١ : ١٣٧ . وجاء في الطبري ٤ : ٢٤٦ : « فبعث عبد الله بن شبيل بن عوف الأحمسي في أربعة آلاف . فأغار على أهل موقان والببر والطيلسان » ، ب : « والسرو » م « والسر » ط : « والتتر » ، صوابهما جميعاً ما أثبت . ولم ترد « التتر » في أثر من آثار الجاحظ ، كما أن معرفة العرب بالتتو جاءت متأخرة ، إذ لم يرد ذكرهم في الكامل لابن الأثير قبل سنة ٣٤٥ .

(٧) الطيلسان : إقليم واسع كثير البلدان والسكان من نواحي الديلم والخزر ، افتتحه الوليد بن عقبة في سنة ٣٤٤ . معجم البلدان . وانظر الحاشية السابقة .

فإن سألونا عن أنفسهم فقالوا : ما لنا لا نعرف ذلك ولم يبلغنا عن أحدٍ بثة ؟ أجبناهم بعد إسقاط نكيرهم <sup>(١)</sup> وتشنيعهم ، وتزوير شهودهم . وجوابنا <sup>(٢)</sup> : أنهم إنما قبلوا دينهم <sup>(٣)</sup> عن أربعة أنفس : اثنان منهم من الحواريين يزعمهم <sup>(٤)</sup> : يوحنا ، ومثى . واثنان من المستجيبة <sup>(٥)</sup> وهما : مارقس ولوقس <sup>(٦)</sup> ، وهؤلاء الأربعة لا يؤمن عليهم الغلط ولا النسيان ، ولا تعمد الكذب ، ولا التواطؤ <sup>(٧)</sup> على الأمور ، والاصطلاح على اقتسام الرياسة <sup>(٨)</sup> ، وتسليم كل واحدٍ منهم لصاحبه حصته التي شرطها له .

فإن قالوا : إنهم كانوا أفضل من أن يتعمدوا كذباً ، وأحفظ من أن ينسوا شيئاً ، وأعلى <sup>(٩)</sup> من أن يغلطوا في دين الله تعالى ، أو يضيعوا عهداً .

قلنا : إن اختلاف رواياتهم في الإنجيل ، وتضادها في كتبهم <sup>(١٠)</sup> ، واختلافهم في نفس المسيح ، مع اختلاف شرائعهم ، دليل على صحة قولنا فيهم <sup>(١١)</sup> ، وغفلتكم عنهم .

(١) في الأصول : « تكثيرهم » .

(٢) ط فقط : « فجوابنا » .

(٣) قبلوا دينهم : أخنوخ وتلقوه ، كما يقبل الرجل الدلو من المستق والقابلة الولد من الوالدة .

(٤) ب فقط : « يزعمهم » ، تحريف .

(٥) ب فقط : « من المسيحية » ، تحريف .

(٦) هما مرقس ولوقا .

(٧) ب ، م : « ولا التواطى » ، صوابها في ط .

(٨) ب ، م : « والاصلاح على أقسام الرياسة » ، صوابه في ط .

(٩) ب ، م : « وأعلى » ، تحريف ما في ط .

(١٠) ب ، م : « وتضاد معاني كتبهم » .

(١١) الكلام بعده إلى نهاية هذه الرسالة بجميع فصولها ، ساقط من ط .

وما يُنكر من مثل لوقس أن يقول باطلاً ، وليس من الحواريين ، وقد كان يهودياً قبل ذلك بأيامٍ يسيرة ، ومن هو عندكم من الحواريين خيرٌ من لوقس عند المسيح في ظاهر الحكم بالطهارة ، والطباع الشريفة ، وبراعة السّاحة .

### ٥ - فصل منه (١)

وسألتم عن قولهم : إذا كان تعالى قد اتخذ عبداً من عباده خليلاً ، فهل يجوز أن يتخذ عبداً من عباده ولدأ ، يريد بذلك إظهار رحمته له ، ومحبته إياه ، وحسن تربيته وتأديبه له ، ولطف منزلته منه ، كما سمى عبداً من عباده خليلاً ، وهو يريد تشريفه وتعظيمه ، والدلالة على خاص حاله عنده .

وقد رأيت من المتكلمين من يُجيز ذلك ولا يُنكره ، إذا كان ذلك على التبنّي والتربية والإبانة له بلطف المنزلة ، والاختصاص له بالرحمة والمحبة ، لا على جهة الولادة ، واتخاذ الصاحبة . ويقول (٢) : ليس في القياس فرق بين اتخاذ الولد على التبنّي والتربية وبين اتخاذ الخليل على الولاية والمحبة .

وزعم أن الله تعالى يحكم في الأسماء بما أحب ، كما أن له أن يحكم في المعاني بما أحب .

وكان يجوزُ دعوى أهل الكتاب على التوراة والإنجيل والزبور ، وكتب الأنبياء صلوات الله عليهم في قولهم : إن الله قال : « إسرائيل

(١) هذا الفصل وما يليه من الفصول إلى نهاية هذه الرسالة ساقط من طكا سبق التنبيه .

(٢) ب : « ونقول » م : « ونقول » ، صوابهما ما أثبت .

بِكْرَى<sup>(١)</sup> « أى هو أول من تَبَنَيْتُ من خَلْقِي . وَأَنَّهُ قَالَ : « إِسْرَائِيلُ بَكْرَى ، وَبَنُوهُ أَوْلَادِي » . وَأَنَّهُ قَالَ لِدَاوُدَ : « سَيُؤَلِّدُكَ غِلَامٌ ، وَيُسَمِّي لِي ابْنًا ، وَأُسَمِّي لَهُ أَبًا<sup>(٢)</sup> » . وَأَنَّ الْمَسِيحَ قَالَ فِي الْإِنْجِيلِ : « أَنَا أَذْهَبُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ ، وَإِلَهِي وَإِلَهُكُمْ<sup>(٣)</sup> » ، وَأَنَّ الْمَسِيحَ أَمَرَ الْحَوَارِيِّينَ أَنْ يَقُولُوا فِي صَلَوَاتِهِمْ : « يَا أَبَانَا فِي السَّمَاءِ ، تَقَدَّسْ اسْمُكَ<sup>(٤)</sup> » . فِي أُمُورٍ عَجِيبَةٍ ، وَمَذَاهِبَ شَنِيعَةٍ<sup>(٥)</sup> ، يَدُلُّ عَلَى سُوءِ عِبَادَةِ الْيَهُودِ<sup>(٦)</sup> ، وَسُوءِ تَأْوِيلِ أَصْحَابِ الْكُتُبِ ، وَجَهْلِهِمْ مَجَازَاتِ الْكَلَامِ ، وَتَصَارِيفِ اللُّغَاتِ ، وَنَقْلِ لُغَةٍ إِلَى لُغَةٍ ، وَمَا يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ ، وَمَا لَا يَجُوزُ . وَسَبَبُ هَذَا التَّأْوِيلِ كُلُّهُ الْغَيُّ وَالتَّقْلِيدُ ، وَاعْتِقَادُ التَّشْبِيهِ .

وكان يقول: إِنَّمَا وُضِعَتِ الْأَسْمَاءُ عَلَى أَقْدَارِ الْمَصْلُحَةِ ، وَعَلَى قَدْرِ مَا يَقَابِلُ مِنْ طَبَائِعِ الْأُمَّمِ . فَرَبَّمَا كَانَ أَصْلَحَ الْأُمُورِ وَأَمْتَنَهَا<sup>(٧)</sup> أَنْ يَتَبَنَّاهُ اللَّهُ أَوْ يَتَّخِذَهُ خَلِيلًا ، أَوْ يُخَاطِبَهُ بِلَا تَرْجُمَانٍ ، أَوْ يَخْلُقَهُ مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ ، أَوْ يُخْرِجَهُ مِنْ بَيْنِ عَاقِرٍ وَعَقِيمٍ . وَرَبَّمَا كَانَتْ الْمَصْلُحَةُ غَيْرَ ذَلِكَ

(١) فِي سَفَرِ الْخُرُوجِ ٤ : ٢٢ : « فَتَقُولُ لِفِرْعَوْنَ : هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ ، إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبِكْرِ » . وَفِي سَفَرِ هُوشَعِ ١١ : ١ : « لَمَّا كَانَ إِسْرَائِيلُ غِلَامًا أَحَبَّهُ وَمِنْ مِصْرَ دَعَا ابْنِي » . وَفِي رِسَالَةِ بُولُسَ إِلَى أَهْلِ رُومِيَةِ ٩ : ٤ : « الَّذِينَ هُمُ إِسْرَائِيلِيُّونَ ، وَلَهُمُ التَّبَنِيُّ وَالمُجْدُ » .

(٢) فِي صُمُوئِيلِ الثَّانِي ٧ : ١٢ - ١٤ : « مَتَى كَلَّمْتُ أَيَامَكَ وَاضْطَجَعْتُ مَعَ آبَائِكَ أَتَمِّمُ بَعْدَكَ نَسْلَكَ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَحْشَائِكَ وَأَثْبِتُ مَمْلَكَةَ . هُوَ بِنِي بَيْتًا لِاسْمِي وَأَنَا أَثْبِتُ كُرْسِي مَمْلَكَتِهِ إِلَى الْأَبَدِ . أَنَا أَكُونُ لَهُ أَبًا وَهُوَ يَكُونُ لِي ابْنًا » .

(٣) جَاءَ فِي الْإِنْجِيلِ يُوْحَنَّا ٢٠ : ١٧ فِي مَخَاطِبَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمَرْيَمَ الْمَجْدَلِيَّةِ : « قَالَ لَهَا يَسُوعُ : لِاتْلَمَسْنِي لِأَنِّي لَمْ أَصْعُدْ بَعْدَ إِلَى أَبِي . وَلَكِنْ أَذْهَبُ إِلَى إِخْوَتِي وَقَوْلِي لَهُمْ : إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلَهِي وَإِلَهُكُمْ » .

(٤) فِي الْإِنْجِيلِ مَتَّى ٦ : ٩ : « فَصَلُّوا أَنْتُمْ هَكَذَا : أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ لِيَتَقَدَّسَ اسْمُكَ » . وَانظُرْ أَيْضًا الْإِنْجِيلَ لَوْقَا ١١ : ٢

(٥) ب : « شَيْعَةٌ » م : « شُنْعَةٌ » ، وَالْوَجْهَ مَا أَثْبِتُ ، وَإِنْ كَانَتْ « شُنْعَةٌ » صَحِيحَةً أَيْضًا .

(٦) ب : « عِبَارَةٌ » ، وَأَثْبِتُ مَا فِي م .

(٧) ب : « وَأَمْتَةٌ » م : « وَأَمْنَةٌ » ، وَلَعَلَّ وَجْهَهُ مَا أَثْبِتُ .



كله . وكما تعبدنا أن نسميه جواداً ونهانا أن نسميه سخياً أو سرياً<sup>(١)</sup> وأمرنا أن نسميه مؤمناً ونهانا أن نسميه مسلماً ، وأمرنا أن نسميه رحيماً ونهانا أن نسميه رقيقاً .

وقياس هذا كله واحد ، وإنما يتسع ويسهل على قدر العادة وكثرتها . ولعل ذلك كله قد كان شائعاً في دين هودٍ وصالحٍ وشعيبٍ وإسماعيلٍ ، إذ كان<sup>(٢)</sup> شائعاً في كلام العرب في إثبات ذلك وإنكاره .

وأما نحن - رحمك الله - فإننا لا نَجِيزُ أن يكون لله ولد ، لا من جهة الولادة ، ولا من جهة التبني ، ونرى أن تجويز ذلك جهلٌ عظيمٌ ، وإثمٌ كبيرٌ ؛ لأنه لو جاز أن يكون أباً ليعقوب لجاز أن يكون جدًا ليوسف ، ولو جاز أن يكون جدًا وأباً ، وكان ذلك لا يُوجب نسبا ، ولا يُوهمُ مُشاكلَةً في بعض الوجوه ، ولا ينقص من عِظَمِ ، ولا يحطُّ من بهاء ، لجاز أيضاً أن يكون عمًّا وخالاً ؛ لأنه إن جاز أن يسميه<sup>(٣)</sup> من أجل المرحمة والمحبة والتأديب - أباً ، جاز أن يسميه آخر من جهة التعظيم والتفضيل والتسويد أخاً<sup>(٤)</sup> ، ولجاز أن يجد له صاحباً وصديقاً ، وهذا ما لا يجوزه إلا من لا يعرف عظمة الله ، وصغر قدر الإنسان .

وليس بحكيمٍ من ابتدَلَ نفسه في توقير عبده ، ووضع من قدره في التوقير على غيره . وليس من الحكمة أن تُحسِنَ إلى عبدك بأن تسميَّ إلى

(١) في النسختين : « سرياً » ، والصواب ما أثبت . والسرى : وصف من سرو كسرف ودعا ورضى ، سراوة وسرواً وسراً وسراء ، وهي المروءة في شرف .

(٢) م : « إذا كان » .

(٣) الكلام بعده إلى « يسميه » التالية ساقط من م .

(٤) في النسختين : « والتفضيل أخا والتسويد أخا » ، و « أخا » الأولى مقحمة .

نفسك ، وتأتى من الفضل ما لا يجبُ بتضييع ما يجب . وكثيرُ الحمد لا يقوم بقليل الذم<sup>(١)</sup> ، ولم يحمِد الله ولم يعرف إِمِيَّتَهُ من جَوَز عليه صفاتِ البشر ، ومُناسبة الخلق ، ومُقاربة العباد .

وبعدُ ، فلا يخلو المولى في رفع عبده وإكرامه من أحد أمرين :  
إمّا أن يكون لا يقدر على كرامته إلاَّ جهوانِ نفسه ، ويكون على ذلك قادراً ، مع وفّارة العظْمَة ، وتمام البهاء .

وإن كان لا يقدر على رفع قدر غيره إلاَّ بأن ينقص<sup>(٢)</sup> من قدر نفسه فهذا هو العجز ، وضيق الذرع<sup>(٣)</sup> .

وإن كان على ذلك قادراً فآثر ابتدال نفسه والحطّ من شرفه فهذا هو الجهلُ الذي لا يحتمل<sup>(٤)</sup> .

والوجهان عن الله جلّ جلاله منفيان .

ووجه آخر يعرفون به صحّة قولى ، وصواب مذهبي ، وذلك أنّ الله تبارك وتعالى لو علم أنّه قد كان فيما أنزل من كتبه على بنى إسرائيل :  
إِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ بَكْرِيً وَابْنِي ، وَإِنَّكُمْ أَبْنَاءُ بَكْرِيٍّ - لما كان تغصّب عليهم<sup>(٥)</sup> إذ قالوا : نحن أبناء الله ، فكيف لا يكون ابنُ ابنِ الله ابنه<sup>(٦)</sup> ،

(١) في النسختين : « ما لا يقول بقليل الذم » ، والصواب حذف « ما » . لا يقوم به : لا يعادله .

(٢) ب : « ينقص » ، صوابه في م .

(٣) الذرع : الطاقة ، وهو أيضاً : بسط اليد . والمراد ضيق الخلق ، على المثل . م : « الزرع » ، تحريف .

(٤) في النسختين : « لا يحتمل » ، والوجه ما أثبت .

(٥) التغصّب : الغضب ، واستعمار الراعي التغصّب لشدة غليان القدر في قوله :

إذا أحشوها بالوقود تغصبت على اللحم حتى تترك اللحم باديا

وفي النسختين : « تعصب » بالعين المهملة ، صوابه ما أثبت . وانظر الآية ١٨ من سورة المائدة .

(٦) ب : « لا يكون ابن ابنه » م : « لا يكون ابن الله ابنه » . والصواب ما أثبت .

وهذا من تمام الإكرام ، وكمال المحبة ، ولا سيما إن كان قال في التوراة : بنو إسرائيل أبناء بكرى .

وأنت تعلم أن العرب حين زعمت أن الملائكة بنات الله كيف استعظم الله تعالى ذلك وأكبره ، وغضب على أهله ، وإن كان يعلم أن العرب لم تجعل الملائكة بناته على الولادة واتخاذ صاحبة ، فكيف يجوز مع ذلك أن يكون الله قد كان يُخبر عباده قبل ذلك بأن يعقوب ابنه ، وأن سليمان ابنه ، وأن عزيراً ابنه ، وأن عيسى ابنه (١) ؟ .

فالله تعالى أعظم من أن يكون له أبوة من صفاته ، والإنسان أحقر من أن يكون بنوة الله من أنسابه .

والقول بأن الله يكون أباً وجداً (٢) وأخاً وعمّاً ، للنصارى ألزم ، وإن كان للآخرين لازماً ، لأن النصارى تزعم أن الله هو المسيح بن مريم ، وأن المسيح قال للحواريين : « إخوتي » . فلو كان للحواريين أولاد لجاز أن يكون الله عمهم !

بل قد يزعمون أن مرقس هو ابن شمعون الصفا (٣) ، وأن زوزرى ابنته ، وأن النصارى تقرر أن في إنجيل مرقس (٤) : « ما زاد (٥) أمك وإخوتك على الباب » وتفسيرها : ما زاد (٦) : معلم . فهم لا يمتنعون من أن يكون الله تبارك وتعالى أباً وجداً وعمّاً .

(١) وأن عزيراً ابنه ، ساقط من ب .

(٢) ب : « أباً واحداً » ، صوابه في م .

(٣) في الفصل لابن حزم ٢ : ٢ أن ماركس هو تلميذ شمعون الصفا بن توما .

(٤) في النسختين : « في الإنجيل مرقس » صوابه ما أثبت . وانظر إنجيل مرقس ٣ : ٣٢ .

(٥) ب : « ماذا » بذالين معجمتين . والذي في الإنجيل : « هو ذا » .

(٦) ب : « ماذا » بذالين معجمتين .

ولولا<sup>(١)</sup> أَنَّ اللهَ قد حَكى عن اليهود أَنَّهُم قالوا : إِنَّ « عزيراً ابنُ الله<sup>(٢)</sup> » ، ﴿ ويَدُ الله مغلولة<sup>(٣)</sup> ﴾ ، ﴿ إِنَّ اللهَ فقيرٌ ونَحْنُ أغنياءُ<sup>(٤)</sup> ﴾ وحكى عن النَّصارى أَنَّهُم قالوا : « المسيح ابنُ الله » وقال : ﴿ قالت النَّصارى المسيحُ ابنُ الله<sup>(٥)</sup> ﴾ . وقال : ﴿ لقد كَفَرَ الذين قالوا إِنَّ اللهَ ثالثُ ثلاثةٍ<sup>(٦)</sup> ﴾ - لكنْتُ لَأَنَّ أَخِرَّ من السماء أحبُّ إلىَّ من أَنَّ أَلْفِظَ بحرفٍ مَما يقولون . ولكنِّي لا أَصلُّ إلى إظهار جميعِ مخازيهم ، وما يُسرُّون من فضائِحهم ، إِلَّا بالإنخبار عنهم ، والحكاية منهم .

فإن قالوا : خَبَرنا عن الله ، وعن التوراة ، أليست حقًّا<sup>(٧)</sup> ؟ قلنا : نعم . قالوا : فإنَّ فيها « إسرائيلُ يكرى<sup>(٨)</sup> » وجميعُ ما ذكرتم عنا معروفٌ في الكُتب .

قلنا : إِنَّ القومَ إِنما أُتوا من قلةِ المعرفة بوجوه الكلام ، ومن سوءِ التَّرجمة ، مع الحكم بما يَسبِقُ إلى القلوب . ولَعمرى أَن لو كانت لهم عقولُ المسلمينَ ومعرفتهم بما يجوز في كلام العرب ، وما يجوز على الله ، مع فصاحتهم بالعبرانية ، لوجدوا لذلك الكلام تأويلاً حسناً ، ومخرجاً سهلاً ، ووجهاً قريباً . ولو كانوا أيضاً لم يُعطلوا في سائر ما ترجموا لكان لقائلٍ مقالٌ ، ولطاعنٍ مدخلٌ ، ولكنَّهُم يخبرون أَنَّ

(١) ب : « ولو » .

(٢) إشارة إلى الآية الكريمة : « وقالت اليهود عزير ابن الله » ، وهي الآية ٣٠ من التوبة .

(٣) الآية ٦٤ من سورة المائدة .

(٤) الآية ١٨١ من سورة آل عمران .

(٥) الآية ٣٠ من سورة التوبة . والاقْتباس هنا بطرح الواو ، فإن نص الآية : « وقالت

النصارى » . وهو أمر جائز كما أُشرت إلى ذلك في كتابي تحقيق النصوص ص ٥١ .

(٦) الآية ٧٣ من سورة المائدة .

(٧) في النسختين : « حق » ، صوابه ما أثبت .

(٨) انظر ما مضى في حواشي ص ٣٣٢ .

الله تبارك وتعالى قال في العَشْرِ الآيات<sup>(١)</sup> التي كتبتها أصابعُ الله :  
« إِنِّي أَنَا اللهُ الشَّدِيدُ ، وَإِنِّي أَنَا اللهُ الثَّقَفُ<sup>(٢)</sup> ، وَأَنَا النَّارُ الَّتِي تَأْكُلُ  
النَّيْرَانَ<sup>(٣)</sup> ، أَخَذُ الْأَبْنَاءَ بِحَوْبِ الْآبَاءِ ، الْقُرْنَ الْأَوَّلَ وَالثَّانِي وَالثَّلَاثَ  
إِلَى السَّابِعِ<sup>(٤)</sup> . وَأَنَّ دَاوُدَ قَالَ فِي الزُّبُورِ : « وَافْتَحْ عَيْنَكَ يَا رَبُّ »  
و « قُمْ يَا رَبُّ » ، و « أَصْغِرْ إِلَيَّ سَمْعَكَ يَا رَبُّ<sup>(٥)</sup> » . وَأَنَّ دَاوُدَ خَبَّرَ أَيْضاً  
فِي مَكَانٍ آخَرَ عَنِ اللهِ تَعَالَى : « وَانْتَبَهَ اللهُ كَمَا يَنْتَبِهُ السُّكْرَانُ الَّذِي قَدْ  
شَرِبَ الْخَمْرَ<sup>(٦)</sup> » . وَأَنَّ مُوسَى قَالَ فِي التَّوْرَةِ : « خَلَقَ اللهُ الْأَشْيَاءَ  
بِكَلِمَتِهِ ، وَبِرُوحِ نَفْسِهِ » . وَأَنَّ اللهُ قَالَ فِي التَّوْرَةِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ :  
« بِذِرَاعِي الشَّدِيدَةِ أَخْرَجْتُكُمْ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ<sup>(٧)</sup> » . وَأَنَّهُ قَالَ فِي كِتَابِ  
إِسْعِيَاءَ : « أَحْمَدُ اللهُ حَمْدًا جَدِيدًا ، أَحْمَدُهُ فِي أَقْصَى الْأَرْضِ ، يَمَلَأُ الْجَزَائِرَ  
وَسُكَّانَهَا ، وَالْبُحُورَ وَالْقَفَارَ وَمَا فِيهَا ، وَيَكُونُ بَنُو قَيْدَارَ فِي الْقُصُورِ ،  
وَسُكَّانُ الْجِبَالِ<sup>(٨)</sup> - يَعْنِي قَيْدَارَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ - لِيَصِيحُوا وَيُصَيِّرُوا اللهُ  
الْفَخْرَ وَالْكَرَامَةَ ، وَيَسْبِّحُوا بِحَمْدِ اللهِ فِي الْجَزَائِرِ<sup>(٩)</sup> » .

(١) في النسختين : « في العشر آيات » ، والوجه ما أثبت .

(٢) الثقف : الفطن الذكي .

(٣) في النسختين : « أكل النيران » .

(٤) في سفر الخروج ٣٤ : ٧ : « مفتقد إثم الآباء في الأبناء وفي أبناء الأبناء في الجيل الثالث

والرابع » .

(٥) انظر المزامير ١٧ : ١ و ٢٨ : ٢ و ٦١ : ١ .

(٦) في المزامير ٧٨ : ٦٥ : « فاستيقظ الرب كأنهم كجبار معيط من الخمر » . عيط الشارب :

قال عيط عيط ، بكسر العين ، وقد عيط تعييطا .

(٧) انظر الخروج ١٣ : ٣ والثنية ٤ : ٣٤ / ٥ : ١٥ والمزامير ١٣٦ : ١١ - ١٢ .

(٨) في سفر إشعياء ٤٢ : ١٠ ، ١١ : « غنوا للرب أغنية جديدة تسبيحه من أقصى الأرض ، أيها المنحدرون في البحر وملؤه ، والجزائر وسكانها . لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيدار . لتترنم سكان سلع من رموس الجبال » .

(٩) في سفر إشعياء ٤٢ : ١١ - ١٢ : « ليهتفوا . ليعطوا الرب مجداً ويخبروا بتسبيحه في الجزائر » . وفي الأصل هنا : « يصيحوا ويصيروا لله الفخر والكرامة ، ويلبسون بحمد الله في الجزائر » . وقد أصلحت العبارة في ضوء ما في السفر .

وأنه قال على إثر ذلك : « ويخرج الرب<sup>(١)</sup> كالجبار ، وكالرجل الشجاع المجرب<sup>(٢)</sup> ، ويزجر ويصرخ ، ويهيج الحرب والحمية ، ويقتل أعداءه<sup>(٣)</sup> ، ينصرح السماء والأرض . »

وأن الله قال أيضاً في كتاب إشعياء : « سكت . قال : هو متى أسكت ، مثل المرأة التي قد أخذها الطلق للولادة أتلهف<sup>(٤)</sup> ، وإن تراني أريد أحرث الجبال والشعب<sup>(٥)</sup> ، وآخذ بالعرب في طريق لا يعرفونه<sup>(٦)</sup> . وكلهم على هذا اللفظ العربي مُجمع . ومعنى هذا لا يعجزه أحد من أهل العلم ، ومثل هذا كثير تركته لمعرفتكم به . »

وأنت تعلم أن اليهود لو أخذوا القرآن فترجموه بالعبرانية لأخرجوه من معانيه ، ولحوّلوه عن وجوهه ، وما ظنك بهم إذا ترجموا : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾<sup>(٧)</sup> ، و ﴿ لَتُضَعَّ عَلَى عَيْنِي ﴾<sup>(٨)</sup> ، و ﴿ السَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾<sup>(٩)</sup> ، و ﴿ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾<sup>(١٠)</sup> ، و ﴿ نَاصِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴾<sup>(١١)</sup> ، وقوله : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾<sup>(١٢)</sup> ،

(١) في النسختين : « ويحيى الرب » وفي سفر إشعياء : « الرب كالجبار يخرج » .

(٢) في سفر إشعياء : « كرجل حروب ينهض غيرته »

(٣) في سفر إشعياء : « يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه » .

(٤) لاريب أن في العبارة تحريفاً . والذي في سفر إشعياء ٤٢ : ١٤ : « قد صمت منذ

الدهر ، سكت تجلدت . كالوالدة أصيح أنفخ وأنخر معاً » . سكت وتجلدت بناء المتكلم فيما .

(٥) في سفر إشعياء : « أحرب الجبال والآكام وأجفف كل عشبها وأجعل الأنهار يبساً وأنشف الآجام » .

(٦) كذا . والذي في السفر : « وأسير العمى في طريق لم يعرفوها » . أسير من التسيير ،

والعمى : جمع أعمى

(٧) الآية ٥٥ من سورة الزخرف . (٨) الآية ٣٩ من سورة طه .

(٩) الآية ٦٧ من سورة الزمر .

(١٠) الآية ٥ من سورة طه .

(١١) الآية ٢٢ ، ٢٣ من سورة القيامة .

(١٢) الآية ١٤٣ من سورة الأعراف .

و ﴿كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾<sup>(١)</sup> ، و ﴿جَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾<sup>(٢)</sup> .  
 وقد يُعلم أَنَّ مفسري كتابنا وأصحاب التأويل منا أحسن معرفة ،  
 وأعلمُ بوجوه الكلام من اليهود ، ومتأولي الكتب ، ونحن قد نجد في  
 تفسيرهم ما لا يجوز على الله في صفته ، ولا عند المتكلمين في مقاييسهم<sup>(٣)</sup> ،  
 ولا عند النحويين في عربيتهم . فما ظنك باليهود مع غباوتهم وغيبهم ،  
 وقلة نظرهم وتقليدهم ؟

وهذا بابٌ قد غلِطت فيه العربُ أنفسها ، وفصحاءُ أهل اللغة إذا  
 غلِطت قلوبها ، وأخطأت عقولها ، فكيف بغيرهم ممن لا يعلم كعلمها ؟  
 سمع بعضُ العرب قولَ جميع العرب : « القلوبُ بيد الله » ، وقولهم  
 في الدعاء : « نواصينا بيد الله » وقوله جل ذكره : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾<sup>(٤)</sup> ،  
 وقولهم : « هذا من أيادي الله ونعمه عندنا » وقد كان من لغتهم أَنَّ الكفَّ  
 أيضاً يدٌ<sup>(٥)</sup> ، كما أَنَّ النعمة يد ، والقُدرة يد ، فغلط الشاعر<sup>(٦)</sup> فقال :  
 هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنَّ الْأُمُورَ بِكَفِّ الْإِلَهِ مَقَادِيرُهَا<sup>(٧)</sup>

(١) الآية ١٦٤ من سورة النساء .

(٢) الآية ٢٢ من سورة الفجر .

(٣) في النسختين : « مقاييسهم » .

(٤) الآية ٦٤ من سورة المائدة .

(٥) في النسختين : « الكفر أيضاً يد » ، والوجه ما أثبت . وهو تمهيد للاستشهاد  
 بالبيت التالي ، الذي أثبت للإله كفاً ، وذلك من سوء أدب الشاعر ، وإنما يعبر باليد في ذات  
 الله لمعنى النعمة والقُدرة .

(٦) هو محمد بن حازم الباهلي كما في العقد ٣ : ٢٠٦ . وسماه « ابن أبي حازم » ، تحريف .  
 وهو محمد بن حازم بن عمرو الباهلي . كان من ساكني بغداد ، ومولده ومنشؤه بالبصرة . وهو  
 من شعراء الدولة العباسية . شاعر مطبوع ، إلا أنه كان كثير الهجاء للناس . ولم يمدح من الخلفاء  
 إلا المأمون . كان يقول المقطعات الصغيرة فيحسن . وهو صاحب البيت المشهور :

يا راقدا الليل مسروراً بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسحارا  
 وقد عاتبه يحيى بن أكرم على اختصاره للشعر ، فأجابه بأشعار حسان .

انظر الأغاني ١٢ : ١٥١ - ١٦٠ والمرزباني ٤٢٩ وتاريخ بغداد ٧٨١ .

(٧) في العقد : • فلا تحمصن فإن الأمور •

وقد كان إبراهيمُ بن سيَّارِ النَّظَامُ يجيب بجوابٍ ، وأنا ذاكرُهُ إن شاء الله . وعليه كانت علماء المعتزلة ، ولا أراه مقنعاً ولا شافياً .

وذلك أَنَّهُ كان يجعل الخليلَ مثل الحبيب ، مثل الوليِّ ، وكان يقول : خليلُ الرحمن مثل حبيبه ووليِّه وناصره . وكانت العُلة والولاية والمحبَّة سواءً .

قالوا : ولما كانت كلُّها عنده سواءً جاز أَن يسمَّى عبداً له ولداً ، لمكان التربية التي ليست بحصانة ، ولمكان الرِّحمة التي لا تُشتقُّ من الرحم<sup>(١)</sup> ، لأنَّ إنساناً لو رحم جرَّو كلب فرباه لم يَجْزُ أَن يسمِّيه ولداً ويسمَّى نفسه أباً . ولو التقط صبيّاً فرباه جاز أَن يسمِّيه ولداً ويسمَّى نفسه له أباً ، لأنَّه شبيهٌ ولده ، وقد يُولَد لمثله مثله . وليس بين الكلاب والبشر أرحام ، فإذا كان شَبَه<sup>(٢)</sup> الإنسان أبعَدَ من الله تعالى من شَبَه الجرَّو بالإنسان ، كان الله أحقَّ بالأبِّ يجعله ولده ، وينسبه إلى نفسه .

قلنا لإبراهيم النَّظَامِ عند جوابه هذا وقياسه<sup>(٣)</sup> الذي قاس عليه ، في المعارضةِ والموازنةِ بين قياسنا وقياسه : أَرَأَيْتَ كلباً أَلِفَ كَلَّابِهِ<sup>(٤)</sup> ، وحامى وأحمى دُونَهُ ، هل يجوز أَن يتَّخذَه بذلك كَلَّهُ خليلاً ، مع بُعْد التَّشَابُه والتَّناسب ؟

فإذا قال : لا . قلنا : فالعبدُ الصالح أبعَدُ شَبَهاً من الله من ذلك الكلبِ المحسنِ إلى كَلَّابِهِ ، فكيف جازَ في قياسك أَن يكون الله خليلَ

(١) في النسختين : « لا يشتق » ، تحريف .

(٢) ب : « شبيهه » .

(٣) ب : « وإن قياسه » .

(٤) الكلاب : صاحب الكلاب ، كما أن المكلب صاحبها الذي يعلمها أخذ الصيد ويصطاد

بها . ب : « أَرَأَيْتَ كلاباً » ، صوابه في م .



من لا يشاكله لمكان إحسانه ، ولا يجوز للكلاب أن يسمّى كلبه خليلاً أو ولداً لمكان حُسن تربيته له ، وتأديبه إيّاه ، ولمكان حُسن الكلب وكسبه عليه ، وقيامه مقام الولد الكاسب والأخ ، والبار .

والعبدُ الصّالح لا يُشبه الله في وجهه من الوجوه ، والكلبُ قد يشبه كلابه لوجوه كثيرة ، بل ما أشبهه به ممّا خالفه فيه ، وإن كانت العلة التي منعت من تسمية الكلب خليلاً وولداً بعد شبهه من الإنسان .

فلو قلم<sup>(١)</sup> : فما الجواب الذي أجبت فيه ، والوجه الذي أرتضيتَه ؟

قلنا : إنّ إبراهيم صلواتُ الله عليه ، وإن كان خليلاً ، فلم يكن خليلاً بخُلةٍ كانت بينه وبين الله تعالى ، لأنّ الخُلة والإخاء والصداقة والتّصافي والخُلة وأشباه ذلك منفية عن الله تعالى عزّ ذكره ، فيما بينه وبين عباده ، على أنّ الإخاء والصداقة داخلتان في الخُلة ، والعُلة أعمُّ الاسمين ، وأخصُّ الحاليتين . ويجوز أن يكون إبراهيم خليلاً بالخُلة<sup>(٢)</sup> التي أدخلها الله على نفسه وماله ، وبين أن يكون خليلاً [بالخُلة وأن يكون خليلاً<sup>(٣)</sup>] بخُلةٍ بينه وبين ربّه - فرق ظاهر ، وبون واضح . وذلك أنّ إبراهيم عليه السلام اختلّ في الله تعالى اختلالاً لم يختلّه أحدٌ قبله . لقد فهم إيّاه في النار ، وذبحه ابنه ، وحمله على ماله في الضيافة والمواساة والأثرة ، وبعداوة قومه ، والبراءة من أبويه في حياتهما ، وبعد موتهما ، وترك وطنه ، والهجرة إلى غير داره ومسقط رأسه . فصار لهذه الشدائد مختلاً في الله ، وخليلاً في الله . والخليل والمختل<sup>(٤)</sup> سواء في كلام

(١) في النسختين : فلم قلم » ، والوجه ما أثبت .

(٢) الخلة ، بالفتح : الحاجة والفقر .

(٣) تكله يفتقر إليها الكلام .

(٤) في النسختين : « مخول » ، تحريف . وفي اللسان : « ورجل مخل ومختل وخليل وأخل :

معدم فقير » .

العرب . والدليل على أن يكون الخليل من الخَلَّة كما يكون من الخَلَّة قولُ زهير بن أبي سلمى ، وهو يمدح هَرِمًا :

وإنَّ أتاهُ خليلٌ يومَ مَسْغِبَةٍ      يقولُ لا عاجزٌ مالى ولا حَرِمٌ<sup>(١)</sup>  
وقال آخر :

وإنى إلى أن تسعفاني بحاجةٍ      إلى آل ليلى مرَّةً لخليلٍ  
وهو لا يمدحه بأنَّ خليله وصديقه يكون فقيرًا سائلًا ، يأتي يوم المسألة ويبسط يده للصدقة والعطية ، وإنَّما الخليل في هذا الموضع من الخَلَّة والاختلال ، لا من الخَلَّة والخلال .

وكأنَّ إبراهيمَ عليه السلام حين صار في الله مختلًا أضافه الله إلى نفسه ، وأبانهُ بذلك عن سائر أوليائه ، فسماه خليلَ الله من بين الأنبياء ، كما سَمَى الكعبة : بيتَ الله من بين جميع البيوت ، وأهل مكة : أهلَ الله من بين جميع البلدان . وسَمَى ناقةَ صالح عليه السلام : ناقةَ الله من بين جميع النوق . وهكذا كلُّ شَيْءٍ عَظَّمَهُ اللهُ تعالى ، من خيرٍ وشر ، وثوابٍ وعقاب . كما قالوا : دَعَه في لعنة الله ، وفي نار الله وفي حرقِهِ . وكما قال للقرآن : كتاب الله ، وللمحرم : شهر الله . و [على هذا المثال قيل لحمزة رحمة الله ورضوانه عزَّ ذكره عليه : أسدُ الله ، و<sup>(٢)</sup> ] لخالد رحمةُ الله عليه : سيف الله تعالى .

وفي قياسنا هذا لا يجوز : أنَّ الله خليل إبراهيم ، كما يقال : إن إبراهيم خليل الله .

(١) ديوان زهير ١٥٣ والعمى ٤ : ٤٢٩ .

(٢) هذه التكملة من م وإن كانت عبارة الدعاء هذه ليست من أسلوب الجاحظ .

فإن قال قائل : فكيف لم يقدموه على جميع الأنبياء ، إذ كان الله قدّمه بهذا الاسم الذى ليس لأحدٍ مثله ؟

قلنا : إن هذا الاسم اشتقَّ له من عمله وحاله وصفته ، وقد قيل لموسى عليه السلام : كليم الله ، وقيل لعيسى : روح الله ، ولم يُقَلْ ذلك لإبراهيم ، ولا لمحمد صلوات الله عليهما ، وإن كان محمد صلى الله عليه وسلم أرفعَ درجةً منهم ، لأنَّ الله تعالى كلّم الأنبياء عليهم السلام على ألسنة الملائكة ، وكلّم موسى كما كلّم الملائكة ، فلهذه العلّة قيل : كليم الله . وخلق في نطف الرجال أن قذفها<sup>(١)</sup> في أرحام النساء على ما أجرى عليه تركيب العالم ، وطباع الدنيا ، وخلق في رحم مريم روحاً وجسداً ، على غير مجرى العادة ، وما عليه المناكحة . فلهذه الخاصّة قيل له : روح الله .

وقد يجوز أن يكون في نبيٍّ من الأنبياء خصلةٌ شريفة ، ولا تكون تلك الخصلة بعينها في نبيٍّ أرفعَ درجةً منه ، ويكون في ذلك النبي خصالٌ شريفة ليست في الآخر . وكذلك جميع الناس ، كالرجل يكون له أبوان ، فيُحسن برهما وتعاهدهما ، والصّبر عليهما ، وهو أعرج لا يقدر على الجهاد ، وفقير لا يقدر على الإنفاق . ويكون آخر لا أب له ولا أم له ، وهو ذو مالٍ كثير ، وخلقٍ سوى ، وجلدٍ طاهر ، فأطاع هذا بالجهاد والإنفاق ، وأطاع ذلك ببرٍّ والديه والصّبر عليهما .

والكلام إذا حرّك تشعب ، وإذا ثبت أصله كثرت فنونه ، واتّسعت طرقه . ولولا ملالة القارىء ، ومداراة المستمع لكان بسط القول في جميع ما يعرض أتمّ للدليل ، وأجمع للكتاب ، ولكننا إنّما ابتدأنا الكتاب لنقتصر به على كسر النصرانية فقط .

(١) في النسختين : « إذ قذفها » ، ووجه العبارة بما ترى .

## ٦ - فصل منه

قلنا في جواب آخر: إن كان المسيح إنما صار ابن الله لأن الله خلقه من غير ذكر، فأدم وحواء<sup>(١)</sup> إذ كانا<sup>(٢)</sup> من غير ذكر وأنثى أحق بذلك، إن كانت العلة في اتخاذها ولداً أنه خلقه من غير ذكر. وإن كان ذلك لمكان التربية فهل رباه إلا كما ربى موسى<sup>(٣)</sup>، وداود، وجميع الأنبياء. وهل تأويل: «رباه» إلا غذاه، ورزقه، وأطعمه، وسقاه، فقد فعل ذلك<sup>(٤)</sup> بجميع الناس. ولم سميت سقيه لهم وإطعامه إياهم تربية؟ ولم رباه وأنتم لا تريدون إلا غذاه ورزقه، وهو لم يحضنه، ولم يباشر تقليبه، ولم يتول بنفسه سقيه وإطعامه، فيكون ذلك سبباً له دون غيره، وإنما سقاه لبن أمه في صغره، وغذاه بالحبوب والماء في كبره.

## ٧ - فصل منه

والأعجوبة في آدم عليه السلام أبدع، وتربيته أكرم، ومُنقَلَبه أعلى وأشرف، إذ كانت السماء داره، والجنة منزله، والملائكة خدامه. بل هو المقدم بالسُّجود، والسُّجود أشد الخضوع. وإن كان يحسن التعليم والتثقيف<sup>(٥)</sup>؛ فمن كان الله تعالى يخاطبه، ويتولى مناجاته دون أن يُرسل إليه ملائكته ويبعث إليه رسوله، أقرب منزلة، وأشرف مرتبة، وأحق بشرف التأديب وفضيلة التعليم.

(١) رسمت في النسختين: «حوى».

(٢) ب: «إذا كان م»: «إذا كان»، والوجه ما أثبت.

(٣) في النسختين «إلا حماد بن موسى»، صوابه ما أثبت، وهو من دقيق التحريف،

حرفت «كا» إلى «حماد» و«ربى» إلى «د بن».

(٤) ب: «فهل فعل ذلك»، صوابه في م.

(٥) أى «وإن كان تقديمه بحسن التعليم»، وكلمة «التثقيف» ساقطة من م. وفي النسختين:

«وإن كان يحسن التعليم»، والوجه ما أثبت.

وكان الله تعالى يكلم آدم كما كان يكلم ملائكته ، ثم علمه الأسماء كلها ؛ ولم يكن ليعلمه الأسماء كلها إلا بالمعاني كلها ، فإذا [ كان <sup>(١)</sup> ] ذلك كذلك فقد علمه <sup>(٢)</sup> جميع مصالحه ومصالح ولده ، وتلك نهاية طباع الآدميين ، ومبلغ قوى المخلوقين .

### ٨ - فصل منه

فأمّا قولهم إنّنا نقول على الناس ما لا يعرفونه <sup>(٣)</sup> ، ولا يجوز أن يدينوا به ، وهو قولنا إنّ اليهود قالت : إنّ الله تعالى فقيرٌ ونحن أغنياء . وأنها قالت : إنّ يد الله مغلولة ، وإنّها قالت : إنّ عزيزاً ابنُ الله ، وهم مع اختلافهم وكثرة عددهم ، ينكرون ذلك ويأبؤنه أشدّ الإباء .

قلنا لهم : إنّ اليهود لعنهم الله تعالى كانت تطعن على القرآن ، وتلمس نقضه ، وتطلب عيبه ، وتخطئ فيه صاحبه ، وتأتيه من كل وجه ، وترصده بكل حيلة ، ليلتبس على الضعفاء ، وتستميل قلوب الأغنياء <sup>(٤)</sup> .

فلما سمعت قول الله تعالى لعباده الذين أعظام ، قرضاً ، وسألهم قرضاً على التضعيف ، فقال عز من قائل : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقرِضُ اللَّهَ قرَضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ <sup>(٥)</sup> ﴾ . قالت اليهود <sup>(٦)</sup> على وجه الطعن والعيب والتخطئة والتعنّت : تزعم أنّ الله يستقرض منا ، وما استقرض منا

(١) تكلّمه يفنقر إليها الكلام .

(٢) ب : فهل علمه ، صوابه في م .

(٣) سقطت كلمة « لا » من النسختين ، ولا يستقيم الكلام بدونها .

(٤) ب : « الأغنياء » ، صوابه في م . وفي النسختين : « ويستميل » ، تحريف .

(٥) الآية ٢٤٥ من سورة البقرة . وقراءة نصب « فيضاعف » هي لعاصم وابن عامر ويعقوب .

وقراءة الجمهور « فيضاعفه » بالرفع على الاستثناء . إتحاف فضلاء البشر ١٥٩ .

(٦) ب : « قالت » فقط .

إِلَّا لفقره وِغْنَانَا ! فَكفَّرَتْ بِذلكِ القَوْلِ إِذْ كَانَ <sup>(١)</sup> عَلَى وَجْهِ التَّكْذِيبِ  
والتَّخْطِئَةِ ، لَا عَلَى وَجْهِ أَنَّ دِينَهَا كَانَ فِي الْأَصْلِ أَنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ ، وَأَنَّ  
عِبَادَهُ أَغْنِيَاءُ . وَكَيْفَ يَعْتَقِدُ إِنْسَانٌ أَنَّ اللَّهَ عَاجِزٌ عَمَّا يَقْدِرُ عَلَيْهِ ، مَعَ  
إِقْرَارِهِ <sup>(٢)</sup> بِأَنَّهُ الَّذِي خَلَقَهُ وَرَزَقَهُ ، وَإِنْ شَاءَ حَرَمَهُ ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ ،  
وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ . وَقَدْرَتُهُ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ كَقَدْرَتِهِ عَلَى وَاحِدٍ .

ومجاز الآية في اللغة واضح ، وتأويلها بين ؟ وذلك أن الرجل  
منهم كان يُقرض صاحبه لإرفاقه <sup>(٣)</sup> ، ليعود إليه مع أصل ماله اليسير  
من ربحه ، ثم هو مخاطرٌ به إلى أن يعود في ملكه . فقال لهم - بحسن  
عادته ومنته : أسوأ فقراءكم <sup>(٤)</sup> ، وأعطوا في الحق أقرباءكم ، من المال  
الذي أعطيتكم ، والنعمه التي خولتكم ، بأمري إياكم وضمان لكم ،  
فأعتده منكم قرضاً وإن كنت أولى به منكم ، فأنا موفيكم حقوقكم  
إلى ما لا ترتق إليه همة ولا تبلغه أمنية . على أنكم قد أمّنتم من الخطار ،  
وسلمتم من التّغريب .

والرَّجُلُ يَقُولُ لِعَبْدِهِ <sup>(٥)</sup> : أَسْلَفْنِي دِرْهَمًا ، عِنْدَ الْحَاجَةِ تَعْرِضُ  
لَهُ <sup>(٦)</sup> ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ عَبْدَهُ وَمَالَهُ لَهُ . وَإِنَّمَا هَذَا كَلَامٌ وَقَعَالٌ يَدُلُّ عَلَى  
حُسْنِ الْمِلْكَةِ ، وَالتَّفَضُّلِ عَلَى الْعَبْدِ وَالْأَمَّةِ ، وَإِخْبَارُ مَنْ لِعَبْدِهِ أَنَّهُ  
سَيُعِيدُ عَلَيْهِ مَا كَانَتْ سَخَتْ بِهِ نَفْسَهُ .

(١) ب : « إذا كان » ، صوابه في م .

(٢) في النسختين : « مع قراره » .

(٣) الإرفاق : النفع . وفي م : « لإرفاقه » .

(٤) المؤاساة : مصدر آسأه بماله : أناله منه وجعله فيه أسوة ، فهي المشاركة . وفي الحديث  
« ما أحد عندي أعظم يداً من أبي بكر ، آسأني بنفسه وماله » . وفي ب : « واسوا » على التخفيف ،  
وإن ذكر صاحب اللسان أنها لغة ضعيفة ، في حديث الحديبية : « إن المشركين واسونا للصلح » .

(٥) ب : « لِعَبْدِ » ، صوابه في م .

(٦) في النسختين : « تقرض له » ، تحريف ما أثبت .

وهذا ليس بغلطٍ في الكلام ولا بضيقٍ فيه <sup>(١)</sup> ولكن المتعنت يتعلّق بكلِّ سبب ، ويتشَبَّثُ بكلِّ ما وجد .

وأما إخباره عن اليهود أنّها قالت : ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، فلم يذهب إلى أنّ اليهود ترى أنّ <sup>(٣)</sup> ساعده مشدودة إلى عنقه بغلّ . وكيف يذهب إلى هذا ذاهبٌ ، ويدينُ به دائنٌ ؟ ! لأنه لا بدّ أن يكون يذهب إلى أنّه غلّ نفسه أو غلّه غيره . وأيهما كان ، فإنّه منيٌّ عن وهمٍ كلِّ بالغٍ يحتمل التكليف ، وعاقِلٍ يحتمل التثقيف ، ولكنّ اليهود قومٌ جبرية ، والجبرية <sup>(٤)</sup> تُبْخَلُّ الله مرّةً ، وتظلمه مرّةً <sup>(٥)</sup> ، وإن لم تُقرَّ بلسانها ، وتُشهد على إقرارها ، بقولهم : ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ يَعْنُونَ بِرّه وإحسانه <sup>(٦)</sup> . وقولهم : مَغْلُولَةٌ ، لا [يعني <sup>(٧)</sup>] أنّ غيره حبسه ومنعه ، ولكن إذا كان عندهم أنّه الذي منع أياديّه ، وحبّس نِعْمه ؛ فهي مَحْبُوسَةٌ بحبسه ، وبمِنوعه بمنعه .

والذي يدلُّ على أنّهم أرادوا باليدين النعمة والإفضال ، دون

(١) في الأصلين : « وهذا ليس يغلط في الكلام ولا يضيق فيه » .

(٢) الآية ٦٤ من سورة المائدة . (٣) في النسختين : « بأن » تحريف .

(٤) في اللسان : « الجبرية : الذي يقولون : أجبر الله العباد على الذنوب ، أي أكرههم عليه » . والمعروف عند المتكلمين أن الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد ، وإضافته إلى الرب تعالى . . والجبرية أصناف . فالجبرية الخالصة هي التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا . والجبرية المتوسطة التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة . فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثرًا ما في الفعل وسُمي ذلك كسبا فليس بجبري . والمعزلة يسمعون من لم يثبت للقدرة الحادثة في الإبداع والإحداث استقلالاً - جبرياً . الملل والنحل ١ : ١٠٨ .

(٥) في اللسان ( ظلم ٢٦٧ ) : « وظلمه ( بالتشديد ) : أنبأه أنه ظالم ، أو نسبه إلى الظلم »

وأُشَد :

أست تظالمني ولست بظالم وتنهني نهياً ولست بناثم

وهي ب : « وتظلمه » ، صوابه ما أثبت من م .

(٦) يره ، ساقطة من ب . وهي في م : « يده » ، ووجه هذه ما أثبت .

(٧) تكلمة يفتقر إلى مثلها الكلام .

السَّاعِدِ وَالذَّرَاعِ ، جَوَابُ كَلَامِهِمْ حِينَ قَالَ : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ <sup>(١)</sup> ﴾ . دليلاً على ما قلنا ، وشاهداً على ما وصَّفنا .

فإن قالوا : فكيف لم نقل إن اليهود بَخَلَّتِ اللهُ وَجَحَدَتْ إِحْسَانَهُ ، دون أن يقال إن يد الله مغلولة ؟

قلنا : إن أراد الله الإخبارَ عن كُفْرِ قَوْمٍ <sup>(٢)</sup> وَسَخِطَ عَلَيْهِمْ ، فليس لهم عليه أن يعبرَ عن دينهم وعبوبهم بأحسنِ المخارجِ ، ويجليها <sup>(٣)</sup> بأحسنِ الألفاظِ . وكيف وهو يريد التنفير عن قوهم ، وأن يبغضهم إلى مَنْ سَمِعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ .

ولو أراد الله تعالى تليينَ الأمرِ وتصغيره وتسهيله ، لقال قولاً غيرَ هذا . وكلُّ <sup>(٤)</sup> صدقٍ جائِزٌ في الكلامِ . فهذا مجازٌ مسألتهُم في اللُّغة ، وهو معروفٌ عند أهلِ البيانِ والفصاحةِ .

وأما قوهم : إنَّ اليهود لا تقول إنَّ عزيراً ابنُ اللهِ . فإنَّ اليهودي في ذلك على قولين : أحدهما خاصٌّ ، والآخر عامٌّ في جماعتهم .

فأما الخاصُّ ، فإنَّ ناساً منهم لما رأوا عزيراً أعاد عليهم التَّوراةَ من تلقاءِ نفسِهِ ، بعد ذُرُوسِهَا وَشَتَاتِ أَمْرِهَا غَلَّوْا فِيهِ ، وقالوا ذلك ، وهو مشهور <sup>(٥)</sup> من أمرهم . وإنَّ فريقاً من بقاياهم لباليمن والشَّامِ وداخلِ بلادِ الرُّومِ . وهؤلاءُ بأعيانهم يقولون : إنَّ إسرائيلَ اللهُ ابْنُهُ <sup>(٦)</sup> ، وإذا كان ذلك على خلافِ تناسُبِ النَّاسِ ، وصار <sup>(٧)</sup> ذلك الاسمُ لعزير

(١) من الآية ٦٤ في سورة المائدة .

(٢) ب : « على كفر قوم » ، صوابه في م .

(٣) م : « ويجليها » .

(٤) في النسختين : « وحل » ، ووجهه ما أثبت . (٥) ب : « مشهود » .

(٦) انظر ما سبق في ص ٣٣١ - ٣٣٢ . وهو ترجمة لكلمتي « إسرا » و « إيل » . وفي

تفسير أبي حيان ١ : ١٧١ أن « إسرا » بمعنى العبد ، في العبرانية .

(٧) ب : « وسار » بالسين .



بالطاعة والعلامة ، والمرتبة لآَنَّهُ <sup>(١)</sup> من ولد إسرائيل .  
والقول الذى هو عامٌ فيهم ، أن كلَّ يهودى <sup>(٢)</sup> ولدهُ إسرائيل ،  
فهو ابنُ الله ، إذ لم يجدوا ابنَ ابنٍ قطُّ إلا وهو ابن .

### ٩ - فصل منه

فإن قالوا : ليس المسيحُ روحَ الله وكلمته ، كما قال عزّ ذكره :  
﴿ وكلمته ألقاها إلى مريمَ وروحٌ منه <sup>(٣)</sup> ﴾ أو ليس قد أخبر عن نفسه  
حين ذكر أمه أنه نفخ فيها من رُوحه ؟ أو ليس مع ذلك قد أخبر  
عن حصانة فرجها وطهارتها <sup>(٤)</sup> ؟ أو ليس مع ذلك قد أخبر أنه لا أبَ  
له ، وأنه <sup>(٥)</sup> كان خالقاً ، إذ كان يَخْلُق من الطين كهيئة الطير ، فيكون  
حيّاً طائراً ؟ فأىُّ شىءٍ بَقِيَ <sup>(٦)</sup> من الدلالات على مخالفته لمشاكلته <sup>(٧)</sup>  
جميع الخلق ، ومباينة جميع البشر ؟

قلنا لهم : إنكم إنما سألتُمونا عن كتابنا ، وما يجوزُ في لغتنا  
وكلامنا ، ولم تسألونا عما يجوزُ في لغتكم وكلامكم . ولو أننا جوزنا  
ما في لغتنا مالا يجوز ، وقلنا على الله تعالى مالا نعرف ، كنّا بذلك عند  
الله والسّامعين في حدِّ المكاثرين ، وأسوأ حالاً من المنقطعين ، وكنّا قد  
أعطيناكم أكثرَ مما سألتُم ، وجزنا بكم فوق أمنيّتكم .

(١) ب : « لا لأنه » . و « لا » مقحمة تفسد الكلام .

(٢) في النسختين : « أن يكون يهودى » .

(٣) الآية ١٧١ من سورة النساء .

(٤) في الأصل : « أو ليس مع ذلك قد أخبر عن حصانة فرجها وطهارتها ، أخبر أنه نفخ فيها

من رُوحه » وفي هذا تكرار لاوجه له .

(٥) ب : « وأن » ، صوابه في م .

(٦) في النسختين : « نقى » ، تحريف .

(٧) في النسختين : « بمشاكلته » . والمقصود نقي المشاكلته .

ولو كُنَّا إِذَا قُلْنَا : عِيسَى رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ ، وَجِبَ عَلَيْنَا <sup>(١)</sup> فِي لَغْتِنَا أَنْ يَجْعَلَهُ اللَّهُ وَلَدًا ، وَنَجْعَلَهُ <sup>(٢)</sup> مَعَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَهًا ، وَنَقُولُ <sup>(٣)</sup> : إِنَّ رُوحًا كَانَتْ فِي اللَّهِ فَانْفَصَلَتْ مِنْهُ إِلَى بَدَنِ عِيسَى وَبَطْنِ مَرْيَمَ . فَكُنَّا إِذَا قُلْنَا : إِنَّ اللَّهَ سَمَّى جَبْرِيلَ رُوحَ اللَّهِ وَرُوحَ الْقُدُسِ ، وَجِبَ عَلَيْنَا أَنْ نَقُولَ فِيهِ مَا يَقُولُونَ فِي عِيسَى . وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ دِينِنَا ، وَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوَجْهِ عِنْدَنَا ، فَكَيْفَ نُظْهِرُ لِلنَّاسِ قَوْلًا لَا نَقُولُهُ ، وَدِينًا لَا نَرْتَضِيهِ .

ولو كان قوله جل ذكره <sup>(٤)</sup> : ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا <sup>(٥)</sup> ﴾ يُوجبُ نفخًا كَنَفْخِ الرِّقِّ ، أَوْ كَنَفْخِ الصَّانِعِ فِي المِنْفَاخِ ، وَأَنَّ بَعْضَ الرُّوحِ الَّتِي كَانَتْ فِيهِ انْفَصَلَتْ فَاصِلَةً إِلَى بَطْنِهِ وَبَطْنِ أُمِّهِ <sup>(٦)</sup> ، لَكَانَ قَوْلُهُ فِي آدَمَ يُوجِبُ لَهُ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ قَالَ : ﴿ وَبَدَأَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ <sup>(٧)</sup> ﴾ . . . إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ <sup>(٨)</sup> ﴾ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ <sup>(٩)</sup> ﴾ .

والنفخ يكون من وجوه ، والروح يكون من وجوه :

فمنها ما أضافه إلى نفسه ، ومنها ما لم يُضِفْهُ إِلَى نَفْسِهِ . وَإِنَّمَا

(١) ب : « وجب علينا » ، تحريف ، ما في م .

(٢) في النسختين : « ويجعله » ، محرف .

(٣) في النسختين : « ويقول » .

(٤) في النسختين : « ولو قال جل ذكره » . فينقطع الكلام عما بعده .

(٥) من الآية ٩١ من الأنبياء و ١٢ من التحريم .

(٦) في النسختين : « بعض روح » .

(٧) في النسختين : « بطنها وبطن أمها » .

(٨) الآيتان ٧ ، ٨ من سورة السجدة .

(٩) الآية ٩ من سورة السجدة .

(١٠) الآية ٢٩ من الحجر و ٧٢ من ص .

يكون ذلك على قَدْر ما عَظُم من الأمور ، فمِمَّا سَمِيَ رُوحاً وَأَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ ، جِبْرِيلُ الرُّوحِ الأَمِينِ ، وَعِيسَى بْنُ مَرْيَمَ . وَالتَّوْفِيقُ كَقَوْلِ مُوسَى حِينَ قَالَ : إِنَّ بَنِي فُلَانٍ أَجَابُوا فُلَاناً النَّبِيَّ وَلَمْ يُجِيبُواكَ . فَقَالَ لَهُ <sup>(١)</sup> : « إِنَّ رُوحَ اللَّهِ مَعَ كُلِّ أَحَدٍ » <sup>(٢)</sup> .

وَأَمَّا الْقُرْآنُ فَإِنَّ اللَّهَ سَمَّاهُ رُوحاً ، وَجَعَلَهُ يُقِيمُ لِلنَّاسِ مَصَالِحَهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَأَبْدَانِهِمْ ، فَلَمَّا اشْتَبَهَا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ أَلْزَمَهُمَا اسْمَهُمَا فَقَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا <sup>(٣)</sup> ﴾ وَقَالَ : ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ <sup>(٤)</sup> ﴾ .

### ١٠ - فصل منه

قَدْ جَعَلْنَا فِي جَوَابَاتِهِمْ وَقَدَّمْنَا مَسْأَلَتِهِمْ <sup>(٥)</sup> ، بِمَا لَمْ يَكُونُوا لِيَبْلُغُوهُ لِأَنْفُسِهِمْ ، لِيَكُونَ الدَّلِيلُ تَاماً ، وَالْجَوَابُ جَامِعاً ؛ وَلِيَعْلَمَ مَنْ قَرَأَ هَذَا الْكِتَابَ ، وَتَدَبَّرَ هَذَا الْجَوَابَ ، أَنَّا لَمْ نَعْتَمِدْ عَجْزَهُمْ ، وَلَمْ نَنْتَهِزْ غِرَّتَهُمْ ، وَأَنَّ الإِدْلَالَ بِالْحُجَّةِ ، وَالثَّقَّةَ بِالْفَلَجِ وَالنُّصْرَةَ ، هُوَ الَّذِي دَعَانَا إِلَى أَنْ نُخْبِرَ عَنْهُمْ بِمَا لَيْسَ عِنْدَهُمْ ، وَأَلَّا نَقُولَ فِي مَسْأَلَتِهِمْ بِمَعْنَى لَمْ يَنْتَبِهْ لَهُ مُنْتَبِهٌ ، أَوْ يُشِيرَ إِلَيْهِ مُشِيرٌ <sup>(٦)</sup> ، وَأَلَّا يُورَدُوا فِيهَا يَسْتَقْبَلُونَ ، عَلَى

(١) ب : « فقالوا له » ، تحريف .

(٢) إشارة إلى ما جاء في سفر العدد ١١ : ٢٧ - ٢٩ : « فركض غلام وأخبر موسى وقال : ألداد وميداد يتبآن في المحلة . فأجاب يشوع بن نون خادماً موسى من حدائته وقال : يا سيدي موسى ، اردعهما . فقال له موسى : هل تغار أنت في ، ياليت كل شعب الرب كانوا أنبياء إذا جعل الرب روحه عليهم » .

(٣) الآية ٥٢ من الشورى .

(٤) الآية ٤ من المعارج .

(٥) م : « وقومنا مسألتهم » .

(٦) في النسختين : « أو يشير » ، وإنما هو عطف على : « لم ينتبه » .

ضُعْفَانِئًا وَمَنْ قَصُرَ نَظْرُهُ مِنَّا ، شَيْئًا إِلَّا وَالْجَوَابُ قَدْ سَلَفَ فِيهِ ،  
وَأَلَسْتَهُمْ قَدْ مَدَلْتُ بِهِ (١) .

وسنسلهم إن شاء الله ، ونجيب عنهم ، ونستقصى لهم في جواباتهم ،  
كما سألناهم أنفسنا (٢) ، واستقصينا لهم في مسائلهم  
فيقال لهم : هل يخلو المسيح أن يكون إنساناً بلا إله ، أو إلهاً بلا  
إنسان ؟ أو أن يكون إلهاً وإنساناً ؟

فإن زعموا أنه كان إلهاً بلا إنسان ، قلنا لهم : فهو الذي كان  
صغيراً فشبَّ والتحقى (٣) ، والذي كان يأكل ويشرب ، وينجو  
ويبول ، وقتل بزعمكم وصلب ، وولدت مريم وأرضعته ، أم غيره هو  
الذي كان يأكل ويشرب على ما وصفنا ؟ فأى شئ معنى الإنسان  
إلا ما وصفنا وعددنا ؟

وكيف يكون إلهاً بلا إنسان ، وهو الموصوفُ بجميع صفات  
الإنسان . وليس القولُ في غيره ممن صفته كصفته إلا كالقول فيه  
كاشتهاها على غيره ؟

وإن زعموا أنه لم ينقلب عن الإنسانية ولم يتحول عن جوهر  
البشرية ، ولكن لما كان اللاهوت فيه ، صار خالقاً وسمى إلهاً . قلنا  
لهم : خبرونا عن اللاهوت . أكان فيه وفي غيره (٤) ، أم كان فيه دون  
غيره ؟

(١) مدلت به : أذاعته وأفشته ، وأصل المذل إشاعة السر . قال قيس بن الخطيم :

فلا تمذل بسرك كل سر إذا ما جاوز الاثني فاشي

ب : « قد دلت به » م : « قد زلت به » ، والوجه ما أثبت .

(٢) ب : « كما سألناهم أنفسنا » ، صوابه في م .

(٣) التحى : ظهرت لحته . ب : « والتحقى » بالجيم ، تحريف .

(٤) ب : « أكان فيه وفي غيره » فقط ، وبقيّة العبارة من م مع سقرط كلمة « فيه »

الثانية ، وقد أثبتنا تكلمة للقول .

فإن زعموا أنه كان فيه وفي غيره ، فليس هو أولى بأن يكون خالقاً ويتسمى إلهاً من غيره . وإن كان فيه دون غيره ، فقد صار اللاهوتُ جسماً .

وسنقول في الكسر عليهم إذا صرنا إلى القول في التشبيه ، وهو قولُ مُعْظَمِهِمْ <sup>(١)</sup> ، والذي كان عليه جماعتهم ، إلا من خالفهم من متكلميهم ومتفلسفيهم ، فإنهم يقولون بالتشبيه <sup>(٢)</sup> والتجسيم ، فراراً من كثرة الشناعة ، وعجزاً عن الجواب . وكفى بالتشبيه قُبْحاً ، وهو قولُ يعمُّ اليهودَ وإخوانهم من الرافضة ، وشياطينهم من المشبهة والحشوية <sup>(٣)</sup> والنابتة <sup>(٤)</sup> ، وهو بعد متفرق في الناس . والله تعالى المستعان .

(١) ب : « قول منع لهم » م : « منعلم » ، وأثبت ما رأته الصواب .

(٢) في النسختين : « في التشبيه » .

(٣) انظر ما سبق من الكلام على الحشوية في ص ٢٨٨

(٤) في النسختين : « النابتة » ، وأثبت واواً قبلها لأن هؤلاء غير هؤلاء . وانظر للنابتة

رسائل الجاحظ ٢ : ٥ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ .

## فهرس الكتب والرسائل

---

	صفحة
الحاسد والمحسود .	٣
المعلمين .	٢٥
التربيع والتدوير .	٥٣
في مدح النبيذ وصفة أصحابه .	١١١
طبقات المغنين .	١٢٩
النساء .	١٣٧
مناقب الترك .	١٦١
حجج النبوة .	٢٢١
خلق القرآن .	٢٨٣
الرد على النصارى .	٣٠١